



نشاط الطلبة الجزائريين الفكري والثقافي بتونس 1930م-1962م "جامع الزيتونة نموذجا"

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

تحت إشراف الأستاذ:
- أ.د. مجاود محمد

إعداد الطالب:
- لوافي سمية

أعضاء لجنة المناقشة:

| | | | |
|--------------|-------------------|----------------------|---------------------|
| رئيس اللجنة | جامعة سيدي بلعباس | أستاذ التعليم العالي | أ.د. لونيبي إبراهيم |
| مشرفا ومقررا | جامعة سيدي بلعباس | أستاذ التعليم العالي | أ.د. مجاود محمد |
| عضوا مناقشا | جامعة سيدي بلعباس | أستاذ محاضر -أ- | د. بوشنافي محمد |
| عضوا مناقشا | جامعة وهران | أستاذ التعليم العالي | أ.د. فخرور دحو |
| عضوا مناقشا | جامعة وهران | أستاذ التعليم العالي | أ.د. داجة محمد |
| عضوا مناقشا | جامعة تيارت | أستاذ محاضر -أ- | د. بليل محمد |

السنة الجامعية: 1435-1436هـ / 2014-2015م



إهداء

إلى نور بصري ومثلي الأعلى في الحياة

إلى روح روحي والدني أطال الله في عمرها.

إلى سندي وعضدي المئين والدي الفالي أطال الله في عمره.

إلى فلذة كبدي بناي آلاء ونهى.

إلى زوجي الذي أعانني بكل ما يملك من قواه.

إلى أخي الفالي وزوجنه وأبنائه.

إلى أختاي الفالينين وأبنائهما وزوجيهما.

إلى أرواح الطلبة الطاهرة الذين ضحوا بالنفس والنفيس من أجل

أن نسعد الجزائر.

إلى شهدائنا الأبرار - رحمهم الله -.

أهدي هذا العمل المنواضع.

شكر وتقدير

الحمد لله المسنعان والصلوة والسلام على خير الأنام.

أقدم بنشكرائي الخاصة إلى أسنادي المشرف

أ.د "مجاود محمد" على نصائحه ونوجيهاته وإرشادانه.

وإلى كل أسانذة قسى التاريخ وإلى زملائي وزميلائي في
الدفعة.

وإلى أخنابي في الله جميلة وعائشة.

وإلى كل من مد لي يد المساعدة من قريب أو بعيد.

أ.و.ت: أرشيف وطني تونسي.

تح: تحقيق.

تر: ترجمة.

تع: تعليق.

تق: تقديم.

ج.ت.و.: جبهة التحرير الوطني.

ج.ط.ج: جمعية الطلبة الجزائريين.

ج.ع.م.ج: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ج: جزء.

ح.ش.ج.: حزب الشعب الجزائري.

الح.ع.ا.: الحرب العالمية الثانية.

د.ت: دون تاريخ.

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

ط: طبعة.

ط: طبعة.

ع: عدد.

ل.ج.ص.ط.ز.: لجنة صوت الطالب الزيتوني.

م.د.و.ع: مركز دراسات الوحدة العربية.

م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب.

A.E.A. : Association des étudiants algériens.
A.N.O.M. : Archives nationale d'Outre mer.
A.N.T. : Archives national tunisien.
A.W.C. : Archives Willaya de Constantine.
A/S : Au sujet.
B : boîte.
C.I.M. : Centre d'information musulmanes.
Doc (N.A) : document nord Africain.
Doc : document.
Dos. : Dossier.
Ed. : édition.
H.M.N. : Histoire du mouvement national.
Imp. : Imprimeries.
P : page.
P.P.A. : Parti du peuple algérien.
P.R.G. : Police renseignement général.
R.G.F.T : Résidence générale de France à Tunis.
R.H.M. : Revue d'histoire maghrébine.
S.L.N. : Service liaisons nord Africains.
S.M.N. : Série mouvement national.
T : tome.
Tran. : transmis.
U.G.T.T. : Union générale des travailleurs tunisiens.

بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعدما اشتد عضدها وتزايد إنشائها للمدارس العربية، عملت الجمعية على إرسال البعثات العلمية إلى العديد من البلدان العربية، وخاصة منهم من كان قد زاول تعلمه بمعهد عبد الحميد بن باديس أو بالمدرسة الكتانية، والذين لم يكن في مقدور أوليائهم تحمل أعباء السفر، وكانت الجمعية على صلة مستمرة مع الهيئات الإدارية بهذه البلدان لتتبع أحوالهم وأوضاعهم، فكانت تبعث لها محاضر الامتحانات الخاصة بالنتائج الفصلية والسنوية، وكانت الجمعية على ترقب دائم لأخلاقهم وسيرهم.

ولم يكن الدور مقتصرًا على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقط في إرسال البعثات، وإنما كانت هناك بعثات أخرى خصت الجنوب الجزائري اشتهرت بالبعثات الميزابية، والتي تزعمها الحاج إبراهيم بن اطفيش والحاج عيسى بن أبي يقطان، وكان طلبتها آنذاك في تونس في مساكن خاصة بهم في بنايات خاصة كان قد تكلف بكرائها لهم القيم على شؤونهم المادية وخاصة وأنهم كانوا يتلقون إعانات مادية من كبار التجار الميزابيين المقيمين بتونس، وبذلك كانوا يعيشون أوضاعًا أحسن مما كان عليها الطلبة المنحدرون من الشرق والغرب والوسط.

زيادة على الطلبة الذين كانوا يلتحقون بجامع الزيتونة في شكل بعثات كان هناك طلبة آخرون يأتون بصفة فردية على نفقة أوليائهم ولما كانت الظروف المادية صعبة لغالبية الطلبة الجزائريين، وبعدما تزايد عددهم وتوالت البعثات الطلابية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وضافت سكنى الطلبة بهم استلزمت أوضاعهم المعيشية تأسيس جمعية تهتم بأحوالهم وتحاول إيجاد حل لهذه الأزمة وتسهر على خدمتهم وتهتم بمشاكلهم وانشغالاتهم وكانت تحفزهم على المثابرة والاجتهاد والجد والعمل، والاهتمام بالدراسة فقط لبلوغ الهدف وعدم إشغال أنفسهم بما يحدث في بلادهم، فهم الرجال المعول عليهم بعد استقلال الجزائر

وتحريرها، ومنهم سيكون المعلم والأستاذ والإمام والصحفي... وبهم ترقى البلاد وتزدهر، لكن هذا لم يحد من عزيمتهم حتى وإن باعدت المسافات بأجسادهم، فأرواحهم وعقولهم وقلوبهم كانت رغما عنهم معلقة بوطنهم الحبيب الذي تركوا فيه الأهل والأقارب والخلان، تركوهم تحت وطأة غزاة طغاة، أزهقوا الأرواح واستضعفوا العباد واستغلوا خيرات البلاد.

ولما حالت الظروف بينهم وبين التعاون والمساندة لصد هذا العدوان، إلى جانب إخوانهم المجاهدين، لم يجدوا أمامهم إلا سبيلا وحيدا تمثل في إجهار صوتهم عاليا وتسخير أفكارهم وأقلامهم لتحرير مقالات متنوعة خاض من خلالها الطلبة مجالات مختلفة سياسية وفكرية وثقافية من أجل إسماع صوت الجزائر المكافحة، وإخراجها من الحيز الضيق إلى الحيز العالمي ولكسب التضامن العربي مع الشعب الجزائري الذي يعاني في صمت وصبر، فتميز نشاطهم منذ مطلع القرن وحتى فجر الاستقلال بالحيوية والاندفاع من أجل تحرير وطنهم وتخليص شعبهم من الوضع المزري الذي فرضه الاستعمار الفرنسي عليهم.

وكان لهذه البعثات العلمية دورها البارز في الحركة الوطنية والعلمية بفضل ما اتصف به الطالب الجزائري عامة من الاستقامة والجد والمثابرة.

ومن الاعتراف بالجميل أن نذكر بأن "الصّبّاح" جريدة الوطن الكبير شمال إفريقيا من قبلة الشباب الناهض هنا مدت له يد المساعدة في النشر فحفزت الهمم، وأوقدت فيه نار الحماسة في سبيل تحرير المغرب الكبير، وللشباب الجزائري في صفحاتها جولات تذكر فنحمدها عليها، وكان أول عدد صدر منها في الأول من شهر فيفري سنة 1951 ومنذ انطلاقتها خصصت صفحة تحت عنوان "ركن الطالب الجزائري"، يتم فيها نشر كتابات الطلبة الجزائريين التي تنوعت أساليبها وتراوحت بين مقالات سياسية وأدبية وبفنونها المختلفة: خطابة ونثر ونقد وقصائد شعرية عالجت جلها قضايا استوحت مواضيعها من صميم وقائع الحياة اليومية التي يعيشها الطالب، أو يعيشها الشعب العربي المغلوب على أمره في مختلف البلدان العربية الواقعة تحت نير الاستعمار الغاشم، وغالبا ما كانت الكتابات حول واقع الشعب الجزائري المرير، ومنذ الرابع من شهر أوت سنة 1956،

أوردت الجريدة ركنا آخرًا خاصًا بأحداث الجزائر في صفحة كاملة تحت عنوان "الجزائر في معركة التحرير".

وإضافة إلى جريدة "الصباح" التي سجلت مشاركة أكبر عدد من الطلبة الجزائريين نجد جرائد ومجلات تونسية أخرى تبنت إسهاماتهم الفكرية الثقافية والأدبية نذكر منها "الإرادة، العمل، الأفكار، التقدم، الأسبوع، الوزير...، ومن المجالات نجد المجلة الزيتونية، النديم، المباحث، الثريا، الشباب... ولم يتوقف الطلبة الجزائريون عن نشر أعمالهم في الصحف التونسية فقط بل سعوا إلى تأمين مراسلة بعض الصحف الجزائرية كالشهاب، البصائر، والمغرب العربي، ميزاب، وادي ميزاب، الشعلة، المجاهد، المقاومة... وغيرها من الصحف والمجلات الأدبية والفكرية التي كان يرسل إليها الطلبة مقالاتهم وإسهاماتهم، وقد تميزت جل كتاباتهم بالاندفاع والحماس والعاطفة ورغم بعدهم عن الوطن ومشاكل الدراسة والمشاكل والعوائق التي كانت تعترض حياتهم المعيشية، فإن ذلك لم يحد من عزيمتهم وإرادتهم بل زادهم إيمانًا بضرورة المضي قدما لشد الأزر وتشجيع نظرائهم في ميدان الكفاح، وحتى وإن لم يكونوا بجانبهم فقد سخروا أقلامهم للنضال بالفكر والقلب، والقلم مع الحسرة والألم، فجاهروا بآرائهم ورفعوا عقيدتهم للتنديد بالمستعمر.

وخاطبوا الشعب الأبطال وعملوا على استنهاضه وهز ركوده، وآمنوا بقوته، وساعدوه على تحقيق آماله، ولفتوا نظره إلى العناصر السلبية التي تعيش بينه.

ولما توالى البعثات على الجامع الأعظم، وتزايد عدد الطلبة الجزائريين كان من الضرورة تأسيس منظمة تتكلف بشؤونهم، وتجمع شتاتهم وتوحد كلمتهم، وتكتل جهودهم وهذا ما دعا إليه الشيخ البشير الإبراهيمي بعد زيارته إلى تونس بداية الثلاثينات مخاطبا إياهم بضرورة تكتيل الصفوف، وإخراج قضيتهم وقضية شعبهم من طور السلبي إلى طور العمل المجدي، ومن الظل إلى المواجهة وتبصير الشعب التونسي، وشعوب العالم العربي والإسلامي بعمق المأساة التي يعيشها الشعب الجزائري، وفعلا وتأكيدا للتوجيهات التي تبناها الشيخ البشير الإبراهيمي، وبهذا الدعم الروحي الذي رفع معنوياتهم، نشأت

جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين في شكل منظمة أو خلية طلابية وطنية متمثلة في هيكل تنظيمي يرعى شؤون الطلبة وأمورهم، ولقد كانت الجمعية بحق أكفأ ممثل لهؤلاء الطلبة، شهدت سنوات تواجدها نشاطات متنوعة قام بها الطلبة الجزائريون، في مجالات علمية وطلابية وصحفية وسياسية، إلى جانب ذلك فقد أقام الطلبة علاقة ربطتهم بالجمعيات والنوادي الثقافية التونسية، وكانت مقرات هذه الجمعيات منابر للحوار حول بعض المؤلفات الأدبية والفكرية، فانخرطوا فيها ونشطوا داخلها، فكانت للعديد منهم محطات نضالية بارزة وارتبطت بدرجة أولى بالعمل الثقافي المتصل بالقضية الوطنية أو بالمسائل المادية والأدبية للطلبة.

وتتمحور إشكالية البحث حول ماهية النشاطات الطلابية، هل كانت ثقافية وفكرية محضة، أم كانت في ظاهرها كذلك وكانت مغايرتها ذات أبعاد خفية، وماذا عن النشاطات السياسية. وما مدى تأثيرها في الأوساط الشعبية بما فيها المثقفة وغير المثقفة وهل تمكن الطلبة من إيصال صوتهم إلى الهيئات المعنية، وإلى الجهات التي كانوا يكتبون خصيصا من أجلها، وهل انصهرت الحركة الطلابية كليا في دائرة العمل لوطني والسياسي، وماذا عن انتماءاتها إلى التنظيمات الثقافية والهيئات السياسية؟ وإلى أي حد خدمت هذه الحركة القضية الوطنية؟

لعل رغبتنا الملحة ومن باب الفضول الذي دفع بنا إلى اختيار موضوع تعلقنا تفاصيله باهتمامات الطالب الجزائري، وهو في وطن غير وطنه، وكيف كان يعيش ويحي، وكيف كان يقاوم الأوصاب والأتعاب، وحتى يكون قدوة لطلبة اليوم، ففعلا لقد أثرت فينا إسهامات هؤلاء الطلبة في الميادين المختلفة الفكرية والأدبية والسياسية، فكان دافعا قويا ومحفزا للخوض في البحث عن كل طالب تعلق ذكر اسمه بتونس بصفة عامة، وبجامع الزيتونة بصفة خاصة، وللتعمق أكثر في موضوع كنت بدأت البحث فيه من خلال مذكرة الماجستير، الذي تناولت فيه الموضوع بشيء من العموم، ولم أتطرق فيه إلى نشاط الطلبة بنوع من التفصيل فكان الإلحاح لمواصلة البحث ولتقصي أكبر قدر من المعلومات والحقائق والوقائع حول الموضوع، وبهدف جمع وتحصيل بعض من الرصيد الفكري والثقافي الذي

خلفه هؤلاء الطلبة الزيتونيين، كل هذا جرنى إلى البحث أكثر في الموضوع لما يكتسبه من أهمية قصوى لمحاولة إبراز النضال الطلابي ودوره في تفعيل العمل السياسي، وهل تمكنت إسهاماته الفكرية فعلا في إيجاد عقلية جزائرية جديدة تمكنها التكيف مع الظرف الاستعماري، تدفع بها إلى المطالبة بحقوقها المشروعة، رغم يقينها بتجبر هذه السلطة الاستعمارية الرافضة لتلبية هذه المطالب، ضف إلى ذلك أن موضوع الطلبة الجزائريين الزيتونيين بصفة خاصة لم يحض بعناية كبيرة من الباحثين والمؤرخين باستثناء عدد قليل جدا، فكان الدافع قوي للخوض في موضوع كنا نجهل عنه الكثير من الحقائق والوقائع التاريخية، وللتعريف أكثر بما قدم طالب الأمس إلى قضية وطنه خاصة أولئك الذين كانوا بالبلاد العربية والذين لم يحظ باهتمام مقارنة بنظرائهم من الطلبة الذين زاولوا تعليمهم بالجامعات الفرنسية، ويكمن هدفنا من البحث في استجلائنا الواقع الطلابي بكل تبايناته وتعقيداته، وأبعاده الاجتماعية والثقافية العلمية، والتوقف عند أهم المحطات والمنعطفات التي تخللت المسيرة الطلابية زمن الاستعمار، وإلى العلاقات التي أقامتها المجموعات الطلابية الجزائرية بالتنظيمات السياسية، كما جسد الطلبة إلى حد كبير المقاومة الثقافية للاستعمار في شكل أنشطة مختلفة شملت المجالات العلمية، والطالبية، والصحفية والوطنية، وكانوا الدعائم والركائز الأساسية لها، وإلى جانبهم إخوانهم التونسيين الماضون قدما في الدفاع عن ذاتيتهم وأصولهم ودحض كل المقولات الإدماجية الداعية إلى فرنسة العقول والأرواح والتصدي إلى كل المحاولات الاستعمارية الهادفة إلى تقويض المقومات والثوابت الحضارية بالبلاد، وتطوير وتهميش ثقافتها العربية الإسلامية، وإضعاف الشخصية العربية ليأملها الانصهار في البوتقة الفرنسية ولم ينفك الطلبة على امتدادا الفترة الاستعمارية، يعارضون التوجهات التمييزية والتعريبية للسياسة التعليمية الفرنسية، ويدعون في كل مؤتمراتهم، وتجمعاتهم إلى نشر التعليم العربي أهم دعائم وركائز الشخصية العربية المسلمة.

وللكشف عن عمق التبادل بين بلدين شقيقين متجاورين جمعت بينهما الأمشاج والدماء، ووحدت المحن بين شعبيهما، فكان لقاؤهما على المستوى الوطني والنضالي مثالا

للإخاء والتضامن وعلى المستوى العلمي والفكري مبعث إعجاب ونخوة، ونموذجاً لوحدة التفكير والغيرة على المصير.

وقد تجسم هذا العمل التضامني المتآخي في المواقف الموحدة للإصلاحيين والوطنيين التونسيين والجزائريين التي اتسمت بالصمود والتآزر، وأفقدت الاستعمار صوابه في أكثر الأحيان، وكذلك في مواقف الصحفيين في كلا البلدين، وقد تبادلوا في الظروف الحرجة المشتركة المقالات والكتابات ومواقف الدفاع عن حرية التعبير والمعارضة.

وعلى نفس النهج سار الأدباء والمثقفون الذين اشتركوا في جمعيات طالبية وأندية ثقافية واحدة، وعبروا عن نفس الطموح والآمال ونادوا بنفس المبادئ والقيم والشيم العربية الإسلامية.

ولعل الدارس لتطور القضية الجزائرية خاصة في الفترة المخصصة للدراسة هنا يجدها لا تشير كثيراً إلى إسهامات الطلبة الجزائريين الجموعية في تفعيل الحدث التاريخي والنهوض بما شهده الشعب الجزائري من ركود خلال فترة سابقة وخاصة رجال الفكر والثقافة والأدب الذين كان لهم الدور في إيجاد تشكيلات وتنظيمات طلابية، والذين يعود لهم الفضل في الدفع لتحقيق تحول هام مفاده تحول الجزائر الإيجابي بعد أن توضحت المفاهيم وتقطنت العقلية الجزائرية لخبايا الحركة الاستعمارية التي سعت بكل الوسائل العنيفة لإسكات الصوت الجزائري، وجعله يتصامم على سماع الحق، ولم تكف بهذا بل قامت بإبعاد زعمائه ورجاله المخلصين الوطنيين إلى الخارج الذين أزعجها تقطنهم وتحركهم، ورغم ذلك فقد راهن جموع الطلبة على حتمية التغيير، وفضلوا تسطير برنامج عمل جديد بغية إجهاض السياسة الاستعمارية التي سخرتها الإدارة الفرنسية.

ولقد اعترضت طريقنا بعض الصعوبات يمكن إيجازها في ما يلي:

- أثناء زيارتنا للأرشيف الوطني التونسي لم نتمكن من الحصول على جميع المجلدات التي ضمت أعداد الجرائد والمجلات التي اهتمت بنشر أعمال الطلبة الجزائريين ونشاطاتهم الثقافية المختلفة الطبوع، أولاً لكثرتها، وثانياً لمنع بعض المجلدات من

التداول بين أيدي القراء، فمثلا جريدة "الصباح" التي تبنت كتابات الطلبة الجزائريين، وخصصت لهم فضاءً واسعاً، لم تتمكن من الاطلاع على المجلدات الخاصة بسنتي 1952-1953، لأنه غير مسموح بالاطلاع عليها بسبب ما تعانيه من تهرئة وتلف، ونتيجة الأضرار التي أصابتها على مر الزمن.

- نفس الشيء بالنسبة للمصدرين الهامين الخاصين بجمعية الطلبة الجزائريين، والذان كانا بمثابة الانطلاقة الأولى لنشاط هاته الجمعية والممثل في النشريتين أو كما سموهما الثمرتين (الأولى والثانية) التي تم إصدارهما تباعا الأولى أواخر الثلاثينات والثانية أواخر الأربعينات، فهما الآخران اطلعنا عليهما بالأرشيف الوطني ولم يتسن لنا تصوير الثمرتين كلياً، وإنما حالفنا الحظ لتصوير الثمرة الأولى فقط، أما الثمرة الثانية فلم يُسمح لنا الاطلاع عليها لوجود نسخة واحدة فقط غير مسموح باستخراجها.

أيضا فيما يخص الوثائق الأرشيفية المتمثلة في التقارير والمذكرات فإن أغلبها كان عبارة عن مراسلات للهيئات الحكومية من أجل مشكل السكن أو الإعانة المادية، أو طلب رخصة عبور لزيارة الأهل بالجزائر.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات، إلا أن ذلك لم يحد من عزمنا في البحث والاجتهاد من أجل بلوغ الهدف، بل بذلنا قصارى جهدنا لجمع المادة، وقمنا برحلات خارج الوطن كانت صوب تونس وفرنسا، فضلا عن الأرشيفات الوطنية بالوسط والشرق، كما قمنا بإجراء لقاءات مع بعض الطلبة الذين لا زالوا على قيد الحياة، وعليه فقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي الوصفي الذي يفضي إلى سرد الوقائع والأحداث كما عاشها هؤلاء الطلبة، في أحيان قليلة اعتمدنا على المنهج الإحصائي، حين تعلق الأمر بتتبع الوجود الطلابي أثناء الفترة المخصصة للدراسة، وقد اعتمدنا في إنجاز هذا العمل على المصادر التالية:

الوثائق الأرشيفية الخاصة بالمراسلات والتقارير الصادرة عن الحكومة الفرنسية بمصالحها المختلفة، كمصلحة الاتصال بشمال إفريقيا Service de Liaison nord (S.L.N.A) Police de Afrique، وشرطة الاستعلامات العامة Renseignement Général (P.R.G)، والتي كانت على تتبع دائم ومستمر لتحركات الطلبة (ماذا عن علاقاتهم، يرسلون من، يكاتبون من، إلى أين خرجوا، أين توجهوا، ماذا عن مقرراتهم الدراسية، (هل كانت هذه المواد تدفع إلى تحريك الروح الوطنية فيهم، أو تهدد بذلك سلامة وأمن الوجود الفرنسي)، وعن صلاتهم وارتباطاتهم، وماذا عن ميولاتهم السياسية، وماذا عن علاقاتهم بالمنظمات والهيئات الثقافية أو السياسية، تونسية كانت أم جزائرية فكانوا تحت مراقبة شديدة).

وعليه فقد كان اعتمادنا أولا في إنجاز هذا العمل المتواضع على مجموعة لا بأس بها من الوثائق الأرشيفية التي دعمت البحث والتي وجدت بأرشيف ما وراء البحار ضمت مراسلات وتقارير عن الطلبة الزيتونيين، وعن نشاطاتهم المختلفة، وعن الجمعيات التي قاموا بتأسيسها، وعن مصادر تمويلها ولقد ساعدتهم في تلك التحريات بعض الطلبة الذين كانوا بمثابة مخبرين حسب رسائل عثرنا عليها ضمن هذه الوثائق دلت على تعاونهم مع الإدارة الاستعمارية والذين كانوا طلبة بالجامع الأعظم أيضا وكانوا على تطلع دائم لزملائهم الطلبة الجزائريين الذين كانوا يعملون لصالح القضية الوطنية.

إلى جانب بعض المراسلات التي دلت على طلب الإعانة من وزارة الأوقاف، ومراسلات عن الأزمة التي كان يعاني منها أغلب الطلبة الجزائريين وهي أزمة السكن.

فضلا على جريدة الصباح التي خدمت الموضوع بنسبة كبيرة، فكانت منبر الطلاب الذي ألقى فيه الطلبة مختلف فنونه، وكانت الجريدة ملاذهم الوحيد لإيصال أفكارهم ورفع أصواتهم التي كانت مناوئة للسياسة الاستعمارية، نابذة للظلم والواقع المرير الذي فرض على الشعب الجزائري معاشته في وطن سلبت منه حريته، فما كان من إعانة يقدمها الطالب وهو بعيد عن وطنه سوى إجهار قلمه اللاذع، وإعلانها حربا كلامية شعواء، كثيرا

.....

ما زعزت كيان الوجود الفرنسي وبثت في نفسه القلاقل، ولعل خير دليل على ذلك أنه من خلال بحثنا في الأرشيف تصادفنا في أحيان عديدة بوجود وثائق ضمت مقاطع مترجمة لكتابات كانت قد أصدرتها جريدة الصباح لبعض الطلبة الجزائريين، أو للكلمات التي كانوا يلقونها خلال المناسبات الوطنية، إحياء ذكرى الثامن ماي 1945، أو إحياء ذكرى وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وذكرى اندلاع ثورة نوفمبر المجيدة، وغيرها من المناسبات التي كانت تسجل مشاركة الطلبة الجزائريين الزيتونيين بنسبة كبيرة، والتي استشهدنا بها في هذا العمل المتواضع، والتي مثلت الإسهام الفكري والثقافي لهؤلاء الطلبة إلى حد كبير، والتي نشرت تباعا على صفحات هذه الجريدة، كما اهتمت بنقل انشغالات الطلبة ومشاكلهم وتتبع مسيرة التنظيمات التي كانوا ينظمونها، من ذلك أن كل إعلانات جمعية لطلبة الجزائريين المتعلقة بعقد الندوات أو الاجتماعات الخاصة بانتخاب أعضاء المجلس الإداري، كانت تورد على صفحات هذه الجريدة.

وإضافة إلى جريدة البصائر التي اهتمت بأخبار الطلبة الزيتونيين، وإلى جانبها مجلة الشهاب التي اهتمت بإشهار قائمة الناجحين نهاية كل سنة دراسية، وإلى جانبها جرائد أخرى تونسية وجزائرية تبنت أعمال بعض هؤلاء الطلبة مثل جريدة العمل والزهرة والأسبوع، صدى الزيتونة.. الخ.

أما بالنسبة للكتب فقد اعتمدنا على كتاب "رحلة في فضاء العمر" لصاحبه يحي بوعزيز، المتخرج من جامع الزيتونة، والذي يسرد فيه بعض من وقائع الحياة اليومية بالجامع الأعظم، مجلد ضم ثلاث أجزاء، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009.

وثلاث كتب لمؤلف اهتم كثيرا بالطلبة الجزائريين بتونس وهو الكاتب والباحث والمؤرخ محمد صالح الجابري، فكان كتابه الأول بعنوان "نشاط الطلبة الفكري والسياسي بتونس 1900-1962"، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1984م. وكتاب "التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس"، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1978. وكتاب "الأدب الجزائري في تونس" الجزء الثاني، بيت الحكمة، قرطاج، 1991.

ضف إلى ذلك أطروحة دكتوراه لصاحبها خير الدين شترة بعنوان "الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956" مطبوعة في ثلاث أجزاء، دار البصائر، الجزائر، 2009.

إلى جانب مجموعة من المراجع المتخصصة وغير المتخصصة التي تطرقت للموضوع بصفة عامة وباللغة الأجنبية، فقد اعتمدنا أولاً على:

- Abdelmoula (Mohamed), « L'université Zeytounienne et la société tunisienne », maison tiers monde, Tunis, 1984.
- Ben Miled (A), la naissance du mouvement ouvrier tunisien, Tunis, 1984.

كما اعتمدنا على مجلة IBLA التي اهتمت بالطلبة الزيتونيين، وبالوضع الاجتماعي والظروف الدراسية ومجموعة لا بأس بها من المراجع العامة التي عالجت الموضوع بشكل عام، لكنها أفادتنا في الإلمام بجوانبه.

وقد ارتأينا تقسيم البحث إلى تمهيد تطرقنا فيه إلى ذكر تعريف لمصطلح الهجرة لما لها من علاقة بهاته الفئة التي هاجرت مجبرة ومضطرة لما لاقته من بطش المستعمر الذي سعى جاهدا لتضييق الخناق على التعليم العربي، ولما كانت هناك بواعت صلة بين القطرين الشقيقين الجزائري والتونسي، فعرجنا على ذكر العوامل التي حفزت على الهجرة بدءاً بالعوامل الثقافية والمجسدة أساساً في وحدة الدين واللغة، ثم العوامل التاريخية التي لخصها بيرم التونسي بقوله: " ... إعلم أن أحوال هذا القطر (الجزائر) التاريخية في القديم كانت في الأغلب متحدة مع تونس وطرابلس والمغرب، فما مضى على تونس وأحوالها كان شاملاً لهذا القطر (الجزائر) حتى في زمن الفتح..."، كما ذكرنا الأسباب التي دفعت بالطلبة إلى الرحلة والتي كان في مقدمتها محاربة الإدارة الاستعمارية للدين الإسلامي والعقيدة واللغة العربية، وبين الوضع العام للتعليم العربي بالجزائر فاستشهدنا بما كتب الشيخ البشير الإبراهيمي عن محاربة فرنسا لهذا النوع من التعليم.

.....
واشتمل البحث على بابين، الباب الأول بعنوان "نضالات الطلبة الجزائريين بتونس" تضمن أربعة فصول .

فكان الفصل الأول بعنوان: "التواجد الطلابي الجزائري"، تحدثنا فيه عن شروط الالتحاق بهذا الجامع العظيم كما طبعتها إدارة الجامع على دفتر الانخراط الذي كانت تقدمه للطلاب بعد تسجيله، وعن الشروط التي أوجبتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في بعثاتها الطلابية، ثم تابعنا تواجد الطلبة الجزائريين بهذا الجامع بدءا بسنوات الثلاثينات إلى الأربعينات ثم الخمسينات وكل مرحلة ميزتها الظروف العامة السائدة فتراوحت نسبة التواجد بين الارتفاع تارة والانخفاض تارة أخرى.

أما الفصل الثاني، " النضالات السياسية للطلبة" تطرقنا إلى نضال الطلبة السياسي، انطلقنا فيه من سنوات العشرينات التي شهدت تأسيس الحزب الدستوري التونسي والذي ضم العديد من الأعضاء الجزائريين والذين كان أغلبهم زيتونيين، فيكفي أن مؤسس الشيخ الثعالبي الجزائري الأصل أن يكون سببا في استقطاب هؤلاء الطلبة الذين وحدوا صفوفهم إلى جانب إخوانهم التونسيين لإعلان سخطهم ونقمتهم ومحاربتهم لعدو واحد ضد شعب وحدته رابطة الدم والأخوة والمحن.

فتطرقنا إلى ذكر نشأة الحزب وكيف كان التأسيس وعلى يد من تم التأسيس، وعن الأسباب التي دفعت بالجزائريين إلى الانخراط في هذا الحزب ثم ذكرنا العوامل والأسباب التي ساقطت بالحزب إلى الانقسام ومغادرة عبد العزيز الثعالبي تونس إلى المشرق، وظهور الحزب الدستوري المستقل، وعن امتداد نشاط الحزب إلى بعض ولايات الجزائر.

ثم تطرقنا إلى الحديث عن منظمة الصداقة للجزائريين التي لم نجد لها ذكر في أي مرجع من المراجع التي اعتمدنا عليها خلال بحثنا باستثناء وثيقة أرشيفية التي بينت أن المنظمة كان الهدف من نشأتها تقوية الصداقة بين أعضائها، ومساعدة المحتاجين من الطلبة الجزائريين والتي ضمت كل من العناصر الجزائرية والتونسية وكانت لها علاقة بالحزب الدستوري التونسي.

.....

ثم انتقلنا إلى الفصل الثالث: " النضال الطلابي " تحدثنا عن إضراب الطلبة بتونس مساندة للجنة صوت الطالب الزيتوني ثم عن إضراب الطلبة في 19 ماي 1956 فكانت الأذان الصاغية للنداء التاريخي الذي قام بتوجيهه الاتحاد العام للطلبة الجزائريين المسلمين داخل وخارج الجزائر، وكان الطلبة الجزائريون الزيتونيون رهن الإشارة وتحت تصرف الثورة المجيدة.

ولما كانت الجزائر جزءا لا يتجزأ من المغرب العربي، فقد أبرزنا انتماء الطلبة الجزائريين لهذه لرقعة الجغرافية التي كان رأيهم فيها بأن الجزائر جزء من الكل وأن وحدة المغرب العربي كانت من أولويات اهتماماتهم والتي طالما كانت جذورها ضاربة في القدم، واستشهدنا في هذه المحطة بكتابات الطلبة الجزائريين الزيتونيين عن وحدة المغرب العربي أمثال عيسى مسعودي الأمين العام لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، وعبد الله شريط الذي كتب مجموعة مقالات يصب فحواها حول منشأ فكرة القومية العربية، وكانت العلاقة أخوية بين اتحاديات الطلبة للأقطار الثلاثة، ثم فصلنا الحديث عن الطلبة الجزائريين الزيتونيين وعلاقتهم بثورة التحرير وعن نشاطهم ودورهم الذي اتسم بالجرأة وإحراج المستعمر بالرأي والانتقاد للسياسة الاستعمارية، ولم يكن له من الوسائل المادية إلا قلم وورق، لكن هذا القلم كان لاذع وفتاك. وإلى جانب هذا هناك وثبة عظيمة أتاها الطالب الجزائري الثائر لعزة وطنه وهو إعلانه للإضراب النهائي عن الدروس، باعها واسترخص شهادته العليا أمام قضية وطنية واستجاب لنداء شعبه المكافح، وكنا من خلال هذا العنصر الهام والمتعلق بالطلبة وعلاقتهم بالثورة قد توقفنا على مجموعة من المقالات التي كتبت بأيادي الطلبة الجزائريين الزيتونيين والتي كانت ناقمة على الاستعمار ممجدة لبطولات المجاهدين الطلبة.

ثم في الفصل الرابع تطرقنا إلى " أوضاع الطلبة المعيشية " وهو الأخير يدور حول الأوضاع الاجتماعية التي كان يعيشها الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ثم تحدثنا عن علاقتهم بالتنظيمات المعاصرة، وكان أول ما تطرقنا إليه كعنصر هو الإمدادات المادية للطلبة الجزائريين الزيتونيين من قبل جبهة التحرير الوطني بمساعدة القائد عميروش، ثم

الإعانة المادية من قبل الإدارة الاستعمارية للطلبة الفقراء الذين كان أولياؤهم بالجزائر يكاتبون الإدارة الفرنسية لتقديم الدعم المادي لأبنائهم من أجل إتمام الدراسة، ثم انتقلنا إلى عنصر آخر عنوانه بالحالة المعيشية للطلبة الجزائريين ما كانت تعانيه مدارس سكنى الطلبة، كما أدمجنا النداءات التي وجهتها جمعية الطلبة الجزائريين إلى الهيئات المعنية، وكانت الجالية الجزائرية من الأوائل الذين هبوا إلى المساعدة وتقديم يد العون لأبناء وطنهم الطلبة ثم كان العنصر الموالي يصب حول علاقة الطلبة الجزائريين بالتنظيمات السياسية، الجمعيات الثقافية وتحدثنا عن علاقة بعض الطلبة بالإدارة الاستعمارية. وختمنا فصلنا بمراقبة الإدارة الاستعمارية للطلبة باعتمادنا على التقارير المذكرات التي صدرت عن شرطة الاستعلامات العامة وشرطة الحدود التي كانت في ترقب دائم لتحركات الطلبة الجزائريين.

أما الباب الثاني: جاء بعنوان: "جمعية الطلبة الجزائريين والنشاطات الثقافية" قسمناه إلى أربعة فصول حيث عنوانا الفصل الأول: "جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين" تطرقنا فيه إلى ذكر: أسباب ودوافع ظهور ونشأة هذه الجمعية، وأهداف نشأتها وإطارها الإداري وبرامجها المسطرة. وتتبعنا نشاطها بدءا من مطلع الثلاثينات مرورا بسنوات الأربعينات، ثم تعرضنا إلى الحديث عن أسباب تعثرها وتذبذب أحوالها الذي جر على ظهور جمعية البعثة الزيتونية التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي قدما فيها عرضا عن تأسيسها وعن هيئتها الإدارية ثم عن نشاطاتها وأهدافها، كما أوردنا الخلافات الطلابية التي نشأت بين الطلبة نتيجة لانقسامهم واختلاف وجهاتهم، ثم عدنا إلى ذكر نشاط جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين سنوات الخمسينات، وخصصنا قسما لنشاط الجمعية كما ورد في وثائق أرشيف الإدارة الاستعمارية، ثم تطرقنا إلى الحفلات التي كانت تقيمها الجمعية في المناسبات الوطنية والأعياد الدينية وبمناسبة استقبال التلاميذ الجدد أو توديع التلاميذ المتخرجين، ثم ذكرنا في ختام هذا الفصل الأسباب التي أدت بالجمعية إلى الحل وإنهاء مهامها من قبل التحرير الوطني.

أما الفصل الثاني: كان بعنوان: "كتابات الطلبة في الصحف التونسية" تطرقنا فيه إلى كتابات الطلبة خلال سنوات العشرينات والثلاثينات والأربعينات.

ثم الفصل الثالث: كان بعنوان: "كتابات الطلبة في جريدة الصباح" تطرقنا فيه إلى كتابة الطلبة خلال سنوات الخمسينات، كما تطرقنا إلى الكتابات القصصية سنوات الأربعينات ومنتصف الخمسينات.

والفصل الرابع: كان بعنوان: "الإسهامات الثقافية للطلبة الجزائريين في الصحف التونسية" خصصنا فيه كتابات الطلبة لسنة 1959م وأيضاً لبداية سنوات الستينات.

وأنهينا بحثنا بخاتمة جامعة لأهم الاستنتاجات التي استخلصناها من خلال بحثنا المتواضع هذا.

وفي الأخير لا يسعنا إلا الحمد لله المستعان على إتمام هذا الجهد العلمي. وأملنا أن نكون قد أضفنا ولو شيئاً يسيراً في مسار الحركة الطلابية.

:

أولاً: جامع الزيتونة.

:

ثالثاً: أسباب رحلة الطلبة.

إن أهم ما يميز تونس الطابع العربي الذي انطبعت به مظاهر الحياة والتمدن ، ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى مجد تونس الحقيقي لجامع الزيتونة عمره الله فهو الذي حفظ لأمتها كيانتها ، وتراثها الإسلامي وقرب آفاقها من مدنها ، ويرجع أيضا إلى الذاتية التونسية الكريمة التي حمت جامع الزيتونة من عوادي الزمن وأحداثه ، ثم لعل الفضل يرجع في عمارة وتأسيس فروعه في أغلب مدن القطر إلى وجود الأوقاف الإسلامية بيد وزارة الأوقاف التونسية ، ووجود مجلس أعلى للجامع يتمثل في شيوخ العلم والوزارة¹ .

فهو الجامع العتيق الذي درست فيه العلوم قبل أن تصبح تونس قاعدة لأفريقية ، وهو أيضا الجامع الذي ينفرد بين بقية الجوامع التاريخية وغير التي شيدت في المدينة على مر العصور والأحقاب ، ينفرد بهذه البنية المدنية لا بشموخ الفن المعماري فقط ، بل لأنه يعد أول مؤسسة ثقافية في البلاد ، فكان بذلك جامعا وجامعة ومجمعا ، وتكونت بذلك قيمته التأسيسية فكان إبداعا للأصالة وتجديرا للمعاصرة² .

أولا: جامع الزيتونة

يعتبر جامع الزيتونة ثاني الجوامع التي قامت بأفريقية بعد جدا مع عقبة بن نافع الفهري بالقيروان ، ولقد اختلفت الروايات حول تحديد من قام ببناء الجامع الذي ظل اسم تونس مقترنا به فذهب البكري في كتابه " المسالك والممالك " ، وعبد الرحمان بن خلدون في كتابه " العبر " ³ ، والسراج في كتابه " الحلل السندسية في تاريخ البلاد التونسية " إلى أن الجامع قد بني ما بين سنتي 114هـ/732م إلى 116هـ/734م من قبل عبد الله بن الحباب* ، وتبعهم في ذلك حسن الحسني عبد الوهاب في كتابه خلاصة تاريخ تونس إلى أنه من المآثر الجميلة التي خلدها بن الحباب إنشاؤه لجامع الزيتونة سنة 116هـ⁴ ، أما

¹ - محمد العسيري ، تونس الخضراء ، البصائر ، 20 جمادى الثانية 1368هـ/18 افريل 1949م ، ع72 ، ص7.

² - عالي شكري ، الثقافة العربية في تونس ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، تونس ، 1986 ، ص98 .

³ - ونصه : " ... تم عزل هشام لعبيدة بن عبد الرحمان وولى مكانه عبيد الله بن الحباب مولى بن سلول ، فسار الى أفريقية فقدمها سنة أربع عشر ومائة هجري وبنى جامع الزيتونة بها .

* - بن الحباب كان نبيلاً بارعاً في الفصاحة والخطابة ، وهو الذي تسبب في زيادة قراط كل دينار في خراج مصر ، توفي في جمادى الأولى من سنة 123هـ/741م .

⁴ - حسن حسني عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1986 ، ص98 .

أحمد بن أبي الضياف في كتابه" إتحاق أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان
"فيرى أن بانيه هو حسان بن نعمان سنة84هـ¹ ، وهذا ما ذهب إليه بن أبي دينار في كتابه
"المؤنس في تاريخ افريقية وتونس"، وأن بن الحباب أتم ضخامته.

وفيه رواية أخرى أن حسان بن نعمان بنى مسجدا صغيرا بالقرب من جامع
الزيتونة ومن ثم يمكن إسناد فكرة التأسيس لحسان والشروع في البناء إلى غاية بن
الحباب ، ولقد اختلف المؤرخون في تحديد سنة البناء فذهب البعض بالقول أن البناء تم
قبل قدوم عبد الله وذلك سنة114هـ ومنهم من جعلها بعد توليه الخلافة على أفريقية
116-123هـ/734-740م والقول الذي رآه كل من أبي الضياف في كتابه الإتحاق وبن
الأثير في كتابه الكامل في التاريخ² .

لقد ظل الجامع منارة علمية عبر مختلف الأحقاب الزمنية ، مشعة بنور علمي
وديني على مختلف أنحاء العالم الإسلامي العربي ، وتميز بتنوع طرق التدريس به ،
واختلاف مناهجه التعليمية المتطورة التي شملت اللغة وعلوم الدين والفقه وعلم الكلام
والمنطق ، وقد تخرج منه عبد السلام وبن عرفة والأبي والبرزلي وابن راشد القفصي الذين
خلفوا آثار علمية باقية تشهد بفضلهم على العلم والتعليم ، وناهيك لكتاب " الحدود الفقهية "
و"مختصر المدونة " لابن عرفة ، وكتاب " اللباب " لابن راشد القفصي وغيرها من الكتب
الفقهية لنخبة من العلماء الأجلاء والمصلحين المتتورين أمثال الإمام سحنون والعلامة عبد
الرحمان بن خلدون، و الشيخ محمد بيلم الخامس ، والشيخ ابراهيم الرياحي، والشيخ محمد
قبادو المفكر والمصلح ، وعبد العزيز الثعالبي ومحمد الطاهر بن عاشور وابنه الفاضل
والمصلح الاجتماعي الطاهر الحداد ، والشاعر أبوا القاسم الشابي ، ومن الجزائر العلامة

¹ - أحمد بن أبي الضياف، إتحاق أهل الزمان بأخبار الملوك تونس وعهد الأمان، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس،
1976.

² - الطاهر الحداد، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تقديم وتحقيق: بوسنيسنة محمد أنور، الدار
التونسية للنشر، ص43 .

عبد الحميد بن باديس ، والشيخ العربي التبسي ، والشيخ اليقظان ومحمد العيد آل خليفة وأبو القاسم سعد الله وأمثالهم كثيرون ممن أفادوا الأمة العربية بإسهاماتهم الفكرية¹.

ولطالما اعتبرت الزيتونة جامعة بالمعنى العلمي للكلمة ، لاضطلاحه بنشر العلوم الدينية، والمحافظة على مقومات الشخصية العربية الإسلامية، لاسيما في فترات الانحطاط التي مر بها العالم العربي والإسلامي ، فمن سوء حظ هذا المعهد أن قضت على نموه الفتن الداخلية والخارجية ، إبان عهد الحفصيين الذي ختم بالاحتلال الاسباني، والذي حول هذا المعهد إلى إسطنبول حافل بالدواب ن حيث انكمش العلماء في بيوتهم ولم يبق إلا بعض الطلبة يقصدون منازل هؤلاء الشيوخ من حين لآخر لتلقي عليهم بعض الدروس في فترات وانقطاع، فكان هذا عهد ضمور وذهول قضى على الروح والفكر العلمي فأخذ الهمم والعزائم ، وبدأ الناس يشعرون بقصورهم وعجزهم عن العلم والعمل².

لكن رغم ما مر به المعهد إلا أنه ظل صامدا وثبت وجوده بأدواره الحضارية التي تعدت أنحاء القطر التونسي إلى مختلف بقاع العالم العربي والإسلامي ، ويجمع الدارسون على أن الدور الذي اضطلع به الجامع لم ينحصر على تلقين علوم المقاصد والشريعة بل كان له دور عميق في المحافظة على الهوية العربية الإسلامية داخل تونس وخارجها ، ونظرا لهذا الدور الذي أنيط به الجامع فاقت شهرته وأصبح مقصد الطلاب العرب من مختلف بقاع البلاد العربية .

ومن بين العلماء والمصلحين الذين وقفوا على أهمية دور هذا المعلم الديني والعلمي نذكر الشيخ محمد عبده* الذي أشاد بالدور العظيم للجامع بعد زيارته لتونس سنة 1884 ،

¹ - الطاهر الحداد، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، المرجع السابق، ص 43
² - المرجع نفسه ، ص47 ، وللمزيد أيضا، ينظر: الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، الشركة القومية للنشر، تونس، 1967.

* - ولد الشيخ محمد عبده سنة 1842 وتوفي سنة 1905م ، تتلمذ على يد جمال الدين الأفغاني ، فأصبح رفيقه في الدعوة للإصلاح والخروج بالعالم الإسلامي من حالة التدهور الديني والاجتماعي والسياسي .

والتي تكررت سنة 1903 ، وأثبت الشيخ محمد لخضر حسين* مكانة خريجي جامع الزيتونة ومنزلتهم العلمية والدينية المتميزة في المشرق العربي¹.

إن ما تميز به الجامع من طرق التدريس ومناهج متطورة شملت اللغة والعلوم الدينية جعل منهم بالفعل جامعة بالمعنى العلمي للكلمة ، وهو بذلك يكون قد سبق الأزهر بمصر من حيث اضطلاعهم بنشر العلوم الدينية والمحافظة على مقومات الهوية العربية الإسلامية لاسيما في فترات الانحطاط التي مر بها العالم الإسلامي .

أ- الإطار الإداري والتعليمي للجامع:

أما الإطار التعليمي فقد كان يختاره النظار ثم أعدل عن ذلك ، وأصبح إجراء مناظرة مفتوحة أمام من يرغب في التدريس ، قد صدر أمر بذلك سنة 1892م² ، مما فتح الإطار التعليمي الزيتوني أمام خريجي الزيتونة من الأوساط الشعبية والأفريقية غير أن العائلات الأرستوقراطية الحضارية تهيمن على الجامع إلى فترة متأخرة من بينهم آل بيرم وبن الخوجة، وهما من العائلات الحنفية ، وبن عاشور والنيفر والشريف وهي عائلات مالكية إلى جانب هذا كانت هذه العائلات تهيمن على الوظائف الدينية 1842م من ثلاثين مدرسا يتوزعون بالتساوي بين المالكية والحنفية ، ثم أحدثت سنة 1848م طبقة ثانية تركبت من اثني عشر مدرسا يتوزعون أيضا بالتساوي بين المذهبين ، وقد بقي عدد الأساتذة الزيتونيين الرسميين في حدود اثنين وأربعين أستاذا³ .

ولقد دعى الطاهر بن عاشور إلى عدم اعتبار الانتماء المذهبي في تعيين المدرسين الجدد فتكون المناظرة مفتوحة أمام الجميع، وقد وافقه في هذا الاقتراح الأعضاء المالكيون ومن بينهم بلحسن النجار والصادق النيفر، وعارضه الحنفيون وخاصة منهم شيخ الإسلام

* - الشيخ محمد لخضر حسين ، درس في الأزهر مدة خمس وعشرين سنة تولى المشيخة فيها لمدة سنتين منذ سنة 1952 إلى غاية 1954م

¹ - لخضر حسين ، تونس وجامع الزيتونة ، المطبعة التعاونية، دمشق، 1971 ، ص29 .

² - Callens (m) , la vie matérielle et sociales de la jeunesse étudiante in IBLA ,17em année , 2em trim , 1956 n°74 , p126

³ - Al muchrif (A.L.B), la réforme de l'enseignement a la grande mosquée Zitouna de Tunisie in R.E.I, 1930, cahier 7 V, p 444.

أحمد بيرم ، والمدرسان محمد بن القاضي وأحمد بن مراد ، وفي الوقت ذاته كان الأساتذة المتطوعون يزداد سنويا تماشيا مع تزايد عدد الطلاب الزيتونيين حتى بلغ عددهم سنة 1927م حوالي 120 أستاذا ، ولما شعر هؤلاء بأهميتهم أصبحوا يطالبون بتحسين أوضاعهم المادية فوجهوا عريضة إلى الباي في شهر أفريل 1927م¹ ثم تلتها أخرى في شهر أكتوبر من نفس السنة لفتوا فيها الحالة التي يعيشون عليها من اليأس² خاصة وأنهم يقومون بتدريس حوالي ثلثي الطلبة الزيتونيين وطلبوا إدماجهم في سلك التدريس مقابل جراية شهرية حيث قامت السلطات بفتح مناظرة ، واشترط على المشاركين التخلي عن أي عمل آخر وتم تعيين خمسين أستاذا منهم أطلق عليهم اسم مدرسين معاونين ، لتصبح تسميتهم سنة 1935م مدرس من الرتبة الثالثة ، وابتداء من أمر 12 سبتمبر 1932م وقع التخلي عن اعتبار الانتماء المذهبي في تعيين المدرسين الجدد بما سيفتح الجامعة الزيتونية أمام الذين ينحدرون من الأوساط الشعبية والمتواضعة³.

ومن جهة أخرى كانت الحالة المادية للمدرسين الزيتونيين قد تدهورت خاصة نتيجة الأزمة التي عرفتها جمعية الأوقاف بعد الحرب العالمية الأولى ، مما جعل الدولة تتدخل لم يد المساعدة لجامع الزيتونة وخصصت له سنة 1935م مبلغا معتبرا ساعد على رفع مرتبات المدرسين⁴.

وفي أواخر الثلاثينات طالب الأساتذة بدمجهم في سلك الوظيفة العمومية باعتبارهم موظفين رسميين، كما طالبوا بعدة منح كمنحة الإقامة والمعاش، لكن ما هو ملاحظ أن وضعية هؤلاء الأساتذة لا يمكن مقارنتها بوضعية المتطوعين الذين يقدمون خمس الدروس اليومية، ولا يتقاضون غير منحة سنوية متأتية من بعض الأوقاف والأجور المحجورة على

¹ - بداية من سنة 1927 كانت النظارة العلمية قد تركبت من المشايخ التالية أحمد بيرم شيخ الإسلام الحنفي ، الطاهر بن عاشور باش مفتي المالكية ، والقاضيين الحنفي محمد رضوان والمالكي صالح المالقي أما نائبا الحكومة فهما محمد بن القاضي والطيب سيالة .

² - نص عريضة للحضرة العلية من الأساتذة معاونين بالكلية الزيتونية ، النهضة 17 نوفمبر 1928 ، ص 2 .

³ - طبقا للأمر المؤرخ في 24 ماي 1935 ، والصادر بالرائد الرسمي في 2 جويلية 1935 ، نقلا عن المجلة الزيتونية

⁴ - Montety (h) révolution moderniste a l'université Zaytounna , in L'Afrique et L'Asie , trim , 1951, PP,27,28

المدرسين المتغيبين بدون عذر شرعي ، ذلك ما دفع بالمتطوعين للتحرك في ديسمبر 1938م قصد الزيادة في المنحة المخصصة وجعل تلك المنحة شهرية¹.

ب- البرامج الزيتونية:

لقد طغت المواد الدينية واللغوية على البرامج التعليمية الزيتونية ودرجت المواد الدينية في إطار ما يعرف بالعلوم النقلية والتي تتضمن القراءات والتجويد والتفسير والحديث والتوحيد والفقه وأصول الفقه والفرائض والتصوف، أما العلوم اللغوية فهي النحو والصرف والبلاغة والإملاء والخط وهي مواد إجبارية إضافة إلى المواد الثانوية التي يحتويها البرنامج وتمثل في المنطق والجبر والحساب والميقات والفلك والحكمة والتاريخ والجغرافيا... ونجد البرنامج يتوزع على المراحل التالية :

1- المرحلة الابتدائية:

- مادة القراءات:

يحتوي البرنامج على كتابين أحدهما شرح الهادي الجزرية وهي عبارة عن أرجوزة تتكون من مائة وعشرة أبيات بين قراءات القرآن والتجويد التي ألفها أبو الخير شمس الدين وشرحها أبو العباس الهادي بن الهادي .

- مادة النحو:

جرت العادة أن تطلق أسماء كتب الشعر أو شروحاتها على سنوات التعليم الزيتوني فتسمى السنة الأولى بسيدي خالد والسنة الثانية بالقطر والثالثة بين عقيل ، والرابعة بالماكودي ، إذ أن برنامج السنة الأولى يتضمن متن الأجرومية الذي ألفه محمد بن محمد الصنهاجي، وشرحه الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى الشافعي المتوفي سنة 905هـ/1500م، أما برنامج السنة الثانية فيحتوي على كتاب قطر الندى وبل الصدى لأبي

¹ -الجامع الأعظم وسير الأعمال فيه اليوم ، الزهرة ، 19 سبتمبر 1937 ، نقلا عن المجلة الزيتونية .

محمد عبد الله بن يوسف بن هاشم¹. كما يحتوي البرنامج على كتاب الألفية ويسمى أيضا الخلاصة وهو عبارة عن أرجوزة ألفها أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله بن مالك، وقد تجاوزت شروحها الاثني عشر ، يستعمل منها في برنامج التعليم الزيتوني الشرح الذي ألفه بهاء الدين بن عبد الله بن عقيل الهمداني المصري (698هـ/1299م - 769هـ/1368م)².

2- المرحلة الثانوية:

- أصول الفقه:

يحتوي البرنامج على كتابين أحدهما تحفة الحكام في نكت المعقول ، وهي أرجوزة معروفة باسم العاصمة، وضعها أبو بكر محمد بن عاصم المالكي (760هـ/1359م - 829هـ/1426م) وقد شرحها محمد بن طالب بن سودة التاودي المغربي، أما الكتاب الثاني في أصول الفقه فهو تنقيح الفصول في الأصول لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس الاقراحي المالكي المتوفي سنة 684هـ/1286م³.

- مادة البلاغة:

يتضمن البرنامج ثلاثة كتب أشهرها مختصر التلخيص الذي وضعه سعد الدين التفتازاني المولود بخرسان سنة 712هـ/1313م والمتوفي بسمرقند سنة 791هـ/1389م، وهو كتاب ملخص لكتاب آخر⁴ وهو تلخيص المفتاح لمحمد بن عبد الرحمان القازوني خطيب جامع دمشق وهو عبارة عن تلخيص للقسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف السكاكي المولود سنة 555هـ/1061م، وهو كتاب يعكس حقا عقلية الاجترار

¹ -أبي محمد بن يوسف بن هشام المولود بالقاهرة سنة 708هـ/1309م والمتوفي سنة 761هـ/1360م ، وله شرحان لألفية بن مالك هما : أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك ، ودفع الخصاصة عن قراء الخلاصة ، للمزيد ينظر شرح بن العقيل عن الفقيه بن مالك ، تحقيق محمد محي الدين بن عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1990 ، ص210 .

² - شرح بن العقيل عن الفقيه بن مالك، المصدر السابق، ص210 .

³ -محمد ضيف الله ، الحركة الطلابية التونسية 1927 - 1939 ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي ، زغوان، 1999 ، ص99 .

⁴ - سعد الله التفتازاني ، بن يعقوب المغربي وبهاء الدين السبكي ، شروح التلخيص ، 3 أجزاء ، مطبعة عيسى البابي والحلي ، مصر ، 1937 ، ص93 .

.....

التي أصبحت تهيمن على الإنتاج الفكري العربي الإسلامي، إذ أغلقت أبواب الاجتهاد وهيمنت القوالب والمختصرات والتلاخيص، وذلك لن يحفز الأجيال الجديدة على الإنتاج والإضافة والإبداع .

- مادة الأدب:

يحتوي البرنامج على مقامات الحريري وكتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ، أما النصوص الشعرية تتمثل في المعلقات وشرح البردة للبصيري وشرح قصيدة بانث سعاد لكعب بن زهير من قبل أبي محمد جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري ، وقد وضع حاشيتها إبراهيم الباجوري عميد جامع الأزهر و بذلك فان أعلام الأدب العربي غير مبرمجين في البرنامج فلا وجود لمؤلفات بن المقفع والجاحظ والتوحيدي والمعري ، ومن جهة أخرى فان بعض الكتب كانت تدرس بمراحل التعليم الزيتوني الثلاث دون مراعاة للتطور الذهني للطالب ومن بينها كتابات في علم الكلام وهما جوهرة التوحيد وهي قصيدة ألفها اللقاني وشرحها إبراهيم الباجوري¹، عقيدة أهل التوحيد لمحمد الشوبي في ثلاثة أجزاء، خصص كل جزء لمرحلة تعليمية² .

وبذلك نلاحظ أن الكتب الدراسية الزيتونية تعود إلى عدة قرون خلت وحتى بالنسبة لمؤلفيها فإنهم لا يمتلكون كل المدارس الفقهية أو الأدبية فيتفرج الطالب وهو لا يعرف شيئاً عن كبار المفكرين الإسلاميين أمثال النظام والعلاف والأشعري وبن القيم الجوزية فضلا عن مؤلفات المعاصرين كمحمد عبده ، وإضافة إلى هذا النقص لا يطلب من الطالب سوى الفهم والحفظ ومن الأستاذ الإلقاء دون الاستعانة بأي وسيلة من وسائل الإيضاح كالسبورة والخرائط لأن مثل هذه التجهيزات لا يمكن استعمالها في بيت الصلاة مما جعل التعليم

¹ - Ghazi (M.F), le milieu zitounien de 1920 a 1933 et la formation d'Abdel-Qacim Achabbi, poète tunisien in C.T n° 28, 4^{ème} trim, 1959, P446.

² - التيمومي الهادي، تاريخ تونس الاجتماعي، 1881-1956، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس، 2001، ص 151.

الزيتوني ذا صبغة تجريدية ، ونظرية بحثة وهذا مالا يساعد الطلبة على الاستيعاب خاصة أن ظروفه المعيشية والدراسية كانت صعبة¹.

كما كان يستعمل شرح أبي زيد عبد الرحمان بن علي بن صالح الماكودي المتوفي بفاس سنة 801هـ/1399م ، وكلاهما بقي مستعملا إلى الخمسينيات .

في السنة الأولى يدرس الطالب هذه المواد معتمدا على المصادر التالية² :

- مادة الفقه : لصاحبها بن كثير .
- الصرف : الأجرومية ، كتاب الإمام الزجاجي .
- العقيدة : شرح السنوسية الصغرى .
- الأدب : تقديم قصائد ذات أخلاق كلامية ، والاعتماد على كتاب بن الوردي .
- الإنشاء : يدرّب الطالب على قراءة النصوص الأدبية النثرية والشعرية ، ثم انتقاء الجمل والفقرات ثم يطالب بحفظها على ظهر قلب .
- تفسير الآيات في الأحكام ، العبادات ، الأحاديث .
- كتاب الأخلاق لابن مسكوي ، كتاب الدين والدنيا لابن الوردي يعتمد عليه في الإنشاء.

بعد إجراء الامتحان السنوي يتم الانتقال إلى السنة الثانية ونفس البرنامج الذي يدرس في السنة الأولى يتم تدريسه في السنة الثانية مع إضافات لبعض الكتب في مادة النحو مثل إضافة كتاب قطر الندى وبل الصدى ، وفي الفقه رسالة بن أبي زيد القيرواني، وفي العقيدة جوهرة التوحيد، وفي تفسير القرآن الكريم تفسير جزء قد سمع إلى آخر سورة (الناس)، وفي الأدب قصائد من العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعصر الأموي والعباسي مع الشرح والتعليل، وفي الرياضيات يدرس الطالب المشاكل الرياضية كالقاعدة الثلاثية والبسيطة والمركبة وجمع الكسور وضربها ، وفي التاريخ السيرة النبوية بكتاب نور اليقين

¹ - Abdel moula(Mohamed),L'université Zeytounien et la société tunisienne, Tunis1984,P240
² - يطالب التلميذ بالكتابة على منوال الجملة بتغير ألفاظها وجملا لتدريبه على الإتيان بالمرادفات وإيجاد أسلوب جديد، حامد بن كابو، المقابلة السابقة.

وحياة الخلفاء الراشدين، وفي آخر السنة إذا نجح الطالب ينتقل إلى السنة الثالثة بعد إجراء الامتحان¹.

الكتب المعتمد عليها بين السنة الثالثة والرابعة فن التوحيد وكتاب متن السنونسية وشرحها للإمام الباجوري .

- المتن الثاني فن مصطلح الحديث : متن البيهقيونية (علم الحديث حاليا) .
- أصول الفقه كتاب الورقات مع شرحها للإمام الحطاب .
- فن الفرائض : قسم التركات (المواريث) ، متن الرحبية مع شرحها .
- فن النحو الأجرومية مع شرحها للشيخ خالد الأزهرى .
- متن ألفية بن مالك شرح بن عقيل .
- الصرف : متن لامية الأفعال وشرحها للإمام بحرق الصغير ولها شرحان .
- فن المنطق : متن إيساغوجي في المنطق وشرحها أحد علماء الزيتونة .
- متن السلم في المنطق وشارحها الشيخ الدمهورى المصرى .
- فن المعاني والبيان والبديع ، موزع على ثلاث كتب :
- أ - متن السمرقندية وشرحها للإمام الباجوري .

ب - متن الجوهري المكنون في الثلاثة فنون (المعاني والبيان والبديع للإمام الأخضر الجزائري) .

ج - فن العروض والقوافي: متن الكافي في علمي العروض والقوافي².

- فن التجويد : متن الجزرية .
- فن الحساب والمساحات³.

¹ - المواد المقررة للتدريس بجامع الزيتونة سنوات الأربعينات ، شهادة الشيخ حامد بن كابو ، خريج جامع الزيتونة ، اللقاء أجري بمنزله يوم 14-02-2010 .

² - متن القوافي وفنّها يتعلّق بالأدب والإنشاء يتلقّى الطالب ذلك عن طريق القصائد الشعرية والخطب والوصايا ، والتي يطالب بشرحها شرحاً لغوياً ومعنوياً .

³ - شهادة الشيخ حامد بن كابو ، المقابلة السابقة .

هذه المواد تدرس للطالب الزيتوني دراسة معمقة فإذا تفتحت مواهبه واستحوذ على المتون السالفة الذكر يخضع في السنة الرابعة للامتحان الكتابي فإذا نجح فيه يتقدم للامتحان الشفوي، وبعد النجاح في الامتحان ينتقل إلى السنة الخامسة¹ وفي هذه المرحلة يكون البرنامج مختلفا عن سابقه وتكون دراسة الكتب عن طريق التخصص والجزئي :

- فن العقيدة: يتألف الطالب من دراسة العقيدة من كتاب الاقتصاد في العقيدة لصاحبه الإمام أبي أحمد الغزالي .
 - فن الحديث : منظومة ألفية العراقي المؤلفة من ألف بيت تقريبا مع شرحها ، ومع أحاديث مقتبسة من صحيح البخاري ومسلم وابن ماجه والنسائي وأبي داوود .
 - فن أصول الفقه : كتاب جمع الجوامع وشرحه لسعد التفتزاني .
 - فن الفقه المالكي أقرب المسالك وشرحه للإمام الدردير .
 - فن علم القضاء متن العاصمية مع شرحها للإمام التاودي .
 - فن النحو التصريح على التوضيح لابن هشام مع الشارح خالد الأزهري .
 - متن البلاغة : كتاب التلخيص للخطيب القزويني مع كتاب الإيضاح لمختصر تلخيص المفتاح لنفس المؤلف .
 - فن البحث والمناظرة للإمام عبد الحميد محي الدين .
 - فن التفسير الإمام البيضاوي مع علومه².
- 3- مرحلة الطبقة العليا:**

هي آخر مرحلة من التدريس وتعرف بطبقة التخصص الكلي يتناول الطالب خلالها المواد التالية :

- **شعبة التفسير:** الاختيار حسب الرغبة بين العلوم التالية : تفسير الإمام النسفي، تفسير الإمام الشوكاني ، تفسير بن كثير .

¹ - DEMEERSEMAN, l'Evolution de la famille tunisienne, IBLA, n° 41, 1^{er} Trim.

² - شهادة الشيخ حامد بن كابو المقابلة السابقة ، ينظر إلى ترجمته في ملحق التراجم .

إضافة إلى أحكام القرآن لابن العربي المعافري ، وعلوم الحديث ، وشرح وإقتباس الأحاديث المتعلقة بالعقيدة والعلوم الشرعية ، ثم شرحها وتفسيرها لاستنباط الأحكام منها .

- **شعبة الفقه** : وتنقسم إلى قسمين :

1 - شعبة دراسة الفقه المالكي .

2 - شعبة الحنفية على المذهب الحنفي .

والاعتماد على شروح الإمام الخليل ، وشرح الإمام الزرقاني المتكون من ثمانية أجزاء وأربع مجلدات .

ويضاف إلى علم الفقه ، علم أصول الفقه بالاعتماد على كتاب المنهاج لأبي عمر البيضاوي ، وشرح الإمام الأسنوي .

- **شعبة الأدب** : يعتمد فيها على دراسة نقد أدبي للشعر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي وشعر الانحطاط وشعر الحديث ، وفي البلاغة يعتمد على كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني .

- **شعبة أصول الفقه والكتب المعتمد فيها**: العودة إلى شرح جمع الجوامع بالإضافة إلى العقيدة النسفية والفقه المالكي بالشرح الكبير للإمام الدسوقي علي الدردير .

وبعد هذه المراحل كلها يتحصل الطالب الزيتوني الناجح في الامتحانات على شهادة العالمية¹.

وورد في الوثيقة الصادرة بتاريخ 3 جويلية 1958 عن مقاطعة القضايا السياسية تحت عنوان جامعة الزيتونة لتونس حول البرامج التعليمية بالمؤسسة ما يلي: في أكتوبر 1956 قامت جامعة الزيتونة بتونس ومرافقها بفتح أبوابها، باستعمال برامج جديدة شكلا، مستقل عن المواد الموجودة قبلا، وتم تسجيل مواد أخرى في مختلف أقسام المسجد الكبير.

¹ - شهادة الشيخ حامد بن كابو ، المتحصل على شهادة العالمية ، المقابلة السابقة .

دروس الزيتونة تقسم كالماضي إلى ثلاث مجموعات:

- الدروس الابتدائية المتوجة بالشهادة الأهلية.
- الدروس الثانوية المتوجة بشهادة التحصيل.
- الدروس العليا المنتهية بالاختبار العلمي (العلمية).
- التلميذ الزيتوني القادم من المدارس العربية الفرنسية أو القرآنية، أو تعلم القرآن في الكتاب يدخل أولاً في أقسام المسجد الكبير، إما في تونس أو في إحدى مدنها، وبالتالي يوجد 22 قسم في المملكة ونسعى إلى خلق أقسام أخرى في بعض مراكز المدارس.

يمر التلاميذ بأربع مراحل في المؤسسات التعليمية، الابتدائية بدراسة النحو، العلوم الدينية، الحساب والأدب.

إن شهادة الأهلية تعادل شهادة التعليم الابتدائي، وتسمح لهم بالدخول للدروس الثانوية للمسجد الأعظم.

4- الانضباط الحديث:

بعد هذه المرحلة، تأخذهم جامعة الزيتونة ويصبحون بذلك تلاميذ، يتلقون الدروس الثانوية والعليا. ومن هنا يصبحون خاضعين للانضباط الحديث لأنه من خلال الأنظمة المطبقة منذ سنين والتي كانت مسنة مؤخراً، التلميذ الزيتوني يستطيع أن يتلقى ثقافة عامة واسعة وكبيرة.

بالزيتونة يوجد نوعان من الدروس الثانوية ذات القسم التقليدي والقسم الحديث.

الأولى: تقدم للتلميذ التعليم الديني (تقاليد، اجتهادات قضائية، سوسولوجيا).

أما الثانية: المتواجدة بطريق بن عبد الله فتكون التلميذ أكثر علمياً وتعلمه العلوم الرياضية، الفيزياء، والعلوم الطبيعية، الكيمياء والفلسفة، الفرنسية أو الانجليزية كلغة أجنبية.

هذه الدروس معترف بها بشهادة التحصيل التي تؤول إلى أن تصبح بكالوريا عربية
بالجزء الأول والثاني.

مدة الدروس هي ثلاث سنوات.

عندما يحصل الطالب على الشهادة المتمنة كثيرا، يستطيع إذا أن يحسن معارفه
بالتوجه إلى الدورة العلمية¹.

5- التعليم العالي:

القليل من التلاميذ يصلون إلى هذا المستوى من التعليم الزيتوني.

الدروس التي تمتد لثلاث سنوات، تكون صعبة أكثر، وتؤول إلى التخصص كما في
الدروس العلمية التي تتضمن قسمين، قسم ديني وأدبي، الشرع والأدب، لحد الآن تلاميذ
السنة الأولى الذين يكونون أنفسهم حتى يصبحوا قضاة دين، هم أكثر عددا من السنة الثانية،
من الممكن أنه بسبب التغييرات الحديثة في خدمة العدالة الشرعية، ووقف تسجيل القضاة
الدينيين.

ابتداء من هذه السنة يوجد أقلية في عدد الطلاب في قسم الشريعة، وأكثرهم في قسم
الأدب ليصبحوا رجالا مثقفين ودارسين.

إن التدريس المقدم في الزيتونة من طرف الأساتذة المكونين في الكليات والمدارس
الثانوية، العلمية في تونس ليس له قيمة كبيرة، تحت عنوان "إصلاح تعليمنا" إن السيد أحمد
الغاني ناظر بالمدرسة الثانوية العالوية بتونس يدرس تذيير المجهودات المبذولة في المواد
التعليمية.

في سنة 1957 قامت الإدارة الاستعمارية بإحصائيات انتهت بتقدير حوالي 497
طالب زيتوني بين 2534 مستقدم نالوا شهادة نهاية الدروس الثانوية "التحصيل" من بينهم
22 فقط في المواد الحديثة. ويضيف أنه يجب إعادة توجيه هذا التعليم، ويجب على

¹ - للاطلاع ينظر للملحق رقم 01. 4507. 01 doc du 3 juillet 1958, p 1, boite A.N.O.M. Aix en Provence,

الزيتونيين أن يتوقفوا عن إتباع هذه الطرق المغلقة، فهل من المعقول أن الشباب يبقون قاعدين فوق زرابي تقليدية يعالجوا مواضيعا مع الكثير من الجدية¹.

:

2

*

3

¹ - A.N.O.M. Aix en Provence, doc du 307/ 1958, p 2, boite 4507.

² - جوليان شارل أندري، تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي وآخرون، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1978.

* - لعل هذا ما شد انتباه الشيخ حامد بن خالد بن كابو احد خريجي جامع الزيتونة في أول لقاء أجرته معه بمنزله الكائن بحي المستشفى بسيدي بلعباس، في يوم 2014/12/12 على الساعة 16:00 حيث أكد على ضرورة استبدال كلمة هجرة برحلة وتعليقه في ذلك أن أغلبية الطلبة الذين زاولوا تعليمهم بالزيتونة كانوا ينتظرون العودة إلى وطنهم الأم بمجرد انتهاء فترة الدراسة لأن في رأيه أن المهاجر قد تطول مدة أقامته بالبلد الذي سيحل به مهاجرا سواء كان مجبرا أو مخييرا، ينظر إلى تعريف هذه الشخصية بجزء الملاحق.

³ - عبد القادر صحراوي، الجزائريون والرحلة إلى الحجاز خلال فترة الاستعمار، الشهاب الجديد، العدد السابع، 22 ربيع الأول 1429 هـ/ الموافق لـ 2008/03/30، مطبعة بيججة، قسنطينة، الجزائر ص 64.

1

2

3

4

¹ - محفوظ رموم، الرحلة العلمية، دراسة في التأثير الثقافي للجالية الجزائرية بالمشرق خلال العهد العثماني، الشهاب، نفسه، ص37،38..

² - محمد الحبيب بلخوجة ، النشرة العلمية للكلية الزيتونية ، تونس 1976 - 1977 ، ص 63 ، وللمزيد أيضا، ينظر، محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1967، ص 66.

³ - محمد صالح الجابري ، النشاط الفكري ، المرجع السابق ص27 .

⁴ - حسين محمد لخضر ، جامع الزيتونة، تحقيق وجمع علي رضا التونسي ، تونس ، 1971 ، ص23 .

1

2

3

4
i

*) :

(.

¹ - ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن البدوي ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987 ، ص42 .

² - يقول بيرم التونسي في هذا الصدد: فأما المسلمون في تونس والجزائر ، فأغلبهم على مذهب أهل السنة في العقيدة وعلى مذهب الإمام مالك في الفروع ، ونسل الترك على مذهب الإمام أبي حنيفة وبعض السكان على مذهب الاعتزال كبنو ميزاب .

³ - علاء الدين هلال ، إشكالية التوحيد العربي ، شؤون عربية ، ع43 ، تونس ، سبتمبر 1985 ، ص65 .

⁴ - هنري كلود وأزردى برينان ، وايف لاکوست ، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، ترجمة محمد عيتاني ، منشورات المعارف ، بيروت ، دت ، ص138 .

* - راجع ترجمته في ملحق التراجم .

ثالثا: أسباب رحلة الطلبة:

- محاربة الدين الإسلامي والعقيدة

إن من أهداف الاستعمار الفرنسي تجريد الشعب الجزائري من كل المقومات المعنوية التي تمكنه من التعبير عن مناهضة الوضع السائد ، ووعي الحالة التي يعيشها وقطع أواصره الثقافية وحرمانه من كل تبادل علمي مع الأقطار المجاورة والأقطار العربية الأخرى ، وللوصول إلى هذه الغاية انتهج الاستعمار منذ البداية سياسة الاجتثاث العرقي والثقافي التي تبرز بجلاء في محاولته القضاء على العروبة كجنس وعلى الإسلام كدين وحضارة وثقافة¹ ثم التركيز على ضرب اللغة العربية ، ومنع انتشارها بالمدارس ، وفرض حصار صارم على عبور الصحف والمجلات وسائر المطبوعات العربية إلى المواطن الجزائري وتعزيز الحدود بحواجز عسكرية تحول دون تواصل الهجرة في اتجاه المعاهد والجامعات العربية المختلفة بغية التجهيل.

وكانت رحلة الطلبة تهدف إلى فك الطوق المضروب على اللغة العربية المحاصرة من قبل الاستعمار، في هذا البلد واستشراف آفاق جديدة تعزز سبل المقاومة في طورها السلبي العنيد².

وكانت الهجرة في هذه الفترة تحديدا تختلف اختلافا كبيرا عن تلك الهجرات السابقة إذ اقترن فيها طلب العلم بالفرار والطغيان ، ونتيجة لنضوج آثار العلماء العاملين الأولين الذين هبوا بالنهضة الحديثة وفتحوا عينيها لأنياب الاستعمار التي تمزقها وتجهد للقضاء على دينها وحياتها فنارت ثورتها بعد كل ما عانت من تجهيل وتفجير ومحاولات هادفة للإفساد الخلقى ، وما كان رد هؤلاء العلماء إلا تنوير العقول والجهاد لايجاد سبل للتربية الدينية والتعليم ، وفتحت المدارس العربية وأرسلت البعثات العلمية إلى تونس ومصر

¹ - تركي رابح ، عبد الحميد بن باديس وفلسفته التربوية ، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص96.

² - البصائر، ع31، 2 جمادى الثانية 1366 هـ / 12 أفريل 1948م، ص8 .

والحجاز وحتى البلدان الأوربية ، وكان العلماء الأجلاء أئمة النهضة وقادتها في الجهاد في مختلف الميادين¹ .

وكانت محاربة اللغة العربية أساسا موقفا من الدين الإسلامي لأنها لغة القرآن الكريم ، فتحويل اللسان العربي الجزائري إلى فرنسي ، يبعده عن دينه ، ويجعل منه هدفا سهلا نظرا لمستواه ، فيكون عرضة للبدع والخرافات التي شجع الاستعمار انتشارها خاصة إذا علمنا أن فرنسا لجأت في سبيل ذلك إلى هدم المساجد والزوايا وإغلاق المدارس والجوامع والكتاتيب . وبتراجع دور المؤسسات الدينية وجدت الإدارة الاستعمارية من ورائها مجالا خصبا للتبشير ، لأن النشاط الاستعماري والنشاط التبشيري شيئان متلازمان ، فإذا كان ظاهر التنصير دينيا فباطنه تمهيدا لجحافل الاستعمار ، مستخدما في ذلك أسلحة غير تلك التي تستخدمها الجيوش ، كاستغلال ظاهر الفقير واليتيم مع المعاملة الحسنة لهما بتقديم الخبز للجوعى ، والدواء للمرضى حتى يثقوا بالاستعمار ولا يحاربه² .

وقد ركزت الكنيسة نشاطها في الجزائر على المناطق فقرا وحرمانا ، بحكم الوضع الاجتماعي المتدهور ، وتضاعف جهدها ليبلغ أوجه بعد الاحتفال بمؤوية الاحتلال الفرنسي للجزائر ، وبمناسبة مرور قرن على تأسيس الأسقفية الكاثوليكية وذلك بحضور أسقف فرنسا ممثلا للبابا ، ونشاط العديد من المبشرين في المناطق النائية والمحرومة ، خاصة بالجنوب في نشر المسيحية ، وتبرير الظاهرة الاستعمارية ولعل من أشهرهم الأب فوكو ، الذي أمضى سنوات عديدة في هذا المجال إلى أن قتل سنة 1916م بتمنراست³ .

¹ - محمد علي ديبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، المطبعة العربية، الجزائر، 1971، ص3 .

² -مزيان سعدي، منطلقات المشروع الكنيسي الفرنسي في الجزائر، حولية المؤرخ، ع6، جويلية 2005، ص ص153، 154 .

³ - Augustin bernard. L'Algérie dans l'histoire des colonies française et de explantions de la France dans le monde. Société de l'histoire nationale. Paris. P82.

- صالح عسول ، اللاجئون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة ، رسالة ماجيستر ، إشراف د يوسف مناصرية جامعة باتنة ، 2005، ص35.

- محاربة اللغة العربية:

استهدفت الإدارة الاستعمارية اللغة العربية بضرب منابعها المتمثلة في المدارس والزوايا والكتاتيب ، عن طريق إصدار قانون ينص على منع اللغة العربية باعتبارها لغة أجنبية¹ .

وكانت اللغة الفرنسية لغة المستوطنين الذين حاولوا منعها على الجزائريين اعتقادا منهم أن ذلك يساهم في يقظتهم ، مما أدى إلى حرمانهم من التعليم كما حرّموا من أموال الأوقاف التي كانت مصدرا لتمويل تعليمهم ، وحرّموا أيضا من ميزانية المجالس البلدية ، وحرصوا أن يتعلموا تعليما بسيطا ، يمكنهم من العمل فقط كمزارعين بسطاء لدى الأوربيين ، وقد أشرفت الإدارة الاستعمارية على التسيير الإداري والمالي للتعليم ، وقسمته إلى قسمين قسم خاص بالفرنسيين ، وقسم خاص بالأهالي²، ويمكننا أن نلاحظ أن التعليم الأهلي لم توفر له أدنى الشروط ، لأن الهدف من التعليم إجمالا هو إيجاد لغة وثقافة بديلة عن اللغة والثقافة العربية ، حيث لا يمكن للجزائري الارتقاء إلى مستويات عليا .

ورغم أن التعليم في الجزائر كان خاضعا للقانون الفرنسي الصادر بتاريخ 16 جوان 1881 والذي يقضي بمجانبة التعليم في المرحلة الابتدائية ، واجباريته بموجب قانون 28 مارس 1882 ، وعلى أن يكون في كل بلدية كاملة الصلاحيات أو مدرسة مختلطة يكون التعليم فيها إجباري من سن ستة سنوات إلى ثلاثة عشر سنة ، بموجب قانون 14 فيفري 1884 ، فان حظ الجزائريين من هذه القوانين ظل ضئيلا لأنه لم يطبق إلى في سنة 1917 ، مقرونا بشروط منها السكن على مسافة ثلاثة كيلومتر³ .

¹ - يذكر أبو القاسم سعد الله أن الفرنسيين اعتبروا اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ، وجعلوا من اللغة الفرنسية لغة رسمية ، واكتفوا بتدريس الدارجة لضباط الجيش الفرنسي والراغبين في العمل الإداري من المدنيين لضمان عملية التواصل ، للمزيد بنظر محمد صالح الصديق ، كيف ننسى وهذه جرائمهم ، دار هومة ، الجزائر 2005 ، ص 75 .
² - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 ، ص ص 135 - 140 .
³ - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، 1830-1954 ، ج 2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1998 ، ص 60 .

ولم يكتفي المستعمر بمحاربة اللغة العربية على مستوى المدارس ، بل شن حربا لتشمل أسماء المدن والشوارع والساحات التي حولت أسماؤها العربية التاريخية إلى أسماء فرنسية لشخصيات وساسة ، وما يدل على هذه السياسة وآثارها هو تشويه ألقاب وأسماء الجزائريين الذين اعتبرتهم فرنسا جنسا منحطا ناقص عقل غير قابل للتعليم¹.

- محاربة فرنسا للتعليم العربي:

هو التعليم الذي اعتمد على الدعم المالي للأهالي دون الخضوع للسيطرة الاستعمارية يسير وفق نظام معين ، وهو تتابع الأطوار في مختلف المؤسسات مقتصرة على تعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة والحفاظ على اللغة العربية وتلقينهم أسس الثقافة العربية الإسلامية خوفا عليها من الاندثار والضياع وكل هذا وفقا لبرنامج مسبق يمكن التلاميذ من متابعة الدراسة وممارسة المهنة ، خاصة بالنسبة للتوقيت ، فقد وضع برنامج يساعد التلاميذ على التوقيت بين المدارس الرسمية ، والوطنية الحرة ، لكن الاستعمار وكالعادة وقف بالمرصاد لهذا النظام ، إذ مارس ضغوطات تجاه معلمي هذه المدارس كما لم يتردد في غلقها.

كما نجد الدور الكبير والبارز للمساجد في الوعظ والإرشاد ، وتعليم الدين الإسلامي والتأكيد على التقيد به ، دون أن ننسى دور الزوايا والنوادي والمعاهد مثل نادي الترقى الذي كان ملتقى للطبقة المثقفة الذي أنشأ سنة 1927 بهدف إقامة الاجتماعات والحوارات الخاصة بقضايا الشعب الجزائري وبفضل جهود جمعية العلماء المسلمين ودورها الرائد أصبح تفسير القرآن والسنة النبوية الشريفة ، وفق تفسير منطقي شرعي وعلمي ، لكن الاستعمار حاول مجددا خنق هذه العملية عن طريق منع فتح هذه المدارس دون رخصة²، حينها تحول قسم كبير منها إلى ممارسة التعليم سرا بعيدا عن أعين الإدارة، لأن هذه

¹ - محمد صالح الصديق ، أدباء التحصيل، ج1، دار الكتب العربية، تونس، دبت، ص75 .

² - أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، 1900-1930 ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992 ، ص400

الرخصة صعبة الشروط إذ يقوم البوليس بالتحري عن سلوك الطلبة من حيث الدين والسياسة .

يصف محمد فريد الذي زار الجزائر عام 1901م حالة التعليم بقوله : إن حالة التعليم في الجزائر سيئة جدا ، ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل العربية في جميع المعاملات ، بل ربما لم تدرس العربية بالمرّة مع مضي الزمن، فلا الحكومة تسعى في حفظها ، ولا تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس ... هجرت ربوع العلم وخربت دور الكتب وصارت الديار مرتعا للجهل والجهلاء ، وكادت تدرس معالم اللغة العربية الفصحى ، وتطرقت إلى اللغة العامية الكلمات الأجنبية ، بل أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة التخاطب في العواصم مثل وهران وقسنطينة وعنابة وغيرها¹ .

ويتحدث بن باديس عن هذه الفترة من الحياة الثقافية قائلا : ... هذا القطر قريبا من الفناء ليست له مدارس تعلمه وليس له رجال يدافعون عنه ويموتون عليه ، بل كان في اضطراب دائم مستمر ... كان أبناؤنا يومئذ لا يذهبون إلا إلى المدارس الأجنبية التي لا تعطيه غالبا من العلم إلا ذلك الفتات الذي يملأ أدمغتهم بالسفاس حتى إذا خرجوا منها جاهلين دينهم ولغتهم وقوميتهم ، وقد ينكرونها².

أما الطلاب الذين كانوا يرغبون في متابعة تعليمهم في تونس والمغرب أو في المشرق العربي فقد كانوا يضطرون إلى التسلل خلسة خارقين بذلك قانون الأنديجانا الذي كان يمنع التنقل من منطقة إلى أخرى بدون رخصة من الإدارة ، وكانت الرخصة لطلب العلم ممنوعة³ .

وبالإضافة إلى حركة بن باديس التعليمية بقسنطينة شهدت الجزائر إقامة بعض المدارس التي حاولت قدر جهدها أن تكون حديثة مثال مدرسة التربية والتعليم في قسنطينة،

¹ - رابح تركي ، عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ، المرجع السابق، ص135 .

² - أنور الجنيدي ، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا ، الدار القومية ، للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1965 ، ص133 .

³ - BENSMAIN Khaled, le mouvement étudiant algérien 1955- 1970, (essai sur l'intellectuel et le pouvoir en Algérie, thèse de Doctorat, université de Nancy, 1991, 3 V, p422.

ومدرسة الشبيبة الإسلامية في العاصمة التي تأسست سنة 1927م ، ومدرسة السلام المؤسسة عام 1929م في العاصمة ، والمدرسة العربية القرآنية التي أسست في نفس السنة وبنفس المكان ، ومدرسة جمعية الإصلاح الخيرية في مدينة غرداية التي أنشأت سنة 1928م¹ وقد حصلت هذه المدارس على ترخيص رسمي للتعليم بفضل التساهل الذي أبداه الوالي العام فيوليت² .

وكان الشيخ الإبراهيمي* قد تحدث مطولا عن محاربة فرنسا للتعليم العربي، وحكومتها التي استهدفت كل تعليم حر، للتضييق على المسلمين ولمنع تعلم لغة دينهم، حيث يقول في هذا الصدد : " فإذا تجرأ مسلم وطلب رخصة لفتح مكتب لتعليم القرآن أو تعليم الأولاد تعليما ابتدائيا جوبه بالتعطيل والمماطلة والسخرية والاحتقار زيادة عن إرهابه بالأسئلة وجرح كرامته³ الإسلامية العربية وازدراء للهيئة والشكل ، بهذا يمل ويبأس الطالب وإنما هي معاملة مقصودة لصرف الطالبين حيث يحرم الاستعمار الفرنسي التعليم على مسلمي الجزائر ... وإن تعطيل المدارس العربية بالأوامر الإدارية هي أشنع عقوبة للأطفال الصغار الذين لا ذنب لهم ، ولو أنها عقوبة في أبدانهم لقلنا جرح ويندمل لكنها عقوبة لهم في دينهم وعقولهم، أننا نريد منهم أناس وأشياء نافعة وأنت تريد لهم لصوصا وحيوانات ضارة وبلاء على أنفسهم وعلى الأمة⁴..."، ومن أغرب ما وقفنا عليه مطلع سنة 1949م نسخة موجهة إلى مديري المكاتب الفرنسية ، ومما فيها الأمر بالتقدم إلى طلبة العربية وترغيبهم في التعليم بالمكاتب الفرنسية فما معنا ذلك؟ ومتى كانت الحكومية

1 - رابح تركي ، التعليم القومي والشخصية الوطنية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1975 ، ص 239 .

2 - أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، أثرها الإصلاحي في الجزائر ، المرجع السابق، ص 65 .

* - ولد الشيخ البشير الإبراهيمي سنة 1889 رأس الوادي بسطيف وهي السنة التي ولد فيها الشيخ عبد الحميد بن باديس، الطيب العقبي، طه حسين، عباس محمود العقاد، ويعتبر الشيخ الإبراهيمي الشخصية الثانية في الحركة التأسيسية الإصلاحية والتجديدية بعد بن باديس.... للمزيد ينظر،

- Charles (A.J) L' Afrique du nord en marche, nationalisme musulman souveraineté, imp Denvers, Paris, 1972, p 102.

3 - محمد البشير الإبراهيمي ، محاربة فرنسا للتعليم العربي ، البصائر، ع 66 ، 9 ربيع الثاني 1368 هـ / 7 فيفري 1949م، ص 1.

4 - محمد البشير الإبراهيمي ، الحكومة والتعليم العربي ، البصائر ، الاثنتين 2 ربيع الثاني 1368 هـ - 31 جانفي 1949م، ع 65 ، ص 1.

الابتدائية تعلم العربية؟¹ ، ومن آثار هذا البرنامج في العديد من هذه المدارس تمديد ساعات الدراسة المسائية إلى الساعة الخامسة خلافا للقانون السائر في جميع المدارس . ولا موجب لهذا القانون الالتفويت ميقات المدرسة العربية على التلميذ وليتهم يعمرّون له تلك الساعة بنافع مفيد ، بل يعمرّونها بلهو فارغ أو عمل شاق"².

إضافة إلى ذلك عجز التلامذة المسلمين عن الأوربيين في التعليم الابتدائي في مكاتب خاصة بهم ، يطلقون عليها اسم "école indigène" وحتى الشهادة الابتدائية التي كانت تمنح لهم تعرف ب" titre indigène"³.

والى جانب هذا فقد شدد الخناق على أعضاء الجمعية لإلقاء الدروس الدينية، وقصرها على الموظفين الرسميين أو رجال الدين فمنعت الشيخ البشير الإبراهيمي من إلقاء دروس التفسير بالجامع الأعظم في تلمسان ببرقية من الوالي العام بداية الثلاثينات، ثم منعت الأستاذ العربي التبسي من إلقاء دروسه بمساجد العاصمة .

وجاء قرار 8 مارس الذي أصدره شوطان وزير داخلية فرنسا سنة 1938 للتأكيد العلني على الامتناع من إعطاء الرخص للطالبيين وكرد للمطالب التي تقدم بها الوفد الجزائري في المؤتمر الإسلامي، المتعلقة بحرية التعليم العربي الإسلامي لقراءة دينها ولغته⁴، حيث بلغت محاربة اللغة العربية والتعليم العربي الحر ذروتها نتيجة لهذا القرار واعتبرت اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر⁵.

1 - محمد البشير الإبراهيمي ، الحكومة والتعليم العربي،المصدر السابق، ص 1.
2 - يروي الشيخ البشير الإبراهيمي في هذا الصدد قائلا: لقد مرت في شتاء السنة الماضية بقرية بريكة فرأيت بعيني تلامذة المكتب الفرنسي (المسلمين) يجمعون الزيتون من بستان تابع للمكتب ولإدارة المتصرف ، وكان ذلك في الساعة الخامسة إلا ربع بالضبط ، للمزيد ينظر البصائر ، ع68 ، المصدر السابق ، ص1.

3 - تعني كلمة انديجان في قاموس الاستعمار وألسنة حماة الطغاة هي نبذ وتحقير لهذا العنصر الشريف ، الذي أوقعته الأقدار وتصرفات الفجار في قبضة الاستعمار ، للمزيد ينظر البصائر ، المصدر نفسه ، ص1.

4 - محمد البشير الإبراهيمي ، الحكومة والتعليم العربي ، البصائر ، الجمعة 20 ربيع الأول 1357هـ - 20 ماي 1938، 114ع ، ص1.

5 - تركي رابع ، عبد الحميد بن باديس وفلسفته التربوية ، المرجع السابق ، ص157.

كما تم غلق عدة مكاتب قرآنية في شهر أكتوبر من نفس السنة ، وكان رد فعل الجزائريين الاحتجاجات المتتالية على الحكومة ، وقع ذلك بعد إجراء البحث على أرباب الكتاتيب من قبل الشرطة ثم تقديمهم إلى المحاكمة فحكم عليهم بتغريم 25 فرنك ، وأمروهم بغلق الكتاتيب التي كانت تذر بدخل مادي لعوائل فقيرة ما كان من حاجة عائلها إلا كسب قوت يومه¹، لكن هذا القرار كان بمثابة الشرارة التي ألهمت الفتيل حيث هبت الأمة كلها متحدية إياه ومصرة على تعلم لغتها ودينها .

فقد شن الإمام عبد الحميد بن باديس حملة عنيفة في مجلة الشهاب والجراند التي كانت تصدرها الجمعية ، وصمد رجال التعليم العربي الحر في وجهه حتى تراجعت فرنسا عنه وأعلنت في 20 سبتمبر سنة 1947 ترسيم اللغة العربية في التعليم وذلك بعد مائة وسبعة عشر عاما على احتلال فرنسا الجزائر، ظلت تحارب فيها اللغة العربية وتطاردها في كل مكان وتمنع تعليمها في المدارس الرسمية ، وبالرغم من أن قرار 1947 بقي حبرا على ورق إلا أنه يعتبر انتصارا للإرادة الشعبية التي صممت على النضال في سبيل دينها ولغتها ، وأجبرت المستعمر على الرجوع في قراره المتمثل في اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر².

¹ - محمد البشير الإبراهيمي ، الحكومة والتعليم العربي ، البصائر 17 شوال 1357هـ - 9 ديسمبر 1938م ، ع149 ، ص2.

² - تركي رابح ، المرجع السابق ، ص157.

:

الفصل الأول: التواجد الطلابي الجزائري

أولاً: شروط الالتحاق بجامع الزيتونة

ثانياً: تنظيم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للبعثات الطلابية.

ثالثاً: تواجد الطلاب الجزائريين بالجامع الأعظم سنوات الثلاثينات

رابعاً: تواجد الطلاب الجزائريين بالجامع الأعظم أثناء الحرب العالمية الثانية.

خامساً: تواجد الطلاب الجزائريين بالجامع الأعظم بعد الحرب العالمية الثانية.

سادساً: تواجد الطلاب الجزائريين بالجامع الأعظم سنوات الخمسينات.

الفصل الثاني: النضالات السياسية للطلبة

أولاً: الطلبة الجزائريون والحزب الدستوري التونسي.

ثانياً: منظمة الصداقة للجزائريين بتونس.

ثالثاً: الطلبة الجزائريون وعلاقتهم بالتنظيمات السياسية.

الفصل الثالث: النضال الطلابي

أولاً: إضراب الطلبة الجزائريين مساندة لإضراب صوت الطالب الزيتوني.

ثانياً: الطلبة الجزائريون وعلاقتهم بالجمعيات الثقافية.

ثالثاً: الطلبة الجزائريون ووحدة المغرب العربي.

رابعاً: الطلبة الجزائريون وثورة التحرير المباركة.

الفصل الرابع: أوضاع الطلبة المعيشية

أولاً: نداء جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين.

ثانياً: الجالية الجزائرية بـ " ماطر " تونس في إعانة الطلبة الجزائريين الزيتونيين.

ثالثاً: لجنة الإعانة لطلبة الأوراس.

رابعاً: الإعانة المادية للطلبة الجزائريين من قبل الإدارة الاستعمارية.

خامساً: الإمدادات المادية من قبل جبهة التحرير الوطني.

سادساً: الإعانة المادية من طرف الحكومة التونسية

سابعاً: الحالة المعيشية للطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة.

تمهيد:

لقد ابتدأ سفر الطلاب الجزائريين إلى تونس لطلب العلم بالجامعة الزيتونية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث هاجر إليها أفراد قليلون منهم الشيخ الحاج سعيد بن يوسف اليسقيني، ثم ابتدأت الهجرة إلى تونس لطلب العلم تكثرت في العقد الأول من القرن العشرين لتندفق الهجرات والبعثات بعد الحرب العالمية الأولى حيث صارت تونس مقصد كل من يريد الثقافة العربية الواسعة¹.

لقد وجد الطلبة الجزائريون جامع الزيتونة موردا عذبا، في الوقت الذي افتقدوا فيه إلى معلم حضاري مثله ببلادهم، وكانت السلطات الفرنسية تتوجس من الذين درسوا في الزيتونة فكانت لا تفسح المجال لتوظيفهم لأنهم لم يتخرجوا من المدارس الفرنسية الرسمية، وكانت تعتبرهم متمردين عليها².

لعل ما ميز هجرات الطلاب الجزائريين المبكرة كونها كانت نتيجة رغبة شخصية أو مبادرات فردية، ولم تشهد البلاد قبل الخمسينات بعثات طلابية منظمة سوى بعثات الطلاب المزابيين الإباضيين التي أخذت تتوافد إلى تونس بصورة منظمة ابتداء من عام 1914م³، وتبرز هذه الرحلات تمازج الشعبين الجزائري والتونسي، وعمق التبادل العلمي والتجاري بينهما، فقد تجسدت هذه الصلات حتى في التعاملات التجارية بين القطرين، وما يبرز أن هذه الرحلات كانت ذات علاقة وطيدة في المشاعر العميقة التي ظل يكنها خريجون الزيتونة لتونس وللجامع وأثره الإيجابي على النهضة الإصلاحية بالجزائر وإثراء الحياة العلمية والثقافية، فهذه الرحلات تقدم لنا صورة عامة عن الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية التي كانت تسود القطرين، من الثلث الأول من القرن العشرين إلى ما بعد منتصفه بقليل وقد كان من أغراضها الأخرى أيضا محاولة إحياء

¹ - محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، المطبعة العربية، الجزائر، 1971، ص20.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص491.

³ - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985،

أواصر القرابات والمصاهرات والشائج القبلية والدموية وغيرها مع المهاجرين الأوائل إلى تونس .

على أن الرحلة العلمية في اتجاه القيروان لعبت دورا مؤثرا في استقطاب نخبة من علماء الجزائر منذ القرن الثالث الهجري ، بعد اشتهاؤها كعاصمة علمية وإسلامية وهو ما أغرى بشد الرحال إلى علمائها الذين تتلمذوا على يد العلماء المشاركة ، ثم عادوا لبيثوا علمهم ويؤسسوا مدارس لنشره¹.

وترجع أولى الرحلات العلمية الجزائرية إلى تونس إلى القرن التاسع ميلادي، غير أن هذه المرحلة وما يليها من مميزات أن عدد طلبة العلم فيها كانت قليلة ، ومنهم من طالت به الإقامة في تونس إلى حد أنه انصهر في بوتقة مجتمعها وتأقلم مع بيئتها الثقافية والسياسية أمثال الإمام بن رشيق الحسن القيرواني (385هـ - 464هـ) الجزائري الأصل ، ومن الذين قادوا حركة الرحلات العلمية إلى تونس في هذه الفترة المتقدمة بن الزبيب الحسن بن محمد التميمي التاهرتي (340هـ - 420هـ) الذي احتل الصدارة في قول الشعر بين معاصريه القيروانيين ، والغبريني أحمد بن أحمد (644هـ - 704هـ)².

¹ - خير الدين شترة ، الطلبة الجزائريون بتونس 1900- 1956 ، أطروحة دكتوراه، إشراف ، قسم التاريخ، الجامعة الإفريقية، أدرار، 3 أجزاء، 2007.

² - شكيب أرسلان ، الحلل السندسية والآثار الأندلسية ، ج 1 ، مصر ، 1945 ، صص 260 ، 270 ، وللمزيد ينظر، الغبريني أبو العباس ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1971 ، صص 126 وما يليها .

الفصل الأول: التواجد الطلابي الجزائري

أولاً: شروط الالتحاق بجامع الزيتونة :

تقديم طلب يتضمن أسم الطالب الذي لا يجب أن يقل عمره عن 18 سنة ، وهذا السن الذي تم تحديده بمنصف الأربعينات ، فكان تحديد عمر الطالب يختلف من سنة لأخرى ، ففي سنة 1950م أجمعت مشيخة الجامع الأعظم على عدم قبول الطلبة الذين تجاوزت أعمارهم 14 سنة ، مما أدى إلى خلق بلبلة داخل الأوساط الثقافية بتونس ، كما انتقدته الصحف بتعاليق وافية تهدف إلى وجوب رجوع المشيخة عما ورد ، لما فيه من ضرر على التونسيين ، وخاصة الأسر التي تعد أبناءها لغاية الالتحاق بالجامع .

وإثر هذه المعارضة بادرت المشيخة بنشر بلاغ جاء فيه ما يلي :

إن كل من فات سنه 14 عاما فعليه أن يبين السبب الذي أخره عن الالتحاق¹.

1- يجب ضبط هوية الطالب بتاريخ ومكان ولادته وتبعيته ومذهبه ، وما يجيد حفظه من القرآن الكريم، وما زاوله من العلوم سابقا ، والمعاهد التي قرأ فيها والشهادات العلمية المحصل عليها ، واسم وليه ببلاده وإذا كان الراغب في الانخراط من غير أهل البلد الواقع فيه المعهد ، فإنه يتحتم عليه أن يعين وليا له في ذلك البلد، وأن يبين اسمه وعنوان إقامته بمطلبه ، كما يلزم في المطلب أن يكون ممضي من الولي .

2- إرفاق المطلب المذكور بما يلي :

- بطاقة ولادة الطالب أو حكم شرعي في ثبوت سنه .
- الشهادات العلمية المحصل عليها² .
- شهادة في حسن سيرته إن كان له من العمر ثمانية عشر عاما فأكثر ، ويجب عليه عند الحضور بالمعهد أن يكون مصحوبا بنظيرين من صورته ، والدفتر المعد

¹ - البصائر ، ع132 ، 1950م ، ص6 .

² - دفتر الانخراط في المعاهد الزيتونية ، للطالب بن صالح الصادق بن أحمد، أحد الطلبة المتخرجين من جامع الزيتونة ، ص1.

للانخراط في المعاهد الزيتونية ، ويبقى الدفتر بالمعهد ، ولا يحق للطالب استرجاعه إلا بعد تخرجه .

- أن يكون متأهلا لمطالعة الكتب ، وكتابة ما يملى عليه ، وحافظا للربع الأخير من القرآن الكريم عل الأقل ، ولمتون ما يدرس في السنة الأولى من المرتبة الأخيرة ، لكن يسمح بقبول من كان حافظا لسنة أحزاب من القرآن الكريم ابتداءا لطالب السنة الأولى من المرتبة الأخيرة ، وينقسم له الباقي إلى ثلاثة أقسام في كل سنة ثلاثة أحزاب ، يختبر في حفظها عند افتتاح السنة الدراسية ، بحيث لا يقبل في امتحان شهادة الأهلية إلا إذا كان حافظا لجميع الربع المذكور¹.

ولقد ورد في الوثيقة الصادرة بتاريخ 3 جويلية 1958 تحت عنوان "الزيتونة والجزائر" ما يوحي بتتبع الإدارة الاستعمارية للتعليم بصفة عامة وللطلبة الجزائريين الذين يزاولون دراستهم بتونس بصفة خاصة، وفيما يلي مقتطف مما جاء فيها:

قبل 1958، توجه الشباب الجزائري إلى تونس لمواصلة دراستهم في الزيتونة الآتين من المدارس القرآنية للبلاد ومدرسة "ابن باديس" و"الكتانية" لقسنطينة، و"المحمدية" لبسكرة ومدارس أخرى مفتوحة في نواحي العاصمة الجزائرية وفي الغرب الجزائري.

لجان اختيار متكونين من أساتذة الزيتونة، كانوا يجوبون الجزائر كل سنة ويوزعون شهادة الأهلية حتى يتأكدوا من الانخراط الدائم والكبير.

وفي 1954 حاول الموجهون المصلحون الجزائريون التخلص من التبعية للزيتونة، كانوا يسعون إلى خلق سنة 1954 بالعاصمة قسم مئيل لقسم السنة الأولى الثانوية، وقسم ثاني في سنة 1956م، وفي 1957 تحصلوا على الاستقلالية في فتح قسم ثالث يقوم بتقديم شهادات التحصيل. لقد توقعوا أن يحصلوا من قبل موجهي الزيتونة على تفويض يمنحهم القبول في المشاركة في الاختبارات وقبول الشهادة الأهلية. إنَّ القرارات المتخذة من طرف

¹ - دفتر الانخراط في المعاهد الزيتونية .

الشرطة في 1957 ضد مدارس العلماء للشرق الجزائري وضعت حدا لتطورها وكما
اعتبر الانخراط في الزيتونة موقفا مؤقتا¹.

ثانيا: تنظيم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للبعثات الطلابية:

شهدت الجزائر منذ مطلع القرن العشرين هجرات طلابية محدودة توجهت بصورة
رئيسية نحو جامعي الزيتونة في تونس ، والقرويين في المغرب ، وتوجهت قلة منهم إلى
جامع الأزهر في القاهرة ، ولقد أكد الشيخ عبد الحميد بن باديس أن مهمة الجمعية التي بادر
إلى تأسيسها مع مجموعة من الأعلام الإصلاحيين ، هو تحقيق مقاصد ذات غاية سامية
عالية يتقدمها طلب العلم الذي جعله الرسول صلى الله عليه وسلم فريضة على كل مسلم
ومسلمة ، حيث يرى بن باديس ضرورة أخذ العلم حيثما وجد ولذلك شجع الطلبة على
الرحلة في سبيل تحصيل العلم، وكاتب المؤسسات التعليمية في العالم العربي والإسلامي
لاستقبال الطلبة الجزائريين حيث يقول: "... إن إيفاد الوفود إلى مختلف البلدان العربية
للاستفادة أمر لازم عند الأمم المتقدمة ... وغاية الجمعية إيفاد بعثات جماعية إلى مختلف
هذه البلدان وفي مقدمتها جامع الزيتونة"².

فقد كان الشيخ يشجع طلبته على الاستزادة من كل العلوم لعصرية ، بغض النظر
على اللغة التي كتبت بها أو انتماءات من يعلمها بشرط أن يؤصلها ويراعي مقوماتها
الحضارية ، ويلتزم بخصوصياته الدينية فحرض على ذلك قائلا : " أرجوكم أيها الشباب
الحازمون أن تأخذوا العلم بأي لسان كان وعن أي شخص وجدتموه وأن تطبعوه بطابعنا
لننتفع به الانتفاع المطلوب ، كما أخذه الأوروبيون من أجدادنا وطبعوه بطابعهم النصراني
وانتفعوا به"³.

¹ - A.N.O.M. Aix en Provence, doc du 3 juillet 1958, boite 4507.

² - مولود عويمر، العلم في فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس، البصائر، ع 700، الاثنيين 14 - 20 جمادى الثانية
1435هـ/ 14 - 20 أبريل 2014، ص 14.

³ - مولود عويمر، العلم في فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس، المرجع نفسه، ص 14.

فمنذ ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخامس ماي 1931، واعتمادها على جانب التعليم والتربية كمقوم أساسي في دعوتها الإصلاحية ازداد الاهتمام بإرسال البعثات الطلابية إلى العالم الإسلامي، إذ استقبلت تونس سنة 1936 ما يقارب المائتي طالب كان معلمهم ينسب إلى جمعية العلماء التي ذاع صيتها¹.

نظرا للظروف السياسية السائدة سنة 1940م والوضع الأمني، اكتفت الجمعية بإرسال بعثة واحدة تكفل بها الحاج محمد دمق وضمت الطلبة وضمت الطلبة الآتية أسماؤهم : الطيب العلوي ، عبد العزيز قروف ، مصطفى بوغابة* ، معمر بوقصة ، عمار بن العلاء².

يذكر الشيخ أحمد حماني في كتابه شهداء علماء بن باديس أن الشيخ بودالي الجيلالي الذي عينته الجمعية مديرا لمدرسة بن خلدون بالشلف ، أنه استطاع تنظيم بعثات متتالية بإعانة من الجمعية ضمت ما يفوق الخمسين طالبا³.

وبوادي الزناتي التابعة لجمعية العلماء نظمت عدة بعثات طلابية باتجاه جامع الزيتونة أشهرها البعثة الأولى التي انطلقت باتجاه جامع الزيتونة سنة 1946م ، وضمت الطلبة الآتية أسماؤهم : عبد الحميد مهري، محمد الصالح رحاب، عمار شطبيبي، عثمان عيساوي ، الزواوي بن سباعي .

تلتها البعثة الثانية عام 1948م والمتكونة من إسماعيل بولذروع، خوجة بلعكون، عبد الرحمن مهري ، عبد المجيد كحل الراس ، حدوش مطيش .

وبتازمالت تكفلت مدرسة أم القرى للتربية والتعليم بإرسال أولى بعثة طلابية إلى جامع الزيتونة سنة 1956م فاق مجموع طلابها العشرون طالبا ، وانظم من بينهم ستة

¹ - أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954 أطروحة دكتوراه، إشراف ناصر الدين سعيدوني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، سنة 2005-2006، ص 129.

* - مقابلة مع الشيخ مصطفى بوغابة بمؤسسة عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ، يوم 21 أبريل 2008 على الساعة 14:00 زوالا، للمزيد ينظر لترجمته في الملحق الخاص بالترجمة .

² - مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن، تر: مروان القنواطي، ج1، دار الفكر، 1969، ص 143 .

³ - أحمد حماني ، شهداء علماء معهد بن باديس ، قصر الكتاب ، الجزائر ، 2004 ، ص 70 .

طلبة إلى صفوف جيش التحرير الوطني ، وهم : إسماعيل أو يحيى ، محمد الشريف بن صادق ، عبد الرحمن ميهوب ، الحلو ملعب ، أو شيحة مقران ، أو لبصير صالح¹ .

- الشروط اللازمة لإرسال الجمعية للبعثات الطلابية:

لم تكن جمعية العلماء في بداية توجيه بعثاتها العلمية إلى الأقطار العربية تشترط فيهم أن يكونوا من مدارسها ، وإنما تشترط فيهم الإيمان بمبادئها حتى وان لم يتمدرسوا بمؤسساتها لكن ابتداءا من سنة 1954م تغير المبدأ واشترطت الجمعية على الأعضاء المستفيدين من البعثة أن يكونوا متخرجين فعلا من مدارسها وعلى اثر ذلك القرار ، قامت لجنة التعليم العليا التابعة للجمعية بإصدار بلاغا ضمنته الشروط التي يجب أن تتوفر في الطالب الراغب في الانضمام إلى بعثات الجمعية وهي :

- لا يقبل إلا خريجو مدارس الجمعية والمعهد .
- أن يكون خريج المدرسة متحصلا على الشهادة الابتدائية وأن لا تتجاوز سنه 15 سنة .
- يتعهد الطالب بالالتزام بمجموعة قواعد ويحترمها :
- أن أكون جنديا مخلصا تحت رايتها أكافح في سبيل العلم قولا وفعلا وأحمل الأمانة بصدق وإخلاص .
- أن أنظر إلى قادة الجمعية نظرة الولد إلى أبيه والتلميذ المهذب إلى الأستاذ الناصح.
- أن ألتزم بالنظام وأكون ممثلا لفكرة الجمعية بأقوال وخاضعا لأنظمتها، وأكون عنوان شرف لله وللإسلام ولوطني .
- أن أبذل قصار جهدي بعد إتمام دراستي لأنفع أمتي تحت إشراف جمعية العلماء على أساس أن لي من الحقوق المادية ما لإخواني ، وعلى من الواجبات ما عليهم.
- أن لا تراني الجمعية إلا حيث يصورها ولا تسمع مني ولاعني إلا ما يرضي الله ويرضيها ويشرف وطني² .

¹ - محمد الحسن فضلاء ، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر ، ج1 ، دار الأمة ، الجزائر ، 1999 ، ص247.

² - الدستور الأخلاقي لأعضاء البعثات التعليمية لجمعية العلماء ، البصائر، 3سبتمبر 1954 ، ع283 ، ص5 .

- أن أكون منسجما مع إخواني في البعثة أحبهم وأحسن إليهم ما استطعت، وأنفعهم بما عندي من خير، وأنتفع بما عندهم من كمال، وأتعاون معهم على البر والتقوى، وأعاهد الله والجمعية أن أجعلها طريقي إلى الله في ديني ودليلي إلى الحياة الشريفة في دنياي ، حتى أكون عضوا صالحا لشعبي نافعا لأمتي الإسلامية كلها وأرجو من جمعيتي الموقرة قبول طلبي مستعينا بالله على ما التزمت ، وحسبي الله ونعم الوكيل¹.

ثالثا: تواجد الطلاب الجزائريين بالجامع الأعظم سنوات الثلاثينات:

لقدت كانت عقود الثلاثينات والأربعينات والخمسينات من القرن الفارط أكثر زخما بالطلبة والتلاميذ الجزائريين في جامع الزيتونة وبقية المعاهد الأخرى ويعدون بالآلاف فرارا من سياسة التجهيل التي تطبقها الإدارة الاستعمارية وإفشالا لها في نفس الوقت ، فتعلموا وتكونوا وتحصنوا بالعلوم والمعارف التي تلقوها من علماء الزيتونة ، وشاركوا بعد ذلك في تحرير بلادهم الجزائر من الاستعمار الفرنسي ، وفي بناء المدرسة الجزائرية الحديثة والوليدة على أسس وطنية إسلامية عربية متينة² ، وتجدر الإشارة إلى أن عدد الطلبة الجزائريين كان يتغير باستمرار بحسب تغير الأوضاع السياسية السائدة في تونس طوال العهد الاستعماري .

ففي حين كان عدد الطلبة الجزائريين والزيتونيين لا يتجاوز العشرات مع فرض الحماية على تونس سنة 1881م نلاحظ أن أعدادهم قد تضاعفت على الأقل مرتين قبيل الحرب العالمية الأولى ثم انخفض عددهم بسبب ظروف الحرب ورجوع العديد من البعثات الطلابية التي كانت تنوي الالتحاق بتونس قبيل الحرب ، كالبعثة الميزابية التي قادها الشيخ أبو اليقضان عام 1913م ، والتي عادت أدراجها بسبب الظروف السابقة ، غير أنها أعادت

¹ - الدستور الأخلاقي ... ، البصائر ع283 ، المصدر السابق ، ص5 .

² - يحيى بو عزيز ، أفضال جامع الزيتونة على المسيرة الثقافية والعلمية بالجزائر ، الهداية، ع158، تونس، 2002، ص75.

محاولتها بعد انجلاء غمة الحرب عام 1917م ثم تكررت خلال سنتي 1918م - 1919م¹.

ومع عودة البعثات الجزائرية إلى الجامع الأعظم بكل مساراتها (الشمال ، الوسط، الجنوب) خلال فترة العشرينات من القرن الفارط بسبب الانفتاح الأمني والسياسي والتربوي في كلا القطرين ، وظهر زعامات دينية في الجزائر تبنت مبدأ تربية النشأ من منطلق تخريج دعاة متكونين في الزيتونة للبدء بعد عودتهم إلى الوطن في بناء المدارس الحرة وتنشئة الشباب الجزائري وإحداث نهضة صحفية ودعوية وتربوية تشمل جميع القطر ، كما أن الإصلاحات الجدية التي بدأت تطراً على النظام التعليمي و الإداري في الجامع الأعظم خصوصاً بعد تراتيب 1933 ، قد تبدو سبباً كافياً لتزايد الطلبة الجزائريين بتونس حيث ارتفع عددهم بشكل مطرد اعتباراً من السنة الدراسية 1932-1933 ، إلى المتني طالب و هذا لم يحدث من قبل، ليلغ قبيل الحرب العالمية الثانية ما يفوق 250 طالب مع تفاوت في السنوات ، فقد قدر الطيب بن عيسى عدد الطلبة الجزائريين بالجامع سنة 1939 بنحو 300 طالب من جملة ألفين و خمسمائة طالب من مجموع طلبته²، و لقد قدرهم مصطفى كريم عام 1938 بنحو مئة و سبعون طالباً³، و لقد صرح الشاذلي المكي رئيس جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس عام 1938 في جريدة البصائر قائلاً : إنه يزداد عدد الطلبة الجزائريين الذين يزاولون الدروس بالمعهد الزيتوني عمره الله في كل عام، ففي السنة الجارية (1938-1939) لاحظنا ما يقرب من خمسين طالباً جديداً فيصير بهذه الصفة عدد الطلبة الجزائريين بالكلية الزيتونية 300 طالب تقريباً⁴.

ويذكر المؤرخ حبيب حسين اللولب أن عدد الطلبة الجزائريين المنتسبين إلى جامع الزيتونة خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1931م-1940م بلغ 104 طلبة ، ونجد خلال الفترة

¹ - محمد علي دبور، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج3، ط1، مطبعة البحث، الجزائر، 1978.

² - الطيب بن عيسى، جامع الزيتونة الأعظم، الوزير، تونس 1929/01/24 .

³ - KRAIEM (M) , le mouvement social au Tunisie dans les années trente, Tunisie : sérés, 1984, p95.

⁴ - عن تأسيس جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، البصائر، ع 28، 137 أكتوبر 1938، الجزائر.

الممتدة بين 1931م-1938م ما بين 23-70 طالبا، لينخفض العدد ما بين 15-27 خلال سنتي 1939م-1940م، بسبب الحرب العالمية الثانية، فقد بلغ سنة 1931م 56 طالبا وسنة 1932م ارتفع إلى 143 طالبا، وفي سنة 1933م انخفض العدد إلى 90 طالبا، وفي سنة 1934م وصل إلى 123 طالبا، وفي سنة 1935م ارتفع إلى 129 طالبا، وفي سنة 1936م-1937م بلغ 157 طالبا، وفي سنة 1938م ارتفع إلى 173 طالبا، وفي سنة 1939م انخفض العدد إلى 97 طالبا، وتواصل الانخفاض سنة 1940م بـ87 طالبا¹.

إلى جانب هؤلاء هناك طلبة أحرار في شهادتي الأهلية والتحصيل، وأما النتائج التي تحققت تراوحت بين 137 شهادة أهلية، و86 شهادة تحصيل، و6 شهادات للعالمية².

تواصل ارتفاع عدد الطلبة الجزائريين من كافة مناطق القطر الجزائري ليسجل بين الفترة الممتدة من 1943م-1946م إلى 391 طالبا، فمن المناطق الجنوبية 85 طالبا من 6 مدن ومن مناطق الوسط 65 طالبا من 12 مدينة، ومن الغرب 11 طالبا من 6 مدن، ومن مناطق غير محددة 38 طالبا، ومردده هذه الزيادة إلى دور كل من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وشيوخ الزوايا، وطرق الصوفية، وحزب الشعب الجزائري³.

حيث يصف مالك بن نبي نوع البعثات التي كانت ترحل من مدينة تبسة في اتجاه مراكز التعليم بنفطة، أو التي كانت تأتي منها لتباشر لونا من التنقيف والإرشاد الجماهيري في العشرينيات من هذا القرن فيقول: كان في تبسة فوران من الأفكار حقا، يحفظه ويرعاه ويصونه العلماء الذين أخذوا يعودون من الشرق، ولا يفوتنا أن نذكر أنهم كانوا يحفظون سنة من تبسة سنها شيخ من نفطة التي كانت حين ذلك في الحدود الجزائرية التونسية المركز الثقافي الذي يؤمه طلاب العلم الذين كانوا قد حفظوا القرآن الكريم على ظهر قلب

¹ - حبيب حسين اللولب، الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية، دار سيدي الخير للكتاب، الجزائر، 2013، ص 46.

² - أ.ب.ت دفاتر إحصائية لتلامذة الزيتونة، نقلا عن حبيب حسين اللولب، المرجع السابق، ص 46.

³ - نفسه.

في زاوية سيدي أبي سعيد ، أو في زاوية سيدي عبد الرحمن ، والذين لم يكونوا قادرين على القيام بدراساتهم العليا في الزيتونة بتونس¹ .

يمكننا ملاحظة الارتفاع الحاصل مع مطلع الثلاثينات والذي يرجع إلى جملة عوامل أهمها²:

- عودة الأفواج الأولى من أفاضل الدارسين ممن سمي بهم الطموح العلمي، وتميزوا بالحيوية والنجابة ، والتي كانت بمثابة القاعدة الأساسية التي قامت عليها دعوة الإصلاح أمثال محمد الميلي والسعيد الزاهري، وعبد السلام القسنطيني، ومحمد العيد آل خليفة الذين تخرجوا بين سنتي 1924م - 1925م ، والذين عرفوا في الأوساط الزيتونية من خلال مساهماتهم الأدبية والفكرية في مجال الكتابات الصحفية والتجمعات العلمية ، وكانوا بمثابة الأداة الدعائية المؤثرة التي أدت إلى تزايد عدد طالبي الهجرة العلمية إلى تونس .

- توالي البعثات العلمية وبروز نبغائها في صفوف جمعية العلماء في الثلاثينات أمثال العربي التبسي، مبارك الميلي ، سعيد الزاهري، حمزة بوكوشة ، محمد خير الدين، فرحات بن الدراجي وآخرين كان لهم الفضل في نهضة الجمعية ودعم أركانها .

- اتساع دائرة حرية التعليم بتونس ، وحدوث إصلاحات جوهرية أدت إلى تطور العملية التعليمية داخل الجامع الأعظم وهي تراتيب أغرت العديد من الشباب الجزائري على الهجرة ، نظرا لتزايد عمق الهوة التعليمية بين الزيتونة وشيوخها المشهود لهم وبين كتاتيب ومدارس مغمورة في البوادي ، بشيوخ زادهم العلم جملة تراتيل وفتاوي وأحكام مفوظة عن ظهر قلب لا يخضعون في تلقينها لطلابهم لا إلى طرق منهجية ولا إلى مناهج تدريسية مركزة تعطي للطلاب الحق كاملا في أخذ نصيبه العلمي .

¹ - محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900- 1962)، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص40 .

² - المرجع نفسه، ص40 .

- تحسن الوضع المادي وظروف المعيشة بتونس، خصوصا بعد بناء مدارس سكنى للطلبة .

- إتقاف وتضامن عديد القوى الوطنية الجزائرية من جمعيات وأحزاب ومنظمات خيرية وشخصيات دينية وسياسية بارزة لتمويل دراسة الطلبة بتونس ، أمام تقصير السلطات الفرنسية في هذا المجال إقدامها على إعانة طلبة جامع الأزهر بمنح رمزية¹ .

- إقناع جيل ما بين الحربين بمواصلة تعليمهم بالمعاهد العليا لعدم جدوى المدارس التعليمية بالجزائر ولانعدام إشعاعها العلمي .

- تضاعف فرص التشغيل أمام أصحاب المستوى العلمي المتواضع أو التكوين المحلي مقابل عودة خريجي المعاهد العلمية الكبرى في العالم الإسلامي وتجاوب الأهالي معهم² .

إن هي جملة عوامل ساعدت على ارتفاع عدد الطلبة بشكل ملحوظ ، وكان هذا الارتفاع محل تعاليق في مختلف المراسلات المتبادلة بين الإقامة العامة بتونس وبين السلط الفرنسية بالجزائر ، والتي تشير إلى بعض الأفراد الغير مرغوب فيهم ، والواجب ترحيلهم إلى الجزائر ، وذلك بمناسبة حصول أي اضطراب بجامع الزيتونة أو في الساحة السياسية بتونس ، ولكن أكبر عدد من الطلبة الجزائريين كان موجودا بالخصوص في الفروع القريبة من الحدود التونسية الجزائرية مثل فرعي الكاف وتوزر حيث كانت توجد الجالية الجزائرية³ .

¹ - عمار هلال ، الطلبة الجزائريون في الأزهر ، الثقافة ، ع79 ، 1984/02/01 ، الجزائر ، نقلا عن خير الدين شترة ، المرجع السابق ، ص943

² - Callens (M), La vie matérielle et sociales de la jeunesse étudiante in IBLA, 17^{ème} année, 2^{ème} trim, n° 74, 1956, p 126.

³ - A.N.O.M. Bob,A45,C25,H32,dossier(1,2,3).

رابعاً: تواجد الطلاب الجزائريين بالجامع الأعظم أثناء الحرب العالمية الثانية:

شهدت هذه الفترة تراجع واضح في عدد الطلبة الجزائريين حيث انخفض عددهم بشكل كبير فمن مجموع 232 طالب عشية الحرب العالمية الثانية إلى 123 طالب عام 1942م ، ليصبح عام 1944م عددهم 47 طالب والسبب في ذلك راجع إلى الأوضاع السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة مطلع شهر جوان سنة 1940م ، إذ أغلقت جل المعاهد التونسية أبوابها، ورغم هذا الوضع الإستثنائي فقد بقي بعض الطلبة بالعاصمة عالقين، وتعذرت عليهم سبل العودة إلى الجزائر ، فيما تمكن حوالي مائتين طالب من الرجوع إلى الجزائر في انتظار نهاية الحرب .

حيث دلت الوثائق الرسمية الموجودة بالعلبة C35 المحفوظة بالأرشيف الوطني التونسي عن وجود قوائم ضمت أسماء الطلبة الجزائريين الزيتونيين الذين لم يحالفهم الحظ في الرجوع إلى بلدهم ، ونتيجة لانقطاع الاتصال بأهاليهم ووصول الإمدادات المالية إليهم أصبحوا يعيشون حياة جد مزرية ، وتضمنت نفس العلبة وثيقة كتبت فيها أسماء الطلبة الذين ستتكفل بهم الإعانة الخيرية ، فاق عددهم المائة طالب من مختلف ولايات الجزائر، وكانوا قد توجهوا إلى السلطات الرسمية للإعانة والإغاثة خلال سنة 1943م¹ ، كما تقدموا إلى وزارة الأوقاف وطلبوا من مشيخة الجامع أن تلعب دور الوسيط بينهم وبينها ، وحتى يسمعون نداء الطلبة الذين كانوا على دراية بحالتهم ، كما راسلوا المنصف محمد باي الذي أوصى بمنحة أسبوعية قدرت ب 120 فرنك للشخص الواحد والتي كانت جد قليلة مقارنة بمتطلباتهم اليومية².

¹ - A.N.T,série,D.C35,dossier28.doc N°25-26.

- نقلا عن خير الدين ، المرجع السابق ، ص 945

² - A.N.T,série D.C35,Dossier28 doc n°19,1943.

وحتو الوثيقة الموالية مراسلة للطلبة الجزائريين تضمنت شكوى أخرى إلى الباي محمد المنصف تعلقت برفع قيمة الإعانة التي كانت لا تستوفي حتى الأكل ، فما كان على المنصف إلا أن يأمر وزير الأوقاف برفع الإعانة وتوزع على مستحقيها توزيعا عادلا¹ .

لقد ضمت الوثيقة رقم 75 أسماء بعض الطلبة الذين قاموا بمراسلة الوزير الأكبر والذين كانوا في حالة جد مأساوية بسبب انقطاع الإعانة المادية من ذويهم وهم : محمد أمين الخوني، الأزهر بلقاسم القربوج، رابح بونار، رضا محمد وفعلا كان تعاطف الوزارة الوصية معهم بشرط أن يقدم شهادة إثبات تقدم له من قبل مصالح الأمن ، تبين بأنه طالب جزائري يتعذر عليه العودة إلى بلده ، نتيجة تردي الأوضاع الأمنية بسبب الحرب ، حتى يقدمها بنفسه إلى مشيخة الجامع الأعظم التي تضمن له الإعانة المخصصة من وزارة الأوقاف².

لكن رغم الإعانات التي كانت تقدمها وزارة الأوقاف ظل الطلبة يعانون نتيجة للوضع المادي والأمني خاصة بعد تعرض تونس للقصف نهاية ديسمبر سنة 1942م ، فانخفض عدد الطلاب الجزائريين بشكل كبير خاصة بعدما تدخلت السلطات الفرنسية وأفسحت لهم مجال العودة بمنحهم إجازات تسمح لهم بعبور الحدود والرجوع إلى ذويهم وأهاليهم ، ولم يبق منهم سوى عدد قليل³ .

خامسا: تواجد الطلاب الجزائريين بالجامع الأعظم بعد الحرب العالمية الثانية:

بمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية استأنف الطلبة الجزائريون من جديد الالتحاق بجامع الزيتونة حيث يذكر عمار النجار الكاتب العام لجمعية الطلبة الجزائريين أنه تحديدا بعد نهاية الحرب بدأت جماعات من الشباب الجزائري ، ومن مختلف جهات الوطن تتوافد على تونس من أجل متابعة دراساتهم في الجامعة الزيتونية ، يحدها في ذلك حبها لوطنها وحفظا على مقومات شخصيتها من لغة ودين وانتماء حضاري ، ولم يكن هؤلاء الوافدين

¹ - A.N.T, série D.C35,Dossier28 docn°20,1943.

² - A.N.T,série D.C35,Dossier28,doc n°75.

³ - A.N.T, série D.C35,Dossier28,doc n°82.

يتوفرون على الإمكانيات المادية التي تتطلبها الدراسة الإقامة بتونس، فلولا مساعدة جمعية الطلبة لما تمكنوا من مواصلة دراستهم¹.

فقد شهدت السنة الدراسية 1946م -1947م بالجامع الأعظم إقبالا منقطع النظير من قبل الشباب الجزائري لكن هذه المرة في إطار بعثات منظمة ومؤطرة فقد ناهز عددهم خمس مائة طالب ، ثم أخذت البعثات الطلابية تتزايد من الجزائر باتجاه الجامع الأعظم بشكل ميزته التنافسية بين القرى والمداشر والعائلات فيمن يضم أبناءه أكبر عدد من طلبة خريجي الزيتونة².

كما أن تزايد تعداد المدارس الحرة لجمعية العلماء المسلمين ، وحزب الشعب ، والنهضة الميزابية خلق دافعا قويا لإرسال المزيد من الشباب للالتحاق بالجامع الأعظم بقصد سد النقص الحادث في تلك المدارس والمعاهد ، يزيد في ذلك إقناعا للقوانين الفرنسية الجائرة التي تمنع على الجزائريين خصوصا .

وزادت برامج عليم الفرنسية في الجزائر من نكوص أولياء التلاميذ الجزائريين على إرسال أبنائهم من دون تحصينهم بالتربية الدينية الصحيحة ، والتي لا يمكن تحقيقها إلا بالالتحاق بالزيتونة التي تمثل مرجعا دينيا كبيرا لدى عامة الشعب الجزائري ، أخذ عدد الطلبة الجزائريين يرتفع أكثر خصوصا مع استقرار الوضع السياسي والاجتماعي في تونس .

وفي نفس السياق تحدث الصحفي التونسي علي الجندوبي في كلمته التي ألقاها بحفلة ليلة عيد الأضحى خلال احتفال الطلبة الجزائريون بتونس قائلا : فعلى عهد عبد الحميد بن باديس كانت أكبر قافلة علمية وردت إلينا لا يتجاوز عددها مائة وخمسون طالبا، وبعد انتقال روحه إلى الرفيق الأعلى ها نحن نشاهد في هذا العام أن عددهم قد بلغ ألف وثلاث مائة طالب زيادة على عدد لا بأس به ملتحق بالمدارس العصرية كالصادقية ومعهد

¹ -عمار النجار ، الثمرة الثانية، مطبعة التليلي، تونس، 1947- 1948، ص ص 215 - 216.

² -يحيى بوعزيز ، أفضال جامع الزيتونة ، الهداية ، ع 158 ، ص 75.

الآداب... ويكفي الجزائر فخرا أن لها اليوم من الناجحين من خريجي جامع الزيتونة بين الموسم الدراسي للعام الفارط 1946م - 1947م ومطلع هذه السنة أكثر من ثمانون طالبا تحصلوا على شهادتي الأهلية والتحصيل¹.

وقدر نفس الإحصاء بالنسبة للموسم الدراسي للسنة الموالية 1947م - 1948م حيث أكد عمار النجار في النداء الذي أصدرته جريدة البصائر في عددها العشرين الصادر عن جمعية الطلبة الجزائريين بتونس جاء فيه مايلي ... عرف أبناء هذه الأمة ما كان لها وشهدوا بما هي عليه الآن فاندفعوا بكلياتهم إلى هذا الوطن الروحي والمهجر العلمي فرارا من تلك الحالة الرهيبة واعتقادا منهم أن الدواء الناجع هنا، وكانت الهجرة في مبدئها أفرادا قلائل، ثم تعاظمت بتعاظم الشعور، حتى صار الجم غفير، فأصبح عدد الطلبة الآن ما يربوا عن الألف والمائتين مطلع عام 1948م .

وبلغ عددهم لأول مرة في تاريخ البعثات الطلابية الجزائرية إلى الجامع الأعظم ألف وخمس مائة طالب خلال السنة الدراسية 1951م - 1952م دون حساب الطلبة الموجودين بالخصوص في الفروع الزيتونية القريبة من الحدود التونسية الجزائرية مثل فرعي الكاف وتوزر الذين لا يعرف عددهم بالضبط لقلة الوثائق الأرشيفية المتعلقة بهذا الموضوع . نشرت الصحافة التونسية الصادرة في جوان 1952م إحصاءا يفيد بان عدد الممتحنين الوافدين على الزيتونة من الجزائر نهاية هذه السنة بلغ تسعون طالبا².

ووصل العدد الإجمالي للطلبة في الفترة (1947م-1953م) إلى 1019 طالب حيث تعتبر مرحلة الذروة، موزعين على 4 أقاليم، وقد حافظت المناطق الشرقية على المرتبة الأولى بـ 16 مدينة بـ 610 طالبا، ثم المناطق الجنوبية بـ 8 مدن وبـ 133 طالبا، وبازدياد عدد طلبة مناطق الوسط من 11 مدينة وبـ 204 طالبا، والغرب بـ 7 مدن بـ 55 طالبا، وهذه الزيادة راجعة إلى أربعة بعثات سنوية، الأولى لجمعية العلماء المسلمين

¹ -جمعية الطلبة الجزائريين ، البصائر ، 16ع ، 22 نوفمبر 1947 ، ص4 .

² -محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي والفكري ، المرجع السابق ، ص49 .

الجزائريين والثانية لحزب الشعب الجزائري والثالثة لشيوخ زوايا الطرق الصوفية، والرابعة للمزابيين¹.

سادسا: تواجد الطلاب الجزائريين بالجامع الأعظم سنوات الخمسينات:

تعد هذه المرحلة من أهم المراحل التي عبرت عن الدور الكبير الذي قدمته النخب الجزائرية المتخرجة من جامع الزيتونة في الحراك السياسي والثقافي والتعليمي، وفي نشر الوعي والمعرفة عبر الجمعيات والأحزاب والمدارس والصحف والمساجد والجوامع، وهي مرحلة الحصاد، ونلمس ذلك في اندلاع الثورة الجزائرية التي لعب فيها الطلبة الجزائريون المسجلون والمتخرجون من الزيتونة دورا متميزا بالتطوع في جيش التحرير الوطني، والكتابة في الصحف والمجلات للتعريف بالثورة الجزائرية، كما تميزت هذه المرحلة بانتهاء فترة الانقسام التي شهدتها الطلبة، وبانصهار جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين وجمعية البعثة الزيتونية لجمعية علماء المسلمين الجزائريين في منظمة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين².

ويمثل الجدول التالي توزيع الطلبة لسنتي 1954م - 1955م حسب انتمائهم

الجهوي:

¹ - حبيب حسين اللولب، المرجع السابق، ص 61.

² - المرجع نفسه، ص 61.

| إقليم الغرب ومناطق غير محددة | | إقليم الوسط | | إقليم الجنوب | | إقليم الشرق | | | |
|--|-----------------|---|--------------|---|--------------|--|--------------|------------|--------------|
| عدد الطلبة | المدن والقرى | عدد الطلبة | المدن والقرى | عدد الطلبة | المدن والقرى | عدد الطلبة | المدن والقرى | عدد الطلبة | المدن والقرى |
| 15 | وهران | 28 | الجزائر | 6 | بسكرة | 6 | سطيف | 60 | قسنطينة |
| 4 | تلمسان | 9 | تيزي وزو | 21 | وادي سوف | 15 | جيجل | 4 | عنابة |
| 2 | معسكر | 9 | (أقبو) بجاية | 7 | تقرت | 9 | سوق أهراس | 22 | باتنة |
| 1 | سيدي بلعباس | 4 | المسيلة | 5 | غرداية | 14 | تبسة | 14 | أم البواقي |
| 92 | مناطق غير محددة | 1 | بوسعادة | | | 10 | ميلة | 14 | خنشلة |
| | | 6 | البليدة | | | 12 | الميلية | 1 | البيضاء |
| | | 6 | المدية | | | | | 6 | قالمة |
| | | 09 | برج منايل | | | | | 3 | برج بوعريش |
| | | 04 | الأغواط | | | | | 7 | القل |
| | | 01 | الجلفة | | | | | 12 | سكيكدة |
| عدد المدن: 04 مع المناطق غير محددة عدد الطلبة: 114 | | عدد المدن: 10 عدد الطلبة: 71 | | عدد المدن: 04 عدد الطلبة: 39 | | عدد المدن: 16 عدد الطلبة: 209 | | | |
| العدد الإجمالي للطلبة: 433. | | | | | | | | | |

يتضح من خلال الجدول أن العدد الأكبر من الطلبة كان من منطقة الشرق الجزائري، والسبب بسيط وهو قرب المسافة المتاخمة للحدود الجزائرية التونسية، ثم يليه منطقة الوسط ثم الجنوب الجزائري ثم منطقة الغرب، إضافة إلى طلبة من مناطق غير محددة، وتظل الإحصائيات نسبية لقلّة الأرشيفات الخاصة بتواجد الطلبة الجزائريين بتونس.

جاء في العدد 53 من جريدة المجاهد أن عدد الطلبة الجزائريين بتونس 560 طالبا خلال الموسم الدراسي (1957م - 1958م)، كما جاء في جدول أعداد الطلبة في المشرق

العربي والمغرب العربي بين سنتي (1955م - 1960م)¹ أن عدد الطلبة الجزائريين بتونس خلال الموسم الدراسي (1960م - 1961م) بلغ 536 طالبا موزعين كالآتي :

- آداب 17 طالب، حقوق وعلوم سياسية واقتصادية 40 طالب ، علوم طبيعية 10 طلبة .

- هندسة طالب واحد، في الطور الثاني 499 ، أطوار مختلفة 2 طلبة . مقابل 440 طالب بالمغرب و123 طالب بالعراق، و130 طالب بمصر، 76 طالب بسوريا².

لقد دلت الوثيقة رقم أربعة المستخرجة من العلبة M4507 الموجودة بأرشفيف ما وراء البحار على وضعية الطلبة الجزائريين في تونس بين (1954م - 1955م) الذين كانوا موزعين على المساجد التالية :

- جامع صاحب الطابع : حي الحلفاويين يقيم به طلبة السنة الأولى .
- جامع الحلفاوي : بالقرب من رحبة القصبه ، يقطنه طلبة السنة الثانية ن وهو مقر المشاغبين والمضربين .
- جامع اليوسفي وهو مخصص لطلبة السنة الثالثة .
- جامع المرادي : شارع سيدي بن عروس مخصص لطلبة السنة الرابعة .

العدد الإجمالي للسنوات الأولى الأربعة يصل إلى 380 طالبا .

- مدرسة بن عبد الله الواقعة في شارع الدباغين مخصصة لطلبة السنة الخامسة وتضم 25 قسما ، تعداد الطلبة في كل قسم هو خمسون طالبا ، إذا العدد الإجمالي للطلبة الجزائريين الذين كانوا يترددون على هذه المدرسة بلغ حوالي 400 طالب .

أما جامع الزيتونة فقد خصص لطلبة السنة السادسة والسابعة ، الثامنة والتاسعة (الليسانس) كان يضم 250 طالبا جزائريا وكان الطلبة موزعين بالنسبة للسكن على

¹ -عمار هلال ، دور الطلاب الجزائريين في ثورة نوفمبر ، الشعب ، الجزائر 16/11/1985م .

² - خير الدين شترة ، المرجع السابق ، ص957 .

المدارس التالية : التوفيقية - الطبيعية - المرجانية - الحوسينية - الحبيبية - المرادية -
المنتصرية - السليمانية - جامع الجديد - الشماعية - العاشورية - القاسمية - الحفصية -
اليوسفية - الأندلسية - الدعسية - الحمصية - الصالحية - الهلالية .

الطلبة الذين كانوا يقيمون بهذه المدارس وتلك الموجودة بسيدي خالص بتونس هم
حوالي 50 طالبا ، وطلبة آخرون بتعداد 400 طالب تقريبا كانوا يقيمون في الفنادق، أما
50 طالبا آخرون فقد أقاموا في المساجد¹ .

¹ - A.N.O.M, AIX en Provence, Doc du 3/08/1958, Boite n° 450.

الفصل الثاني: النضالات السياسية للطلبة

لئن اقتصرنا مرحلة الدراسة بتونس على المساهمة الفكرية الهادفة إلى مشاغبة المستعمر، ورفض الواقع المسلط بتجنيد رجالها كل إمكانياتهم الفكرية والمادية لبلوغ هذه الغاية، فإن الشببية التي استيقظت على نداء الوطنية، وعانت آلام البعد والغربة، والخيبات وقسوة المستعمر باستعماله مختلف أساليب القمع، ولما أوهنها حال وطنها وكرامته المنتهكة فإنها قد سعت جاهدة لتخترق أساليب جديدة في المواجهة لا تختلف في القصد والغاية، ولكنها تخرج بذلك الطور من النضال القائم على القلم والمجسد في مجموعة مقالات هادفة إلى تنوير المجتمع ومخاطبة الأكثرية الجاهلة، التي لا تفقه من أمر تلك المقالات شيئا إلى طور جديد يجمع بين أسلوب الحوار بالمقالة والاستنهاض عن طريق الكتابة، وبين أسلوب العمل السياسي المباشر الذي يقوم على تأسيس الأحزاب، وإبراز المطالب الوطنية ضمن إطار قانوني يعبر عن إرادة جماعية ويبلور رغبتها السياسية .

وبالرغم من الظروف التي كان يعيشها الطلبة الجزائريون بتونس، والتي لم تكن تسمح لهم بأي عمل سياسي مباشر، فإنهم وجدوا سبيلا وحيدا، وهو الالتحام بالأحزاب الوطنية التونسية والانضواء تحت لوائها، وإكسابها طابعا مغربيا هدفه محاربة المستعمر والتصدي لخطئه الجهنمية¹.

وعلى هذا الأساس فقد أقبل عدد من الجزائريين المقيمين بتونس لولوج العالم السياسي بتزعمهم لبعض التيارات السياسية، فمنهم من كان جزائري المولد والجنسية أمثال عبد العزيز الثعالبي²، والشيخ إبراهيم أطفيش، والشيخ صالح بن يحيى، وبن الحاج عيسى أبو اليقضان، ومنهم من كان ذو أصول جزائرية استوطن آباؤه تونس أثناء الهجرات الجماعية الفارة من غزو المستعمر أمثال أحمد توفيق المدني، محمد العريبي، العيد الجباري³.

¹ - يحيى بوعزيز ، الجزائر في معركة التحرير ، الصباح ، ع132 ، ص3 .
² - La dépêche tunisienne, Le procès de si thésalibi, 24 Juillet 1904.
³ - يحيى بوعزيز ، الجزائر في معركة التحرير ، المرجع السابق، ص3 .

أولاً: الطلبة الجزائريون والحزب الدستوري التونسي :

أ- تأسيس الحزب الدستوري التونسي :

بدأت فكرة بعث تنظيم سياسي على قواعد وأهداف مضبوطة تتبلور شيئاً فشيئاً عند عدد من قدماء حركة الشباب التونسي وغيرهم ممن لهم رغبة في توحيد جهود الشعب ورص صفوفه¹، حيث قام الشيخ عبد العزيز الثعالبي في تونس بإنشاء جمعية سرية فدائية غرضها إحداث حركة تحريرية في تونس والمغرب العربي كله وكان هو رئيسها²، وإلى جانبه خمسة أعضاء، وبذلك ضمت الجمعية ستة زعماء وطنيين يتمتع كل واحد منهما بحق إنشاء فرع يضم أشخاصا تثق بهم الجمعية وترضاهم، بعد أن يستأذن من بقية أعضاء الجمعية المركزية، حيث كان الشيخ صالح بن يحيى يرأس فرع الميزابيين³، في تونس يتركب من ستة أشخاص وهما: الشيخ أبو اليقظان، الشيخ يوسف بن بكير، الشيخ عبد الله بن إبراهيم الناصر بن صالح الميلالي، عمر بن محمد بوحجام، أحمد بن الحاج إبراهيم بن كاسي، حيث يقول الشيخ بن اليقظان: " لقد كان لنا جلسة في كل أسبوع تحت رئاسة الشيخ صالح وكنا لا نعرف غيره من أعضاء اللجنة الأصلية، كان هو صلتنا بها ينقل إلينا أوامرنا⁴.

عندما توقفت مدافع الحرب العالمية الأولى، وارتفعت الحواجز وتطلع العالم كله إلى تجديد أوضاعه على قاعدة السلم وحرية الشعوب التي نادى بها الرئيس ويلسن، وانهقد عليها مؤتمر فرساي عام 1919م، جرى تجديد السعي إلى بعث معالم النهضة التونسية، وتطوير العمل السياسي في سبيل التحرير، ولقد كان الاستعداد للعمل قويا في نفوس الطلبة الزيتونيين، والفكرة الإصلاحية مختمرة فيهم، يحركها ويغذيها الأساتذة الشيوخ وفي

1 - عمر بن قفصية، أضواء على الصحافة التونسية، دار بوسلامة للطباعة والنشر، 1972، ص 127.

2 - صالح خرفي، عبد العزيز الثعالبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 67.

3 - الميزابيين الذين يعود إليهم الفضل في مساندة عبد العزيز الثعالبي وحزبه، ماديا فلولا الإعانة المالية لما تمكن من السفر إلى فرنسا حيث يذكر محمد أبو دوز في كتابه نهضة الجزائر الحديثة في جزئه الثاني، ص 38، أن الشيخ أبو اليقظان حدثه بأن الشيخ الثعالبي أخبره بأنه لولا الميزابيون الذين يمدونني بالمال لما استعظت أن أمكث في باريس أكثر من أربعة أشهر، لكنني بفضلهم عاما وأربعة أشهر للتعريف بقضية تونس.

4 - يذكر الشيخ إبراهيم أطفيش أن الشيخ صالح قام بجولة سنة 1920م في الجزائر جمع خلالها ثمانية آلاف فرنك من الميزابيين لدعم الحزب، للمزيد ينظر إلى المرجع نفسه.

مقدمتهم الشيخ محمد الصادق النيفر، والشيخ عثمان بن الخوجة، والشيخ محمد مناشرة، يسندهم الشباب المتطلع للتجديد، ومثل هؤلاء الشباب كتاب عالجوا الخطابة والكتابة في الشؤون السياسية القديمة، والإصلاح الديني والفكري والاجتماعي، وبرز منهم بصفة مرموقة محي الدين القليبي، وأحمد توفيق المدني، وزين العابدين السنوسي، والظاهر الحداد، ومحمد المهدي بن ناصر¹.

إن تأثر التونسيين بالمستجدات السياسية العربية والعالمية ليس ضربا من التخمين ولا من باب ربط علاقة بلا سند، بل إن التطورات المتلاحقة دلت على ذلك، ومنها العريضة التونسية المقدمة إلى مؤتمر الصلح التي حملها عبد العزيز الثعالبي، الذي سافر إلى باريس في شهر جويلية 1919م² والتي تضمنت مطالب التونسيين تجاه الساسة الفرنسيين، والتي أجملها في كتابه تونس الشهيدة³.

وكان الهدف من هذا العمل تنوير الرأي العام الفرنسي، واستقطاب أكبر عدد ممكن من التونسيين المقيمين بفرنسا، والمتعاطفين العرب مع القضية التونسية حيث سجل تواجده نجاحا كبيرا، وهذا ما كان يطمح إليه دائما، ونجده في رسالته التي بعث بها إلى السيد قبائلي الجزائري بتاريخ 2 أوت 1919م، يؤكد على المجهودات التي يقوم ببذلها من أجل ذلك حيث يقول: "لم آت طلبا لنزهة أو لراحة، لكنني جئتها موفدا من أمتنا المضطهدة التي كلفتني في أن أضع على بساط البحث القضية التونسية، وأن أبدأ الحديث عنها وأجهل إن كنت سأنجح أم لا، أما إذا فشلت فأظل في العالم وأهجر وطني لأنني لم أستطع خدمته كما أردت، وسوف أقتصر على العمل من أجل عائلتي التي ضحيت بها لمصلحة وطني الغالي.

¹ - محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، ط3، دار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص133.
² - كان أول اجتماع سياسي أوائل سنة 1919م بمطبعة التليلي حضره أحمد توفيق المدني، ومحمد الرياحي وحمودة المنستيري، ومحمد بن عمار، تقرر خلاله إرسال وفد إلى باريس لإسماع صوت تونس، وهو الأمر الذي تكفل به عبد العزيز الثعالبي، للمزيد ينظر شاوشي حباسي صالح خرفي، المرجع السابق، ص145.
³ - عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية (1899م - 1983م)، دار المخابر للنشر والتوزيع، ص128 وما يليها.

وبكلمة موجزة أراد الثعالبي أن يعيد إلى مواطنيه حق إدارة بلادهم مطالباً باستعادة العمل بروح دستور 1861م ، وهو اختيار أعضاء الحزب التونسي للتسمية الجديدة (الحزب الحر الدستوري)¹ .

بعد جملة من الجهود المبذولة في الميدان السياسي ، أصبح الثعالبي شخصية معروفة بباريس ، خاصة بعد انتسابه إلى اللجنة الفرنسية الشرفية ، واللجنة الفرنسية الإسلامية ، كما أسس وترأس جمعية الطلاب التونسيين واشترك مع شارل جيد في تأسيس الجمعية الفرنسية التونسية لكن الوسط الذي تحرك فيه بقوة وبحرية هو الحزب الاشتراكي الذي فشل في انتخابات 1919م فثارت قيادة الحزب التونسي ضده متدعين بأنه أساء بصلته باليسار الفرنسي لتونس ، كما أنه بعد الهزيمة تحطمت وتلاشت معنويات الأنصار التونسيين للحزب الدستوري فقد قام الشيخ صالح بن يحيى ببعث رسالة إلى الشيخ الثعالبي مؤرخة في 7 نوفمبر 1919م جاء فيها مايلي : " إن التونسيين بمجرد أن سمعوا انهزام الحزب الاشتراكي الفرنسي ، انهارت معنوياتهم وتلاشى حماسهم لمبادئهم " وفي مقابل هذا رد الثعالبي بضرورة الصمود والالتزام بالوفاء للمبادئ ومساندة الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي ساندتها من قبل حيث يقول " إنه الوحيد الذي اعترف بقضيتنا "².

في شهر فيفري قام الأمير خالد الجزائري ببعث رسالة إلى إخوانه التونسيين يحثهم فيها على ضرورة العمل والاعتماد على النفس بالكفاح والمثابرة والجهاد لزمّن طويل ما دامت مبادئ ويلسن لم تجد نفعاً³.

قامت اللجنة التنفيذية أواخر شهر فيفري بعقد اجتماعا عاما بتونس انتهى باتفاق الجميع على برنامج سياسي جديد ، تمثلت فيه المطالب الأساسية للحزب وأهدافه القريبة والبعيدة .

1 - شاوشي حباسي ، المرجع السابق ، ص 149 .

2 - يوسف مناصرية ، الحزب الحر الدستوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 52 .

3 - عبد الرحمان بن العقون ، الكفاح القومي والسياسي ، ج 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 150 .

وقد كان الشيخ صالح بن يحيى وهو الصديق القرب للشيخ الثعالبي من أعضاء الحزب المخلصين متفائلا بهذا البرنامج ففي أوائل شهر مارس بعث الشيخ صالح برسالة إلى عبد العزيز يطلب فيها رأيه بشأن المطالب الأول والمتمثل في تكوين مجلس منتخب انتخابا عاما فيه خير كثير ، حيث تكون الأغلبية للتونسيين فتسير الأمور وفقا لأرادتهم¹.

إن أهداف الحزب الدستوري البعيدة ترمي إلى تخليص البلاد التونسية من الاستعمار وتطمح إلى رفع شعبها إلى مستوى الشعوب الحرة ، وحققها في تقرير مصيرها بنفسها ، وعليه فقد عملت النخبة الجزائرية المنضوية تحت لواء الحزب إلى تسخير كل الجهود من أجل تحقيق الهدف المنشود .

ب- أسباب انخراط الجزائريين في الحزب الدستوري :

لم يكن انخراط الجزائريين في الحزب الدستوري اعتباطيا بل كان من ورائه أسبابا مختلفة : في مقدمتها ما كان يشعر به الجزائريون الذين فرضت عليهم وعلى آبائهم الهجرة في مختلف الأقطار والحرمان من الوطن والأهل فكانوا يبحثون عن الفرص الملائمة للتعبير عما يدور في نفوسهم من غضب ، وعن رغبتهم الشديدة في إظهار العصيان والمناهضة لفرنسا التي كانت سببا في ترحيلهم وتشريدهم من وطنهم ، إن لم يكن ذلك من خلال حزب جزائري بدا مستحيلا ومحظورا في مثل هذه الظروف فمن خلال حزب وطني تونسي هدفه تحقيق غاية واحدة .

ومن بين الأسباب أيضا دعم بادرة لتأسيس هذا الحزب كي تكون سابقة نضالية ، تمكنهم التمرس وكسب الخبرة لتأسيس أحزاب وطنية حينما تسمح الظروف بذلك ، كما لا يستبعد أن تكون زعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي² ذو الأصول الجزائرية هي التي استقطبت حولها معظم الجزائريين .

¹ - يوسف مناصرية ، المرجع السابق ، ص 58 .

² - حول الأصول الجزائرية للشيخ عبد العزيز الثعالبي ، ينظر إلى مقالة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، الشهاب ، سبتمبر 1937 .

ونجد من أبناء واد ميزاب¹ الدعم الكبير للحزب ، ووضع كل إمكانياتهم المادية ، والمعنوية تسخيرا له²، لأن قضية وادي ميزاب هي نفس قضية تونس ، وإحراز هذه الأخيرة على حقا يفتح الباب لإحراز ميزاب على ما تضمنته لها المعاهدة³ . فسبب هذا لانخراط والدعم الميزابي⁴ هدفه إبطال الحماية وإسقاط الأوضاع التونسية على أوضاع بعض مناطق الجنوب الجزائري الواقعة تحت نفس الأحكام والقوانين .

ج- نشاط الجزائريين السياسي والفكري داخل الحزب :

وإزاء هذه الحركة التي التفت حول الحزب الدستوري التونسي ، وتسربت إلى أجهزته التنفيذية لتباشر المقاومة السياسية وتخرج بها من طور الاستنهاض والمناوشة إلى طور أكثر تصلبا وأشد عنادا ، تتابع ظهور التيار الصحفي الفكري البحت الذي يساير بدوره هذه الحركة الحزبية، ويتمحور حولها أو يتجاوب مع أهم خطوطها ويساندها بمقالاته الأدبية والفكرية والتحريرية .

فلقد اتصف جل الجزائريين المتحزبين فضلا عن نبوغهم في المجال السياسي بالقدرة على الكتابة واشتهارهم في المجالات الصحفية بمقالاتهم الرائعة ، فهذا المناضل أحمد توفيق المدني الذي تبوء منصب رئيس قسم التحرير العربي في اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري، قام خلالها بكتابة عرائض الحزب ، وتم توزيعها عبر أرجاء القطر التونسية بغرض إمضائها وتوجيهها للحكومة الفرنسية ، والتي حررت نسخا منها بالعربية والفرنسية لا تزال محفوظة في وثائق مجلس الأمة الفرنسي لمن أراد إلقاء نظرة عليها⁵.

¹ - واد ميزاب يطلق اللفظ على سبع مدن بالجنوب الجزائري وهي غرداية ، بني يزقن ، القرارة ، بريان ، العطف ، مليكة ، بنورة .

² - أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح ، ج 1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 157 .

³ - معاهدة 1853م التي وقعت بين فرنسا من جهة وسكان وادي ميزاب من جهة أخرى ، ثم أمر الإلحاق الذي صدر عن الوالي العام للجزائر تيرمان سنة 1882م كلاهما يضعان وادي ميزاب موضع الحماية وليس موضع الاحتلال مثل باقي المدن الجزائرية وكلاهما قضايا بوضع سياسي يختلف عن القوانين والإجراءات المطبقة بكامل أنحاء التراب الوطني ، وأن بلاد حماية لا بلاد استعمار فهم يطالبون باحترام معاهدة الحماية التي جندوا لها كتونس التي تطالب باحترام المعاهدة التي أرغمت على إبرامها .

⁴ - D.A.W.C boite 203, pref de Constantine , C.I.E N°655 le21/10/1934.

⁵ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 175 .

وكان لوجود ذلك التيار الفكري الذي جسده الطلبة الزيتونيين الذين برزوا في العشرينات في مجال الكتابة دورا هاما لتعضيد ومؤازرة هذه الحركة ، وضرورة حتمية لحشد أكثر قدر ممكن من الأصوات المعارضة ن وفسح المجال للتيار الوطني الجزائري للتعبير عن مطالبه الخاصة وعلى هذا النحو بدت سياسة المواجهة أكثر تخطيطا وأشد وقعا على الاستعمار ، وأبعد مدى في رسم سياسة نضالية ذات حدين أحدهما عملي يقوم على مبدأ الانخراط في الحزب الدستوري التونسي ، والتحمس لمطالبه الوطنية والاستفادة من الشرعية التي يتمتع بها في نظر السلطة لتحريك الاتجاهات المتعاطفة مع قضية الجزائر . وثانيهما نظري غرضه بلورة الآراء والمطامح الوطنية الجزائرية في مقالات سياسية وأدبية¹ ، وقصائد شعرية بالغة العاطفة والحماس للوطن .

خلال جلسة 29 ماي 1921م برئاسة عبد العزيز الثعالبي وبحضور خمسين شخصية عقدت بمنزل الشيخ حمودة المنستيري بالمرسى ، وبعد عرض أعمال اللجنة التنفيذية الأولى دعا الثعالبي إلى وجوب انتخاب أحمد توفيق المدني أمينا عاما مساعدا للقلم العربي باللجنة المذكورة ، وهو الأمر الذي صادق عليه الحاضرون بالإجماع ، كما تقرر أيضا تعيين أحمد الصافي أمينا عاما ، والطيب الجميل أمينا عما مساعدا للقلم الفرنسي، وحمودة المنستيري أمينا للمال في حين اختار الثعالبي العضوية فقط تواضعا² .

لما تولى المدني مسؤولية الإشراف على الأعمال الداخلية للحزب ، وأسندت إليه مهمة تحرير مجمل فصول السياسة الخارجية في كل الصحف الأسبوعية التي يصدرها الحزب الدستوري ، وكان يوقع مقالاته باسم المنصور ، ولقد اشتهرت تلك المقالات وشاعت بحيث كان الكثير منها تتناقله صحف الوطن العربي ومجلاته ، وصحف بعض الدول الإسلامية كأندونيسيا ودول أجنبية كالهند.

وفي هذا الإطار السياسي المنظم ، وفي صلب حركة ذات اتجاهات وطنية إسلامية واضحة تكثف نشاط الرجل على الصعيدين الإعلامي والسياسي ، فأشرف على التحرير

¹ - سيف الإسلام الزبير ، التاريخ النضالي للصحافة الوطنية ، ع14 ، 15 ، 1393 هـ / 1973م ، 102 .

² - أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح ، المصدر السابق ، صص 175 ، 193 .

والشؤون الإدارية بمجلة الفجر التي أصدرها الحزب الدستوري منذ أوت 1920م وحتى ديسمبر 1921م فكان مقرها مركز لاجتماع قادة الحزب¹ .

والواقع أن ديناميكيته وحيويته جعلته يتبوأ مراكز هامة في إدارة الحزب الدستوري حيث كان ضمن الوفد الثالث الذي ذهب إلى فرنسا في 29 نوفمبر 1924م ليفاوض باسم عموم التونسيين للإسهام في حل القضية الوطنية ، كما كان إلى جانب عبد الرحمان اليعلاوي يقوم باتصالات في كل أنحاء تونس لجلب المنخرطين والاجتماع بهم وتحفيزهم على الثورة ضد الأوضاع الاجتماعية والسياسية ، وفي هذا السياق يقول في مذكراته : " إن اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري قد قررت في شهر سبتمبر 1921م توسيع دائرة الحزب عبر التراب التونسي وذلك بتكوين شعب للحزب ، تترجم أفكار القيادة للقاعدة الشعبية ، وقد بلغ مجموع الشعب المشكلة في منتصف عام 1925م ما مجموعه 130 شعبة عاملة " ، حيث كان يخصص لزيارتها ثلاثة أيام كل أسبوع ، وقد وجد صدى قويا وتجاوبا كبيرا لدى الجماهير لخصه بقوله : " عودوا الشعب على الكفاح القوي تجدوه في الصفوف الأولى متى نفخ في بوق الجهاد "2 .

فقد كانت نظرة أحمد توفيق المدني إلى الكفاح مخالفة لنظرة زملائه في اللجنة التنفيذية، فقد كان يؤمن بفكرة الضغط الشعبي، والمظاهرات الكبرى، والتهديد الدائم بالقوة، فهي الوسائل التي تمكن من استرجاع الحقوق في حين كان يرى زملاؤه سلوك طريق المطالبة الهادئة وتجنيد الجماهير، عبر إقناعها بلغة العقل، لتحقيق غاياتها، واستمر هذا التجاذب في الأسلوبين إلى غاية قيام السلطات الفرنسية بإبعاده إلى الجزائر سنة 1925م³ .

وفي رأي الكاتب زهير الذواذي فإن توفيق المدني رفقة الطاهر الحداد وأحمد الدرعي كانوا يمثلون الشق المتصلب للحزب الدستوري، الذي وجد نفسه خاصة مع خروج

1 - خير الدين، المرجع السابق.

2 - محمد صالح الجابري ، النشاط الفكري ، المرجع السابق ، ص 281 .

3 - أحمد توفيق المدني ، المصدر السابق ، ص 228 - 233 .

الشيخ الثعالبي من تونس معزولا نسبيا عن باقي أعضاء اللجنة التنفيذية¹ ، وصفوة القول لقد كان للدستوريين فضل إنشاء أول حزب سياسي جماهيري مهيكّل بدءا من اللجنة التنفيذية في القمة إلى الخلايا المتفرقة بتونس العاصمة وسائر مدن البلاد، وقد أظهر هذا الحزب في بعض المناسبات قدرة على تجنيد الرأي العام، وعلى تنظيم مظاهرات مشهورة كتلك التي وقعت يوم 15 أفريل 1922م بتونس مساندة للناصر باي، وفي يوم 25 مارس 1925م في مراكز متعددة من العمالة التونسية حول مسألة الإصلاحات².

وهذا الشيخ صالح بن يحيى الجزائري الذي كان من نبغاء البعثة الميزابية الأولى سنة (1917م) والذي أصبح تاجرا بعد إتمامه دراسته بجامع الزيتونة ، فتعرف إلى الشيخ الثعالبي وأصبح صديقه المقرب بعد انضمامه إلى الحزب الدستوري ، حيث تمتنت أوامر الصداقة خاصة بعد الزج بهما في السجن إلى جانب محمد الرياحي بتهمة التآمر على أمن الدولة ، وبع الإفراج عنهما في شهر ماي من سنة 1921م ، انتخب صالح بن يحيى في اللجنة التنفيذية للحزب³.

وهذا الشيخ حمودة بن الميهوب الزواوي الجزائري من كبار رجال النهضة الوطنية الصادقة الذي كان له الدور السياسي البارز في مدينة بنزرت التونسية ومن أوائل المؤسسين لشعبة بنزرت للحزب الدستوري الحر، والذي تكلف بجمع الآلاف من الفرنكات من إخوانه الجزائريين كتدعيم لمصاريف الحزب الكثيرة ، ذلك أن الجزائريون اعتبروا أن قضية الحزب الدستوري قضيتهم وانتصاره انتصارهم فاندفعوا للعمل فيه ودعموه بجهودهم السياسية والمالية والفكرية ، وكل انتماءاتهم كانت تدل على اتجاههم الوحدوي العربي الإسلامي .

1 - أحمد توفيق المدني ، المصدر السابق، ص201

2 - عبد القادر خليفي ، المرجع السابق ، ص ص 132 - 133 .

3 - قال عنه عثمان الكعاك : كانت داره في سوق اللفة ، وكان في رادس بتونس نادي وإدارة الحزب الدستوري لهذا كانت المراقبة شديدة عليه من قبل جواسيس الاستعمار، للمزيد ينظر حمادي الساحلي ، فصول في التاريخ والحضارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص430 .

ونقتصر هنا على ذكر بعض الشخصيات لنبيين انتشار أفكار الحزب الدستوري في مختلف مدن الجزائر ولنبرز شعور الجزائريين والتونسيين بوحدة الهدف والمصير ، كان بين هؤلاء السادة يعلى الحاج صالح بن محمد من منطقة أولاد هنان بقالمة ، وزكري بن سعيد، وهو تاجر بمدين قالمة أيضا وكان من أعضاء الوفد الجزائري الذي توجه إلى باريس للاحتجاج ضد قضية التجنيد الإجباري سنة 1912م ، وسيدي عيسى بن الحاج عبد العزيز التاجر بمدينة الجزائر وكان يشغل وكيل في قضية التجنيد الإجباري ، وطراشين عبد الله بن الحاج التاجر بمدينة عنابة ، وبكير بن الحاج عيسى بن بكير بن يعقوب من مدينة ورقلة ، وقارقوز حاج محمد عيسى من مدينة الأصنام ، كلهم كانوا أعضاء بالجمعية الدينية التي تأسست في تونس سنة 1870م والتي كان أغلب أعضائها جزائريين كانت تعمل على الدعاية لاستقلال القطرين التونسي والجزائري¹.

وكان من أبرز أعضاء هذه الجمعية الشيخ صالح بن يحيى والشيخ أطفيش إبراهيم بن محمد والشيخ بعلي صالح بن بعلي ، وبالرغم من تشكيكات السلطات الاستعمارية في نزاهة أهداف هذه الجمعية تقدمت بتفاسير عديدة حولها ، واعتبرتها من وحي الحركة الشيوعية العالمية ، لكن موقف الجزائريين من الحزب الدستوري ظل الدليل القاطع على وحدة الهدف والمصير².

وفي مقابل هذا ورغم ما بدلت الجماعات الجزائرية المنتمية للحزب الدستوري من الجهود لتمويه هذا الانتماء وما أظهرته من انسلاخ ظاهر ، وعدم اهتمامها بالقضية الجزائرية ، وإطنابها في جل كتاباتها على التأكيد بما يرجح مواقفها الموالية لانتماءاتها التونسية القريبة ، فإن الاستعمار الذي كان يتابع هذه التحركات بحذر لم تطل عليه كل مظاهر التمويه هذه ، ظل يبحث عن الحجج الملائمة لتسديد الضربة لكل العناصر الجزائرية التي انطوت تحت لواء الحزب الدستوري ، والعمل على إبعادهم ونفيهم³، واحدا تلو الآخر حتى لا يثير هذا الإجراء ما يمكن إثارته من حساسيات خاصة ، وحتى لا

¹ - يوسف مناصرية ، الحزب الدستوري ، المرجع السابق ، ص 71 .

² - خير الدين شترة ، الطلبة الجزائريون ، المرجع السابق ، ص 239 .

³ - محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي ، المرجع السابق ، ص 271 .

يفصح عن القصد الحقيقي الهادف إلى القضاء على وحدة أبناء القطرين الشقيقين¹ ، وضرب كل اتجاه نحو توحيد وتكتيل صفوفهما فبدأت أولا بضرب رؤوس الحركة الميزابية التي كانت متعاطفة أكثر مع الحزب ، وكان بعض أفرادها يشكلون أركاننا أساسية في هذه الحركة عملا وقولا ، فبادرت بالانتقام بعمدة الطلبة أحد الأقطاب السياسيين الذين اشتهروا بالتحريض على العصيان أمثال الشيخ إبراهيم أطفيش حيث أصدرت قرارا بإبعاده عن تونس بتهمة التواطؤ مع الحزب الدستوري ، والتدخل في الأمور التونسية ، وبهذا أصدر ديوان المحافظة قرارا بأمر من المقيم العام موجهها إلى الشيخ إبراهيم مضمونه أنه : "... إن الحكومة الفرنسية تدعوك للكف عن كل حركة عدائية، وأن تختار لنفسك أي بلد شئت خارج حدود هذا التراب"².

ومن بين الأسباب التي كانت السلطات الفرنسية تبحث عنها لإبعاد الزعماء الجزائريين ، والقيام بمثل هذه الحركات هو تصرف الشيخ إبراهيم أطفيش تجاه المقيم العام الفرنسي لوسيان سان ، وإظهار عدم الاحترام له علنا وتحقيرا في أعين الناس الأمر الذي أثار خنق المقيم العام ، فوجد في ذلك فرصة للانتقام من الشيخ إبراهيم³ ، وبموجب ذلك القرار الصادر عن إدارة محافظة أمن العاصمة التونسية غادر الشيخ تونس إلى القاهرة، بعد أن أبلغ المذكرة التي تضمنت عدم رغبة الحكومة الفرنسية في تواجده بالتراب التونسي بسبب أعماله العدائية التي كان يقوم بها ضد سلطة الحماية ، ولم تمض مدة قليلة حتى جمدت السلطات الفرنسية نشاط الشيخ صالح بن يحيى الذي كان من المؤسسين الأوائل للحزب الدستوري ، ومن أعضائه البارزين في اللجنة التنفيذية وكان بحكم صلاته الحميمة، وتأثيره المعنوي على التجار الميزابيين ، وعلاقاته الطيبة بالتجار التونسيين بحق

¹ - Hichem(Abd essamad) , La résidence Face a la question de la réforme de l'enseignement Zeytounien (1930-1933) in les mouvements politiques et sociaux dans la Tunisie dans les année 1930(actes du 3^{ème} séminaire sur L.H.M.N,Mai 1985) C.N.D.T,Tunisie1987,p799.

² - عبد الله محمد الكاملي أبو راس ، أبو إسحاق إبراهيم أطفيش ، مطبعة الشهاب ، قسنطينة ، 1966 ، ص 41 .

³ - يذكر أبو راس عبد الله ، أنه أثناء قيام المقيم العام لوسيان سان ، بجولته في أحياء المدينة ، كان الشيخ إبراهيم جالسا أمام باب دكان معد لبيع الآثار القديمة ، ولم يأبه له بالرغم من الإشارات المتكررة من أصحاب الدكاكين الذين عرفونه ، يطلبون منه القيام للمقيم شأن بقية الناس القائمين ، لكنه صمم على الجلوس ، قائلا : لا يجوز للمسلم أن يقوم لمشارك على جهة التعظيم ، للمزيد ينظر عبد الله محمد الكاملي ، المرجع السابق ، ص 41 .

ملاذ الحزب في الأزمات المالية ، فكثيرا ما وفق الشيخ صالح في جمع المال للحزب، حيث أحسن استغلال علاقته بزملائه التجار الذين كان يشتهر بينهم بالصدق والنزاهة والوطنية .

توالى بعدئذ قرارات الإبعاد الصادرة بحق الجزائريين المنخرطين في عضوية الحزب الدستوري ، وقد شملت سنة 1925م هذه القرارات عنصرين تولوا مراكز قيادية في الحزب وهما الشيخ أحمد توفيق المدني الذي صدر قرار إبعاده عن تونس يوم 1925/6/6م.

د- انقسام الحزب الدستوري :

ظهرت بوادر الخلاف بين أعضاء الحزب الدستوري ، فانقسم الحزب إلى قسم مؤيد يرى ضرورة المطالبة بالدستور ، وقسم معتدل يتزعمه حسن قلاتي يرى ضرورة قبول إصلاحات لوسيان سان، حيث استقل حسن مع أنصاره وقاموا بتأسيس الحزب الإصلاحية في شهر فيفري سنة 1921م¹.

عن هذا الانشقاق يتحدث الثعالبي قائلا : "... وحرصت في وضع هذه المطالب على أن أضمنها جميع رغبات التونسيين المعتدلين منهم والمتطرفين ، فصادفت هوى في نفس مختلف الطبقات ، فانظم إلى الحزب الحر الدستوري جميع أصناف الناس ، ولم يبق خارجه إلا أفراد في نفوسهم حزازات صبغوها صبغة سياسية ، وشكلوا بينهم بعض الشخصيات الممتازة وعلى الأخص المحاميان الأستاذ حسن قلاتي وهو جزائري ، ومحمد بن نعمان وهو تونسي².

¹ - المركز الوطني لتأهيل ورسكلة الإطارات الجهوية ، تاريخ الحركة الوطنية ، المطبعة الرسمية التونسية ، تونس ، 1999م ، ص 17 .

² - صالح الخرفي ، الثعالبي ، عبد العزيز الثعالبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ص 172 .

قد تكونت بين الحزب الإصلاحى¹، والإقامة العامة علاقة تعاون أضعفت الحركة الوطنية فأيد الحزب الإصلاحى إصلاحات المقيم العام فى جويلية سنة 1922م².

والواقع أن سلطة الحماية استغلت الوضع فحولت الصراع بين التونسيين أنفسهم، غير أن الحزب الدستورى وحفاظا منه على وحدة الصف أوفد عقب اجتماع داخلى لأعضائه فى 17 جوان 1921م الشيخين الصادق النيفر وعبد الرحمان الكعاك لاستدعاء جماعة قناتى ومناقشة قضية الخلاف، لكن حسن امتنع عن الاجتماع مع بعض رجال الحزب الدستورى لاتهامهم له بالتردد على الإقامة العامة³.

هـ- مغادرة عبد العزيز الثعالبي تونس باتجاه المشرق :

لقد كان الأمير محمد الحبيب صديقا لرجال الحركة السياسية فكانت أوراقهم ووثائقهم كلها محفوظة فى بيته، لكنه بعدما اعتلى العرش وأصبح بايا اختلف الأمر عما كان عليه، فلقد أدت مصادقته على إصلاحات لوسيان سان إلى خلق الخلاف بينه وبين الشيخ عبد العزيز، خاصة بعدما وعده بعدم التوقيع عليها وما كان من الحبيب باي إلا أن يهدد الشيخ الثعالبي بكشف الأوراق التى كانت بحوزته، هذا ما جعل الحزب يقرر حتمية سفر الثعالبي للمشرق خدمة للقضية التونسية⁴، هنا أحس الثعالبي باليأس ولم يجد خيارا سوى مغادرة البلاد فى 26 جويلية 1923م⁵.

لقد أعطى الثعالبي لتونس حقها، ووضع كل أسس نهضتها ثم فارقها فى رحلته الأخيرة ليعطى حق المشرق والعروبة والإسلام، فكان نظام العقد وعنوان الوحدة وروح

¹ - يذكر حسن قلاتى فى مقاله (المسألة التونسية، جريدة تونس الاشتراكية، 28-8-1921) : سبب الخلاف هو تنافر شخصى بين الثعالبي وأحمد الصافى من جهة، ومحمد نعمان وحسن قلاتى من جهة أخرى... ثم عاب الإصلاحيون على الثعالبي ورفاقه العمل حسب إرادة القيادة واتهموهم بالاستحواذ على أموال الحزب. للمزيد ينظر:

- Kariem (M),Le parti réformiste Tunisien (1920-1926) R.H.M,n°4 Tunis :Juillet 1975.p58 .

² - خير الدين شترى، المرجع السابق، ص232.

³ - قام قلاتى بتأسيس جريدة البرهان شن فيها حملات واسعة ضد الحزب الدستورى لكنه رغم ذلك بقي مهجورا، والسبب فى ذلك هو وقوف الشعب الدستورى فى تونس كلها، إضافة إلى تفضيله الجانب الاقتصادى على الجانب السياسى، حيث بدأ يفقد أنصاره تدريجيا إلى حين انتخابات المجلس الكبير التى أجريت سنة 1926م، والتى انهزم فيها، فانحل حزبه، للمزيد ينظر يوسف مناصرية، الحزب الدستورى، المرجع السابق، ص188.

⁴ - علال الفاسى، الحركات الاستقلالية، المرجع السابق، ص67.

⁵ - الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص20.

الاتصال والعلم الإفريقي الخفاق الذي لفت أنظار الشرق إلى الشمال الإفريقي وإلى تونس عروس ذلك الشمال¹.

و- نشأة الحزب الدستوري المستقل :

لقد نشأ الحزب في شهر نوفمبر سنة 1922م ، وكان من بين الأعضاء المؤسسين للحزب حسن النوري الجزائري، الذي أنيطت به مسؤولية الإشراف على الشبيبة الدستورية كما أشرف على حركة العمل ببنزرت ، من ذلك أعمال الإصلاح الاجتماعي ، والسهر على المشاريع الخيرية ورعاية جمعية النهضة التعليمية .

تحمل حسن النوري ورفيقه الحبيب بوقطفة ، مسؤوليات الحزب العديدة وعملا على استقطاب كل الوطنيين الصادقين في العمل الحزبي دون مراعاة لانتماءاتهم الاجتماعية أو اتجاهاتهم الفكرية².

بعد المظاهرة الكبرى التي نظمها الحزب الدستوري سنة 1925م ضد تنصيب تمثال الكاردينال لافيغري قامت سلطات الحماية باعتقالات واسعة في صفوف الوطنيين ومدبري هذه المظاهرة أمثال عبد الرحمان اليعلاوي والمكي أبو شامي ومحمد أبو شامي وأصدرت أمر بسجنهم في الجزائر .

بمجرد بروز الحزب الجديد في حلته الجديدة مع الاعتماد على أفكار الثعالبي التي اتخذها خلفاؤه من بعده كركيزة أساسية للعمل السياسي ، حتى أعلن محمد العيد الجباري الجزائري انضمامه بصفة رسمية للحزب حيث أوكلت له المهام الإعلامية والتنظيمية ، وأصبح مشرفا على إدارة جريدة (العمل) اللسان الرسمي للحزب الدستوري الجديد ، وفي 5 جويلية سنة 1937م نزل الشيخ الثعالبي بتونس في وقت بلغت فيه سمعة قادة الحزب

1 - الشهاب ، ج7 ، مج 13 سبتمبر 1937م.

2 - حمادي بن حماد ، رجالات من زمن الكفاح ، منشورات المتوسط ، تونس ، 2004م ، ص30 .

الدستوري الجديد أوجها ، وكان الحبيب بورقيبة يمسك في قبضته أربع مائة من الشعب الحزبية بخلاف الحزب الدستوري القديم ، الذي كانت تبدو عليه علامات التبحر¹ .

قد حاول الثعالبي أن يوحد من جديد بين الحزبين القيم والحديث تحت قيادة واحدة، لكن بورقيبة كان مناوئا لفكر الثعالبي ذو الصبغة الدينية التقليدية في نظره ، فطالب بتحكيم الجماهير الشعبية مما اضطر الشيخ الثعالبي إلى الرجوع على أعقابه واقتصر عمله في دائرة جماعات ضئيلة العدد²، كما أن إبعاد بورقيبة للثعالبي كان له أهداف بعيدة تمثلت في تونس والإطارات المسيرة للحزب الدستوري ، ومحاولة إنهاء دور غير التونسيين داخل الأجهزة المهمة في الحركة الوطنية ، وبالأخص الجزائريين في المعركة السياسية التونسية، ولعل خير دليل هو ما ذكره أعضاء اللجنة التنفيذية للشيخ الثعالبي عندما توسط للخلاف قائلين : "... طبيعي أن يجد حراس الاستعمار في اجتماع قواهم لمراقبة الحزب من مختلف النواحي ، والدخول معه في كفاح مستمر ومما يدخل في ذلك القيام بنشر الدعايات المختلفة ضد العاملين ، وخلق التهم الراضية بهم ، فقد رأينا طفيليين عديدين ينفثون تلك السموم القاتلة في المجتمع التونسي ضد الحزب بلا انقطاع ، يبعد ما يلقونه يوميا من أثر فعال في البيئات التونسية المختلفة البعيدة عن الحزب ، وكذلك إقصاء العناصر الرشيدة عن الحركة إقصاء تاما فقد كانت الحكومة تتعقب العاملين في الحزب داخلا وخارجا ، وتبعدهم عن مراكز النشاط والعمل"³ .

انقسم الحزب الدستوري القديم إلى شقين قسم تزعمه عبد العزيز الثعالبي وكان إلى جانبه الشاذلي خزندار ، والسيد علي كاهية فكانوا يروا ضرورة تضامنهم مع الحزب

1 - خير الدين شترة ، المرجع السابق ، ص 235 .

2 - شارل أندري جوليان ، إفريقيا الشمالية تسير ، المرجع السابق ، ص ص 110-111 .

3 - عبد العزيز الثعالبي ، كلمة إلى الشعب التونسي إزاء حملة الصحف الاستعمارية الأثمة ، الشهاب ج 6 ، مج 13 ، الجزائر 1356هـ / 1937م .

الجديد وقسم آخر كان لا يريد التضامن مع الحزب الجديد تزعمه الشاذلي خلادي ، وصالح فرحات ومنصف المنستيري كان ذلك سنة 1938م¹.

ز- امتداد نشاط الحزب الدستوري إلى بعض ولايات الجزائر :

في شهر جانفي من سنة 1935م قام المقيم العام بتونس بيرتون بتدبير عملية اختطاف للناشط السياسي الجزائري حسن النوري بعدما أصبح تواجهه بتونس يشكل مصدر قلق للسلطات الفرنسية، ليتم نفيه بعدها إلى الجزائر موطنه الأصلي، انضم حسن النوري في هذه الأثناء إلى حركة نجم شمال إفريقيا التي بسطت نشاطها في الجزائر مطلع سنة 1936م بقيادة الزعيم الجزائري مصالي الحاج، حيث دأب النوري على حضور الاجتماعات التي كانت تنظمها الحركة، ورغم الحراسة التي فرضتها السلطات الاستعمارية إلا أنها لم تحد من نشاطه السياسي بل زادت عزمه في مواصلة الجهاد في سبيل القضية التونسية الجزائرية ، حيث قام بتأسيس جمعية أطلق عليها اسم التحرير الإسلامي للشمال الإفريقي ، كما قام بتأسيس فرع لها في مدينة قالم².

لم يلبث حسن النوري طويلا بالجزائر لأن المقيم العام بيرتون استبدل بمقيم آخر آرمان قيون يوم 21 مارس 1936م الذي أمر بإطلاق سراح جميع الموقوفين والعفو عن بعض المنفيين الذين كان حسن النوري من بينهم ، وعقب عودته إلى بنزرت بادر حسن باقتحام العمل النقابي فالتحق بالجماعة العامة للعمال التونسيين ، وقام بتأسيس الإتحاد النقابي في 15 سبتمبر 1937م ضم حوالي ستة عشر نقابة عن مختلف المهن ، وقد احتل هذا الإتحاد الصدارة في تركيبة الجامعة النقابية الفتية إلى جانب نقابات تونس³.

لقد كانت مسيرة حسن النوري السياسية حافلة بالأعمال السياسية ، ومن أهم الأعمال التي أثارته نغم السلطات الفرنسية عليه ما يلي :

¹ - عبد العزيز الثعالبي ، الكلمة الحاسمة ، تحقيق حسن أحمد جغام ، منشورات دار المعارف، تونس، 1989م ، ص 35-36 .

² - حمادي بن حماد ، رجالات ، المرجع السابق ، ص 113 .

³ - نفسه، ص 114 وما يليها .

- تنظيم اجتماع رحبة الغنم ببنزرت في يوم 23 أوت سنة 1936م ضم قرابة ثمان مائة شخص .
- شارك في يوم 19 سبتمبر 1936م تشييع جنازة المفتي الجزائري دريس الشريف ببنزرت فكان يوما مشهودا بقيادته جماعات الشبيبة التونسية .
- أشرف على تنظيم إضراب عام للعمال النقابيين ببنزرت في يوم 22 جويلية 1936م احتجاجا على الأوضاع المهنية المتردية .

في شهر جويلية من سنة 1937م ألقى القبض على حسن النوري بتهمة التحريض على العصيان وتنظيم الإضرابات المتكررة طيلة السنة المذكورة ولما وصل الخبر إلى العمال ثارت ثائرتهم، وقاموا بتنظيم تظاهرة سلمية رفعت فيها لافتات كتبت عليها الشعارات التالية: " نموت ويحيى النوري " ، " ماؤنا وأرواحنا فداك يا نوري " ، لكن رغم ذلك أصرت السلطات الفرنسية بسجنه لمدة شهرين بالسجن المدني الكائن ببنزرت ، وفي شهر جانفي من سنة 1938م وبعد أن خرج من السجن قضت الإدارة العامة مجددا بنفيه إلى الجزائر ، حيث ستواصل السلطات الفرنسية نقمها عليه بتهمة التحريض على التمرد والعصيان ، وستلقي به بالسجن العسكري بالحراش¹.

وتواصلت موجة الاعتقالات والنفي مستهدفة أهم العناصر الجزائرية التي برزت كقوة سياسية أثناء فترة الثلاثينات ، ففي يوم 14 أفريل من سنة 1938م تم إلقاء القبض على مصطفى القاسمي الذي كان يشغل منصب أمين مال الشعبة الدستورية وقضت بنفيه خارج تونس ، لكن هذا لم يمنعه من التواصل مع أصدقائه السياسيين الذين كان على اتصال دائم بهم²، لكن هذا التعتت المسلط على الجزائريين والذي كان بصفة دائمة لم يمنع العناصر الجزائرية من الوقوف إلى جانب إخوانهم التونسيين بل كان العكس ، دائما فيه حضور مميز للقادة الجزائريين ، فهذا بوطالب أحمد المناضل النقابي ، والناشط السياسي الذي كان له دورا بارزا في النقابة التونسية ، وكان من بين أعضاء الوفد التونسي الذي

¹ - حمادي بن حماد ، رجالات ، المرجع السابق، ص132 .

² - نفسه، ص82 .

شارك في مؤتمر الجامعة العالمية للنقابات الحرة ، الذي تقرر خلاله عضوية الإتحاد العام للعمال الجزائريين¹.

وفي سنة 1940م أوردت المخابرات الفرنسية أنه أثناء المرحلة السرية لنشاط الحزب الدستوري ، كان المكتب السياسي السادس بقيادة الحبيب تامر، اتصالات مع الشخصيات السياسية في كل من عنابة وقسنطينة خلال شهري مارس وأفريل ، لعب خلالها الناشط الجزائري أبو شوشة صلاح الدين دور المنسق بين قادة الشعبين التونسي والجزائري ، وأشار المصدر ذاته قائلا : إن الأمور اختلطت علينا بين جماعة الدستور والجماعات الجزائرية السياسية ، وأن هناك منشورا متداولاً في تونس بتوقيع زعيم الشعب الجزائري مصالي الحاج².

تألفت الهيئة الاستشارية التي كانت تعمل إلى جانب الحزب الحر الدستوري الجديد من سياسيين تونسيين أمثال علي البهلوان وسليم المنجي ، ومن أعضاء جزائريين أمثال بوشوشة صلاح الدين ، وكانت الهيئة تقوم بعقد اجتماعات سرية للبحث أكثر في شأن القضيتين التونسية والجزائرية ، وإعطاء نفس للحركة المغاربية ، حيث وجهت نداء إلى شباب شمال إفريقيا تدعوه إلى التضامن وتوحيد الجهود لتحرير الشمال الإفريقي قامت بنشره جريدة تونس الفتاة لسان شباب شمال إفريقيا في عددها السابع عشر الصادر في يوم 9 أوت 1939م³.

تنبهت السلطات الفرنسية لنشاط الهيئة الفتية وسلطت عليها مختلف أساليب القمع والاضطهاد ، ولما كان بوشوشة صلاح الدين من أعضاء الهيئة البارزين والناشط بخلايا الحزب السرية قامت السلطات الاستعمارية بإلقاء القبض عليه رفقة مجموعة من أصحابه وزجت بهم في سجن لامبيز⁴.

¹ - Le bjaoui (M), Vérité sur la révolution Algérienne, Paris, ed Gallimard, 1970, p37.

² - - Le bjaoui (M), Vérité sur la révolution Algérienne , Op cit. p38.

³ - الجامعة التونسية ، بناء المغرب العربي ، سلسلة الدراسات الاجتماعية ، المطبعة العصرية ، تونس ، 1983م ، ص 19

⁴ - خير الدين شترة ، الطلبة الجزائريون ، المرجع السابق ، ص 278 .

ثانياً: منظمة الصداقة للجزائريين بتونس

تم الاعتراف بهذه الجمعية في 8 مارس 1937 هدفها تقوية الصداقة بين أعضائها، ومساعدة المحتاجين من الطلبة الجزائريين.

في سنة 1936، الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء الجزائريين كلف حسان بوجدره صاحب "مقهى الجزائر" في باب السويقة بتونس ليجمع مجموعة لخلق التضامن مع الأطراف السياسية التونسية. وكان بوجدره متخوفاً من انفكاك نجم شمال إفريقيا وأخذ القياسات فيما يتعلق بحركته، حيث اختلفا في الإنشاء فترك الرئاسة لصديقه حليش زين بن محمد خياط بباب السويقة¹.

إن حقيقة "الصداقة للجزائريين" ليس شيئاً آخر رغم مظاهره الخيرية كتابع لنجم شمال إفريقيا الهادفة إلى إيقاظ الأحاسيس الوطنية للجزائريين. الصحافة الجزائرية أعلنت إنشاء المجموعة بدون البحث عن هدفها، ولكن الجريدة التونسية في عددها 12-25-1936 دقت على أنها عبارة عن إنشاء لحزب جزائري تابع لنجم شمال إفريقيا، هذا الإدراج لم يتسبب في أي رد من طرف موجهي "الصداقة"، وبالمقابل اتصالات متكررة كانت تتم بين بائع الكتب التميمي الساكن بتونس، وقادة جمعية العلماء الجزائريين.

في أبريل 1938، بعد الأحداث الدموية، دستوريين جزائري الأصل تم نفيهم من تونس، والآن يوجد عدد كبير من الفرنسيين المسلمين الجزائريين الناشطين داخل منظمة الحزب الدستوري الجديد.

الرئيس الشرفي لـ"الصداقة" المحامي حسان قلاتي كان مع الثعالبي، أحد الأعضاء المؤسسين للحزب الدستوري القديم، والذي تركه لينشئ الحزب الإصلاحي².

¹ - A.N.O.M. Aix en Provence, doc n°202, boîte 4705.

² - Ibid.

الرئيس الحالي علي مرداسي الطبيب القديم في مستشفى "صديقي" الموجود بسوق
العربة حاليا، موجه لسنة 1948 في باريس لجمعية الطلاب الجزائريين لشمال إفريقيا
و عضو للمكتب الفدرالي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية.

لقد ألقى كلمته أثناء التظاهرات المنظمة من طرف الحزب، بصالون نجرام في 25
مارس و 16 أبريل 1948 للاحتجاج على اعتقال الناشطين الوطنيين الجزائريين
بالجزائر¹.

يتعلق الأمر بانفصالي قوي لبق في عمله الوطني، من بين أعضاء المكتب:

- رزقي عوادي ناشط بالاتحاد العام للعمال التونسيين من أصل توات.
- محمد عبد الرحمن باع للجلد من الجلفة متعاطف مع حزب الشعب
الجزائري.
- مسعود مقاش، فلاح بباجة، الذي كان يبحث عن فلاحين تابعين لوطنه
يمكنهم على الأرجح أن يقوموا بإيواء الطلاب الجزائريين من الأوراس أثناء
العطلة.

إذا كان نشاط الجزائريين بتونس يستقطب حول جمعية الطلبة الجزائريين
الزيتونيين، ومنظمة الصداقة فإن المنظمة الأولى التي استفادت من مساعدات جدية وبالتالي
أصبحت هدفا لصراعات هامة لتصل للرئاسة².

إذن علينا إتباع تطور هذه الصداقة التي قامت بإنشاء فصائل في بعض المراكز مثل
ماتور، باجة، بنزرت، تابو غسوك.

¹ - A.N.O.M. Aix en Provence, doc du 15 juin 1955, boîte 4705.

- ينظر للملحق رقم 03

² - A.N.O.M. Aix en Provence, doc n°202, boîte 4705.

- للاطلاع ينظر للملحق رقم 03

تم الاجتماع العام لتمثيل الصداقة للمسلمين الجزائريين بتونس في 3 أبريل 1955
"بروضة الأنس"، اللجنة التوجيهية متكونة من:

- الرئيس الشرفي: حسان قلاتي.
- الرئيس الناشط: الدكتور علي مرداسي.
- نائب الرئيس: يوسف قلاتي / أحمد بلونيس.
- الأمين العام: محمد بن طيب.
- مساعد الأمين العام: زريقي عوادي / علي الكور.
- أمين الخزانة العام: محمد عبد القادر.
- مساعد: ناجي كوبي / محمد بشير صواي.
- مراقب: مسعود مقراني.
- المقيمين: الأنسة جميلة لخضراوي / أحمد بوضياف / أحمد بلعربي / محمد عبد الرحمن / العربي جدلي.¹

المكتب المنشأ حديثاً لصداقة الجزائريين بتونس قدمت الشاي يوم 28 ماي 1955
في مقهى "تونس بلاص" بمناسبة عيد الفطر.

في هذا الاحتفال الذي حضرته شخصيات سياسية وعسكرية، فرنسيين ومسلمين
وكذا جزائريين آخرين آتين من الخارج.

في كلمة مختصرة الدكتور مرداسي علي تطرق باختصار إلى نشاط الهيئة والصداقة
في الميدان الاجتماعي، التعاوني وطلب من تابعيه أن ينتموا بكثرة إلى هذه الصداقة.

إن نشاط المسلمين الفرنسيين الجزائريين بالجزائر والساكنين بتونس مراقب بشدة
من طرف المصالح المختصة، كما أن تحقيق عام ومراقبة صارمة تتم الآن.²

¹ - A.N.O.M., Aix en Provence, même doc.

² - A.N.O.M. Aix en Provence, doc n°202, p 9, boîte 4705.

وتخلص الوثائق الأرشيفية التي قدمنا فيه ظهور منظمة أو هيئة الصداقة للجزائريين التي لم نجد لها كتابات أو ذكر في الجرائد التي اطلعنا عليها سواء في أرشيف تونس أو أرشيف ما وراء البحار، إلى الاستنتاج التالي:

المنظمة الثانية المهمة (أي بعد جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين) هي الصداقة لجزائريين في تونس، والتي تقوم بأعمال خيرية فهي تهتم بالجزائريين المحتاجين وخاصة الطلبة.

بعض أعضاء اللجنة الإدارية يرتئون أن تجمع الجزائريين يعتبر حركة مهمة في الميدان السياسي، الجزائريين الذين ينتمون إلى الانتخابات الأخيرة للمتوسطة الفرنسية، يستطيعون أن يفرضوا عدد المقاعد الذي يتناسب مع النسبة المئوية للمنتخبين أثناء الانتخابات المقبلة، ولكنهم لا يستطيعون أن يفرضوا هذا الرأي إلا إذا كانوا موحدين ومنظمين، وهنا نجد مناورة مهم تتبع مناورة خطيرة، وحتى الإدارة فستكون بين أيدي شخصيات مشبوهة¹.

ثالثاً: الطلبة الجزائريون وعلاقتهم بالتنظيمات السياسية :

كان الطلبة في بداية الأمر مهيكليين مع جميع الفئات الأخرى، ثم عمد التنظيم السياسي لجهة التحرير الوطني إلى إعادة الهيكلة و أنشئت بمقتضى ذلك جهة خاصة بالطلبة، تتكون من لجان على رأس كل منها مسؤول، كلجنة التنظيم ولجنة الشؤون الاجتماعية، واللجنة السياسية، ولجنة الدعاية والأخبار .

ومن مظاهر نشاطهم مساهمتهم في تحرير لسان حال جبهة التحرير الوطني جريدة المجاهد ، ومساهماتهم في بث وإعداد وقراءة حصة صوت الجزائر من تونس²، إضافة إلى نشرهم مقالات وقصائد عن بطولات المجاهدين ، وملاحم الثورة في الجرائد التونسية ،

¹ - A.N.O.M., Aix en Provence, même doc.

- ينظر الملحق رقم 05.

² - منهم عيسى المسعودي ، محمد بوزيدي ، لامين بشيش ، العربي سعدوني ، للمزيد ينظر عبد القادر نور ، الإعلام عبر الوسائل السمعية للثورة الجزائرية ، أعمال الندوة الفكرية العاشرة ، محمد الأمين لعمودي ، الوادي ، ص 81 .

هكذا فإن الطلبة في تونس كانوا إلى جانب التحصيل العلمي المعرفي يقومون بنشاط مكثف للتعريف بالقضية الجزائرية ، والمساهمة في مجالات مختلفة لدعم الثورة ، ومن نشاطاتهم أيضا المشاركة في إلقاء المحاضرات ، وتنظيم موائد مستديرة ، والمساهمة في مهرجانات محلية ، وتنظيم مقابلات رياضية ، والاتصال بالصحافة التونسية والعالمية ، وعرض المسرحيات ، وتنظيم سهرات فنية ، والتكفل بالمحتاجين ، واستقبال وفود الطلبة الجدد القادمين من الجزائر، هذه الأعمال التي كان يقوم بها الطلبة تعبر عن مدى تجاوبهم مع ما كانت تشهده البلاد من ثورة ضد المستعمر ، حيث أننا لاحظنا التحاق العديد منهم بالمهام الموكلة إليهم ، والقيام بواجبهم في إطار الثورة العام ، إلى جانب الشرائح الاجتماعية الأخرى التي كانت تقوم بالدور المنوط بها أيضا¹.

لقد ورد في تقارير الشرطة الخاصة بالطلبة الجزائريين وجمعيتهم بمركز أرشيف ما وراء البحار ما يلي : جمعية الطلبة في المسجد الأعظم : هذه الجمعية ترمي إلى إنشاء الصداقة المتينة بين الطلبة الجزائريين من أجل تلاحمهم ومساعدة المعوزين منهم ، وهي تشكل منذ نشأتها مدرسة ممتازة للإطارات ، ومصدر للمعلومات والمعرفة لحزبي حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، وحزب الشعب اللذان تنتسب إليهما .

وتوجد علاقة ثابتة بين جمعية الطلبة الزيتونيين والمكتب السياسي لحركة انتصار الحريات ، عبد الحميد مهري الرئيس السابق للجمعية المطرود من تونس ومحفوظي محمد المدعو عبد القادر (طالب سابق في الزيتونة) هما عضوان برئاسة حركة الإنتصار ، يتلقيان دوريا تقارير من إعلاميين من مجموعة الحركة في الزيتونة ، كما أعلن محفوظي أمام مسيري حركة الانتصار أنه نصب شبكة من الإعلاميين وأعضاء التنسيق في كل أرجاء تونس ، وأن المكتب السياسي سيزود بمعلومات مستفيضة عن كل ما يجري .

¹ - محمد السعيد عقيب ، الطلبة الجزائريون في الأقطار العربية ، عصور الجديدة ، المرجع السابق ، ص 81.

قاسم سليمان بن شريف روزيق المدعو زريق قاسم إلتحق بعبد الحميد مهري في 1952م ، لكنه طرد من تونس هو الآخر في عشرين أبريل 1953م بسبب نشاطه المشبوه¹.

وقد ترأس مكتب جمعية طلبة المسجد الأعظم عبد الحميد بن هدوقة الذي هنأته منظمة تحرير شمال إفريقيا من أجل نشاطه في المجموعة ، كما أن بن هدوقة بدوره كان يتلقى تعليمات من قبل حزب الشعب وحركة الانتصار الحريات الديمقراطية .

كما أسس المكتب الجديد في 24 ديسمبر 1954م عل النحو التالي :

- الرئيس الجنيدى خليفة .
- نائب الرئيس عسواق أحمد بلقايد .
- الأمين العام جغاب علي بلحاج .
- مساعد الأمين عيسى مسعودي محمد .
- القابض شعيب محمد بشير .
- مساعد القابض عمراوي الطاهر .
- مراقب صخري رشيد .

لأعضاء الاستشاريين : بلعيطه عمار بن محمد - بن ثريدي عبد الرحمان - بن يحيى شريف أحمد - يحيى بوعزيز - بولصباغ مسعود - عسواق أحمد نائب الرئيس في المكتب القديم استقال لحساب الجنيدى خليفة².

في ربيع 1957م تحولت الجمعية إلى فرع تابع للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وكان الطالب محمد العساكر ضمن اللجنة التي أنشئت بالتنسيق مع عمار أو عمران ممثل لجنة التنفيذ والتنسيق ، رفقة محمد الأخضر ، وعبد القادر السائحي .

¹- A.N.O.M.Boite n°4507،Dossier n°5،situation des étudiants Algériens en Tunisie entre les années 1954-1955

²- Ibid .

وكان عبد الرحمان شريط أول رئيس لفرع الإتحاد بتونس ، وكان طلبة البعثة الميزابية قبل ذلك على صلة طيبة بطلبة بعثة جمعية العلماء المسلمين ، وحزب البيان ، وبطلبة حركة الانتصار كذلك أمثال الجنيدي خليفة ، ورشيد سحري ، وعبد القادر الشلالي، وابتداء من خريف سنة 1957م حل بتونس المناضل الطيب علال الثعالبي ، الذي كان مكلفا باستكمال بناء المنظمة المدنية لجهة التحرير الوطني ، فاستعان بالطالب محمد العساكر على المستويين العام والطلابي : فعلى الصعيد العام أصبح ينشط ضمن ناحية باب البحر ، حيث يساهم في تأطير المناضلين العاديين في جبهة التحرير هناك¹ .

وعلى الصعيد الطلابي أصبح منسقا لقسم الطلبة بالناحية ، وعضوا بمجلسها في نفس الوقت ، حيث أصبح يحضر اجتماعات المنطقة التي كان يرأسها مناضلون بارزون أمثال إبراهيم حشاني وحميدة بليلي .

وكان للطيب الثعالبي نشاط واسع ومجهود عظيم يعود الفضل إليه في إقامة هياكل المنظمة وتحسين أدائها ، حيث استفاد محمد العساكر من خبرات هذا القائد المنظم ، وكان يعقد لقاءات شهرية بالنواحي ، ويجتمع دوريا بممثلي الطلبة ليلخص لهم الموقف السياسي بمختلف جوانبه .

وفي شهر أفريل من سنة 1958م أسندت مهام الشؤون الاجتماعية والثقافية في لجنة التنسيق والتنفيذ إلى المناضل عبد الحميد مهري ، فاستقدم المناضل بلعيد عبد السلام ، وكلفه بشؤون الطلبة على مستوى دائرته ، وقد أخذ الطالب محمد العساكر يتصل به في شؤون الطلبة البيداغوجية والاجتماعية ، وقد أقام عبد السلام نظاما حقيقيا لإدارة شؤون الطلبة .

وغداة تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة في 19 سبتمبر 1958م ، آلت شؤون الطلبة الثقافية إلى أحمد توفيق المدني²، وأصبح محمد العساكر مسؤولا عن إدارة شؤون

¹ - محمد عباس ، محاولة تلحين قسما بتونس ، الشروق ، ع2535 ، 17 فيفري 2009 م / 21 صفر 1430 هـ ، ص21

² - تطرق الشيخ أحمد توفيق المدني وزير الشؤون الثقافية في الحكومة المؤقتة الأولى في تقريره إلى دورة المجلس الوطني للثورة الجزائرية التي انعقدت بطرابلس من 16 ديسمبر 1959م إلى 18 يناير 1960م ، إلى نشاط وزارته من=

الطلبة حيث يزاول نشاطه انطلاقا من مكتبه بمجمع مندوبيات الحكومة المؤقتة بتونس والتي كان مقرها الرئيسي لا يزال بالقاهرة ، وعندما انتقلت الحكومة إلى تونس في غضون النصف الثاني من عام 1959م ، أصبح يعمل مباشرة تحت إشراف بلعيد عبد السلام المسؤول الوطني عن الشؤون الطلابية .

- علاقة بعض الطلبة بالإدارة الاستعمارية:

في الوقت الذي كان فيه الطلبة الجزائريون بتونس على اختلاف انتماءاتهم السياسية يعملون بكل ما في وسعهم على إعلاء كلمة الحق، ومحاربة فرنسا بكل ما أوتوا من قوة، يعملون سرا وعلانية لمناصرة قضيتهم الوطنية والدفاع عن حقوق شعبهم المغصوبة، ويحاولون بكل الوسائل والطرق الممكنة لمجابهة المستعمر الغاشم الذي ساد البلاد فاستعبد العباد في عقر دارهم، كان هناك طلبة يعملون لصالح فرنسا العدو، متعاونين معها ضد إخوانهم يطلعون الإدارة الفرنسية بكل ما يحدث وكل ما يصدر عن الطلبة الجزائريين وعن كل تحركاتهم وتصرفاتهم مقابل فرنكات لا تسمن ولا تغني من جوع، وهذه بعض الرسائل التي قمنا بإعادة كتابتها كما وجدناها بصورتها الأصلية في أرشيف ما وراء البحار تحكي عن واقع أولئك الطلبة بحقيقتهم المخزية والنموذج الذي بين أيدينا لطالب كان يوقع كتاباته بحرفين باللغة اللاتينية وهما¹(K.M).

حيث ورد في رسالته التي كتبها بتاريخ 8 أبريل 1954م:

الحمد لله وحده.

=أكتوبر 1958م إلى نوفمبر 1959م ، وكان من الطبيعي أن يذكر مندوب وزارته الأستاذ محمد العساكر الذي يقول عنه : كان يرعى شؤون سبع مائة طالب موزعين بين مختلف درجات التعليم ، فيقوم من أجلهم بالمساعي مع مختلف الوزارات مع دواليب الحكومة التونسية ، وذلك إما مباشرة فيما يتعلق بالإجراءات العادية أو المسائل البسيطة ، أو بواسطة وزارة شؤون المغرب العربي الذي كان يتكلف بها عبد الحميد مهري خاصة فيما يتعلق بالأمور السياسية ، ويضيف توفيق المدني أن مندوبه في تونس كان هو المسؤول المالي والمتصرف الشخصي في ميزانية الوزارة بتونس ، وضابط حساباتها ، والمشرف على تسيير المطعم الطلابي ، وقضايا السكن ، وحل مشاكل الطلبة اليومية ، للمزيد ينظر حياة كفاح ، ج3 .¹ - للاطلاع ينظر الملحق رقم 33.

حضرة العلامة الفاضل الزكي سيدي الكولنويل تارسي رئيس مواصلات شمال إفريقيا السلام عليكم ورحمة الله وبعد.

سيدي فيها إني متبعا لأوامركم وبلا شكر أعمل في سبيل حياة الأمة الفرنسية وأبنائها وأعمل لرفع علمها المثلث الألوان حتى يعم رفعه إن شاء على الأرض كافة وشرقا وغربا، شمالا وجنوبا.

سيدي الرئيس ها إنني أكمل لحضراتكم بقية الأنباء المتواترة والواقعة في جزء من ممتلكاتكم وهي تونس.

أخبار جمعية العلماء هناك:

إن ابنكم حموش عبد الله من قسنطينة نشر الدعاية لجمعية العلماء عند التونسيين والجزائريين، وهو المكلف بجلب الإعانات وبيع جريدة البصائر في الحي الزيتوني ومكتب ابن عبد الله ويشترك معه في هذا الأخير علي أحمد من العاصمة الجزائر. هذا وأنهم جعلوا خطابا خاصا يوم السابع مارس يقولون فيها أن الشيخ البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني قد أرسل لنا جوابا يحث لنا فيه على القيام بنشر العلم والثقافة ولا تستطيع أمة أن تنال استقلالها وحريتها وتقدمها وحضارتها بالجهل فبالعلم تنال كل شيء، ولاسيما على اللغة العربية لما فيها من أوامر من الله، هذا يا سيدي الرئيس وإنه يوم سمي عضوا في مجمع بحث اللغة العربية بمصر بعث رسالة إلى الموكل بتونس وواحدة إلى المعهد بقسنطينة وأخرى إلى الجزائر يقول فيها¹:

أوصيكم بالعمل وعدم الكسل ولا تفشلوا حينما ترفع فرنسا بأحدكم إلى السجن أو تقتله فذلك مما يزيدكم فخرا، لأنها بذلك تعلم أنكم ما زلتم مستيقظين غير نائمين.

هذا وإني أعمل وبذلك جهدي بكل ما استطعت في نشر الدعاية للجزائر فإني وجدتهم لا يسمعون بها إلا القليل، وإني تلاقيت مع الأمير سعيد حفيد الأمير عبد القادر وتحادثنا على

¹ للاطلاع ينظر الملحق رقم 33.

نشر الدعاية، ووعدني بذلك وأخبرني بان اللغة الفرنسية ضعيفة وضعيفة جدا في الشرق العربي.

فما اطلب منكم أيها الأبناء إلا أن تصبروا وتتحدوا لعلمكم تفلحون عما قريب جمعية الطلبة الجزائريين أو P.P.A:

جمعية الطلبة سيدي الرئيس التي يرأسها عبد الحميد هدوقة قليلة الاجتماع بالطلبة في مركزها، وإنما تعمل سرا لنشر الدعاية الوطنية بالجزائر فيذهب السائح عبد القادر من تقرت، وبوصبيعات من الجزائر وعبد الرحمن مهري من وادي الزناتي، يذهبون إلى باجة وبنزرت وسوسة و صفاقس لجلب الإعانة من عند أرباب الأموال التونسيين، وينشرون الدعاية كذلك بين التلامذة، ومحور حديثهم في الدعاية هو مآسي سنة 1945م، يقولون بأن فرنسا قتلت ثمانين ألفا من الجزائريين وسجنت خمسين ألفا وعملت وعملت...

وهم المتكلمين ببيع صوت الجزائر في الحي الزيتوني ومكتب ابن عبد الله كذلك، ومدارس سكنى التلامذة وعلى رأسهم في بيع جريدة صوت الجزائر هو العضو يحي بوعزيز من برج بوعريريج¹.

ويذهبون تارة سيدي الرئيس إلى الديوان السياسي للدكتور التونسي ليتلقوا منهم أخبارا ويحثونهم على الاتحاد والإعانة مع الجزائر ومراكش ليتم الاتفاق بين أهالي شمال إفريقيا ويصبح شمالا إفريقيا جزءاً واحداً لا يتجزأ ولا تستطيع فرنسا بعد هذا أن تبقى هناك. وكثرة مجالستهم ومحادثتهم سيدي الرئيس مع منجي سليم الكاتب العام للديوان والحزب.

هذا سيدي الرئيس وإن بوعزيز يحي قد سافر يوم الخميس 18 مارس إلى القيروان ليتحدث مع إمام جامع القيروان في شأن إعانة جمعية الطلبة وبين الدعاية ومد يد المعونة والاتحاد لها.

¹ - ينظر إلى الرسالة الأصلية في الملحق رقم 33.

وهذه سيدي الرئيس أسماء التلامذة الذين سافروا إلى الشرق في شهر جانفي وقبل هذا الشهر وهم¹:

- 1- أبو القاسم النعيمي وعنوانه معهد دار المعلمين دمشق ولا يكتب أحد.
- 2- محمد خمار وعنوانه معهد دار المعلمين السنة الأولى بحلب ويكتب بوعزيز يحي نهج القصر تونس.
- 3- عبد الحميد أبو ذراع من ناحية عين اعبيد وعنوانه دار المعلمين، السنة الثانية، العراق، ولا يكتب التلامذة بتونس.
- 4- الأخضر أبو طمين من ناحية القبائل، وعنوانه نفس عنوان الثالث، ويكتب ابن عمه أبو طمين صالح الساكن بالحي الزيتوني شارع خير الدين بتونس.
- 5- عبد الرحمن زنافي معهد دار المعلمين السنة الأولى حلب (سوريا)، ولا يكتب أحدا.
- 6- صالح تلايلية مدرسة الشويخ الثانوية، السنة الثانية الكويت، ويكتب محمد الشلالى نهج عبد الوهاب بتونس.

هذا سيدي الرئيسي ما وفقني الله واجتهادي إلى الوقوف عليه وأرجو من الله أن يعيننا حتى نحقق آمالنا وإياكم وإلى أن نرى أبناء الأم فرنسا في راحة واطمئنان يرفرف فوق الرؤوس العلم المثلث الألوان أبقاه الله وأيده بالإعانة والسلام. (K.m).

وقد جاء في رسالته التي بعث بها أيضا إلى الكولونيل تارسي في 29 جانفي 1954 ما يلي: فضيلة رئيس مواصلات شمال إفريقيا سيدي الكولونيل تارسي سلاما وتحية واحتراما وبعد: أيها الأب العزيز بعد دعائي من الله أن يوحد صفوفكم ويرفع رايتكم حتى تعم جميع الكرة الأرضية بكم وبأمثالكم إن شاء الله:

ها إنني استخلص لحضراتكم العالية بما وفقني الله على الوقوف عليه من السياسة التي تتمشى في تونس أدامها الله تحت أيديكم وتصرفاتكم.

¹ - للاطلاع ينظر الملحق رقم 34.

- أخبار الجزائر:

بما أننا أبناءكم يجب علينا خدمتكم أموتا وأحياء قادرين وعاجزين نحارب من حاربتكم ونسالم من سالمتم.

ومن أعدائكم الذين يجب علينا محاربتهم هم: جمعية الطلبة أو بعبارة أخرى الوطنية O.P.A، قد عاثوا في الأرض فسادا وها هم ينشرون دعايتهم بتونس ويطالبون بإطلاق مصالح الحاج وبالاتحاد ليكونوا ضد الأم الوحيدة فرنسا.

ولا شك أنكم تعلمون رئيس هاته الجمعية وهو الشرير هدوثة عبد الحميد، فهو الآن ينشر دعايته ويخرج إلى ضواحي تونس ويجمع المال ليقوي جمعيته ويذهب إلى أعضاء حزب الدستور وأنصاره ويطالعهم بالإعانة والاتحاد¹.

وشر جملة الأعداء كذلك سيدي الرئيس: جمعية البعثة أو (جمعية العلماء) التي ليس لها رئيس الآن فقد تلقت من طرف البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني برقية يوم السادس جانفي يقول فيها: عليكم بالكد والاجتهاد وأن النجاح أمامكم وبحول الله سنفك لفرنسا المحبوسات، ويفصل الدين عن الحكومة وترسم اللغة العربية في الجزائر، وبذلك يرتفع الجهل، ويقشع الظلام ونصبح يدا واحدة حتى لا تستطيع فرنسا مقاومتنا، والدليل على ذلك هو ما نشاهده من رجالنا بمصر والعراق وباكستان وخير هذا فإن بعثتنا في كل عام تفشى ويتخرجون منها رجالا يعفوا أمام وجه فرنسا.

- عن أخبار تونس:

توفت أم صالح بن يوسف، وبعث الناس إليه يعزونه بمصابه، وبهذه المناسبة بعث رسالة إلى الناس، وألقى خطابا بصوت العرب يوم العشرين من شهر جانفي يقول قد فشلنا بهذه الدورة أمام الأمم المتحدة ولكن سوف لا نفشل بحول الله وأن الدول العربية كلها بجانبنا وبالأخص حيث كان معنا الروس الذي أعطانا وعدا حينها حريتنا على فرنسا

¹ - للاطلاع ينظر الملحق رقم 34.

ونحقق النصر في أمريكا، ثم يقول ويختم بقوله كل ما نتمناه للأمم الساهرة على مصالحنا بفرنسا في طلبي من الله أن يزيدنا التقدم والرقي حتى تصبح أول دولة في العالم أجمع وأن يديمكم لها حتى تحقق آمالها والسلام¹.

هكذا تعاون هؤلاء الطلبة مع الإدارة الاستعمارية بنقل أخبار زملائهم بأدق التفاصيل، لكن الحقيقة التي استوحيناها من هاته الرسائل دلت على أنهم من آباء كانوا يكونون لفرنسا كل الولاء، ويتفانون في خدمتها، فلا عجب إذا سار أبناؤهم على نفس نهجهم، ولما كانت الحياة المعيشية في تونس تتطلب المال، كان لزاما عليهم أن يقدموا مقابله هاته الأخبار، حتى وإن كانوا يعلمون ويدركون في ذلك خيانة وغدرا لوطنهم.

- مراقبة الإدارة الاستعمارية للطلبة الجزائريين الزيتونيين:

لقد كانت الإدارة الفرنسية على تطلع مستمر لتحركات الطلبة الجزائريين وتقلاتهم بتونس وفي ترصد دائم لما يقوم به هؤلاء الطلبة الذين كانوا يشكلون مصدر قلق لها بتواجدهم في تونس، وهذا ما دلت عليه بعض الوثائق التي تبين تقارير صادرة من قبل شرطة الاستعلامات العامة وأيضا شرطة الحدود.

فهذه الوثيقة الصادرة بتاريخ 26 فيفري 1953م عن مديرية حرس الحدود تحت عنوان توقيف طالب بغارديماو، ينص موضوعها أنه في 20 فيفري 1953م بغارديماو أين قام حراس الحدود بتوقيف السيد علي بيوض طالب بالزيتونة بتونس، بدون أي وثيقة رسمية بعد مغادرة سوق العرب بتونس، حيث وجدوا بحوزته العديد من الجرائد الجزائرية الديمقراطية، وبعض الأوراق الشخصية الخاصة به².

وهذه الوثيقة المرسلة من السيد والي قسنطينة بمصلحة الاتصالات لشمال إفريقيا بعنوان فيما يخص فرنسي مسلم مبعود بتونس، جاء في نص موضوعها ما يلي:

¹ - A.N.O.M. Aix en Provence، Lettre du 29 janvier 1954،boite 4507، 35 للاطلاع ينظر الملحق رقم

² - A.N.O.M.، Aix en Provence، doc de 26/02/1953، boite 4507.

لي الشرف العظيم أن أبعث لكم محضر غاية في الأهمية لمعلومات تتعلق بالمدعو لونيس بلقاسم بن علي من دور تابع لبركانة، تلميذ سابق بمعهد عبد الحميد بن باديس، وجامع الزيتونة بتونس، قبل سفره إلى تونس وبعد عودته إلى دواره لم يكن محلا لأي شك سواء على الصعيد السياسي أو الوطني ليس لديه أي علاقات أو تحركات في المنطقة. الوثيقة موقعة من قبل نائب الوالي العام¹.

وفيما يلي وثائق خاصة بالطلبة الذين كانت شرطة الحدود تقوم بأخذ كل المعلومات الخاصة بعودتهم عند سفرهم إلى ديارهم، كما كانت تقوم بتفتيش أمتعتهم، فهذه الوثيقة رقم 339 الصادرة بلاكال يوم 6 ماي 1954م من قبل شرطة الاستعلامات العامة، عن الأمين العام رئيس مصلحة الاستعلامات العامة للاكال المبعوثة إلى السيد المحافظ العام رئيس شرطة الاستعلامات العامة لقسنطينة، فيما يخص عبور كل من زروق محمد وشعا الحملاوي إلى لالكال، يقول فيها:

لي الشرف لأبعث بتقرير عن عبور إلى لالكال، في هذا اليوم عن طريق حافلة نقل تونس- عنابة المسمون:

- زروق محمد: فرنسي مسلم، مولود يوم 24 مارس 1929م بدوار عامر سراوية بلدية مختلطة لعين مليلة والساكن بها، ابن لخضر وعيدي مسعودة.
- وشعوا الحملاوي: فرنسي مسلم ولد بالتقريب حوالي 1922م بدوار عامر سراوية (عين مليلة) والساكن بها، ابن رحين بن عباس، وكروджи زينب، الطالبان بجامع الزيتونة بتونس.

بعد تفتيش حقائبهم الذي تم من قبل مصلحة الجمارك (لاكروا)، لم يلحقنا بأي ملاحظة غير عادية.

¹ - A.N.O.M. Aix en Provence، doc n° 2519، boîte n° 4507.

المعنيان صرحا بالدخول إلى دوارهم الأصلي، أمضيت الوثيقة من قبل جون بيلى قريني، لوحظت وأرسلت إلى السيد رئيس مكتب قسنطينة، وإلى السيد الحاكم العام للجزائر، مكتب العاصمة، وإلى السيد جون فوجور، مدير الأمن العام بالجزائر العاصمة وإلى السيد الوالي مدير الأمن العام للجزائر، والأمين العام للاستعلامات العامة¹.

أيضا نفس الموضوع في الوثيقة رقم 887 الصادرة بتاريخ 11 جويلية 1955م، عن شرطة الاستعلامات العامة، من المفتش، رئيس مصلحة الاستعلامات العامة بلاكال إلى السيد المحافظ رئيس مصلحة الاستعلامات العامة للحدود بسوق اهراس، جاء في نص موضوعه ما يلي:

لي الشرف لأمدكم بالتقرير الخاص بعبور إلى لاكال عبر الحافلة العادية تونس- عنابة فرنسيين مسلمين من طلبة جامع الزيتونة في يوم 7 جويلية 1955م، عبر الطالب فنكيح خالد بن عمر المولود يوم 9 أوت 1935م بسوا دوار واد شارف، ابن عمر وزهرة بنت خديجة، الحامل لبطاقة التعريف رقم 136 الصادرة يوم 17 أوت 1954 م من قبل البلدية المختلطة.

وفي يوم 8 جويلية 1955م عبور عبادة عبد العزيز المولود يوم 21 جانفي 1934م بالميلية ابن صالح بن عبد الله وعبادة فاطمة، ببيسامبور، الحامل لبطاقة التعريف رقم 282 الصادرة يوم 30 نوفمبر 1954م بلاكال من قبل محافظ الشرطة.

بعد التفتيش الدقيق في أمتعتهم من قبل جمارك (لاكروا) لم يعلمنا بأي ملاحظة غير عادية. أمضيت الوثيقة من قبل جون بيلى قريني، وأرسلت إلى المحافظ رئيس مكتب الاستعلامات العامة لسوق اهراس وطبع عليها بختم سري ومكتوم².

وأيضا في الوثيقة رقم 978 الصادرة عن نفس المصلحة من السيد المحافظ الرئيسي، تحت عنوان توجه فرنسيين مسلمين زيتونيين إلى لاكال (القالة حاليا)، نص

¹ - للاطلاع ينظر الملحق رقم 36، Aix en Provence، A.N.O.M.، doc n° 339/ boîte n° 4507،

² - للاطلاع ينظر للملحق رقم 37، Aix en Provence، A.N.O.M.، doc n° 887/ boîte n° 4507،

موضوعه ما يلي: لي الشرف أن أعلمكم على التوجه إلى لاكل بالحاافلة العادية تونس-
عنابة لفرنسيين مسلمين طلبة بالزيتونة:

في 20 جويلية 1955م، توجه بازية إبراهيم بن حسين المولود في 16 مارس
1923م بديكامنو، بن حسين بن بارك، وفاطمة ابنة مسعود الساكن بجيجل، الحامل لبطاقة
التعريف الوطنية رقم 6370، بتاريخ 22 جانفي 1952م بتونس.

في 11 جويلية 1955م، توجه دهان عيسى بن صالح المولود في 1 أفريل 1930م
برجيني ابن صالح بن أحمد وسعيدة ابنة محمد الساكن بمون كالم، الحامل لبطاقة التعريف
رقم 1002 الصادرة في 26 سبتمبر 1950م بواد زناتي. توجه هذان المعنيان بالأمر لم
يعط أي ملاحظة خاصة¹.

نفس المعلومات وردت عن نفس المصدر، في هدد من المراسلات وضمت مجموعة
من الطلبة سوف نقتصر على ذكر تواريخ هذه التقارير وأسماء الطلبة نظرا لكثرتهم
(للتفصيل في المعلومات على الطلبة ينظر إلى هذه الوثائق في الملحق رقم 37).

الوثيقة رقم 731 الصادرة بتاريخ 21 سبتمبر 1959م، عبور طلبة ليس رجوعا
إلى الجزائر في زيارة لأهاليهم، وإنما بغية الالتحاق لأول مرة بالزيتونة للتسجيل والدراسة،
كل من الطلبة: خميسي خالد، قنون بلقاسم، مخلوفي محمد سويد شريف، موهوب لخضر،
عبر حاافلة نقل عادية من عنابة إلى تونس².

الوثيقة رقم 1260 عبور إلى لاكل (القالة) لفرنسيين مسلمين طلبة بالزيتونة عبر
حاافلة نقل تونس-عنابة هم: عبد النبي أحمد، عزوزي علي، بابا علي محمد، بن قرطبي نور
الدين، بن رقية محمد، بن يخلف الهادي، شابي الطيبي أحمد، سليمان بن يوسف³.

¹ - الملحق رقم 37، A.N.O.M.، Aix en Provence، doc n° 978، boîte n° 4507

² - A.N.O.M.، Aix en Provence، doc n° 791، boîte n° 4507

³ - A.N.O.M.، Aix en Provence، doc n° 1260، boîte n° 4507

الوثيقة الصادرة بتاريخ 8 أكتوبر 1955م توجه طلبة من لكال إلى الزيتونة، الطلبة: شنة لهواس، رزقي عبد الله، شرفي الصادق، خراج حمو، بوظمين صلاح، قروان حسين، مرنود بدر الدين، عبادة محمد، عليوة محمد، فرّاح إسماعيل، فريقة عمور عيسى، حمادة عبد الله، اسكونن صادق، كحلة محمد، خير إبراهيم، عثمانين غارزي، عتيق عبد العزيز، بوظمين محمد¹.

هذه الوثيقة رقم 541-9 التي يورد فيها أحد المخبرين معلومات حول طلبة جزائريين زيتونيين غادروا تونس باتجاه دول عربية أخرى، المراسلة صادرة في سطيف 7 جانفي 1954م من المحافظ العام رئيس الاستعلامات لسطيف، إلى السيد نائب الوالي للاستعلامات بسطيف، تحت عنوان: فيما يخص نشاط الطلبة الجزائريين بالزيتونة بتونس، جاء في نص موضوعها: لي الشرف أن أقدم لكم بعض المعلومات التي أوردها لي أحد المخبرين المواظبين، طالب بالزيتونة بتونس، والمتمثلة في عبور الطلبة الجزائريين إلى الشام ومصر، وهي شعبة من الشعب المستعملة من طرف الطلبة الزيتونيين للذهاب إلى مصر أو الشام ليتلقون تدريبات عسكرية خاصة تجعلهم محاربين، إنهم سيستقلون الجمعة سيارة يملكها السائق حمودي صالح المنحدر من عنابة والذي يقوم برحلة أسبوعية من تونس إلى طرابلس على بعد 15 كيلومترا تقريبا من مركز الجمارك الموجود في الحدود الليبية، الطلبة الذين يرغبون عبور الحدود بطريقة سرية ينزلون من السيارة، ويتكفل بهم "عبّار" يستعمل "العربات" أو الجمال التي يملكها حمودي صالح، بعد عبور الحدود بمسافة معتبرة بعيدا عن مركز الجمارك، يركب الزيتونيون في السيارة تقودهم إلى طرابلس الجمعة 25 ديسمبر 1955م، طالبين جزائريين غادرا تونس بهذه الطريقة أحدهما يدعى عفرون محمد من نواحي خراطة، الذي عبر الحدود برفقة زوجته².

وورد في الصفحة الثانية لنفس المراسلة هدف آخر لسفر هؤلاء الطلبة، وتحت عنوان نشاط الطلبة الجزائريين بالزيتونة: بعثة من الطلبة الجزائريين للزيتونة ستصل قريبا

¹ - A.N.O.M.، Aix en Provence، doc n° 1218، boîte n° 4507

² - A.N.O.M.، Aix en Provence، doc n° 514-9، boîte n° 4507

إلى مصر، مرفقين بجوازات سفرن حتى يطلبوا من اللواء النقيب أن يتصل بالجامعة العربية فيما يخص مصالي الحاج حتى تتدخل عند الحكومة الفرنسية ليأخذ الحرية التامة لقائد حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وحزب الشعب الجزائري¹. وجاء في مراسلة السيد الوالي مدير الأمن العام المبعوثة إلى السيد نائب المحافظ العام، أن السيد المدير العام للأمن يلفت نظر شرطة الاستعلامات العامة لقسنطينة حول توجه الطلاب إلى الزيتونة ثم إلى القاهرة²، أنه يظن أن بعض هؤلاء الشباب هم مبعوثون إلى مرسى مطروح أو إلى مكان آخر، في مخيمات تدريب أو مدارس الكموندوس والتخريب حتى يبعثوهم للقيام بأهداف غير سلمية.

إنه يبين نشاط شرطة الاستعلامات العامة بثلاث طرق:

أولاً: منعهم من الذهاب.

ثانياً: أن يجعلوهم يدخلون باستعمال العائلات وأن يقوموا بالقبض عليهم عند رجوعهم، وعلى الأقل أن يقوموا بدراسة حالتهم المعمقة يطلبون إذن من:

- من الذين عادوا أن يسجلوهم ويحرسونهم.
- أما الذين ذهبوا يجب تسجيلهم والإخبار عنهم في مكاتب الحدود أو أي مكتب تابع، وخاصة المكان المنتسبين إليه.
- والذين سيدخلون مستقبلاً يجب تسجيلهم فوراً والإخبار عنهم فوراً ويقوموا بدراسة حالتهم.
- وفي الأخير سأترك لكم القيام بهذه العملية³.

¹ - ينظر الملحق رقم 38، Aix en Provence، A.N.O.M.، doc n° 514-9، boîte n° 4507،

² - الملحق رقم 39، Aix en Provence، A.N.O.M.، doc n° 548، de 29/01/1954، boîte n° 4507،

³ - الملحق نفسه.

الفصل الثالث: النضال الطلابي

أولاً: إضراب الطلبة الجزائريين مساندة لإضراب صوت الطالب الزيتوني :

لقد ساند الطلاب الجزائريون بجامع الزيتونة إخوانهم التونسيين كفاحهم من أجل إدخال الإصلاحات على النظام التعليمي الزيتوني 1950م - 1954م ، فشارك الطلبة الجزائريون بفعالية في إنجاح الإضراب عن الدراسة الذي دام كاملاً ابتداءً من شهر أبريل سنة 1950م¹ وإلى غاية شهر أبريل من السنة الموالية، وكذا إضرابات الجوع التي ميزت هاته الفترة²، خاصة بعدما جاءتهم المساندة والتأييد من قبل الشيخ البشير الإبراهيمي³، كما كان لهم ممثلين في لجنة صوت الطالب الزيتوني⁴ التي قادت الكفاح الزيتوني ، الشيء الذي زاد من لحمية الإخاء بين الطلبة التونسيين والجزائريين .

فقد جاء في الكلمة التي بعث بها الشيخ البشير الإبراهيمي تحذير عما إذا كان فيه محرضين على هذا النوع من الإضراب، وفيما يلي بعض ما ورد في رسالته:

"....أيها الأبناء الأعزة : مازلنا نتبع أخباركم باهتمام ، ونعيدكم بالله وبالمعوذات من كلامه أن تكون من ورائكم يد تحرككم للمساعي الضائعة ، وتكيد لكم من حيث لا تشعرون فقد عودنا هذا الزمان الفاسد عادات مرذولة في استغلال الثياب ، وتصريفهم في غير الطرق التي خلقوا لها" .

ويختم رسالته بقوله: "...وإنني مرسل إلى أبنائي التلامذة الزيتونيين بهته الكلمة تحييم وتشد من عزائمهم ، فلا إن لم تكن روحا يدوم ويبقى تكن ريحانا يشم ويدوى ، وإذا

¹ - محمد العزیز بن عاشور ، جامع الزيتونة المعلم ورجاله ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1991م ، ص146 .

² - رابح نکاع بن بوزید السطيفي ، تضامن الطلبة الجزائريين مع إخوانهم المجاهدين الزيتونيين ، الصباح 27 فيفري 1952م ، ص4 .

³ - محمد البشير الإبراهيمي ، تضامن وتأييد ، الزهرة ، 29 أبريل 1950م ، ص2 .

⁴ - ظهرت لجنة صوت الطالب الزيتوني منتصف فيفري 1950م ، في وقت كانت تنوي فيه السلطات الاستعمارية إدخال تغييرات على القانون المنظم لجامع الزيتونة ، فكان البرنامج الذي قدمته اللجنة محاولة لإبلاغ الصوت الطلابي إلى الجهات المسؤولة ، ومن جهة أخرى نجحت المنظمة في توحيد الساحة الزيتونية ، وتدعم موقفها أثناء إضراب الجوع الذي أعلنته يومي 20 - 22 أبريل 1950م ، إذ أزرتها مختلف التشكيلات السياسية والوطنية وامتدت فروع هذه المنظمة إلى مختلف الفروع الزيتونية ، للمزيد ينظر ضيف الله محمد ، لجنة صوت الطالب الزيتوني 1950م - 1956م ، المرجع السابق ، ص31 .

تأخرت عنهم فعذرها أن الرج في آخر الدوذ ، فلينتظروا العوذ ، وأن عسى أن أكون قد قمت ببعض حقهم علي" ¹ .

تواصلت الإضرابات إلى غاية 18 جانفي 1952م وكان من نتائج اعتقال الوطنيين التونسيين بنفس التاريخ ، فظهرت العديد من التشكيلات التي كانت تحرض على الإضراب وتساهم في توتير المناخ العام بالزيتونة زمن بينها هيئة إتحاد الطلبة الزيتونيين²، ورابطة الكفاح الزيتوني، وتكمن أهمية تلك الإضرابات وخاصة السياسية منها على أنها زادت في شحن الطلبة لصالح القضية الوطنية في فترة تميزت بامتداد القمع الاستعماري ، وقد دفعهم وعيمهم بذلك القمع إلى المساهمة في مقاومته .

لقد ورد في الوثيقة رقم 66 الصادرة عن شرطة الاستعلامات العامة، ومن قبل المحافظ الرئيسي، المحافظ المركزي لأمن سطيف إلى السيد نائب الوالي لمنطقة سطيف: موضوع الوثيقة يتعلق بإضراب الطلبة الزيتونيين: لقد تم إخباري، ولي الشرف أن أعلمكم أن الشيخ محمد الطاهر النيفر عميد الزيتونة بتونس، كتب لمدراء الجامعات والمدارس الأساسية للجزائر حتى يطلب منهم، أن يقوموا بالإضراب في مؤسساتهم حتى يبينوا تعاطفهم مع الطلبة المسلمين بتونس، الشيخ أظهر أنه إن لم يسمع نداءه فهو سيوقف استقباله للتلاميذ الجزائريين بالزيتونة حسب بعض المعلومات، جامعة بن باديس لقسنطينة، والمدارس الإصلاحية للجزائر، وهران وقسنطينة قبلوا أن يغلقوا مؤسساتهم بتاريخ غير محدود.

وقد تم بعث نسخ من الوثيقة إلى السادة:

- الحاكم العام للجزائر مكتب الجزائر.

- حاكم مديرية الأمن العام للجزائر.

¹ - إضراب الزيتونيين ، النهضة 23 مارس 1952م ، ص 1 .
² - رابطة الكفاح التونسي ، احتجاج من الزيتونيين ، النهضة 29 جانفي 1952م ، ص 2 ، كانت الرابطة تعمل بالتنسيق مع الحزب الدستوري الجديد ، أنشئت في سنة 1952م بهدف الاحتجاج على الأحكام المطبقة على أبناء الجامعة الزيتونية، للمزيد ينظر يحيى بوعزيز ، رحلة في فضاء العمر ، ج 3 ، ص 173 .

- الوالي مدير الأمن العام، المصلحة المركزية للاستعلامات العامة للجزائر.
 - والي الولاية: مكتب قسنطينة.
 - والي الولاية: مصلحة الاتصال لشمال إفريقيا لقسنطينة.
 - المحافظ الرئيسي، رئيس شرطة الاستعلامات العامة، ناحية قسنطينة.
 - المحافظ الرئيسي، رئيس شروط الاستعلامات العامة، ناحية قسنطينة.
 - أرشيف مركز الأمن بسطيف¹، إمضاء زامبوني، مختوم بختم مكتوم
- .confidentiel

وجاء في الوثيقة رقم 331 المبعوثة إلى السيد نائب ولاية سطيف والصادرة عن مصلحة الاتصال لشمال إفريقيا بتاريخ 4 أبريل 1954، إن الاجتماع الذي تم عقده من قبل أعضاء حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية وحزب الشعب الجزائري في يوم الجمعة 216 مارس من نفس السنة، ومن الساعة 12 إلى الساعة 19 والنصف، بالمقر الكائن بشارع فالي، برئاسة حجار المسير السطايفي للحزب، قام خلاله هذا الأخير بعرض أخبار سبر إضراب طلبة الزيتونة بتونس وأكد على المشاركة الفعالة للطلبة الجزائريين بهذه الجامعة ونوه إلى جانب ذلك الموقف الذي أخذوه من أجل إنجاح حركة هذه الاحتجاجات، وصرح أنه رغم العقوبات المسلطة من طرف الإقامة العامة والطرده التي شهدها الطلبة الجزائريون، أعضاء حركة انتصار الحريات الديمقراطية وحزب الشعب الجزائري لن يكفوا عن التضامن مع أصدقائهم التونسيين.

ويذكر الدكتور يحيى بوعزيز بخصوص إضراب 1954م أن الموقف ظل نفسه من قبل الطلبة الجزائريين الزيتونيين، حيث يقول في هذا الشأن: عندما قام الطلبة الزيتونيون بإضرابهم العام بأمر من منظماتهم صوت الطالب الزيتوني في نفس السنة تأييدا لحكومتهم التونسية التي تناضل من أجل استقلال تونس، وللمطالبة ببناء جامعة زيتونية عصرية، تضامن الطلبة الجزائريون معهم وأضربوا، وتواصل الإضراب عدة شهور إلا أن استجابات الإدارة الاستعمارية لبعض مطالبهم، ومن بينها بناء جامعة زيتونية عصرية،

¹ - للاطلاع ينظر الملحق رقم 66، boîte 4507..06، doc n°66، Aix en Provence، A.N.O.M.

حيث قام باي تونس محمد الأمين مع المقيم العام الفرنسي بوضع حجر الأساس لها في أعلى مدينة تونس ، على الهضبة المشرفة على حي الملاسين¹، ولكن هذه البناية حولت بعد استقلال تونس إلى ثانوية سميت باسم ابن شرف²، وكان بإمكان الطلبة الزيتونيين أن يحققوا أشياء كثيرة فيما يخص إصلاح التعليم الزيتوني والجامعة الزيتونية ، ولكن سياسة الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة كانت تسير في خط مناقض تماما لأهداف وتوجهات الجامعة الزيتونية ، فبمجرد استلامه السلطة عام 1955م وانتخابه رئيسا للجمهورية عام 1957م ، وإلغائه نظام المملكة عمل على وضع حد للتعليم الزيتوني ، وأنهاه وأزاله في مطلع الستينات كما وضع حدا لمؤسسة عمرت ثلاثة عشر قرنا كاملا وخرجت مئات الآلاف من الشيوخ والعلماء والفقهاء والشعراء والمحدثين والمجددين ذاع صيتهم ، وارتقت مكانتهم على مستوى العالم الإسلامي قاطبة ، شرقه وغربه فكان لهم دورا في تأسيس الحضارة العربية الإسلامية³.

- إضراب الطلبة الجزائريين في ماي 1956م :

قامت المنظمة الطلابية الفرنسية بتوجيه نداء إلى الطلبة الجزائريين داخل وخارج الجزائر وكانت تونس من بين البلدان التي وصلها النداء ، وأكدت بصورة خاصة على أن بعض قادة الجبهة قد اتصلوا بالطلاب الجزائريين في تونس ووضع الطلاب الزيتونيون أنفسهم تحت تصرف الثورة الجزائرية ، وأبدوا استعدادهم التام لتنفيذ كل ما تأمرهم به ، وفي 18 ماي 1956م وبحجة الإصغاء وتنفيذ ما أمرت به المنظمة الطلابية الفرنسية (الجمعية العامة لطلاب الجزائر العاصمة)، اجتمع الطلاب الجزائريون وصوتوا بالإجماع على النداء التاريخي للطلاب الذي توجه إليهم بمغادرة كراسي الجامعة والالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني⁴.

1 - يذكر الدكتور يحيى بوعزيز الطالب الزيتوني أنه حضر شخصا حدث التدشين .
2 - كما يذكر أنه قام بإجراء امتحانات السنة السابعة لسنوات التحصيل بهذه الثانوية أواخر سنة 1956م .
3 - يحيى بوعزيز ، رحلة في فضاء العمر أو مذكرات القرن 1-3، ط.خ، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص179 .
4 - عمار هلال ، نشاط الطلبة الجزائريين، المرجع السابق، ص34 .

في ليلة 19 ماي 1956م تسرب الطلاب عبر الحي الجامعي ، وأشعروا زملاءهم بالقرار التاريخي الذي اتخذته جمعيتهم ، وفي الصباح افترق أعضاء مكتب الفرع الطلابي لمدينة الجزائر والتحقوا بإخوانهم في الميدان ، ولم يكن هذا الفريق من الطلاب الأول الذي التحق بصفوف جيش التحرير الوطني بل هناك عدة فرق أخرى سبقتهم في ذلك، وهو ما يدل على أن كل شيء كان مخططا له ، وما كانت تحركات الطلبة الفرنسيين إلا حجة مواتية هيأت الظروف المناسبة لتنفيذ القرار التاريخي الذي اتخذته الطلاب الجزائريون .

لقد ورد في النشرة الطلابية أن الطلاب الجزائريون في ساحة المعركة ، مما يدل على أن النداء التاريخي للجزائر ترك آثار طيبة في نفوس الطلبة ليس في الجزائر فحسب بل في تونس والمغرب وفرنسا أيضا ، أين لقي آذان صاغية استجابت إليه تلقائيا دون أي تردد ، على غرار إخوانهم الطلبة في الجزائر حيث أعلن الإضراب في البلدان الثلاثة¹ .

وفي يوم 17 ماي 1956 أجمعت تقريبا كل الصحف الأوروبية بما في ذلك الفرنسية على أن هناك تحركا مريبا قد ساد الأوساط الطلابية في الجزائر وتونس وغيرهما من البلدان الأخرى الأجنبية التي يدرس بها الطلبة الجزائريون، وأكدت بصورة خاصة على أن بعض قادة الجبهة قد اتصلوا بالطلاب الجزائريين بتونس، ووضع الطلاب الزيتونيون أنفسهم تحت تصرف الثورة الجزائرية وأبدوا استعدادهم التام لتنفيذ كل ما تأمرهم به وأعلن الطلبة الجزائريون الزيتونيون إضرابهم عن الدروس والامتحانات، والحق أن سؤالا كبيرا كان مطروحا لدى الأوساط الطلابية الجزائرية بتونس هو تخوفهم من تورط مستقبل إطارات الغد في الوقت الذي طرح فيه بعضهم بإلحاح السؤال التالي: ألا يجب أولا انتزاع استقلال البلاد بتدعيم الجبهة بإطارات كفاءة؟ ثم من الأهم كمشة من الإطارات أم مصير أمة بأكملها؟ هذان السؤالان هما اللذان شكلا المحور الرئيسي الذي دارت حوله مناقشات الطلاب الجزائريين فيما يتعلق بمواصلة الإضراب عن الدروس والامتحانات أو عدم الإضراب عنها.

¹ - نشرة المؤتمر الرابع للإتحاد الطلابي الجزائري ، تونس ، جويلية 1960م ، ص227 .

وإذا كانت سنة 1956 تمثل تاريخاً فاصلاً في انضمام الطلبة الدارسين في المدارس الفرنسية للثورة، فإن إخوانهم الذين كانوا يدرسون في المدارس الحرة، ومعاهد المغرب وتونس والمشرق العربي قد انضموا للثورة منذ اندلاعها، ويمكن مراجعة بعض أسماء الشهداء الأوائل كما يمكن مراجعة بعض أسماء قادة الثورة الأولين أيضاً فسنجدهم ممن درسوا في معهد عبد الحميد بن باديس أو المعهد الكتاني، أو ممن ترك مقاعد الدراسة في الزيتونة والقرويين ومعاهد الشرق¹.

ويروي الأستاذ يحي بوعزيز عن دوره في إضراب الطلبة يوم 19 ماي 1956 في أوساط الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة أن المساهمة الكبيرة التي قدمها الطلبة الزيتونيون لدعم الثورة قائلاً: ... وقد نفذ الإضراب العام في الجزائر وتونس، وكنت آنذاك طالباً بجامعة الزيتونة في تونس مسئولاً عن جمعية الطلبة الجزائريين شاركت مع عدد زملائي الطلبة في مراقبة تنفيذ الإضراب في مؤسسات التعليم التونسية وقد وجدت صعوبة كبيرة في إخراج الطالب طيطونة مبارك من المدرسة الخلدونية حيث كان يؤدي الامتحان، ولم أقنعه بالخروج إلا بعد أن ساعدني الأستاذ التونسي المشرف على الامتحان في إقناعه بأهمية عدم خرق إجماع الطلبة فامتل وخرج².

وقد كثف الطلاب الزيتونيون جهودهم في تونس وغيرها وبهروا بقرارهم الرائع الأوساط الثقافية والنقابية في تونس، وبرهنوا على تضامنهم الصادق وتلاحمهم مع شعبهم الذي يعاني ويقاسي الأهوال والمشاق الكبار كالقتل والتشريد والتعذيب الجهنمي بدون حدود ولا مقاييس، كما برهنوا على استعدادهم الفعلي والعملية للدخول في معمرة الكفاح المسلح كمدربين ومقومين سياسيين ومنسقين للعمل والدعاية، وهنا لا بد من تسجيل مكرمة للحكومة التونسية ولجاليتنا بتونس، ففي مطلع عام 1956 أغلقت الحدود تماماً بين الجزائر وتونس، وقطعت الصلة بين الطلبة الجزائريين وذويهم بالجزائر، وحيل بينهم وبين الرجوع إلى الوطن بعد إعلان الإضراب العام عن الدروس والامتحانات وعددهم كان كبيراً يعد

¹ - أبو القاسم سعد الله، خارج السرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 86.

² - خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون، المرجع السابق، ص 1462.

بالمئات، وفي مستويات متعددة من التعليم، وتعرضنا نحن أعضاء جمعية الطلبة الجزائريين إلى أزمة ومشكلة تجاههم خاصة وأن المسؤولين بالجبهة والجيش لم جندوا إلا عددا محدودا منهم رغم إلحاح الكثير منهم على التجنيد، لأنّ العمال الجزائريين بفرنسا كانوا يحضرون بأعداد كبيرة إلى تونس للتجنيد وينالون الأولوية والأسبقية لعدة اعتبارات جسمية وعسكرية بل وحتى اجتماعية، وأتذكر أن جماعة من الطلبة والتلاميذ الذين تم تجنيدهم وتسفيرهم إلى الجزائر، أعيد عدد منهم بحجة عدم صلاحيتهم للعمل العسكري إلى جانب النظرة البعيدة إلى المستقبل، بل إنّ مسؤولي جيش وجبهة التحرير في الولاية الثالثة وجّهوا إلى تونس كل التلاميذ الذين كانوا متواجدين بها وسخروا أموال الأوقاف الدينية للإنفاق عليهم ووضع نظام تربوي جماعي في فيلا تطوع بها أحد المواطنين من الجالية الجزائرية في حي دندان على طريق باردو ينتمي إلى التيجانيين، وبعد مدة عمّمت الجبهة هذا النظام على كل الطلبة والتلاميذ الجزائريين من كل الولايات وتكفلت بالإنفاق عليهم ووضعوا في مؤسسة تربوية مشتركة بشارع الأندلس في حي رحبة الغنم، ولكن قبل الوصول إلى هذا الحل عام 1957 كان المشكل قائما ومعقدا بعد إعلان الإضراب العام في عام 1956 فاتصلنا بودادية الجزائريين هناك (تونس)، ومن أبرز أعضائها (سي مسعود امقراني، سي محمد الحنفي) واتفقنا معهم على توزيع عدد من الطلبة والتلاميذ على العائلات الجزائرية في تونس وماطر وتبرسق والكاف وسوق الأربعاء، وقلعة سناد وسليانة وبنزرت وتوزر وقفصة وغيرها لتتولى رعايتهم خلال عطلة الصيف وسقّرنا قسما منهم محدودا ولكن العدد الكبير بقي بدون حل فكوّنا وفدا من بين أعضائه: عيسى مسعودي، والطاهر عمراوي، والأخضر السائحي، واستقبلنا وزير المعارف التونسي بمقر وزارته وشرحنا له حالة الطلبة الجزائريين، فنفهم الوضع وقرر توزيعهم كلهم على أشهر المطاعم التونسية الكبيرة وبعد أن حددت قوائمهم، وسلمت لهم وصلات خاصة بذلك، وقد استفاد من هذه العملية حتى غير الطلبة وذلك طوال الصيف عام 1956¹.

¹ - مقابلة الأستاذ يحي بوعزيز مع خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 1463.

وعندما أوقفت وزارة المعارف التونسية هذا المشروع كتب يحيي مقالا في جريدة الصباح التونسية أعابها فيه من دون علم بالخلفيات الدافعة لهذا القرار، ولما برزت خطة الولاية الثالثة الناجحة تمكن عدد من الطلبة الجزائريين بتونس من الالتحاق بجيش التحرير ابتداء من عام 1957 وما بعد، كما ظهرت حينها فكرة التأطير كخطة عامة للثورة، كما نجحت فكرة البعثات إلى بلدان المشرق العربي وكل بلدان العالم فخفت حدة المشاكل المعقدة المرتبطة بطريقة التحاق الطلبة في صفوف الثورة¹، ومن الزيتونيين الرواد المؤسسين للاتحاد العام للطلبة الجزائريين، وفروعه نذكر عبد الرحمن شريط، عيسى مسعودي محمد، الجنيدي خليفة، قاسم مولود شلالي عبد القادر، يحيي بوعزيز، صالح أرزقي، عيسى بوضياف، عبد الحميد بن هدوقة، نور عبد القادر، قاسمي عبد القادر، بلقاسم سعد الله، منور مروج، زعوب إبراهيم، علي جغاب، محمد فارح، مصطفى بوزيان، البشير ايزمران... وغيرهم كثير، وعقب إضراب فيفري 1957 الشهير أعلنت جمعية الطلبة الجزائريين بتونس الإضراب لمدة أسبوع في نداء وجهته للطلبة الجزائريين بتونس إعلانا عن تمسكهم بالثورة والشعب الجزائري، كما أعلن المعتقلون الجزائريون بتونس إضراب الجوع أسوة بإخوانهم المساجين السياسيين بسجون الجزائر وتضامنهم مع شعبهم المكافح².

وقصد تعميم الإضراب في الجامعات الفرنسية، بعث فرع الإتحاد الطلابي في الجزائر وفدا إلى فرنسا، وبين الفترة الممتدة من 20 و 25 ماي 1956م ناقش الطلاب الجزائريون القضية من جميع جوانبها وبكامل تصوراتها الممكنة وما سينجم عنها من تأثيرات مختلفة، وأخيرا صوتت كل الفروع الطلابية التابعة للإتحاد في فرنسا على الإضراب عن الدروس والامتحانات ما عدا الفرع الطلابي لمدينة تولوز الذي صوت ضد الإضراب معلنا عن تخوفاته من تورط مستقبل إيطارات الغد.

ولقد شكل الإضراب عن الدروس والامتحانات في الجامعات المحور الرئيسي في مناقشات الطلاب الجزائريين، وفي 25 ماي 1956م أعلن الإتحاد الطلابي عن تعليقه

¹ - مقابلة الأستاذ يحيي بوعزيز مع خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 1463.

² - المقاومة، ع 7، الجزائر 1957/02/16.

الطويل للإضراب ، مؤكدا على تأييده المطلق لنداء الجزائر التاريخي حاثا الطلبة الجزائريين في فرنسا والجزائر وتونس والمغرب أن يواصلوا إضرابهم عن الدروس والامتحانات¹ .

ولم يفت إتحاد الطلاب الجزائريين ربط المأساة التي يعانها الطلاب الجزائريون ، بل الشعب الجزائري كافة بعدم جدوى السياسة الاستعمارية التي تطبقها فرنسا في الجزائر، ولم ير من حل للمشكلة الجزائرية سوى في بسطها على طاولة المفاوضات بين فرنسا وجبهة التحرير الوطني ، تزامن هذا مع تنظيمهم دعاية إعلامية للتعريف بالقضية الجزائرية ، وشرح تطوراتها وما آلت إليه السياسة التعسفية الاستعمارية في الجزائر .

ولإيصال صوت الشعب الجزائري إلى الرأي العام الفرنسي بعث الإتحاد آلاف الرسائل إلى كل الفرنسيين الذين لهم علاقة مباشرة وغير مباشرة بالدولة كالبرلمانيين والشخصيات السياسية المعروفة والدينية وغيرهم ، وقد جاء في هذا النداء موجهها إلى الشعب الفرنسي على وجه الخصوص ما يلي : إن هذا الحدث - إضراب الطلبة عن الدروس والامتحانات - ليس له من دلالة سوى أنه عبارة عن ناقوس خطر دق بكل ما لديه من قوة لتصل أصواته إلى أعماق الضمائر في فرنسا ، التي مهما حاولنا أن نشرح لها الأوضاع الخطيرة التي تعيشها الجزائر لن نوفق في ذلك، لما وصلت إليه هذه الأوضاع من تدهور خطير، ونتمنى أن ذلك سيجعل كل فرنسي وفرنسية يؤكد من أعماق روحه على إيجاد حل لهذه المعضلة بجلوس الحكومات الفرنسية مع ممثلين حقيقيين للشعب الجزائري على مائدة المفاوضات² .

وفي الأخير نوه الإتحاد إلى أن قرار الطلبة هذا - الإضراب - يجب أن لا يؤخذ مأخذاً آخر ويفسر وكأنه موقف سلبي من الجامعة الفرنسية ، بل من الثقافة الفرنسية ، وإنما يوضع في إطاره التاريخي السياسي الحقيقي .

1 - عمار هلال ، المرجع السابق ، ص35 .

2 - المرجع نفسه ، ص36 .

ولأهمية نداء الجزائر التاريخي هذه مقتطفات لأهم ما جاء فيه حسب ما أوردته صحيفة المجاهد¹: بعد اغتيال أخينا زور أبو القاسم من قبل الشرطة الفرنسية بعد اغتيال شقيقنا الأكبر الطيب بن زرجب، بعد النهاية المأساوية لأخينا الأصغر براهيم من ثانوية بجاوية الذي أضرمت فيه العساكر الفرنسية النيران وهو حي في العطلة الربيعية الأخيرة، بعد إعدام جماعة من الرهائن الجزائريين رميا بالرصاص ، بعد اغتيال كاتبنا رضا حوحو من قبل أيادي الغدر والعدوان ، بعد اعتقال أخوينا زروقي وماضي ، بعد نفي زميلنا حيحي بعد الحملات الإرهابية التي شنّها الاحتلال الفرنسي يعلى منظمنا الطلابية هاهي الشرطة الفرنسية تنتزع من بين أيدينا في ظروف غامضة أخينا فرحات حجاج ، وهو طالب في السنة التحضيرية للدخول إلى كلية الحقوق ، ومراقب داخلي في ثانوية بن عكنون فبعد اعتقاله لمدة ستة أيام سلطت عليه الشرطة الفرنسية بتواطؤ العدالة الفرنسية أوحش أنواع العذاب ، حتى علمنا بأسف شديد خبر اغتياله من طرف الشرطة الفرنسية في جيجل ، إذا ما هي نتائج يوم 20 جانفي 1956م ، الذي أُنذرتنا فيه السلطات الفرنسية للإضراب عن الدروس والطعام وما هو مدى تأثير هذا اليوم في السلطات الاستعمارية في الجزائر ؟ .

إن الشهادات التي نحضر لها سوف لن تفيدنا في شيء ، ولن تجعل منا بأي حال من الأحوال جثثا ذات مستوى راق ، فما هي الفائدة من هذه الشهادات التي تمنح لنا باستمرار ، في الوقت الذي يكافح فيه شعبنا بكل بسالة أبشع استعمار عرفته البشرية ، وفي الوقت الذي يعتدي فيه على حرمتنا وتزهق فيه أرواح أطفالنا وشيوخنا الأبرياء برصاص العدو ، والقنابل والنبالم ؟ ونحن إطارات الغد ماذا سنأطر غدا ؟ الأطلال وأشلاء الشهداء بدون شك في قسنطينة وتبسة وسكيكدة وتلمسان ، وغيرها من المواقع البطولية في بلادنا إن سلبتنا إزاء الحرب التي يخوضها جيش التحرير الوطني ، سوف لن يغفرها لنا التاريخ ، وإن المواقف الغامضة تبينها حتى اليوم ونحن نقدم رجلا ونؤخر آخر ، أصبحت لا تتوافق مع ما تمليه علينا ضمائرنا .

¹ - المجاهد ، العدد الأول ، جوان 1956م .

إن واجبنا ينادينا في ميادين أخرى مستعجلة ضرورية أكثر واقعية من التي نحن نعمل فيها إن واجبنا ينادينا للمعانات اليومية إلى جانب الذين يكافحون ويموتون أحرارا أمام العدو ، نلتزم كلنا في التو بالإضراب عن الدروس والامتحانات لفترة غير محدودة وعلينا أن نهجر مقاعد الجامعة لنلتحق بإخواننا في الجهاد ، إن الواجب يفرض علينا الالتحاق جماعيا بصفوف جيش التحرير الوطني ومنظمته السياسية ، أيها الطلاب والمتقنون الجزائريون هل يليق أن يعتبرنا العالم الذي يلاحظ تحركاتنا ، والأمة التي تنادي علينا لنشاركها أحزانها وبطولاتها خونة لقضيتنا¹.

لقد ورد في وثيقة غير مرقمة تحت عنوان "الصحافة العربية التونسية" الصباح لـ 10 جوان 1956م، أحدث النواحي" الخاص بمنطقة توزر: الصباح أخطرت أن الطلبة الجزائريين للملحقة الزيتونية لتوزر قاموا ببدء إضراب غير محدد للدروس والامتحانات، حتى ينددوا حول الاضطهادات الاستعمارية التي حدثت بالجزائر تعذيب وقتل الأبرياء، المسنين، والأطفال وتدمير القرى والدشرات².

وخلاصة الطلبة الجزائريين واكبوا الثورة المسلحة وتلاحموا معها التحاما عضويا من أولها إلى آخرها وأدوا دورا بارزا مشرفا في كل معاركها العسكرية والسياسية والتنظيمية داخل الجزائر وخارجها وضحوا بالغالي والنفيس في سبيل إنجاحها وانتصارها وقدموا شهداء عديدين يعدون بالعشرات والمئات وعانوا كل ما عاناه شعبهم من الآلام والتعذيب والتشريد والتقتيل إلى أن تحررت بلادهم وشعبهم وتحقق الاستقلال الوطني، كما أن أهم سمة وصفة فصلوا بها أنفسهم عن الطلبة الفرنسيين الأوروبين المستعمرين هي الإسلام... وسموا اتحادهم العام للطلبة المسلمين الجزائريين، كما فعل العلماء الجزائريون قبلهم بربع قرن عندما سموا هيئتهم ودادية الطلبة المسلمين في الجزائر، وذلك أن الإسلام كان أكبر واق وحاجز للشعب الجزائري في كفاحه لطمس الشخصية الوطنية للجزائر

¹ - المجاهد ، المصدر السابق ، نقلا عن عمار هلال ، المرجع السابق ، ص37 .

² - A.N.O.M., Aix en Provence, doc de 10/06/1956, boîte 4705.

وشعبها وفرنسة الشعب الجزائري وتنصيره وتمسيحه، لقد كان للإسلام دور بارز وأساسي في كفاحنا الوطني منذ حملة الاحتلال عام 1830، إلى ثورة الاستقلال عام 1962.¹

ثانيا: الطلبة الجزائريون وعلاقتهم بالجمعيات الثقافية

لقد قام الطلبة الجزائريون الزيتونيون بعلاقات وصلات بين العديد من الأحزاب والجمعيات والمنظمات الناشطة طيلة فترة دراستهم، وتراوحت هذه العلاقة بين الطابع الخاص والروابط الشخصية لتشمل العمل الثقافي والأدبي والتنسيق المتبادل بين الطرفين، لاسيما منذ نهاية الحرب العالمية الأولى بنمو الحركة الثقافية والإبداعية التونسية وتطور عدد الطلبة الدارسين بتونس.

ولعل مؤتمر اللغة العربية الذي التأم في تونس عام 1931م بمبادرة من السلطات الاستعمارية الفرنسية نفسها وفي نطاق الاحتفال بخمسينية الاحتلال، قد خدم بدوره قيام صلات أوسع، لما وفره من إطار الالتقاء علماء وطلبة من الأقطار المغاربية الثلاثة، وبرزت جمعية الشبان المسلمين في عهد رئاسة الشيخ محمد الصالح النيفر توطر تلك الصلات وتنظمها مستفيدة من هامش الحرية الذي وفرته الحكومة الشعبية الفرنسية ومن ذلك أن هذه الجمعية نظمت يوم 18 جوان 1937م محاضرة بالخلدونية حول "الجزائر في ميدان العمل" ألقاها الشاعر مفدي زكريا حيث استعرض فيها تاريخ الاستعمار الفرنسي بالجزائر، كما أثنى على نشاط الوطنيين الجزائريين المجاهدين في سبيل تحرير بلادهم واستقلالها². وفي الفترة نفسها قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بإلقاء محاضرة عامة في تونس تحت عنوان "الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري" بعدما قامت جمعية الطلبة الجزائريين والجمعية الودادية الجزائرية بدعوته، وقد علقت مذكرة الاستخبارات التي أوردت خبر محاضرة مفدي زكريا، والمؤرخة بالجزائر في 17 نوفمبر 1931م، بأن الميزابيين الجزائريين والتونسيين اتحدوا في الرأي بهذه المناسبة وأنشد كل هؤلاء الشبان المسلمين أناشيد تمجد الوحدة السياسية والدينية بشمال إفريقيا.

¹ - يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، د.م.ج، 1999، ص 396.

² - بدون توقيع، ويأتيك بالأخبار من لم تزود، الزهرة، تونس، 1931/02/04.

فقد اعتبر الطلبة الجزائريون هاته الجمعيات بمثابة منابر الحوار التي يتبادلون خلالها أطراف الحديث، ويتناقشون ويتشاورون في كل قضية وشائبة، فظلوا بذلك محافظين¹ على العلاقة التي ربطتهم بها، فقد كانت الجمعيات الثقافية المختلفة تمثل لهم المكان الممتاز للالتقاء وتبادل الأفكار والعنصر المتمم للعمل التكويني الذي تقوم به المراكز العلمية كالمكتبات.

ومن بين الجمعيات التي كانت تعمل داخل الوسط الزيتوني "جمعية الشبيبة الزيتونية" التي تأسست في شهر جانفي 1937م برئاسة الطالب الجزائري حسن بن عيسى وبإشراف هيئة مديرة تتكون من ثلاثة أعضاء كلهم من طلبة الجامع الأعظم، ومن بين أهدافها علاوة على الدفاع عن الطلبة الزيتونيين والنخبة المثقفة بوجه عام إحداث روابط أخوية بين تلامذة مختلف المعاهد المدرسية، وتنظيم احتفالات ثقافية لإحياء ذكرى عباقرة الشعراء الذين ساهموا في الماضي في تحقيق مجد الوطن².

كما تشكلت في رحاب الجامع الأعظم جمعية طلابية جزائرية أخرى ذات طابع ثقافي اجتماعي خلال فترة الثلاثينات، هي جمعية الشباب السوفي الزيتوني، حيث جاء في إحدى المراسلات المحررة من طرف جماعة من الجزائريين من أصول وادي سوف، لهدف مساعدة مواطنيهم الطلبة في الجامع الكبير، وهو تجمع لا يملك أي صبغة سياسية³، كما تضمنت مراسلة أخرى تقريرا مفصلا من طرف المصالح الأمنية موجه إلى الإقامة العامة حول ظروف انعقاد الجمعية العامة لهذه الجمعية جاء فيه: إن هذه الجمعية قد انعقدت تحت رئاسة الطالب الحفناوي هالي لخضر 26 سنة بالحاضرة أواسط شهر جويلية أسفرت عن وضع قانون أساسي للجمعية يعدد أهدافها كما يلي:

- توطيد كل أشكال الصداقة والأخوة بين الطلبة الجزائريين الدارسين بجامع الزيتونة بصفة عامة، وبين الطلبة من أصول سوفية خاصة.

¹ - خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 1199.

² - العياشي مختار، الزيتونة والزيتونيون في تاريخ تونس المعاصر، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003م، ص 199.

³ - A.N.T. ; série E, c 509, dossier 252, doc n°5.

- تكوين رابطة بين مجموع الطلبة بهدف تيسير العقبات التي عادة ما تصادف الطالب الجزائري بتونس سواء منها المادية أو المعنوية.
- إنشاء صندوق للجمعية من تبرعات واشتراكات الطلبة المنضوين داخل الجمعية وفق شروط وضوابط معينة.
- تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراد الجمعية.
- تفعيل النشاط الثقافي والإبداعي والأدبي في وسط الطلبة الجزائريين الدارسين بجامع الزيتونة.

وقد تمخضت الجمعية العامة السابقة الذكر عن تشكيلة سياسية متنافسة متميزة بشبه سيطرة للهاليين- أحوال الأستاذ أبو القاسم سعد الله- وفق الترتيب التالي¹:

- الرئيس: الحفناوي هالي لخضر 26 سنة، طالب من وادي سوف.
- النائب: محمد مناعي 28 سنة، تاجر من وادي سوف.
- الأمين العام: الطيب هالي 22 سنة، طالب من وادي سوف.
- النائب: العيد هالي بن لطرش 22 سنة، طالب من وادي سوف.
- المقصد: عمار باري 35 سنة، طالب من قالمة.
- النائب: عبد الهادي هالي بن علي 22 سنة، طالب من وادي سوف.
- الأعضاء: يوسف هالي إبراهيم 24 سنة طالب، الطاهر العلال 23 سنة، بشير هالي عثمان 28 سنة طالب، صالح هالي الطيب بوغزولة 24 سنة طالب، عثمان هالي أحمد إبراهيم 24 سنة طالب، بلقاسم هالي أحمد 20 سنة طالب.

وقد سمح الترخيص لهذه الجمعية في 28 جانفي 1937، في مراسلة من مصالح الحكومة العامة تحت رقم (6-2373)².

من بين ما اهتمت به الجمعية ما يلي:

¹ - A.N.T. ; série E، c 509، dossier 252، doc n° 4.

² - خير ادلين شترة، الطلبة الجزائريون...، المرجع السابق، ص ص 1027-1028.

– إجراء دورات تكوينية مكثفة للمراجعة في عدد من المواد المدرسة للطلبة المقبلين على امتحانات شهادتي الأهلية والتحصيل.

– إحياء بعض المناسبات الدينية والوطنية كحفل المولد النبوي الشريف والهجرة النبوية، وكذا ذكرى وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس.

ومن برامجها الثقافية إقامة المسابقات الشعرية حول النهضة الإصلاحية والاجتماعية والثقافية، وقد كانت تلك التظاهرات المختلفة تجلب عددا معتبرا من طلال الجامع الأعظم إضافة إلى أعداد الخطب المتنوعة وتعلم إلقاءها.

– مراقبة التلميذ السوفي من الناحية الدراسية والناحية الأخلاقية ليكون جدير بالاسم الذي يصله.

كما أسس الطالب أبو القاسم سعد الله رفقة زملائه من الجزائر وتونس عام 1952م وهي رابطة القلم الجديد، يروي ذلك الأستاذ أبو القاسم سعد الله بقوله: لقد اجتمع عدد من الأدباء الشباب ومعظمهم تونسيين، ومعهم بعض الجزائريين، ومنهم أنا، ألفنا رابطة أطلقنا عليها اسم (رابطة القلم الجديد)، ولا اذكر الآن من أعضائها سوى الشاذلي زوكار، وابن حميدة، ومنور صارح من تونس، ومحمد علي كرام من الجزائر، وليس لهذه الرابطة قانون أساسي ولا مقرر رسمي وإنما هي صحبة الأدب والشعر واجتماع الظرف والألفة، فكنا أحيانا تجتمع في بيت احدنا بمدرسة داخلية وأحيانا في الهواء الطلق وأحيانا في مقهى¹.

وكان الحديث دائما عن الإنتاج الأدبي لنا أو لغيرنا، وما نشرته المجلات والجرائد في هذا الميدان، وقراءة أشعارنا على بعضنا، وجميع هؤلاء كانوا – كما يدل اسم الرابطة- إلى حد ما شاعرين بالكبت الجماعي والسياسي والأدبي، وقد ظهرت عندئذ بعض المجلات الجديدة ك(الندوة والفكر والمعارف) وأذكر أنني نشرت في المجلة الأخيرة، وفي البصائر الجزائرية، والآداب البيروتية وغيرها بعض أشعاري بأمضائي المرفقة بعبارة (رابطة القلم

¹ - أبو القاسم سعد الله، هموم حضارية، المرجع السابق، ص 49.

الجديد)، وقد انقطعت بعد عودتي إلى الجزائر سنة 1954م عن النشاط الأدبي الذي اعتدته في تونس وخصوصا علاقتي بإخوان الأدب في رابطة القلم الجديد¹.

وكانت الجمعية بتونس سنة 1953م قد نظمت مسابقة تحت عنوان "أملك في مستقبل بلادك" وكنت حينئذ مسئولا على الجمعية، فلم أشارك فيها، ولكن الطلبة المشاركين عبروا من خلال إسهاماتهم الفكرية عن آمالهم فيما يلي: تحرير وطنهم من الاستعمار، ورفع شأن شعبهم بين الشعوب بالعلم والعمل، واستعادة ذكريات الماضي المجيد².

وبعيدا عن الجمعيات والنوادي الثقافية الأدبية، حافظ بعض الطلبة المولعين بالرياضة على علاقاتهم بالنوادي الرياضية³، ومعروف أن الحكومة التونسية لم تسمح للطلبة الزيتونيين بالنشاط الرياضي إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أي تقريبا مع بداية سنة 1946م، حيث كان الطلبة الجزائريون يترددون كل يوم على ملعب العمران بقيادة المدرسين عبد الوهاب الكرارطي وعبد المالك الورتاني، وكانوا يرددون الأناشيد الوطنية عند مرورهم بساحة باب السويقة، وأحيانا على طول الطريق المؤدية إلى الملعب، وكان من بين الطلبة الجزائريين الزيتونيين الذين انضموا إلى فريق كرة القدم خلال الفترة الممتدة بين 1947م- 1951م الطالب حمرات محمد (حارس مرمى) والهادي بشيشي (اللاعب رقم 09) ومعروف محمد من مدينة السحولة (اللاعب رقم 04)، ويبدو أن هؤلاء الطلبة كانوا يشاركون في بعض المقابلات خلال العطلة الأسبوعية⁴.

- محاولة تلحين نشيد قسماً:

في سنة 1950م التحق الطالب محمد العساكر ببعثة أبناء ميزاب في تونس، لمواصلة دراسته بالجامع الأعظم، وبعد مضي أربع سنوات تقريبا سارع شعراء البعثة للتلغني ببطولات وأمجاد ثوار الفاتح نوفمبر، وكان تجاوب الطلاب الميزابيين في تونس مع

¹ - نفسه، ص 49.

² - نفسه، ص 50.

³ - تأسست أول جمعية رياضية في الوسط الزيتوني عام 1930 تدعى "الزيتونة الرياضية"، لتليها في نهاية سنة 1930 جمعية النهضة الرياضية برئاسة الشيخ محمد صالح النيفر. ينظر العياشي، الزيتونة والزيتونيين، ص 210.

⁴ - خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون، المرجع السابق، ص 1211.

الثورة قد تطور إلى تجاوز حدود الشعر، فكان التزام نظامي ونضالي، وكان الطالب محمد العساكر* في مقدمتهم باعتباره أحد أعضاء لجنة تسيير شؤون هذه البعثة.

وفي أواخر سنة 1955م قدم الشاعر الكبير مفدي زكريا في مهمة خاصة إلى تونس بتكليف من المناضل عبان رمضان ورفقائه من قادة الثورة بداخل البلاد، مهمة تلحين نشيد قسما الذي نظمته قبل فترة قصيرة بعد اختياره نشيدا رسميا للثورة الجزائرية¹.

اتصال الشاعر بمحمد ورفاقه من مسؤولي البعثة لمساعدته في مهمته فوافقوا على ذلك، كانت المهمة حساسة وخطيرة لأن تونس لم تحصل على استقلالها التام بعد ومع ذلك قام الطلبة بواجبهم أحسن قيام بتنظيم الحراسة حول مقر البعثة بنهج ابن خلدون لتأمين عملية التلحين التي كان الأداء فيها بحناجر تلامذة البعثة أنفسهم، غير أن هذه الحناجر كانت ما تزال غصّة، فلم تعط النشيد الشحنة الكافية من الحماس الضروري².

وقد استغل مفدي زكريا فرصة هذه المحاولة ليعقد اجتماعا مع طلبة البعثة، ويحدثهم عن صلاته المباشرة بقيادة الثورة في الداخل، وتطور الوضع على الصعيد السياسي والعسكري، وبناءً على ذلك أصبح العساكر ورفاقه يجتمعون بزملائهم في جلسات نظامية لمتابعة تطورات الثورة فضلا عن متابعة الدراسة والمشاركة في الندوات الثقافية، وبعد تأسيس لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن مؤتمر الصومام حل بتونس المجاهد إبراهيم مزهودي**، فاتصل بالطالب محمد بواسطة عباس التركي مسئول مالية جبهة التحرير الوطني بتونس آنذاك، ليطلب منه ترشيح شخص لنقل رسالة إلى قيادة الثورة بالجزائر العاصمة،

* - ولد محمد العساكر بالريان بمدينة غرداية سنة 1928، وبها بدأ تعلم مبادئ القراءة والكتابة، حفظ جزءا لا بأس به من القرآن الكريم، في سنة 1939 سالتحق محمد بالمدرسة ويصبح تلميذا للشيخ عبد الرحمن باكلي، وبعد قضاء خمس سنوات انتقل إلى القرارة لمواصلة دراسته على يد الشيخ بيبوض، بمدرسة الشباب التي كانت شبه سرية، حيث كان يتلقى الدروس في بيت متواضع للشيخ تارة، ويحضر الحلقات في المسجد تارة أخرى، متن عضد محمد العساكر بالقرارة لغويا وأدبيا، فأصبح يتدرب على الخطابة والشعر.

¹ - عباس محمد، محاولة تلحين قسما، الشروق ع 2535، 17 فيفري 2009م الموافق لـ 21 صفر 1430هـ، ص 21.

² - عباس محمد، محاولة تلحين قسما، الشروق ع 2535، ص 21.

** - ولد في 9 أوت 1922 بقرية الحمامات، التحق بمدرسة التنسي لتهديب البنين، انتقل إلى الزيتونة عام 1938، وحصل على شهادة التحصيل عام 1946، وفي سنة 1948 سافر إلى باريس والتحق بجامعة السربون، عاد إلى الجزائر سنة 1953، اشتغل كمفتش عام لمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أشرف على جريدتي المقاومة والمجاهد، شارك في مؤتمر الصومام، ثم كلف بالنشاط السياسي في تونس، ثم مديرا للديوان برئاسة الحكومة المؤقتة، بعد الاستقلال أصبح نائبا في المجلس الوطني، ثم سفيرا بالقاهرة.

فوجد التاجر يحي الواهج وهو متطوع لخدمة الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب، وتميز بجهوده في تهريب طلبة المنطقة الراغبين في مواصلة الدراسة بتونس، لم يتردد يحي الواهج في أداء هذه المهمة الخطيرة خاصة وأن الظرف سميك وعليه خواتم جبهة التحرير الوطني¹.

وبعدما برزت فكرة بعث تنظيم كشفي في إطار جبهة التحرير الوطني في أوساط الطلبة والشباب الجزائري بصفة عامة والذي كان آنذاك إن لم نقل كله مهيكلا في خلايا سرية لجبهة التحرير الوطني، تعمل هذه الخلايا حسب مناهج ثورية مدروسة، وفي صائفة 1957م شارك عدد من الطلبة الجزائريين بتونس في مخيم صيفي أقامته الكشافة التونسية بمنطقة (الوطن القبلي)، وكان من بين الطلبة الجزائريين المشاركين في هذا المخيم إلى جانب التونسيين: أبو عبد الله غلام الله، بايوي اسماوي، الطاهر حمروني، صالح اسماوي، عيسى حجوجة، محمد الصغير، رزاق لبزة، رابح جابة، محمد غلام الله، عمر بن الشيخ، إبراهيم بلعيدي².

وكان المخيم المذكور متنقلا ومشيا على الأقدام بكامل مدن منطقة الوطن القبلي من تونس العاصمة إلى نابل وقلبيية وقبرص وحتى الرأس الطيب، وبعد الرجوع من هذا المخيم مباشرة قاموا بتكوين عشيرة جزائرية انخرط فيها إلى جانب الذين شاركوا في هذا المخيم عدد آخر من الطلبة، فضمت بذلك 37 جوالا منهم: مبارك العيفة، عبد الله عثمانية، عبد المجيد تاغيب، رمضان الجمعي، عبد المالك ساسي، الأخضر عميار، محمد الشيخ قادري، غازي عصمان، محمد بابا علي، فضيل طوبال، نور الدين السايح، محمد بوادو، محمد الحاج أحمد، حسين الحاج أحمد، سعد نعمان، صالح مرابط، عبد القادر لعجال، نور الدين قرطي، علي رزوق، بشير قرطبي، رشيد آكلي...، كانت هذه العشيرة تعمل في بداية تكوينها ضمن الكشافة التونسية حتى تكتسب خبرة وتكوينا صحيحين، سميت هذه العشيرة (العشيرة السابعة)، هذا الرقم أعطي لها حسب ترتيب عشائر الكشافة التونسية (جهة

¹ - عباس محمد، محاولة تلحين قسما، الشرق، ع س، ص 21.

² - لبزة محمد الصغير رزاق، الكشافة وجيش التحرير الوطني، الكشافة الإسلامية الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 1999، ص ص 60-61.

تونس)¹، وهي أول عشيرة جزائرية تكونت من طرف مناضلين في جبهة التحرير الوطني في تاريخ جزائر الثورة، كانت هذه العشيرة بحق شعلة ثورية لفتت أنظار الشعب التونسي والشعوب الأخرى التي زارها جوالون منها، وذلك بما أظهره من نشاط فعالو نظام محكم وتكوين وحنكة في التنظيم والتسيير، وأول من قاد هذه العشيرة أبو عبد الله غلام الله بمساعدة بايوي أسماوي، وعيسى محجوجة، ثم قادها رابح جابة، ثم محمد الصغير رزاق لبزة، ثم مبارك العيفة².

وأشهر الأفواج الكشفية الجزائرية بتونس العاصمة انتشارا وحركية هو فوج الجبل الأحمر الذي تشكل أساسا من طرف الطلبة الجزائريين بتونس والجالية الجزائرية المؤلفة من المهاجرين واللاجئين، حيث كانت مدرسة الجبل من الجواله التحقوا فيما بعد بصفوف جيش التحرير الوطني للدفاع عن الوطن³.

ففي خريف 1958م، كوّنّت اللجنة الجزائرية من طرف الطلبة بايوي أسماوي، رابح جابة، رزاق لبزة، وكان مقرها بنهج الكوميسيون بتونس العاصمة وعيّن على رأسها محمد بالطيب*، وبهذا تكون التركيبة الأولى للجنة الكشفية الجزائرية من محمد بالطيب قائدا عام وقائدا لقسم الفتيات، وعبد الرحمن شيبان (مرشدا عاما)، ورايح جابة (كاتبا عاما)، بايوي أسماوي مسئول العلاقات الخارجية، محمد الصغير لبزة نائب الكاتب العام، معلم محمد مسعود قائد قسم الكشافة، بلقاسم فرصادة (قائد قسم الجواله) بلقاسم لونيس (قائد قسم الأثبال) صالح أسماوي (مسئول المالية)⁴.

¹ - لبزة محمد الصغير رزاق، الكشافة وجيش التحرير الوطني، المرجع السابق، ص 86.
² - رابح جابة (جابر) ومحمد الصغير رزاق لبزة (العلمي)، الحركة الكشفية أثناء الثورة التحريرية، الكشافة الإسلامية الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 1999، ص 85.
³ - كواتي (مسعود)، الكشافة الإسلامية الجزائرية في الجبل الأحمر بتونس، الكشافة الإسلامية الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 1999، ص ص 78، 87.
^{*} - محمد الطيب، جزائري مقيم بتونس كان عضو القيادة العامة للكشافة التونسية، وقائد قسم الفتيات وموظف بوزارة الشباب والرياضة التونسية.
⁴ - رابح جابة، لبزة، المرجع السابق، ص 64.

ولقد باشرت هذه اللجنة نشاطها في إطار جبهة التحرير الوطني ونفذت برامجها المسطرة بكل دقة وعلى كافة الأصعدة الكشفية، بهدف تكوين أفواج كشفية جزائرية بكامل جمهورية التونسية وفي كل بلدة أو قرية يوجد فيها مستوطنون جزائريون أو لاجئون، وما هي إلا أشهر قلائل حتى حقق الهدف فكوّنت الأفواج ومدت ببرامج عمل ودراسات كشفية وبكامل التعاليم الضرورية لتلقي شبابنا التعاليم الكشفية والوطنية الكاملة.

وهكذا بلغ عدد الشباب الجزائري المهيكّل في الحركة الكشفية الجزائرية بكامل تراب الجمهورية التونسية أكثر من 10000 شاب وشابة، وكان الطالب الزيتوني محمد الطيب الثعالبي (سي علال) عضو المجلس الوطني للثورة هو المسؤول الأول عن النظام الكشفي الجزائري بكامل التراب التونسي.

ويعود سبب ازدهار الحركة الكشفية بتونس أكثر إلى عدد الأفواج، وعدد المنخرطين فيها مما اضطر إلى ضرورة تكوين إطارات كفأة لتسييرها وقيادتها، فتم تنظيم مخيم تمهيدي لتكوين القادة خلال صائفة 1959م، بمدينة منزل بورقيبة بقيادة رابح جابة (جابر) ومساعدة محمد الصغير رزاق لبزة، حيث شارك ما يقارب 100 من أفراد الكشفية الجزائريين الموجودين بتونس، ولقد دعي لهذا المخيم بالخصوص المسيرين على مستوى الأفواج، والذين لم تكن لهم شهادات تأهيلية، وفي نهاية هذا المخيم تحصل الكثير منهم على شهادات تؤهلهم للقيادات الصحيحة للرمز والفرق والعشائر.

وفي صائفة 1960م نظمت الأفواج الكشفية أيضا مخيم تحضيرية للجمبوري العربي الرابع بغابة الرمال (قرب بنزرت)، وشارك فيه 600 جزائري من كافة الأفواج المنتشرة بكامل الجمهورية التونسية وقد قاده دائما رابح جابة، كانت الحركة الكشفية بتونس تُموّل بعدة طرق يذكرها الطالب لبزة العلمي: " في المرحلة الأولى كان تمويلا ذاتيا، وكيف ذلك ونحن طلبة ليس لنا مدخول؟ ففكرنا في القيام بأنشطة تجلب لنا لتتمكن من شراء الأزياء الرسمية وبعض مصاريف الأكل أثناء التخيم وفي المرحلة الثانية كنا نقوم بجملّة أنشطة قصد الحصول على المداخل المالية منها¹:

¹ - رابح جابة، لبزة، المرجع السابق، ص ص 70 وما بعدها.

– القيام بالحفلات التي ينظمها وقيمها الكشافة فيحيونها بأناشيد ثورية ومسرحيات وتمثيلات، بثمن دخول رمزي فكان يقدم لمشاهدتها عدد كبير من الشعب وأحيانا نبيع أشياء رمزية بالمزاد العلني.

كنا نقوم ببراء قاعات العرض السينمائية لكي نعرض فيها أفلاما، ويعود مردودها إلى الكشافة.

– مساعدات عديدة كانت تقدمها لنا جبهة التحرير الوطني وخاصة في السنوات الأخيرة أي بعد سنة 1956م، حيث كانت توفر لنا النقل لنقل المخيمين ولزيارة الأفواج الخارجة عن العاصمة، وتساعدنا كذلك على شراء الأزياء الرسمية للكشافة.

لقد شاركت الأفواج الكشفية الجزائرية التي يوطرها الطلبة الجزائريون بتونس في عدد من الأنشطة والمؤثرات العربية والإقليمية منها¹:

– تنظيم مخيم كشفية متنقل بليبيا بقيادة محمد الصغير لبزة ومساعدته عبد المجيد تاغيت في صائفة 1959م..

– الجمهوري العربي الرابع المنعقد ببئر الباي وبرج السدرية في صائفة 1960م، حيث كان المخيم الجزائري مضربا للمثال من طرف كل الوفود العربية في الجمهوري، ومحل عناية من طرف المسؤولين الجزائريين في الجبهة، وأوكلت قيادة هذا المخيم أو أحد قادة الأفواج وهو مصطفى بسطانجي، وكانت هناك مسابقات بين المخيمات، حيث منحت الجزائر جائزة أحسن مخيم عربي.

– المؤتمر الكشفي العربي الرابع سنة 1960م، وكان من قادة الوفد الجزائري الزيتوني الشيخ عبد الرحمن شيبان المرشد العام.

– قيام الجوالان بايوي أسماوي، ورابع جابة سنة 1960م بجولة على الأقدام من تونس حتى مدينة القاهرة حاملين العلم الجزائري وباللباس الرسمي للكشافة الجزائرية، وكذلك عادا بنفس الطريقة والأسلوب.

¹ - رابع جابة، لبزة، المرجع السابق، ص ص 70 وما بعدها.

– إصدار اللجنة الكشفية الجزائرية مجلة تكوينية تحت عنوان (الشباب الجزائري) كانت تعنى بمختلف نواحي تربية الشباب، وتمده ببعض المعلومات الكشفية والوطنية، صدر منها إحدى عشرة عدداً.

ثالثاً: الطلبة الجزائريون ووحدة المغرب العربي :

لم يتخل الجزائريون عن انتمائهم العربي في يوم من الأيام ، رغم كل المحن التي مرت بهم ، ورغم ما قامت به السلطة الفرنسية لاجتثاث هذا الشعور ، ففكرة المغرب العربي الموحد نجدها كامنة في طيات تاريخه العريق ، وإن اختلفت دوافع توحيد الأقطار المغربية ، فإن قيام الدولة الموحدية التي استطاعت بنجاح أن تجمع شمل هذه الأقطار وتوحيدها تحت نظام إداري وسياسي واحد ، في فترة زمنية معينة يبقى المرجع الأساسي للبحث عن جذور فكرة المغرب العربي الموحد¹ .

تمثلت الوحدة في إعادة بداية العمل المغاربي الوطني المشترك ضد الاستعمار إلى التقارب الذي جعل من نتائج الالتقاء ، والذي تم بين جماعة الشباب التونسي ، وجماعة جريدتي (الهلال و الإسلام) الجزائريتين في مطلع العشرينية الثانية من القرن العشرين ، وتطور العلاقات بين الطرفين ، إلى درجة اقتناعها بالعمل ضمن الرابطة الإسلامية ، وتم إرساء مشروع وحدة نضال شبان المغرب العربي الذي بدأ بعقد مؤتمر للتونسيين والجزائريين بتونس في ربيع 1912م ، يتباحثون فيه المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمواجهتها ، وقد بدأ العمل بهذا المؤتمر فانتخبت لجنة التحرير قانونه الداخلي وتم تسطير أهدافه ومجالات عمله وطرقه .

¹ - يذكر سعيد أبي بكر في رحلته إلى الجزائر أنه التقى بالمناضل عبد الرحمان البيلاوي ، الجزائري الناشط في الحزب الدستوري والحركة الصحفية التونسية ، أنه قد كان لإقامة الثعالي في المشرق العربي أعمق الأثر في تطور الحركة الوطنية التونسية ، وتبلور فكرة الوحدة المغربية ، فقد كان أول من نادى بتوحيد الأمة العربية ، وقد ربط حركة التحرير الوطني في أقطار المغرب العربي بحركة التحرير في المشرق العربي ، وكان أول من دعى إلى إقامة جامعة علمية في القدس رغم معارضة علماء الأزهر للفكرة ، للمزيد ينظر علي الزبيدي الزيتوني ودورهم في الحركة الوطنية التونسية (1904م - 1945م) ، تقديم عبد الجليل التميمي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، صفاقس ، 2007م ، ص 510 .

وقد كانت الدعوة في ذلك المؤتمر زيتونية ، وضمت لجنته تلك ثلاثة زيتونيين هم المشايخ الثعالبي والحجابي وبورقيبة بالإضافة إلى باش حانبه وقلاتي¹، فبعد عودة الشيخ الثعالبي إلى إسطنبول عام 1912م حاول إحداث تنظيم إسلامي وحدوي سري تحت غطاء الجمعية الطلابية ، وربما حاول الشيخ ربط هذا التنظيم فيما بعد بالمغاربة الموجودين في مصر، إذ تأسست بها جمعية الوحدة المغربية ، وكانت تضم أعضاء من كافة أقطار المغرب العربي يديرها صالح سعيد الخالدي ، وقد ربطت هذه الجمعية علاقات وطيدة مع جمعية المنتدى الأولى ، وكان لها دلالتها اعتبارا لما اختصت به جمعية المنتدى دون غيرها من الجمعيات العربية المعاصرة لها².

وربما نسج الشيخ الثعالبي ورفيقه باش حانبه المقيمان في إسطنبول على منوال عبد الكريم خليل في العمل السري ، إذ بادر الشيخ بالتخطيط لتأسيس أول جمعية سرية في تونس للعمل من خلالها ضمن وحدة النضال السياسي لشعوب الأمة الإسلامية ، وقد وجه الشيخ رسالة إلى الشاذلي القسطلي بتاريخ 24 مارس 1912م ، فصل فيها النظام العملي بتلك الجمعية ، وكلفه بإنشائها في تونس والإشراف عليها ، كما اقترح عليه العشر أعضاء الأساسيين الذين يعتمد عليهم التنظيم في العمل والدعوة والتوسع³.

ثم قام الشيخ الثعالبي وهو في باريس سنة 1919م رفقة الأمير خالد بن عبد القادر الجزائري بتأسيس لجنة لتحرير تونس والجزائر أو ما يعرف باللجنة التونسية الجزائرية⁴ وذلك في مواجهة سياسة فرنسا التي كانت تعمل على استثمار التسجيل الذي مازالت تحظى

¹ - ربما كان هذا البعد الوحدوي أهم عامل لاتخاذ السلطات الاستعمارية قرار نفي باش حانبه والشيخ الثعالبي خوفا من انتشار موجة مناهضة لفرنسا بالجزائر .

² - جمعية المنتدى : فأما من حيث قيادتها الصلبة فتتميز بإيمانها القومي العربي ، وعدائها لسياسة التتريك من قبل عبد الكريم خليل وسيف الدين الخطيب ، ورفيق رزق سلوم ، وعزه الجندي ، وجميل الحسيني ، وسليمان مخيير ، وعاصم سيسو ، وأما من حيث احتضانها لمنظمة سرية أنشأها عبد الكريم خليل رئيس المنتدى في سنته الثانية ، وهي النسبية العربية المعروفة باسم (الجمعية القحطانية) للمزيد ينظر علي الزبيدي ، المرجع السابق ، ص 511 .

³ - الأعضاء العشر من بينهم الشاذلي القسطلي ، الشاذلي حلموش ، بورقيبة ، حمود المنستيري ، الطاهر المهيري ، محمد بن حمودة محسن ، محمد المقدم ، صالح الجمال ، الهادي الكسوري .

⁴ - تشكلت هذه اللجنة من الشخصيات الآتية أسماؤهم بالنسبة للتونسيين : الشيخ صالح الشريف التونسي أستاذ في جامع الزيتونة ، محمد الأخضر حسين أستاذ في جامع الزيتونة ، الشيخ محمد السبتي التونسي ، محمد باش حانبه ، ومن الجزائر الشيخ محمد مزيان التلمساني ، ومحمد بيراغ الجزائري ، وحمدان بن علي الجزائري ، للمزيد ينظر أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 333.

به الخلافة العثمانية في بلاد الإسلام ، وتسعى فرنسا محاولة على المدى البعيد قطع الطريق على احتمال قيام حركة منسقة بين عرب المشرق والمغرب ، باعتماد سياسة (إسلام فرنسي) ، والتحفظ على أي احتمال لقيام وحدة مغاربية انسجاما مع مبدأ فرق تسد، ولهذا النضال المغربي صدى في المراسلات السرية بين كبار موظفي الإدارتين الاستعمارييتين الفرنسيتين لتونس والجزائر.

فقد أفاد قائد جيش الاحتلال بتونس في إحدى رسائله السرية إلى وكيل الإقامة العامة بتونس بتاريخ 17 ديسمبر 1920م ، أن الشيخ صالح بن يحيى كتب عدة مرات إلى الشيخ الثعالبي عندما كان بباريس، يطلب منه الاهتمام بقضية ميزاب والميزابيين الذين يعانون من استبداد المكاتب العربية والمسؤولين الأهليين ، وأن محمد بن صالح بن جمال التاجر في قسنطينة ، كتب بدوره إلى الشيخ الثعالبي يطلب منه اشتغال نفوذه في باريس لفائدة الوفد الجزائري الذي يعد بين أعضائه الأمير خالد ، كما وجه إليه قائمة لأسماء الشخصيات التي يجب أن يوجه إليها نسخا من كتاب تونس الشهيدة¹.

كما طلب الحاكم العام الفرنسي للجزائر من المقيم العام الفرنسي بتونس في رسالة بتاريخ 16 فيفري 1921م أن يراقب كل المراسلات الموجهة إلى الجزائريين عمر بن قدور الجزائري ، ومحمد صالح بن جمال التاجر بقسنطينة ، وكذلك كل المراسلات الموجهة من قبل جزائريين إلى تونسيين مشتبه بهم ومتورطين بشكل أو بآخر في قضية الشيخين عبد العزيز الثعالبي وصالح بن يحيى الميزابي ، ويرى الحاكم العام للجزائر أن مراقبة من هذا القبيل ستبين إذا كان هناك مخطط مشترك بين مسلمي الجزائر وتونس من أجل نشر الأفكار البلشفية ، في شمال إفريقيا بغية تحقيق غايتهم².

¹ - أ.وبت سلسلة الحركة الوطنية ، صندوق 10 ملفات 1/5 ، ص6 ، رسالة سرية بشأن العلاقات بين مثبري اضطرابات التونسيين والجزائريين موجهة من قبل الجنرال روبيو قائد جيش الاحتلال في تونس إلى وكيل الإقامة العامة فيها ، بتاريخ 17-12-1920م نقلا عن علي الزيدي ، المرجع السابق ، ص511 .

² - نفسه .

كما يطالب الحاكم العام من المقيم العام أن يبلغه في حال قبوله بالعرض بنتائج هذه المراقبة تباعا ، ليتمكن من وقف هذه الحركة التي ليس من شأنها إلا أن تضر بسيطرة فرنسا على ممتلكاتها في شمال إفريقيا¹ .

والحقيقة أن ارتباط الجزائريين بجامع الزيتونة ووجود عدد وفير من الجزائريين المقيمين بتونس سهل ربط العلاقات بين الوطنيين التونسيين والجزائريين المؤمنين بوحدة النضال ضد الاستعمار المشترك ، وجعل مهمة مراقبة تحركات الوطنيين على جانبي الحدود بين القطرين على درجة من الأهمية بالنسبة للإدارتين الاستعمارييتين بتونس والجزائر² .

لقد كانت زيارة الناشطين الوطنيين لتونس كثيرة ، مما كان يمهد لتبادل الأفكار وقيام استشارات ليست بالضرورة بلشفية كما نعتتها مراسلات موظفي الإدارة الفرنسية في تونس والجزائر لأن هؤلاء الموظفين ظلوا يخطون عن قصد وغير قصد بين مختلف التيارات الفكرية والسياسية التي تخص الرعايا التونسيين والجزائريين ويلبسونها ما يشاؤون من أسماء ونعوت وكان الجزائريون الذين يترددون على زيارة تونس معظمهم ممن درسوا في جامع الزيتونة وربطوا علاقات علمية وثقافية عامة أو تجارية بتونسيين أو جزائريين مقيمين بتونس ، كما دلت على ذلك التقارير الرسمية الواردة في 14-05-1921م بشأن الجزائري محمد بن كبير التاجر الميزابي بخنشلة من أنه شارك عمر قدور صاحب جريدة الفاروق لإصداره جريدة باسم الصديق³ ، وكان بن كبير يلتقي خلال أسفاره بشبان دستوريين تونسيين وصحافيين أهليين ، وأغلب مواطنيه ، ومنهم الطيب بن محمد بن عيسى ومحمد الجعاتي وسليمان الجادوي ، والشاذلي المورالي ومحمد بن مصطفى عباس

1 - علي الزيدي ، المرجع السابق ، ص14 ، بتاريخ 16-12-1921م .

2 - نفسه ، ص512 .

3 - لم تدم شراكتها واحتفظ بن كبير بالجريدة لنفسه بعدما نشأ خلاف بين هذا الأخير وشريكه عمر بن قدور بسبب رغبة الأول في استعمال دخل الجريدة في الدعاية الوطنية ورغبة الثاني في الإبقاء عليه من أجل المحافظة على الجريدة .

الملاك الجزائري المتطوع بالجامع الأعظم وأخيه الهادي بن مصطفى، والشيخ صالح بن يحيى وإبراهيم بن محمد بن الحاج إبراهيم أطفيش الميزابي¹.

وقد كانت زيارات العلماء الجزائريين إلى تونس متواصلة ، وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس من أبرز الزائرين ، فقد تردد على البلاد التونسية مرات عديدة ، وكانت له بها صلات مع مدرسيه وزملائه بالجامع الأعظم .

وفي إطار آخر نلمس فكرة المغرب العربي الموحد في كل خطوة خطاها نجم شمال إفريقيا منذ تأسيسه في باريس سنة 1926م الذي أسسه الأمير خالد الجزائري ، حيث نلمس في صحيفة الأمة لسان حال النجم هذه الفكرة بكل معانيها السياسية والثقافية والأيدولوجية ، التي عملت جاهدة على نشرها في أقطار المغرب العربي متخذة إياها كبرنامج عمل لها ، وكهدف أساسي من أهدافها .

وقام الزيتونيون أيضا بزيارات عديدة إلى مدينة قسنطينة والجزائر فزاددت الصلات بين علماء القطرين وثوقا خلال الثلاثينات ، ولعل مؤتمر اللغة العربية الذي التأم في تونس عام 1931م² بمبادرة من السلطات الاستعمارية الفرنسية بنفسها وهي في نطاق الاحتفال بخمسينية الاحتلال فقد خدم لدوره توسيع الصلات بما وفره من إطار لإلتقاء علماء من الأقطار المغربية الثلاث وممن شارك في أعمال ذلك المؤتمر نذكر : - من المغرب الأقصى الشيخ محمد الحجوري وزير المعارف ، وأبي شعيب الدكالي - من الجزائر: الشيخ الدراجي قاضي تلمسان ومزيان الأستاذ بمدرستها .

وهناك تجمع مغاربي آخر قدر له أ، يلعب أيضا دورا هاما في بعث فكرة المغرب العربي الموحد ليس في فرنسا فحسب بل في جميع أقطار المغرب العربي ، وهو جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا ، والتي قامت بعقد مؤتمرات ثقافية وسياسية وأيدولوجية

¹ - علي الزيدي ، المرجع السابق.

² - هو المؤتمر الأفخارستي الذي تم انعقاده بتونس وضم دول المغرب الثلاث الواقعة تحت وطأة الاستعمار الفرنسي آنذاك، وهم تونس الجزائر والمغرب .

وحضارية بقيت خالدة في تاريخ نشاطها من ذلك مؤتمر الجزائر 1931م ، مؤتمر تونس 1934م ، مؤتمر تلمسان 1935م .

وما يثبت الدور الأساسي الذي لعبته هذه المنظمة الطلابية المغاربية ، ومحاولات تجسيدها لفكرة المغرب العربي الموحد ، أنها استطاعت بتاريخ 22 فيفري 1937م ، أن تجمع في مقرها الرئيسي بباريس بحضور شكيب أرسلان ، الحبيب بورقيبة ممثلاً لتونس، ميصالي الحاج ممثلاً للجزائر ، السيد خلطي ممثلاً للمغرب ، ولم يكن هذا اللقاء التاريخي بمعزل عن النضال السياسي التضامني الذي خاضه الوطنيون المغاربة ضد عدوهم المشترك في كل من تونس والمغرب والجزائر ، وحتى بداية الخمسينات الماضية كان هذا هو اتجاه الحركة السياسية المغاربية التي سعت بكل ما لديها من إمكانيات مادية وأدبية لتجسيد فكرة المغرب العربي الموحد وجعلها تبرز إلى الوجود ، ولكن اختلفت ظروف الخمسينات، عن ظروف الحقبات التاريخية التي سبقتها لتحقيق وحدة المغرب العربي¹.

فظروف المناطق الثلاثة متقاربة جدا لا تباين فيها ، فإذا توفرت الإرادة والتضحية من أجل الصالح العام والنضال الحق ، فلن يبق هناك من مبرر يحول دون قيام وحدة سياسية بين أقطار المغرب العربي الثلاث².

وصار الأمر إلى أن يؤكد الجزائري أن لا فرق بين الدول الثلاث وأنه لا مبرر لقول كل من قال من الجزائريين والمغاربة أن المسألة التونسية ، مسألة داخلية لا دخل لنا فيها وكل التونسيون والمغاربة في القضايا الجزائرية ونحن الجزائريون والتونسيون في القضايا المغربية وهو يرى أن استعمار واحد في الأقطار الثلاث ، وأن الاستعمارين الفرنسي والإسباني يوحدان جهودهما لإبقاء المغرب العربي تحت سيطرتهم ، أليس هذا بكاف لكي تتوحد أقطار المغرب العربي ؟ ليعملوا معا من أجل تحررهم ، خاصة وأن الاستعمار ينظر

¹ - بلوزاع براهيمة ، كتابات الجزائريين في الصحافة التونسية (1947-1962)، رسالة التعمق والبحث في التاريخ المعاصر، إشراف أ.د عبد الجليل التميمي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/تونس، 1999.

² - عبد الجليل السعودي ، بلاؤنا جميعا بالاستعمار ، الأسبوع ، 19/02/1951م ، ص10.

إلى المغرب العربي نظرة واحدة ، وبعين واحدة فما يمنعنا نحن المغاربة من النظر إليه بنفس العين التي ينظر بها إلينا¹ .

وبرزت جمعية الشبان المسلمين في عهدة رئاسة الشيخ محمد صالح النيفر حيث نظمت يوم 18 جوان 1937م محاضرة بالخلدونية حول (الجزائر في ميدان العمل) ألقاها الطالب الزيتوني مفدي زكريا، حيث استعرض تاريخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وتعرض إلى نشاط الوطنيين في سبيل تحرير البلاد، كما ألقى الشيخ عبد الحميد بن باديس محاضرة عامة في تونس بدعوة من جمعية الطلبة الجزائريين، والجمعية الودادية الجزائرية تحت عنوان (الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري)، وقد علقت إحدى هذه المذكرات² إن الميزابيين الجزائريين والتونسيين اتحدوا في الرأي بهذه المناسبة حيث أنشدوا أناشيد تمجد الوحدة السياسية والدينية لشمال إفريقيا وتعظم حركة النجم كما نظمت الجمعية يوم 25 جويلية 1937م تظاهرة بمناسبة عودة الشيخ عبد العزيز الثعالبي من المشرق، كان من بين الحاضرين الشيخ عبد الحميد بن باديس، قرأ فيها رئيس الجمعية الشيخ النيفر برقيتين الأولى من قبل حزب الشعب الجزائري بتوقيع ميصالي الحاج والثانية من قبل مفدي زكريا ، وكان الشيخ بن باديس قد حضر إجتماعا انعقد يوم 21 جويلية 1937م في منزل الشيخ الثعالبي وبدعوة منه في نطاق مساعيه من أجل تحقيق المصالحة بين اللجنة التنفيذية والديوان السياسي³ .

كما زار بن باديس مجموعة المدرسين الزيتونيين الشبان⁴ ونصحهم بتأسيس جمعية علماء في تونس ، ترتبط فيما بعد بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فنشط المشايخ الشاذلي بن القاضي ومحمد الصالح النيفر ، والمختار بن محمود لتأسيس الجمعية ، وكان كل ذلك يوحى باهتمام الشيخ عبد الحميد بن باديس بالشأن التونسي وقربه من قادة الحركة

1 - عبد الجليل السعودي ، بلاؤنا جميعا بالاستعمار، المصدر السابق .
2 - مذكرة الاستخبارات التي أوردت خير محاضرة مفدي زكريا المؤرخة بالجزائر في 17/11/1939م .
3 - عبد العزيز الثعالبي ، بيان عام إلى الأمة التونسية ، كلمة الزعيم الأوحده الحاسمة ، الإرادة ، تونس 1937/10/3م ، ص 41 .
4 - لقاء بن باديس بالمدرسين الشبان تم بنهج الباشا الأول بن القاضي في ميني كانوا يتخذونه شبه نادي أدبي لهم .

الوطنية التونسية بشقيها الإصلاحية الإسلامي والحزبي الدستوري¹، ودليل على ذلك وحدة الشعبين المناضلين ضد عدو واحد الذي كان يراقب تلك الصلات عن كثب .

لقد ظلت المتغيرات الدولية أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية تسير لصالح الأقوياء المتوحدون لا الضعفاء المتشتتون وإيماننا بهذه الوحدة ، عمل الجزائريون على استغلال أي مناسبة لتدعيم أواصر الوحدة والأخوة المغاربية، وكانت عودة الزعيم الحبيب بورقيبة من المشرق العربي إلى تونس في سبتمبر 1949م ، حيث يذكر عبد الله ميمون ، أنه انتشر خبر رجوع الزعيم بسرعة البرق وتناقله الجزائريون إلى القرى المنعزلة والبوادي النائية وكلهم يتباشرون خيرا بمقدمه الميمون ويحمدون الله على وصوله سالما بعد اتمام المهمة التي اضطلع بها هو وصحبه الكرام ، وقاموا بها خير قيام ، ويشفعون ذلك بالتعاليق التي تتم على الإيمان بمستقبل المغرب العربي ، والعزم على مواصلة الكفاح خلف رجال الوطنية المغربية الذين ضربوا المثل عاليا في التضحية والثبات والعمل المتواصل².

وإذا فهمنا الأمر فإنه يبدو أن الوعي بالوجود المغاربي في هذه الفترة قد تخطى حدود النخبة ليجتاح الأوساط الشعبية³، فبعدما كان الاحتقار متبادلا في هذه الأوساط في البلدان الثلاث على السواء - فالتونسي شرقي وبراني حقير - في نظر العامي الجزائري والمغربي، الذين هما غريبان شريران في نظر العام التونسي، تغيرت الأوضاع وأضحى العامي لا يحس بالغربة في أي بلد من البلدان الثلاث بل أكثر من ذلك يحس بأنه في وطنه ، وأن الأجنبي على هذه الأرض إنما هو ذلك الأوربي المستعمر ولا أحد سواه⁴.

¹ - في يوم 20 نوفمبر 1937م نظم العمال التونسيون إضرابا بوحى من الحزب الدستوري تضامنا مع الجزائريين والأفارقة الشماليين قاطبة ، وقد صرح قادة الحزب خلال هذا الإضراب بأن هذا الموقف كان الأول من نوعه لتأييد الشعب الجزائري خاصة ، وقد وجه بن باديس على إثر هذا الإضراب رسالة إلى زعماء الحزب الدستوري هناهم وشكرهم فيها على هذه المبادرة الطيبة التي تتجلى الروح العربية والأهداف القومية الموحدة ،

Rapport de police. novembre 1937, Archives Historique. W.de Constantine.

² - عبد الله ميمون ، مرحبا بالزعيم الحبيب ، الزهرة 14 سبتمبر 1949م ، ص 2 .

³ - Samya el Machat, La Tunisie. Les chemins vers l'indépendance, 1945-1956. ed. L'harmattan. col. Histoire et perspectives méditerranéennes. Paris, 1992.p42 .

⁴ - عبد الله ميمون ، المصدر السابق ، ص 2 .

هذا الوعي ولد حساسية شديدة إزاء أي دعوات شعوبية من أي جهة صدرت فقد كان رد الفعل قويا وعنيفا ضد مقال الهادي ملولي ، مدير إحدى المدارس العربية في صفاقس ينتقد فيه الجرائد التونسية اهتمامها بقضايا المغرب العربي ، ويدعوها إلى الاكتفاء بالقضايا التونسية بحيث اعتبر مجلة الثريا (مجلة مروكية تطبع في تونس)¹ ، وذكرت الأسبوع أنها تلقت كما هائلا من الردود من أهل الفكر من الأقطار الثلاث ، واكتفت بنشر برد واحد² اعتبرته كافيا ، حيث انبرى صاحب الرد يسفه هذه الدعوة الإقليمية ، ويتساءل عن تركه في منصبه ينفث سموه في جيل كامل من أبناء المغرب العربي ، على عكس ما يفعله هو باعتباره مدير لمدرسة الحديث بتلمسان ، الذي يقوم بإفساح حيز هام لغرس الروح المغاربية في تلامذته ، ومن خلال برنامجه التعليمي المتمثل في نماذج من أشعار وأناشيد .

هذا العمل التربوي الداعم للشعور بالوحدة المغاربية الذي يزداد مع ازدياد القهر الاستعماري ، يعتبر غير كاف لوحده ، بل لابد من تدعيمه بالفن³، والثقافة⁴ ، وخصوصا الاقتصاد⁵، أي خلق بجانب الوحدة المعنوية الوحدة العملية المادية⁶، لتكون متكاملة، والوعي بها أمتن وأدوم .

وتوحيد أبناء المغرب العربي الكبير ، وأن ما يصيب أحدهم يؤلم الباقي ، لأن مغربنا العربي أصبح اليوم وطنا عربيا كبيرا واحدا لجميع أبناء هذا الشمال المكافح ، وويح فرنسا من أبناء المغرب العربي إذا توحدوا ، وعاشت تونس والمغرب والجزائر والوحدة العربية والعزة لنا⁷ .

¹ - بلوزاع براهيمة ، المرجع السابق ، ص 26 .
² - محمد الصالح رمضان ، في التربية القومية إلى الأستاذ المربي بمدارسنا العربية ، الأسبوع ، 4 ماي 1947م ، ص 3 .
³ - حديث صحفي مع محي الدين بشطارزي ، الأسبوع ، 18 جويلية 1949م ، ص 12 .
⁴ - إسماعيل العربي ، المؤتمر الثقافي رمز وحدتنا الفكرية ، الأسبوع ، 7 نوفمبر 1949م ، ص 3 .
⁵ - السائح الاقتصادي الجزائري ، فتح جديد في الاقتصاد الجزائري ، تأسيس شركة الأمل ، الزهرة ، 7 ماي 1947م ، ص 2 .
⁶ - عبد الله ميمون ، المصدر السابق ، ص 2 .
⁷ - عيسى المسعودي الكاتب العام لجمعية الطلبة الجزائريين ، صرخة من جمعية الطلبة الجزائريين ، الصباح 25 أكتوبر 1956م ، ع 1426 ، ص 3 .

وجد الطالب الزيتوني عبد الله شريط في سلسلة مقالات كتبها بجريدة الصباح في الفترة الممتدة بين 18 ماي إلى غاية 8 أوت 1951م ، يخرج فيها الوحدة العربية من إطارها الضيق إلى إطارها الجغرافي الواسع ففي رأيه أن الوحدة لا تعني توحيد أبناء المغرب العربي و فقط لقرب المسافة بينهم ، وإنما تتعدى ذلك لتشمل الوطن العربي بأسره، وهذا ما جسده في عشر مقالات عنونها بالقومية العربية بين الفكر والواقع .

يستهل عبد الله شريط مجموعة مقالاته هذه بمدخلة عنوانها : منشأ الفكرة القومية العربية¹، حيث يتساءل هل لهذه القومية من حقيقة تتمثل في الواقع وتتشكل في الحوادث التاريخية التي يمر بها العرب منذ نهضتهم الأخيرة ؟ أم هي مجرد حليف لخيالات الشباب العرب الذين يتغنون بها ، وومضات من التفاؤل تلمع وتنطفئ في عقول المفكرين العرب، وبعض سياسيينهم حسب الظروف وتقلبات الأجواء ؟ ، يجيب شريط عن سؤاله بأراء بعض المؤرخين حول فكرة القومية العربية ، بدءا بالدكتور فيليب حتي الذي يرى بأن محمد علي الذي أوجد الدولة الخديوية في مصر كان يحلم بإنشاء إمبراطورية عربية شاملة تتمركز في عاصمته القاهرة ، قبل أن يكون العرب على شيء من الوعي القومي ، لمثل هذه الوحدة أو الانضمام إلى جامعة شاملة لأبناء جلدتهم في مختلف أوطانهم ، ولكن تعرض الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا لهذا الطموح قد كبت القضية في مهدها ، وذلك لتبقى على شيء من قوة الدولة العثمانية المنهارة ، حتى ينم التوازن بين القوى الماثلة في تلك المنطقة، وهي السياسة التي اشتهرت بها بريطانيا في كل مناطق العالم ، أي سياسة التوازن العظمى.

في حين يرى البعض الآخر من المؤرخين أن ميلاد القضية العربية لم يكن على يد سياسيين يحلمون بالإمبراطوريات، ولكن على يد شباب من العرب السوريين ، فالعراقيين ممن نشأت فيهم فكرة الكفاح من أجل قضية بلادهم الخاصة، والخروج بها من ربة الخلافة العثمانية المتداعية، فالمسألة إذا أعمق أثرا وأبعد غورا مما يحلم به السياسيون من الإمبراطوريات أن هناك فرقا بين طموح يريد رجلا عسكريا أو سياسيا يتم تحقيقه من أجل غايات سياسية عارضة ، قد تنهار أمام أول عاصفة تتعرض لها ، وبين عقيدة يؤمن بها

¹ - عبد الله شريط ، منشأ فكرة القومية العربية ، الصباح 18 ماي 1951م ، ص 4 .

فريق من أبناء الأمة ويعمل على نشرها وإذاعتها في طبقات أمتهم فتحتضنها وتكافح من أجل تحقيقها لأنها تعتبرها مسألة حياة أو موت بالنسبة لمصيرها ، ولو كان كفاحها يستغرق أجيالا برمتها¹.

... هكذا حدث في مطلع القرن العشرين لما شرعت الدولة العثمانية في محاولة إنقاذ نفسها من الانهيار النهائي ففكرت أن تحقق ذلك بواسطة تحسين هيكلها العسكري فأخذت ترسل بشبابها إلى ألمانيا للدراسة في معاهدها العسكرية ، وتخرج هؤلاء الشباب وفي رؤوسهم أفكار تغلي عن القومية العنصرية التي حاولوا تطبيقها على الإمبراطورية العثمانية بأجمعها، وذلك بتتريك هذه الإمبراطورية الضخمة التي لا يجمعها من عناصر الأمة غير عنصر واحد هو الدين الإسلامي ، وأرادوا أن يحولوا هذا الدين الذي هو عقيدة في القلب ورسالة إنسانية عامة إلى نزعة عنصرية ودم يجري في الشرايين ، وأبا العرب الذين يشكلون أهم جزء من هذه الإمبراطورية التنازل عن عربيتهم والدخول في التتركة، كما هو شأن المغرب العربي اليوم يأبى أن يتنازل عن هذه العروبة نفسها ويدخل في الفرنسية فما لبثت أن قامت الجمعيات السرية في بيروت ودمشق تقاوم هذا الاعتداء على عزتها، وما لبثت المشانق والسجون أن فغرت أفواها لانتهاج أرواح الشهداء العرب الذين كان فيهم السوري والفلسطيني والعراقي والمصري والمغربي ، ومازالت الشوارع والساحات العامة في دمشق وبيروت تحمل أسماء الشهداء الذين سجلوا ميلاد القضية العربية بدمائهم² ويؤكد عبد الله شريط على أنه رغم الجهود المبذولة فتظل القومية في الطور الفكري، ويرجع السبب في عدم نزولها إلى الواقع الملموس وإلى الاستعمار السبب الرئيسي في نظره فيقول بهذا الخصوص "... إن القوميات الأوربية لم تجد في طريقها مستعمرين أجنب فتحول كفاحها ضد مناوراتهم عوض تقوية مقوماتها وبناء هيكلها الناشئ الفتى ، فتناهت المناورات السياسية كثيرا من رجال الفكر في البلاد العربية وأدخلتهم الميدان السياسي وحرمت منهم فلسفة القومية التي ظلت غامضة إلى يومنا هذا في أذهان

1 - عبد الله شريط ، منشأ القومية ، الصباح ، المصدر السابق ، ص4 .

2 - المصدر نفسه، ص4 .

الشعب ، هذه نقطة الضعف الرئيسية التي عرقلت سرعة التطور في نهضة القومية العربية، ويعتقد أنها النقطة التي تتطلب إحاحا في البحث أكثر من غيرها لأنها تضيء لنا كثيرا من جوانب الغموض الذي اعترى هذه القضية في الشرق العربي ، والتي جعلت من هذه القضية في المغرب العربي قضية منسية لا يفكر فيها أحد ، إنها دائما نقطة العرقلة الاستعمارية التي أدت بالرغم منا إلى مشاكل السياسة وثوراتها اليومية ، والانصراف عن تقوية كيان القومية المعنوي في الشعب كنزعة حيوية في تسطير مصيره البعيد¹ .

يرى الدكتور شريط أن الأمر لم يأخذ مجراه الطبيعي كما هو الحال في أوروبا ، فرغم توفر الخصائص المؤسسة للقومية من إرث فكري لغوي وديني ، وثقافة عربية ، ورغبة مشتركة في التجمع إلا أن الإخفاق بدى واضحا في بذل الجهود من أجل بلوغ القمة، الشيء الذي عرض هذا العمل للانهايار عند أول مواجهة مع عوامل سياسية معاكسة، وهذا يعني أن لا قومية بدون شعب والشعب العربي مخزن القومية العربية ، وإن انعدام التواصل وانصراف القوم الانعزالي الفردي زاد من جهل الأوطان العربية عن بعضها البعض، فكان المصري يتوهم أن سوريا عبارة عن قبائل من البدو ، ومدنها أكواخ من طين، وأصبح اللبناني لا يعرف عن مصر إلا أنها مسرحا للعبيد الذين يعيشون على أعشاب واد النيل ، وعن سكان شمال أفريقيا على أنهم أناس يتطوعون في الجيش الفرنسي ولا يعرفون عن أصلهم شيء².

هذا الانقطاع في التواصل جعل البعض من الجزائريين يكفرون بالقومية العربية لأنها في نظرهم صياغة بريطانية لضرب الأمة الإسلامية ، لأن فكرة القوميات إنتاج أوربي حل

1 - عبد الله شريط ، القومية العربية بين الفكر والواقع ، الصباح ، عدد 128 ، 1951م ، ص4 .
2 - يقول عبد الله شريط أذكر أن فتاة في الجامعة السورية سألت زميلي محمد بن صالح متى تعلمت العربية ولم يمض على قدومك إلى دمشق غير شهر ، عندما أجابها بلهجة الجد ، أنه شرع في تعلمها وهو على ظهر الباخرة أتيا من مرسيليا ، وأنه أتقنها باحتكاكه المستمر بأوساط منذ أن وصل ، دهشت لعبقريته ، وسرعة حافظته الخاطفة ، ثم ألقى عليها محاضرة صغيرة في أننا عرب نتعلم هذه اللغة في حجور أمهاتنا الأميات ، إلا أنها لم تكذب تصدق أنها ليست في حلم ، عبد الله شريط ، الصباح ، ع128 ، ص4 .

بهم حينما فشلت النزعة الدينية في جمعه في دولة واحدة ، ولن يصلح ذلك في الشرق لأنه يستمد وجوده وذاتيته من طباعه الروحانية¹ .

يعود شريط ويطرح السؤال نفسه ما هي القومية العربية وماذا عن طبيعتها ، وما هي المبادئ التي تقوم عليها ، والأهداف التي تعمل على تحقيقها ؟ ، ثم يجيب بقوله سنعمد إلى شرح نظرية أكبر حركة عربية في الشرق تعمل في هذا الميدان ، وهي أول حركة تولى هذه القضية تفهما فائقا وجهودا فكرية وسياسية نامية ، وهي الحركة التي تسمى حزب البعث العربي ، قامت هذه الحركة في شكل حزب سياسي² شعارها " أمة عربية واحدة ، ذات رسالة خالدة " لا تفرق هذه الحركة بين وطن عربي و آخر ، بل بلاد العرب من المحيط الأطلسي حتى الخليج الفارسي وطن واحد ، والحدود الفاصلة بين أجزائه اليوم إلا حدود مصطنعة خبيثة فرضها الغش والطمع والانحلال على الشعب العربي الواحد لتتقاسم الأيادي الناهبة وتنهش أوصاله أنياب الاستعمار الخارجي والاستبداد الوطني لإشباع شهوة الإجرام والغرور و الجهل .

وعلى الشعب العربي هذا أن يحقق وحدته تحقيقا فعليا وجوديا كاملا و أن يقاوم كل تركيز لهذا التقسيم سواء جاء من الأطماع الأجنبية أو المناورات الداخلية السياسية وغير السياسية ، بل على الشعب قبل كل شيء أن يقاوم الإيمان بصلاحية هذا التقسيم ، ويعتبره واقعا صحيحا يعبر عن رغبة الأمة في أن تكون مقسمة الأشلاء ومبددة الطرائق.

إن هذا التقسيم قد ضربنا به الحكم العثماني الذي أيده فيما بعد استعمار الأوربي على الوطن العربي وكانت هذه الضربة قاسمة عاش آثارها الماحقة قرونا وقرون كانت هي نهاية ما وصلنا إليه من التأخر والفساد والجبن ، فيجب إذا وضع حد لهذه النهاية ، حدا عمليا تنتهي عنده فواجع التوزع و الانعزال والتخاذل .

¹ - محمد الحاج ناصر ، الجهاد العربي في طور جديد ، الأسبوع ، 28 فيفري 1949م ، ص 9
² - قامت هذه الحركة أثناء الحرب على يد بعض الأساتذة والمعلمين وطلاب الجامعة ، وأبرز شخصياتهم الأستاذ ميشال عفلق ، والأستاذ صلاح الدين البيطار ، وبعض المناضلين من الأوساط الشعبية الكادحة .

ويصرح هذا الحزب الذي يعمل في سوريا ولبنان أن هذه الأرض بالنسبة إليه موطن لأقدمه لا أقل ولا أكثر ، وأنه مستعد عندما يجد الإمكانيات المادية والأدبية لأن يعمل في طرابلس أو في الجزائر أو البحرين أو اليمن أو غير هذه جميعا من أجزاء الوطن العربي المترامية ، وقد أمكننا أن نشاهد أعضاء هذا الحزب أول المبادرين لقيادة المظاهرات الوطنية في القضايا السورية ، كما رأينا رؤساء الكبار أول المتطوعين في حملة فلسطين وأول الثائرين على حكومتهم¹.

ثم تجمع النفوذ بهذا الوطن في يد حكومة واحدة تزيل الحواجز المصطنعة والحدود المنحرفة التي شوهدت معالم الوطن الموحد وكانت السبب فيما يعانيه أبناؤه من عذاب وبلايا ، هذه هي المهمة الأولى التي على الشعب العربي أن يقوم بها .

ويعتقد شريط أن المهمة الثانية تكمن في أداء الشعب رسالته الخالدة فيتساءل عن ماهيتها ويجيب في نفس الوقت في كونها تكمن في اعتقاد العرب أنهم كانوا في طور من أطوار التاريخ عنصرًا من العناصر البارزة التي ساهمت بكفاءة وجرأة وذكاء في السير بالحضارة الإنسانية خطوة موفقة ، وضرورية لامناص منها في الطريق التي وصلتها هذه الحضارة ، وأن هذا الشعب كان في أدائه لتلك الرسالة من أكثر الشعوب وفاء لقدسيته الفكرية ، واحتراما لحرمتها الإنسانية العميقة ، ومن قوانين التاريخ التي لم تتخلف حتى الآن أن الشعوب التي بذلت نشاطا منهكا من هذا القبيل ، كثيرا ما كان ينتابها فتور وتلاشي في الطاقة والنشاط المستنفذ².

ذلك ما فعله اليونان والرومان والفرس والعرب من بعدهم الذين سلموا المهمة إلى أوربا ، إلا أن هذه الشعوب مع ذلك تبقى محتفظة بصلاحية الحياة إن لم يكن بعناصرها ، بل تبقى في شوق إلى معاودة تحمل ذلك العبء مرة أخرى ، والعرب اليوم يعاودهم هذا الحنين ويشوقهم تحمل الرسائل من جديد ، بالرغم من اشتهاهم في الاندفاع اللفظي وهوس الخيال الشعري فهم إلى ذلك واقعيون إلى حد بعيد ، فهم يعرفون أن وضعيتهم اليوم

1 - عبد الله شريط القومية العربية بين الفكر والواقع (8) ، الصباح ، ع144 ، 1951م ، ص3 .

2 - المصدر نفسه ، ص3 .

من المشرق إلى المغرب، سواء من الناحية السياسية أو النهضة الاقتصادية أو اليقظة الفكرية هي وضعية لا يحسدون عليها إن لم نقل هي وضعية تدعوا إلى الرثاء والتحسر¹.

لعل ما تجدر الإشارة إليه هو أن فكرة الوحدة المغربية ، ظهرت جلية في صفوف الطلبة من خلال نضالهم ضد الاستعمار ، حيث لم يفصلوا بين الأقطار المغربية الثلاث تونس و الجزائر و المغرب ، و ذلك منذ تأسيسهم لأول منظمة طلابية لهم بالجزائر العاصمة في مارس 1919م ، التي سموها ودادية الطلاب المسلمين لشمال إفريقيا ، وبعد سنتين أو ثلاث تم استبدال كلمة ودادية بكلمة جمعية ، حيث أعلنت المنظمة منذ تأسيسها الهدف الرئيسي لقيامها ، والمتمثل في جمع طلاب شمال إفريقيا ، وتسهيل الاحتكاك والتقارب بينهم ، وبذل كل ما في وسعها لمساعدتهم ماديا و أدبيا لمواصلة دراستهم².

فلقد كان بإمكان الطلبة الجزائريين أن يجدوا لأنفسهم منظمة طلابية تقتصر على إيواء الجزائريين دون غيرهم من الطلاب الآخرين ، لكنهم لم يفعلوا لسبب بسيط وهو أن اتجاههم المغربي الإسلامي كان أقوى عندهم من اتجاه فكري أو سياسي .

ولعل الشيء الملاحظ هو أن تأسيس المنظمة الطلابية كان بمبادرة من الطلاب الجزائريين ، ولم يشارك فيه أي طالب من الأقطار المغاربية الأخرى ، فهنا ندرك مدى ميول الطلبة الجزائريين إلى محاولة تجسيد فكرة المغرب العربي الموحد ، فلقد كان بإمكانهم تسمية منظماتهم " ودادية الطلبة الجزائريين " أو " جمعية الطلبة الجزائريين" ، لكنهم فضلوا منذ البداية أن تكون شاملة لأقطار المغرب كافة ، حتى وإن تعذر في مرحلة ما على الطلاب المغاربة أن يشاركوا مشاركة فعالة في تنشيطها³.

1 - عبد الله شريط القومية العربية بين الفكر والواقع (8)، المصدر السابق.

2 - القانون الأساسي للجمعية والذي تم تعديله عدة مرات ، أهمها تعديل سنة 1927م ، 1935م ، 1945م ، 1954م .

3 - قبل الثلاثينات لا نجد أعضاء نشطين بارزين إداريا في تسيير هذه المنظمة الطلابية من تونس والمغرب باستثناء عدد قليل جدا .

قد وجدت بذور هذه الفكرة الوحديّة عند الطلاب الجزائريين ، كما هو واضح من تأسيس هذه الجمعية ، لإحساس هؤلاء الطلاب وشعورهم العميق بالروابط والأواصر المتينة التي وجدت على مر العصور بين أقطار المغرب العربي الثلاث¹.

تمكن الطلبة من التمتع في مركز التأثير المجتمعي ، وتزايد نشاطهم في كل الوسائل والأوساط المتاحة لهم من صحافة وأحزاب ، وبمرور الزمن بدأت الأمة تمتثل للشفاء التدريجي ، وكان من نتائجها تأليف أول كتاب حول تاريخ الجزائر للطلاب مبارك بن محمد الميلي بعنوان " تاريخ الجزائر في القديم والحديث " الذي طبع سنة 1928م ، غير أن احتفالات فرنسا بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر كان له الأثر الكبير في نفوس الطلبة الذين كانت قلوبهم تغلي لوضع وطنهم الواقع تحت وطأة المستعمر لمائة عام.

وكان لتلك الاحتفالات أثرها في تنمية الوعي والحركة من المفارقات، أن الاحتفالات كانت بكل المقاييس مفزعة للمحتل ، كانت مثيرة وملهبة المشاعر لكل الجزائريين وبخاصة فئة الطلبة ، ففي سنة 1929م قام الاحتلال بحل حزب نجم شمال إفريقيا لتعاونه مع جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين²، وكان من بين الآثار المباشرة أيضا لهذه الاحتفالات تأسيس جمعية العلماء المسلمين في 5 ماي 1931م ، وكانت الروح الوطنية قد تأججت ضد فرنسا و أطلقت الصحافة الجزائرية على هذه الاحتفالات اسم "مهازل سنة 1930م" ، ورددت العبارة القائلة إن الفرنسيين لن يحتفلوا بثاني عيدهم³.

أما الطلبة فإنهم بدؤوا في تفعيل جمعيتهم " جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين " وعقدوا سلسلة من المؤتمرات : - كان المؤتمر الأول للجمعية بالمدرسة الخلدونية بتونس انعقد بين 20 و 22 أفريل سنة 1931م شارك فيه الطلبة الجزائريون بوفد طلابي ضم سبعة طلاب برئاسة الطالب الصيدلي فرحات عباس .

¹ - عمار هلال ، فكرة الوحدة المغربية عند الطلاب ، الثقافة ، ع92 ، السنة 16 ، مارس - أفريل 1986م ، ص ص145 - 146 .

² - أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009م ، ص 19 .
³ - أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2 ، ط6 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009م ، ص 429 .

- عقدت الجمعية مؤتمرها الثاني بنادي الترقى بالجزائر العاصمة ما بين 25 و 29 أوت 1932م وكان من المفترض أن يعقد المؤتمر الثالث في مدينة فاس بالمغرب الأقصى، إلا أن السلطات الاستعمارية رفضت في آخر لحظة انعقاده في هذه المدينة ، ورجعت الوفود المغاربية المشاركة. مما دفع الطلبة لعقده في ديسمبر من السنة نفسها بمدينة باريس، وقد أعد المنظمون راية كبيرة مثلثة الألوان (أخضر، أبيض، أحمر)¹ ، جعلت رمزا لوحدة أقطار شمال إفريقيا، وعلقت على واجهة قصر التعاون الذي عقد فيه المؤتمر .
- وعقد المؤتمر الرابع في شهر أكتوبر عام 1934م بالمدرسة الخلدونية بتونس شارك فيه من الجزائر السعيد الزاهري ، ومفدي زكريا .
- أما المؤتمر الخامس فقد عقد في مدينة تلمسان بالجزائر بين 6 و 15 سبتمبر سنة 1935م ، وافتتحه الشيخ البشير الإبراهيمي ، وكانت الخطب في هذا المؤتمر باللغة العربية وبيزة هجومية ضد الإدارة الفرنسية تدعو إلى الالتحام مع القضية الوطنية و الإسلام ، واضطر المؤتمر لتغيير القاعة بعدما منعتهم سلطة الاحتلال من مواصلة أعماله².
- المؤتمر السادس عقد بمدينة تيطوان بالمغرب سنة 1936م بعد أن رفضت السلطات الفرنسية عقده في مدينة فاس .

وفي الوقت نفسه وفي ظل التطورات السياسية التي شهدتها الجزائر قام الطالب محمد العيد الجباري الجزائري بجامع الزيتونة ، بطرح فكرة توحيد الشبيبة المغربية بكل معانيها السياسية والاجتماعية والثقافية، وتحمس لها بقوة حتى نقلها من الميدان النظري البحث إلى الواقع الملموس، ففي شهر ديسمبر من سنة 1936م تم الإعلان عن إنشاء منظمة طلابية مغربية، جمعت شمل طلاب أقطار المغرب الثلاث تونس والمغرب

¹ - اللون الأخضر إشارة إلى تونس الخضراء ، اللون الأبيض إشارة إلى الجزائر البيضاء ، اللون الأحمر إشارة إلى مراكش الحمراء .

² - عريضة بتاريخ 29 / 11 / 1935م ، تاريخ برفية العشعاشي (طرفي متعاون مع فرنسا) 22 / 11 / 1935م ، العريضة مرفقة بمراسلة من نائب الوالي بتلمسان إلى والي وهران يوم 30 / 11 / 1935م ، رقم تقارير الشرطة الفرنسية ، نقلا عن أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج3 ، ص61 .

والجزائر¹، وقد عرفت هذه المنظمة في وقتها تحت اسم " شبيبة شمال إفريقيا الموحدة"، والتي أعلنت عن برنامجها وأهدافها من خلال النقاط التالية :

- العمل بكل الوسائل والطرق على توحيد شمال إفريقيا ، بالنظر إلى أن شمال إفريقيا وحدة واحدة غير قابلة للتجزئة .
- شعب شمال إفريقيا واحد ، لغته واحدة ، وتربيته واحدة وعاداته وتقاليده واحدة.
- شمال إفريقيا وطن واحد غير قابل للتجزئة ، وللدفاع عنه يجب على أبنائه أن يتحدوا تحت لواء جبهة واحدة .

بلغ عدد المنخرطين في هذه الجمعية مائة طالب بعد شهرين من تاريخ التأسيس ، كان أربعون طالبا من جامع الزيتونة ، فكانوا يعقدون اجتماعاتهم الدورية في مقر الجمعية الكائن بشارع الوادي بتونس² .

قام محمد العيد الجباري³ مؤسس ورئيس جمعية شبيبة شمال إفريقيا بتنظيم قصيد شعري تحت عنوان أيها الشعب⁴ ، قام بتوزيعه على نطاق واسع بين الأوساط الطلابية في تونس ، كما راسل الوطنيين المغاربة ، ورؤساء الأحزاب السياسية أمثال علال الفاسي ومصالي الحاج ، وعبد القادر طوراس ، داعيا إياهم إلى تأييد جمعيته ، فما كان من هؤلاء إلا تلبية النداء والتأييد والمساندة المادية والأدبية ، حيث قاموا بوضع بطاقات الانخراط في جمعيته وفي مقرات أحزابهم لتسهيل الحصول عليها لمن يهمه الأمر .

وقد ربط الجباري علاقة مع علال الفاسي وعبد الخالق طريس، وأمدهم ببطاقات الانخراط في الجمعة، إذ وزعت 600 بطاقة في المغرب الأقصى بالمنطقة الفرنسية، و400 بطاقة بالمنطقة الإسبانية، ويتمثل نص القسم المطبوع على بطاقات الانخراط فيما

¹ - A.AIX en province D15 H67.

² - -A.AIX en province D14 B.H41-42.

- نقلا عن عمار هلال ، المرجع السابق ، ص148.

³ - كما كانت للجباري علاقات هامة مع شكيب أرسلان حسب مراسلة هذا الأخير إلى عبد السلام بنونة، إذ ذكر له أنه راسل الطلبة الأوروبيين في باريس بواسطة الجباري الذي سافر إلى باريس في مهمة التنسيق مع طلبة المغرب العربي، للمزيد ينظر إلى بنونة الطيب، نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة، ط1، مطبعة الأمل، طنجة، 1980، ص 197.

⁴ - تم نشره في جريدة تونس الصادرة بتاريخ 10 ديسمبر 1936 م .

يلي: أقسم بشرف الشمال الإفريقي أن أعمل طوال حياتي على رفع لوائه عالياً وتوحيد ربوعه وتعزيز مجده.

كما تجدر الإشارة إلى أن العيد الجباري كان يتقلد سنة 1936 خطة رئيس مساعد للشبيبة الدستورية وهي منظمة ناضلت من أجل خدمة الشباب التونسي ومستقبله، وقد أشارت التقارير إلى وجوده بالجزائر أوائل 1937 صحبة رفيقه أحمد بن سليمان للقيام بجولة دعائية لفائدة جمعياته بالاتصال مع حزب الشعب الجزائري¹.

ومن باب الدعاية إلى هذه الجمعية وجلب أكثر عدد ممكن من المنخرطين إليها ، انتقل رئيسها محمد العيد الجباري إلى الجزائر مع نهاية سنة 1937م ، وقان بتأسيس ثلاث فروع تابعة لها في كل من عنابة وقالمة وسوق أهراس ، ولما تظن الاستعمار لنشاطه قام باعتقاله في مدينة قالمة وهو يخطب في الناس من مقر فرع جمعية شبيبة شمال إفريقيا الموحدة ، وبعد إطلاق سراحه في 15 جانفي 1938م عاد محمد العيد إلى تونس بعزم كبير لبذل ما في وسعه من جهود لتطوير فكرة وحدة المغرب العربي وقد بلغ عدد المنخرطين في جمعياته أكثر من مائة وخمسون منخرط من جامع الزيتونة ، كان جلهم من الطلبة الجزائريين الذين كانوا يزاولون دراستهم بتونس².

لقد كانت تلك المؤتمرات معبرة عن مدى النضج الوطني والمغربي ، والوعي التاريخي لدى الطلبة بأهمية التعليم في تكوين الشخصية الوطنية الإسلامية ، فكانت كل مؤتمراتهم منصبة على مناقشة قضايا التعليم ومشاكله المختلفة ، وقضايا التاريخ الوطني والتربية الوطنية ، ودافعت بصورة خاصة على الشخصية العربية الإسلامية ، وقد أسفرت هذه الملتقيات عن كشف دقيق لمستوى التعليم في المغرب العربي ، وكثفت من مطالبها نحو تحسين أداء التعليم ، وفتح حريته والاهتمام بالإسلام واللغة العربية في صياغة الشخصية الجزائرية ، فكان لها صدى واسع في مختلف شرائح المجتمع المغربي الذي كان يتابع عن

¹ - بنونة الطيب ، المصدر السابق.

² - عمار هلال ، المرجع السابق ، ص148 .

كتب نتائج هذه المؤتمرات ، وكانت بعض الهيئات والشخصيات تؤكد مساندتها ودعمها المستمر¹ ، وساهمت الحركة الطلابية في تكوين وعي وطني أنتج طبقة طلابية معتبرة².

مع تطور الأحداث السياسية في الجزائر، ومع مطلع سنة 1953، تحلق في الأفق إمكانية قيام وحدة جزائرية بين الأحزاب والجمعيات، وقيام ائتلاف وطني، وأقامت جريدة المنار حوارات مختلفة مع شخصيات سياسية ودينية، وثقافية حول إمكانية قيام اتحاد في الجزائر، وكان ذلك بمثابة سبر الآراء حول ثلاث نقاط هامة، جسدت في شكل تساؤلات هي: هل تعتقدون أن الاتحاد في الجزائر ممكن؟ على أي أساس؟ ما هي وسائل تحقيقه؟

وكانت المشاركة واسعة لخدمة القضية الجزائرية، ومن بين هؤلاء الطلبة مولود قاسم نايت بلقاسم من القاهرة، عثمان سعدي ومحمد شيوخ من العراق، قاسم رزيق وعبد المجيد حيرش وبن تريدي عبد الرحمن من تونس، واحمد الصغير من باريس.

وكانت جملة ردود الطلبة باختلاف توجهاتهم تصب في ضرورة الوحدة الجزائرية، ونبذ النزاعات الحزبية والتخلي عن المصلحة الشخصية، والتحكم للمشورة، والأخذ بالمصلحة الوطنية³.

بدأ قطاع الطلبة الجزائريين ينمو ويتطور بكل تياراته وأيديولوجياته واتجاهاته ومشاربه المتنوعة سواء في المدارس الفرنسية أو المدارس العربية التي أنشأتها جمعية

¹ - نشرة أعمال المؤتمر الثالث لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين التي طبعت بتونس سنة 1933م ، ص ص 14/15 ، وفيها أن البرقيات تهاقتت على المؤتمرين طول أيام المؤتمر من قبل جمعية الشبيبة المدرسية بتونس ، أعضاء اللجنة التنظيمية بفاس ، جمعية طلبة شمال إفريقيا بالجزائر ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجزائر ، جمعية قداماء التلاميذ بمدينة سلا بالمغرب الأقصى ، جمعية قداماء المدرسة الثانوية بفاس ، طلبة جامع القروين ، كما تلقى المؤتمر رسائل من شخصيات منها السيد الهادي الشرايبي أستاذ بجامع القروين ، الدكتور أحمد بن ميلاد من تونس ، السيد المكي الناصري من الرباط ، السيد إدريس شقرون من مراكش ن مالك بن نبي أحد الطلبة الجزائريين بفرنسا .

² - عبد الجليل قريان ، الحركات الطلابية الجزائرية ، خلال الاحتلال الفرنسي ، رصيد الوعي بالذات والمصير ، عصور الجديدة ، ع 6 ، 2012 ، ص ص 141/142 .

³ - أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954 أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، سنة 2005-2006، ص 129.

العلماء¹، ولم تأت سنة 1954م حتى أصبح لدى الجزائر جيل من الطلبة كبير العدد والعدة الثقافية، يحمل هم الأمة والوطن، ويتمتع بمستوى رفيع من الحس الحضاري والوطني ويشترك في المعركة السياسية والثورية.

أ- علاقة إتحاد الطلبة الجزائريين بالإتحاد العام للطلبة التونسيين :

تعود جذور العلاقة بين طلبة الأقطار الثلاث إلى جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا التي كانت تجمعهم في صفها، لكن مع بداية الخمسينات أسس طلبة كل قطر منظمة وطنية محلية خاصة بهم، ورغم ذلك فإن التقارب ظل قائما بينهم، وحلم الوحدة ملازما لنضال عدد كبير منهم، وبقيت الفكرة الوحوية موجودة كشعور وإحساس ارتقى في أحيان كثيرة إلى ميدان التجسيد، وكان من أبرز مظاهر المساعدات والمساندة التي حظي بها الطلبة الجزائريون في كل من تونس والمغرب.

وبمجرد تنقية اتحاد الطلبة الجزائريين للأعضاء التنفيذيين، وجهوا نداء إلى الطلبة الجزائريين الزيتونيين ولعل هذا ما أكدته الوثيقة الأرشيفية التي تحصلنا عليها من أرشيف ما وراء البحار في العلبة التي ضمت ملفات الطلبة الجزائريين، والصادرة بتاريخ 1 جويلية 1957 عن مصلحة الاتصال لشمال إفريقية تحت رقم 591 وبعنوان مقطع من الصحافة، الصباح لـ 18 ماي 1957، جاء فيه ما يلي:

اتحاد الطلبة الجزائريين يوجه نداء إلى اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين بتونس:

الطلبة المسلمين الجزائريين بتونس ينهون إلى علم جميع إخوانهم الطلبة بأن المكتب التنفيذي للاتحاد قد انتخب يوم الأحد 12 ماي 1957 على الساعة 14 بمقر الفيدرالية العامة للعمال التونسيين.

¹ - بلغ عدد مدارس الجمعية 150 مدرسة حتى سنة 1945م يتعلم فيها أكثر من 5000 طالب، وبلغ عدد المدارس في مدينة قسنطينة وحدها 85 مدرسة سنة 1938م، وكان يتردد عليها 4047 طالب، للمزيد ينظر عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص142.

بعد الانتخابات تأسس المكتب التنفيذي على النحو التالي:

- الرئيس: سايجي لخضر (اسمه الحقيقي لخضاري محمد لخضر من تقرت).
- نائب الرئيس: زعوب إبراهيم.
- الأمين العام: عسول فاتح.
- القابض العام: بن صادق محمد الشريف.
- المسؤول عن العلاقات: بوهليلة رشيد.
- المسؤول عن القضايا الاجتماعية: بولمعايز محمد.
- المسؤول عن الرياضة والمسرح: عباس مصطفى.
- المسؤول عن شؤون الطلبة: غوتي ليلي أو لعلی.

المكتب التنفيذي يدعو جميع الطلبة والطالبات للمشاركة في مهمته من أجل إكمال التزاماته على أحسن وجه.

كتب في آخر الوثيقة: المرسل إليهم:

الوزير المقيم، المديرية الفرعية للقضايا السياسية الجزائرية (نسختين).

مصلحة الاتصال لشمال إفريقية- بونه (عنابة)- باتنة- سطيف¹.

وعندما نظم الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أسبوعه التضامني مع الطلبة المعتقلين في سجون فرنسا، وذلك في الفترة الممتدة من 14 إلى 10 نوفمبر 1957م، اتخذ الإتحاد العام للطلبة التونسيين موقفا حازما، وأعد برنامجا زاخرا بالأعمال² وإثر حل الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين من قبل السلطات الفرنسية، وذلك في 28 جانفي 1958م، فسجل الإتحاد العام للطلبة التونسيين موقفه تجاه القضية وأصدر بيانا أوضح فيه أن الطلبة التونسيين يفتون نظر الحكومة الفرنسية إلى خطورة مثل هذا الصنيع الذي يشوه

¹- A. N.O.M, aix en Provence, doc n°591, boîte n° 4507,

- ينظر الملحق رقم 07
² - المجاهد 15 نوفمبر 1957م، ع 12، ص 9.

سمعة الجامعة الفرنسية، ويمس بتقاليد الديمقراطية¹، وأصدر بهذه المناسبة بلاغا مشتركا مع الإتحاد الوطني للطلبة المغاربة، وكذا الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وأعلن ذلك إثر ندوة صحفية عقدت يوم الأربعاء 30 جانفي 1958م، وتضمن هذا البلاغ تنديدا بتصرفات القوات الفرنسية تجاه الاتحادات الثلاث، وكذا بالممارسات التي تمس الحقوق النقابية للطلبة، وبأمن طلبة الشمال الإفريقي في فرنسا²، وحينها صرح ممثل الطلبة التونسي السيد محمد العلاوي بأنهم مقتنعون بأن الأهداف المقصودة من حل الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين هي إفشال تلك الإجراءات التي كانت نتيجتها يوم 1 جانفي 1958م بإنشاء الإتحاد الشمال الإفريقي للطلبة الذي تم بتونس، ويؤكدون بأن هذا القرار لن يمس أبدا بوحدة حركة الشمال الإفريقي³.

وإثر انعقاد المؤتمر الثامن لاتحاد الطلبة التونسيين من 8 إلى 13 أوت 1960م بتونس تم استصدار لائحة خاصة بالجزائر مما جاء فيها: "إن المؤتمر الثامن للإتحاد العام لطلبة تونس يحيي الشعب الجزائري الباسل، ويندد بحرب الإبادة التي يشنها الاستعماريون الفرنسيون بمساعدة حلفائهم ضد المجاهدين الجزائريين، ويرى بأن مبدأ تقرير المصير الذي اعترف به الشعب الجزائري، والذي كان ثمرة جهاد ست سنوات يمثل القاعدة لحل عادل للمشكلة الجزائرية، ويعتقد أن تطبيق تقرير المصير تطبيقا نزيها سيؤدي حتما إلى استقلال الشعب الجزائري⁴، ويستتكر أشد الاستنكار تنفيذ أحكام الإعدام المتكررة على المجاهدين الجزائريين، ولا يعترف إلا للحكومة الجزائرية المؤقتة بحق التفاوض باسم الشعب الجزائري، ويطلب من جميع طلبة العالم أن يعملوا لدى حكوماتهم حتى تعترف بالحكومة الجزائرية".

1 - المجاهد 1 فيفري 1958م، ع17، ص10.

2 - المجاهد 25 فيفري 1958م، ع18، ص10.

3 - Le monde, n°4051,31/1/1958,P03.

4 - المجاهد 22 أوت 1960م، ع75، ص2.

كان للإتحاد عمل تنسيقي مع منظمات أخرى ، من ذلك أنه عقد اجتماعا في يوم 5 جويلية 1961م¹، تضامنا مع الحكومة الجزائرية التي أعلنت هذا اليوم يوما وطنيا ضد التقسيم بغية الخروج بموقف واحد إزاء الخطة التي رسمتها فرنسا لتقسيم الوحدة الترابية للجزائر، وتم هذا الاجتماع بمقر الحزب الدستوري التونسي، وبعد استعراضهم لتطورات القضية الجزائرية، وتتبعهم لتصريحات مسؤولي الحكومة الفرنسية الهادفة إلى تقسيم الجزائر خرجوا بلائحة تضمنت نقاطا أربع هي :

- استنكار الخطة الجنونية التي ينوي المسؤولون الفرنسيون تطبيقها لحل القضية الجزائرية بواسطة التقسيم .
- يؤيدون موقف الحكومة الجزائرية المؤقتة، والشعب الجزائري المناضل في سبيل وحدة التراب الجزائري وسلامته .
- يعتبرون أن كل محاولة لتقسيم الوطن الجزائري تشكل خطر على القطر الجزائري الشقيق، وعلى المغرب العربي، وعلى الأمة الإفريقية وسائر أنحاء العالم، وفي التاريخ الحديث عدة حالات للتقسيم أدت إلى إحداث مناطق اضطراب دولية مع عدم الاستقرار.
- يحيون من جديد وبإجلال أرواح شهداء الكفاح الجزائري في سبيل الحرية والاستقلال².

ولعل خير ما نسجله هو أن تضامن لم يكن من قبل التونسيين و فقط ، بل نجد المنظمات الجزائرية تبادر الشعب التونسي الشعور نفسه ، حيث نجدها إثر وقوع أحداث بنزرت وحينما قامت القوات الفرنسية بقنبلة هذه المدينة ، وعندما صمم التونسيون على استرجاعها كان ذلك في يوم 19 جويلية 1961م ، ونتيجة للتصرفات العدوانية على سيادة

¹ - وهي الحزب الحر الدستوري التونسي ، الإتحاد العام التونسي للشغل ، الإتحاد القومي للصناعة والتجارة ، الإتحاد القومي النسائي التونسي ، الإتحاد العام للطلبة التونسيين ، الكشافة التونسية .

² - المجاهد 17 جويلية 1961 ، ع 100 ، ص 9 .

الدولة التونسية ، سارعت المنظمات الجزائرية¹ إلى تسجيل موقفها ، وأكدت للشعب التونسي وحكومته تضامنها الأخوي ، ومساندتها للكفاح من أجل إجلاء القوات الفرنسية عن بنزرت ، وعبرت عن عزمها على المساهمة في هذا الكفاح الذي اعتبرته جزءا من كفاحها ، وبيّنت أنها لا تهمل أية فرصة لتقديم التضحية في سبيل التحرر الكامل لشعوب شمال إفريقيا ، وتحقيق المغرب العربي الموحد².

بهذه المواقف التضامنية بين الطرفين أثبت كل من الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين والإتحاد العام للطلبة التونسيين توطيد العلاقة بينهما وترسيخها من جهة ، وإثبات مدى تجاوبهما مع الأحداث التي تعيشها كل من تونس والجزائر من جهة أخرى ، ولم يكن هذا بالشيء الغريب خاصة وأن التقارب كان حاصلًا من قبل وأعيد بعثه بإنشاء جامعة شمال إفريقيا للطلبة .

رابعاً: الطلبة الجزائريون وثورة التحرير المباركة :

لقد ظلت الثورات على مر الحقب الاستعمارية بحاجة إلى دعاة يعرفون بها ويسمعون صوتها إلى العالم، ولعبة الإعلام لعبة خطيرة، من يكسبها يكسب نصف المعركة، ويجلب تعاطف الرأي العام العالمي لقضيته ، فكان على الجزائريين كسب هذه المعركة الإعلامية، رغم عدم تكافؤ القوى في هذا الميدان ، وتحمل الطلبة الجزائريون في تونس ثقل مهمة كسب الرأي العام التونسي لجانب الثورة الجزائرية الناشئة³ ، وتميز نشاطهم منذ مطلع القرن وحتى فجر الاستقلال في جل مراحلها بالحيوية والاندفاع ، والعمل الدؤوب من أجل تحرير الجزائر وتخليص شعبها من الوضع المأساوي الذي فرضه كابوس الاستعمار الرهيب ، كما كان هذا النشاط متلاحقا توارثته الأقسام والأجيال جيلا بعد آخر ، وتفرد فيه كل جيل بخصوصية المرحلة التي عاشها ، فكان بذلك نشاطا متنوع الأساليب ، عارم

¹ - المنظمات التي عبرت عن موقفها مجتمعة هي الإتحاد العام للعمال الجزائريين ، الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ، إتحاد النساء الجزائريات .

² - المجاهد 31 جويلية 1961م ، ع 101 ، ص 10 .

³ - براهيمة بلوزاع ، كتابات الجزائريين في الصحافة التونسية ، المرجع السابق ، ص 53 .

الحماس ، مما قاد إلى الغاية التي رسمها الأولون الذين شرعوا صفحة هذا النشاط في ظروف معقدة بالغة الصعوبة¹ .

وكانت بداية نشاط الطلبة في المرحلة الأولى تظهر لنا الدور الذي لعبه المهاجرون بالرأي في إحراج الاستعمار، ومعارضة القرارات التي كان يفرضها ويستبد في تطبيقها، وهي مرحلة رغم ما اتسمت به من الجرأة النادرة ، وما اكتنفها من الظروف العويصة والمعوقات المتعددة انتهت بمأساة دفع ثمنها باهظا ثلثة من رجال الجزائر في مطلع هذا القرن ممن كان لهم دورا بارزا خلال هذه المرحلة .

على أن هذه المرحلة أفضت بدورها إلى ما يمكن اعتباره مرحلة المواجهة التي خاض خلالها الجزائريون المهاجرون نشاطا وطنيا زاخرا سياسيا وفكريا وأدبيا ، حيث ساهم عدد منهم في مؤازرة الحركة الوطنية في تونس ، بقصد تحقيق غاية واحدة وهي مقاومة الاستعمار الفرنسي ، في إطار حركة معترف بها من قبل السلطات ذاتها ، بتكتيل الجهود لمضايقته ، وإشفاء غليلهم فيه .

كان الطالب الجزائري بتونس متعطشا للثورة ، وقد سنحت له الفرصة أن يقارن بين الأوضاع بالجزائر ونظيرتها بتونس ، ليخلص أنه لا فائدة من الاستعمار ولا حل أمام الشعوب إلا بالثورة ، ولذا فلا نظن أن الثورة قد فاجأت الطلبة الجزائريين ، خاصة وأنها كانت محتملة بشكل أو بآخر في تونس والمغرب والجزائر² .

تفاعل الطلبة مع الثورة منذ انطلاقتها ، فهبوا للقيام بالواجب الملقى على عاتقهم، وشارك الطالب إلى جانب متابعته لدروسه في ثورة شعبه الصامد في كفاحه فعرف بقضية بلاده وانتقد السياسة الاستعمارية بقلم فتي ولكنه لادع وفتاك ، فهذا الطالب عيسى الجزائري الذي كتب مقاليتين متتاليتين حول الثورة فجاء في مقدمة مقاله الأول ما يلي :
"يقال أن أول من يغمرهم الإحساس العميق باللذوذ عن الوطن المهيم المستعمر هم الطلبة

¹ - محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي ، المرجع السابق ، ص 219 .

² - براهيمة بلوزاع ، المرجع السابق ، ص 82 .

، لذا نراهم دائما يتقدمون في الطليعة إن لم يكونوا النواة الأولى الثائرة ، يرفعون الرايات ، ويحملون اللافتات ويصرخون بالنداءات ، متعرضين للضربات والرصاصات ، يتقدمون دائما منشدين صارخين في وجه الأعداء ، متظاهرين يصيب بعضهم رصاص العدو... فغالب الثورات الوطنية الكبرى قام الطالب فيها بأدوار خطيرة كبيرة يحرر المناشير ، ويكتب المقالات "1 .

ثم بعد الحديث مطولا، وضرب العديد من الأمثلة عن الثورات يعود عيسى ويوضح لنا صورة العذاب الذي يعانيه الطالب الجزائري بصفة عامة و الزيتوني بصفة خاصة فيقول : " ... أبدا وأيم الثورة أن الطالب الجزائري قد ذاق العذاب ، أو كان على الأقل أول من شعر بهذا العذاب ، وأخص الطالب الزيتوني ، ذاق العذاب قبل الثورة وأثناء الثورة وبعد الثورة ، قبلها لأنه كان محروما من جميع ما يتمتع به غيره من إخوانه الطلبة، كالمنح المالية ، بل حتى حسن التقدير المجتمعي وحقوق تمركزه في هذا الوجود ، ولأنه كان دائما مشردا ينظر إليه كمجرم حتى ولو أنه كان يدرس ما يؤدب به المجرمون، يعاني ألم الواقع ، ويجوع عنفا، صاب الحياة الشريرة التي حملوه إياها أن تقسو عليه في غير رفق ، ولأنه يتنكر لشبابه وينبذ كل ما فيه لهو وزينة يظلان عاملان مجديين كادحين في سبيل حياة أفضل غايتها الحرية والسلام ، تنكر لذاته ، وعنده مثلا أعلى وحيدا هو نصرته الوطن وخدمته بجميع الوسائل الناجعة ، كما يذوق العذاب في الثورة لأنه في عرف الحكومة الحاكمة العضو الفعال الفتاك الخطير على أمنها ، لذا تنظر إليه شزرا وتغتتم كل فرصة تسنح بل تختلقها لتعذيبه ، والتنكيل به بعد سجنه ثم الفتك به، لكن الطالب الجزائري لم يبال بجميع هذا ، لأنه تعود منذ القدم ، فأقبل على العذاب ورحب بالسجن واستصغر الموت فدخل الكفاح وحمل السلاح وصاح هيا على الفلاح ، إما الحياة سعداء أو الموت شهداء .

وبعد الثورة سيذوق العذاب الأكبر لأنه سيكون أول من يجابه الواقع المر الذي يعترض حتما كل شعب افتك حرته بعد استعمار ... واسترجع سيادته بعد ذل ، وكرامته

¹ - عيسى الجزائري ، الطالب الجزائري والثورة (1) ، الصباح ، ع1433 ، 21 أوت 1956م ، ص3 .

بعد حقارة¹... ولعلكم تستغربون إذ تعلمون إن أول ضحية أو سجين ومعذب في هذه الثورة المباركة كان طالبا ، أجل إنه زيتوني ، الشهيد الذي اعتقله المستعمرون غداة اندلاع الثورة بيوم واحد فقط ، وناله من التعذيب ما ناله ثم فتك به ، وإن كانت فرنسا قد نسيت مأساة زيدون، فإن الطالب الجزائري لم ينساها ، ولن ينساها قط ، وإن دخل الطالب المعركة اليوم فإنما مشاركة منه لشعبه الباسل الثائر ، وذودا عن حماه ، وفتكا بالأعداء المناكيد ، وكذلك إنتقاما لمأساة زيدون الشهيد ، وغيرهم من الطلبة الأبطال الذين سقطوا شهداء ، والذين ما برح الكثيرون منهم رهن السجون في تعذيب وحرمان وجوع وألم من هؤلاء طلبة ليون والجزائر العاصمة ، ومدن فرنسا ، وقبلهم الأخ البطل الجنيدى خليفة ، رهين السجن المدني حاليا منذ سنة إلا أربعة أيام ، وهو رئيس جمعية الطلبة الجزائريين بتونس ، هذه الجمعية التي لم تعرف إلا نائرة ، وجامعة للثائرين (الفلاحة) ، والتي أصبح لغالب رؤسائها وأعضائها اليوم شأن خطير ، وقد نفي رئيسها عبد الحميد مهري ، ومات أخيرا رئيسها الحالي البطل أحمد عسواق ، بعد أن سجل هو كذلك صفحته، وملاها بالأعمال الجليلة ، والخدمات العظيمة في سبيل قضية وطنه المقدسة ، متماديا في أعماله حتى وهو على السرير بين فكي الموت ، ولعل أكبر دليل وأخلصه على هذا هو أنه آخر كلمة لفظها (كما روى الممرضون والطبيب الخاص) هي الجزائر ، استقلال الجزائر².

وطال تعذيب فرنسا للطلاب الجزائري وتعذيباتها له وتشريده والتنكيل به ، لكنه ضل يعمل ويكافح ويكدح في سبيل وطنه لأنه يعتقد أن سكوته خيانة كبرى لقضية شعبه المجاهد الثائر³.

فريق آخر من الطلبة أقلامهم وآثروا مخاطبة الاستعمار لما يفهمه وتحدثوا إليه بلغة صريحة لا تقبل التأويل وهي لغة الرشاش والقنابل اليدوية⁴، فلبوا بذلك دعوة مصالي

1 - عيسى الجزائري ، الطالب الجزائري والثورة (1) ، المصدر السابق ، ص3 .

2 - عيسى الجزائري ، الطالب الجزائري والثورة (2) ، الصباح ، ع1434 ، 22 أوت 1956م ، ص3 .

3 - نفسه ، ص3 .

4 - حمادي بغريش ، تحية أدبية إلى الطالب الجزائري من شاب تونسي ، الصباح 17 ماي 1957م ، ص3 .

الحاج¹ التي يدعوهم فيها للالتحام بالشعب كي تكون طليعة كفاحه والنموذج الذي يحتدي به حيث يقول : " فالشبيبة الجزائرية التي ستصبح في مستقبل الزمن نخبة البلاد ينبغي لها أن تصنع إدارة كفاحها ، وهي على مقاعد المدارس والكليات وأن تضرب عرض الحائط بصفة نهائية تلك الأخلاق الفاسدة التي يحاول الاستعمار أن يغذيها بها في مكاتبه² .

كما دعا مصالي الحاج في نفس المقال هذه الشبيبة المثقفة إلى التأهب لقيادة الجماهير والانتصار على الاستعمار حيث الحرية والاستقلال ، بعد أن تكون قد تشجعت بروح الحضارة العربية فيقول: " فالشبيبة المدرسية و إن كانت عزيزة بثقافتها شريفة النفس بما اقتبسته من تاريخ الحضارة العربية يجب عليها زيادة على ذلك أن تكون في طليعة الكفاح الوطني وأن تقود جماهير الشعب إلى حيث الانتصار على الاستعمار وإلى حيث الحرية والإستقلال " .

كان الطلبة على وعي تام بالظروف التي أدت إلى قيام الثورة التحريرية ، فإلى جانب آثار مجازر 8 ماي 1945م التي أكدت للشعب الجزائري تهاتف الحل السياسي أمام طغيان فرنسا والانسداد الذي وصلت إليه الأحزاب السياسية بكل مشاكلها في الداخل ، ونجاح الثورة المصرية في 23 جويلية 1952م ، واندلاع الكفاح المسلح في كل من تونس والمغرب ضد الحماية ، وانهزام فرنسا في الهند الصينية في ديان بيان فو في 7 ماي 1954م ، كل ذلك هيا الطلبة لمناخ جديد جعلهم أقدر وأجراً على التحرك والمشاركة الفعالة من موقعهم الذي يتيح لهم المناورة الإيجابية ، وتحكمت في الحركة الطلابية أثناء الثورة مرحلتان أساسيتان :

- مرحلة الفعل التكاملي مع الثورة (1954م - 19 ماي 1956م) : لم تتردد الطبقة

الطلابية في الالتزام بالخطوط العريضة للثورة منذ بدايتها، وكان تعاملها مع الثورة يندرج في إطار المشاركة ، إذ التحقت مجموعة من الطلبة بالثورة بصفة محدودة ، بينما بقيت المجموعة الأخرى في مقاعد الدراسة تثير الطلبة والمجتمع الجزائري، وتشرح للطلبة

1 - محمد صالح الجابري ، النشاط الفكري والعلمي ، المرجع السابق ، ص 126 .

2 - الثمرة الثانية 1947م ، ص 13 .

الفرنسيين قضيتهم الوطنية وشرعية الثورة، وتقدم لهم الشهادات الحية عن الإرهاب الفظيع الذي يقوم به الجيش الفرنسي ضد المجاهدين الجزائريين ، وضد الشعب الجزائري الأعزل، محاولة تقريب الصورة لهم بالمقارنة بما فعله الجيش النازي الألماني ضد الفرنسيين¹.

وفي إطار الحرص على إيصال كلمة الثورة إلى الرأي العام الفرنسي في الجزائر والخارج قام الطلبة بتنظيم ندوات ومحاضرات وجمعيات للتعريف بالثورة الجزائرية وهم في مقاعد الدراسة غير أن الشرطة الفرنسية لاحقت تحركاتهم بالاعتقال والتعذيب ، وكان رد الطلبة الفرنسيين متجها إلى تجريم الثورة دون مراعاة للإرهاب الوحشي الفرنسي .

ومما ينبغي التأكيد عليه هو أن الثورة الجزائرية استطاعت في فترة وجيزة نسبيا، رغم مجابقتها لدولة متمرسة في الإغراء والقمع والإرهاب ، ورغم بساطة أدواتها ، أن تؤسس لفكر ثوري حقيقي ، تمكنت من خلاله استقطاب مختلف شرائح المجتمع ، وكانت إستراتيجيتها تهدف إلى عزل فرنسا عن الشعب الجزائري وقطع صلتها به ، ثم تأطيره وفقا لمشروع الاستقلال الوطني ، ولتحقيق هذا الهدف أوعزت إلى الشعب الجزائري بمقاطعة الاتحادات والمنظمات الفرنسية التي كانوا ينتسبون إليها ، وسعت إلى إنشاء منظمات جماهيرية منفصلة عن الهياكل التنظيمية للإدارة الفرنسية في إطار الاستقلال التدريجي المرحلي عن فرنسا وتنظيماتها ، وكان الطلبة من أوائل الفئات التي أعلنت استقلالها عن التنظيم الفرنسي استجابة لنداء جبهة التحرير الوطني .

وهكذا قرر الطلبة الجزائريون في جامعة الجزائر أن يفصلوا أنفسهم من الإتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين الذي تشبث بعقليته الاستعمارية وأصر على اعتبار الثوار خارجين عن القانون، وقام الطلبة بتأسيس هيئة مستقلة سموها الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين UGEMA Union générales étudiant musulmans algériens ، وذلك

¹ - يحيى بوعزيز ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية، المرجع السابق.

في 15/8 جويلية 1955م وترأسه أحمد طالب الإبراهيمي¹ ، وكان من أهدافه الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية لكل الطلاب الجزائريين أينما كانوا، وتوحيدهم وربط مصيرهم بمصير شعبهم المكافح ضد الاستعمار .

وبذلك تمت عملية الانخراط الرسمي للطلبة الجزائريين في الثورة التحريرية، فأصبحوا خلية من خلايا جبهة التحرير الوطني، وساهموا بشكل فعال في توضيح شرعية الثورة، وحق الشعب الجزائري في الدفاع عن وطنه.

إن ميلاد الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين يشكل نتاجا للرؤية الإستراتيجية التي عملت الثورة على رسمها في الداخل وانتظارها في الخارج ، وكان هذا الإعلان في ذاته هدفا أوليا وأساسيا لكل الأهداف المسطرة في المستقبل ، وتتويجا ونجاحا باهرا لجهود كبيرة بذلت من أجل تحقيقه .

وقد أحدث تأسيس هذا الإتحاد الطلابي انتفاضة قوية في باقي الفئات الوطنية الأخرى التي سارعت إلى فك ارتباطها وقطع علاقتها بالهيئات الفرنسية ، فتأسس الإتحاد العام للعمال الجزائريين في 24 فيفري 1956م برئاسة عيسات إيدير، والإتحاد العام للتجار الجزائريين في سبتمبر 1956م ، ولا يمكن تقدير التوجه الشعبي العام وارتياحه ومساندته لهذه الخطوات الكبيرة² .

ففي تصريح صحفي لرئيس الإتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين جون مارك سوسرون جاء فيه: " بأن الطلبة الجزائريين كانوا ولا يزالون موضع ضغط عنيف من قبل الثوار الوطنيين " ، فرد عليه رئيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين من فرنسا السيد أحمد طالب الإبراهيمي في رسالة مفتوحة وجهها إلى جميع الصحف الفرنسية ونشرت في يوم 25 فيفري 1956م في جريدة العالم LE MONDE جاء فيه ما يلي: " إذا كان الطلاب

¹ - من مؤسسي الإتحاد وفروعه : أحمد طالب الإبراهيمي ، عبد الحميد مهري ، محمد بن يحيى ، مسعود أي تشعلان، عبد الرحمان شريط ، عيسى المسعودي ، يحيى بوعزيز ، أبو القاسم سعد الله ، عبد الحميد بن هدوقة ، ينظر حمادي عبد الله ، الحركة الطلابية الجزائرية، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص 143.

² - حمادي عبد الله ، الحركة الطلابية الجزائرية، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص 143.

العرب موضع ضغط معين من قبل أحد فإن ذلك الضغط هو ضغط الضمير، هذا الضمير الذي يملئ عليهم أن لا يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه الآلام المرعبة التي يقاسيها شعبهم المجاهد ، ويدفعهم إلى التضامن معه والنضال إلى جانبه ، ونود أن نعلن نحن الطلبة الجزائريون للمرة الأخيرة بأنه إذا كان المقصود باللفظة (عصاة) أولئك الذين يدافعون عن حرياتهم وكراماتهم وحقوقهم في الحياة والذين اضطروا لحمل السلاح بعد أن سدت في وجوههم جميع الأبواب فإن جميع الجزائريين وفي طليعتهم الطلبة هم من العصاة¹.

قرر الطلبة الجزائريون عقد المؤتمر الثاني للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين قبل موعده بأربعة أشهر في باريس بفرنسا² إتخذوا خلاله موقفا حازما وواضحا تجاه الثورة الجزائرية وكفاح الشعب الجزائري ، حيث طالبوا باستقلال الجزائر، وطلبوا من الحكومة الفرنسية التفاوض مع جبهة التحرير الوطني الممثل الرسمي للشعب الجزائري³.

بعد التصفيات التي تعرض لها الشعب الجزائري والإعدامات التي لحقت مجموعة من الطلبة الجزائريين، تأكد للرأي الطلابي الجزائري أن فرنسا ماضية في همجيتها ضد شعبهم، وأن مكانهم في هذه المرحلة ليس في مقاعد الدراسة والثانويات والجامعات الفرنسية ، بل في الجبال إلى جانب مجاهدي جيش التحرير الوطني ، فقررت منظماتهم الطلابية " الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين " القيام بإضراب عام عن الدروس والامتحانات في جامعة الجزائر وثانوياتها وفي الجامعات الفرنسية وفي كل جامعة يتواجد فيها طالب جزائري في المغرب وتونس ومصر وغيرها ، وأمرت الطلاب والتلاميذ الالتحاق بجيش التحرير الوطني في الجبال وخلايا جبهة التحرير الوطني التي وفرت لهم سبل الانضمام إلى صفوفها وقد أصدر الإتحاد العام ندائه في 19 ماي 1956م⁴.

1 - مصطفى طلاس ، الثورة الجزائرية ، دار طلاس ، دمشق ، 1984م ، ص271.

2 - تقرر ذلك بعد استقلال كل من المغرب في 2 مارس 1956م وتونس 20 مارس 1956م .

3 - قامت السلطات الفرنسية مقابل هذا بحملات اعتقال وتعذيب واسعة النطاق في حق الطلبة الجزائريين بباريس ، للمزيد ينظر يحيى بوعزيز ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات ، المرجع السابق.

4 - مصطفى طلاس ، المرجع السابق ، ص270 .

لقد كانت الثورة في حاجة ماسة إلى التفاف كل فئات المجتمع الجزائري حولها سواء في الداخل أو الخارج ، وجاء إضراب الطلبة في هذه الظروف كأهم ركيزة في عملية الإسناد وأهم حلقة في سلسلة التأثير والتواصل ، وما إن انس القادة بأن الثورة تجاوزت مرحلة الخطر، وأصبحت في مأمن على شرعيتها حتى قرروا حل الإضراب بعد سبعة عشر شهرا من إعلانه ، وذلك في 14 أكتوبر 1957م ، وكان هذا الإلغاء في ذاته رسالة للشعب الجزائري بقوة ثورته وسلامة قضيته وحقه في استقلال بلاده ، ورسالة إلى الاحتلال بأن الثورة لم يعد لها ما يهددها فهي في موقع قوة وأن قضيتها باتت في مأمن ولم يبق له سوى الرحيل¹.

وكما هي العادة فإن الطلبة الذين كانوا يشعرون بالمسؤولية المناطة بعهدتهم ويتطلعون إلى اليوم الذي تحرر فيه بلادهم من نير الاستعمار البغيض، كما تلخص عملهم بصورة أساسية في التأكيد على حرية الجزائر وتطلعاتها ، ولم يكن من المستغرب أن يرفعوا لها ثمرة هذا العمل المتواضع ماضين على نفس خطى سلفهم².

وبذلك كان هذا طريق ثالث لإظهار الثورة على الاستعمار وهو الإضراب اللانهائي عن الدراسة كما فعل باقي الطلبة الجزائريون المثبتون في فرنسا والجزائريين الذين أضربوا منذ 19 ماي 1956م فأضرب الطلبة الجزائريون بتونس استجابة لنداء جمعية الطلبة الجزائريين³، ولعل هذا ما أكده لنا الشيخ الطيب توفيق الطالب الزيتوني الذي كان من بين أعضاء هذه الجمعية والذين كلفوا من قبلها بإخراج الطلبة الجزائريين الذين لم

1 - من الضروري التأكيد على أن نداء الإضراب لم يكن قرارا طلابيا بحتا ، إذ أن كثيرا من الطلبة كانت لهم صلات قوية بجيش التحرير الوطني ، الذي كان قاداته يخططون لمثل هذه الإضرابات ، حتى يتمكنوا من فك الحصار على الثورة وتوسيع مداها وإظهارها في الخارج على أنها ثورة شعب وليست كما تدعي فرنسا (عصابات) .

2 - تأسست في تونس قاعدة لجيش وجبهة التحرير الوطني تهتم بتجنيد الناس وجمع الأموال وتدريب الأسلحة ، وإدخالها إلى الجزائر ، وأصبح أغلب الطلبة الجزائريين مجندين في الجبهة ومن أبرز المسؤولين آنذاك عبد الحي من وادي سوف الذي فرض سيطرته على نظام الجبهة ، وسلك سياسة عنصرية جهوية بين الولايات ، ومن ضمن مساعديه المدعو طالب العربي الذي عسكر بمجموعة من الجنود في الحدود الجنوبية الشرقية ، وكثرت المشاكل وتعددت ، واعتقلت السلطات الفرنسية الجندي خليفة ، ورمته في السجن بتهمة تعامله مع جبهة التحرير الوطني ، وأخذت تعد العدة لنقله إلى قسنطينة لمحاكمته ، فقمنا بإعداد مخطط مع الإتحاد العام للطلبة التونسيين من أجل تهريبه من السجن ، ومن حسن حظه أن الحكومة التونسية أسرعت لاستلام مصالح الأمن من الفرنسيين ، وعزلت كل محافظي الشرطة الفرنسيين ، ووضعتهم تحت تصرف الإدارة العامة بتونس ، فتم إطلاق سراحه بعد أن قضى في السجن عشرين شهرا تقريبا ، للمزيد ينظر يحيى بوعزيز رحلة في فضاء العمر ، المرجع السابق ، ص 146 .

3 - نداء إلى جميع الطلبة الجزائريين ، الصباح ، 29 ماي 1956م ، ص 3 .

يستجيبوا للنداء عنوة، كما ذكر لنا أن الإضراب كان ناجحا في تونس بنسبة كبيرة¹ أظهروا ذلك على صفحات الجرائد² وفي هذا الشأن يقول عيسى الجزائري في مقاله الطالب الجزائري والثورة وفي جزئه الثاني الصادر بجريدة الصباح في يوم 21 أوت 1956م : "... وقد نال اقتراحه نجاحا شاملا ، وموافقة تامة كانت من نتائجه إعلان الإضراب اللانهائي عن الدروس ، هذه الوثبة العظيمة التي أتاها الطالب الجزائري الثائر لعزة وطنه، واسترجاع حرّيته، باع دروسه واسترخص شهادته العليا أمام القضية الوطنية، واستجاب لنداء الشعب المكافح ، إذ كان كل يوم يمر يؤتى للطالب بمجموعة من الأخبار المفزعة والمفجعة، وأفكاره مشغولة دائما بمشاكل عويصة جدا تتعلق بحياته اليومية، ومصيره فكيف يستطيع وحالته النفسية هذه ؟ الانصراف عن الدروس والنجاح في الامتحان، والتحصيل على الشهادات، وكيف لا يشعر الشباب الطالب والحالة هذه؟ إنه من أوجب الواجبات عليه المساهمة في كفاح شعبه، كما صرح بهذا رئيس الإتحاد العام للطلبة الجزائريين يوم أعلنها ساخطة ناقمة على الاستعمار الفرنسي ، فهكذا ضحى الطالب الجزائري بدراسته وبمستقبله لأنه يعتقد أنه لا مستقبل له إلا مستقبل وطنه المكافح وهجر الكتب الدراسية ليتصفح مكانها المناشير السرية والدروس العسكرية النظرية والأوامر التي تعطى للجنود الثائرين وودع القلم وصريره، واستبدل به رشاشه يترنم برناته ، ودخل الثورة فصعد الجبل بهمة وإيمان جبار، يسير الإدارات ويطلق الرصاص وينصب الكمائن ، ويلقي الخطب³ .

إلا أن البعض لم تقنعه هذه الخطوة واعتبرها قاصرة على أداء المهمة ولا يرى حلا إلا الالتحاق بالجبال والأخذ بالثأر لضحايا الاستعمار الأبرياء⁴ ، لم يطل انتظار هؤلاء حتى صدر نداء الطلبة الزيتونيين للعودة إلى الدراسة في سبتمبر 1956م⁵، رغم أن الإضراب

¹ - مقابلة مع الشيخ الطيب توفيق بمنزله الكائن بحي الساقية الحمراء بسيدي بلعباس، يوم 28-04-2015 على الساعة 16.00.

² - الطاهر وطار ، إنا راحلون ، الصباح ، 6 أكتوبر 1956م ، ص 3 .

³ - عيسى الجزائري ، الطالب الجزائري والثورة (2) ، المصدر السابق ، ص 3 .

⁴ - حمادي بغريش ، لو كنت ثائرا ، الصباح ، 8 جوان 1956م ، ص 4 .

⁵ - نداء من جمعية الطلبة الجزائريين ، الصباح 28 سبتمبر 1956م ، ص 4 .

تواصل في الجزائر وفرنسا إلى غاية أكتوبر 1957م والسبب في ذلك هو حرص جبهة التحرير الوطني على المستقبل الدراسي لإطارات الجزائر المستقبلين بتفادي الانقطاع الطويل عن الدراسة ، خاصة وأن كل الدلائل كانت تشير إلى نهاية الحرب في الجزائر لن تكون في القريب العاجل ، رغم مشاركة وامتثال الطلبة لقرارات جبهة التحرير إلا أن الملفت للانتباه هو أنهم لم ينضموا إل الإتحاد العام للطلبة الجزائريين بمجرد تأسيسه نتيجة للخلافات التي كانت بين الطلبة¹ بين مجموعة تريد الاحتفاظ بجمعية الطلبة الجزائريين كإطار تقليدي ممثل للطلبة²، وبين مجموعة أخرى تريد إنشاء جمعية جديدة ربما لتكون فرعاً للإتحاد³، استمرار الخلاف أدى بالطالب يحيى بوعزيز كتابة مجموعة مقالات بعنوان رسالة الجمعيات ، حاول فيها شرح عمل وأهداف الجمعيات وكيفية النضال داخلها ، ودعى إلى الوحدة في العمل ، إلا أن دعوته ذهبت أدراج الرياح، ولم ينته الخلاف إلا بتدخل جبهة التحرير الوطني⁴ وإنهائها الوجود الرسمي لجمعية الطلبة الجزائريين بالدعوة إلى انتخاب فرع للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في 12 ماي 1957م⁵، واستيعابهم في هياكل الجبهة كمجندين ومكلفين بالقيام بأعمال الدعاية وتعليم اللاجئين والإشراف على مرافق حيوية متعددة⁶.

إن التزام الطلبة بقضايا وطنهم جر عليهم نقمة الاستعمار⁷، ففي صيف 1956م وأثناء وأثناء العودة إلى الجزائر تعرض الطلبة إما للقتل أو الاعتقال من قبل قوات الاحتلال في

¹ - Guy Pervillé, Les étudiants Algériens en guerre, 1955-1962 in armée, guerre et politique en Afrique du Nord xixe-xxe siècles, ed presse de l'école Normal supérieur Paris, 1977, p69 .

² - يحيى بوعزيز ، لم نختلف أبدا ، الصباح ، 29 ماي 1956م ، ص 3 .

³ - براهيم زعيوب ، على ما نختلف ، الصباح 24 فيفري 1956م ، ص 3 .

⁴ - يحيى بوعزيز ، رسالة الجمعيات (1) ، الصباح ، 20 ديسمبر 1956م ، ص 3 .

⁵ - يحيى بوعزيز ، رسالة الجمعيات ، الصباح ، 11 ماي 1957م ، ص 3 .

⁶ - محمد صالح الجابري وآخرون ، الأدب العربي بشمال إفريقيا ، مقالات نقدية ، وببليوغرافيا وصفية ، دار مهجر ، كمبريدج ، 1982م ، ص 37 .

⁷ - الاستعمار الذي تنطبق عليه منذ زمن بعيد التلاحم والتضامن وتوحيد الصفوف ورسها ... ، ولهذا فإننا نهيب بإخواننا أبناء المغرب العربي أن لا يتركوا ثغرة في صفوفهم يتسرب منها عدو قضيتهم لينفث سموم التفرقة والبغضاء بينهم ، ونتوجه بندا لنا هذا مخلصين إلى إخواننا الجزائريين الكرام الذين تكبر بطولاتهم ، وجهادهم السابق في سبيل تقرير مصيرهم أن يحذروا ويتقنوا للمكائد التي تنصب لتفكيك وحدتهم ، وتسليط بعضهم على بعض ، وما بلغنا من مساعي الأيدي الخبيثة في تسخير بعض أذنابنا من محترفي الوطنية لتحطيم وحدة الأمة الجزائرية ، وإشاعة الجفاء ، وعدم الثقة بين عامة الأمة من جهة وبين الإخوان الميزابيين وخاصة التجار منهم الذين تمت مقاطعتهم والاعتداء على أرواحهم وأرزاقهم وأموالهم ، ينظر صالح بن يوسف ، أدعوا الجزائريين للوحدة ، الصباح 9 أكتوبر 1955م ، ع 1665 ، ص 2 .

الحدود التونسية الجزائرية¹ الأمر الذي حرم الطلبة من رؤية الأهل إلى غاية الاستقلال ، وانقطعت عنهم معوناتهم ، الشيء الذي سبب لهم مشاكل كثيرة لتدبير معيشتهم ، فأضحى الطلبة يقيمون أودهم على الخبز والماء²، مما حدى بالطلبة الجزائريين الالتجاء إلى وزارة المعارف التونسية لتتكفل بما لا يقل عن خمس مائة طالب جزائري أضحوا في عداد الفقراء³ ، لتتقدمهم من الجوع ومن السكن الغير اللائق⁴، وناشد الطلبة الوزارة التدخل حتى لا يكفر الطالب الجزائري بالأخوة والجوار، ويرى نفسه مهملًا دون تكفل يحفظ كرامته من التسول، ورغم المساعدة التي قدمها الملك محمد الخامس لهم والمقدرة بمليون فرنك حين زيارته إلى تونس في شهر أكتوبر 1956م⁵ ، فإنه كان لابد من تدخل الرئيس الحبيب بورقيبة للتخفيف من معاناة الطلبة الجزائريين ، وذلك قبل أن تدمجهم الجبهة في هيكلها وتعهد إليهم فيما عهدت أمكر الدعاية للثورة⁶.

تفاعل الزيتونيون مع الثورة الجزائرية واستبشروا بها خيرا وقدموا لها التأييد المطلق وشاركوا في كل الاجتماعات والمظاهرات المساندة لها ، وقاموا بإصدار البيانات لكسب الرأي العام التونسي وتحسيسه بالقضية الجزائرية وحثه على ضرورة تقديم الدعم والمساندة لها ، فلقد جاء في البيان الذي أصدرته هيئة التدريس بجامع الزيتونة بجريدة الصباح ما يلي: " شعورا منها بالترابط والأخوة نحو إخواننا الجزائريين ، وإحساسا بأن كلا منها جزءا من الشعب العربي، وإخلاصا بالواجب الإسلامي، وانتصارا للإنسانية التي انتهكت حروماتها على أرض الجزائر، وفزعا مما بلغت إليه من اكتساح جماعي وإبادة شاملة ، يتأسفون ويحز في نفوسهم استمرار الحكومة الفرنسية في تجاهل شخصية الجزائر

1 - محمد الطاهر خليفي ، معاملة فرنسا الشرسة للطلبة الجزائريين ، الصباح ، 23 ديسمبر 1956م ، ص 3 .
 2 - يحيى بوعزيز ، حول قصيد معركة الشرق والغرب ، هكذا نبغي الدب يا شباب الأدب ، الصباح 28 ديسمبر 1956م ، ص 4 .
 3 - يحيى بوعزيز ، إلى وزارة المعارف التونسية : المشروع الاجتماعي في الميزان ، الصباح ، 20 أكتوبر 1956م ، ص 3 .
 4 - خطاب مفتوح من جمعية الطلبة الجزائريين إلى سعادة وزارة المعارف ، الصباح ، 7 نوفمبر 1956م ، ص 2 .
 5 - جمعية الطلبة الجزائريين وجلالة السلطان أسد المغرب العربي ، الصباح ، 11 نوفمبر 1956م ، ص 4 .
 6 - بلوزاع براهيمة ، كتابات الجزائريين ، المرجع السابق ، ص 85 .

المسلمة والتنكر لشعبها العربي، ويوجهون نداءهم المعبر عن عميق إحساسهم بتوقيف القتال والفتك.... والاعتراف بالحكومة الجزائرية الحرة.

يوجهون نداءهم إلى الأمة الإسلامية وقادتها وكذا كل المؤسسات التي تدافع عن الحقوق الإنسانية والعقلانية العالمية، حتى يتدخلوا سريعا لوضع حل للتقتيل والتعذيب الذي يعيشه الشعب الجزائري اليوم.

على الحكومة الفرنسية أن تتحمل مسؤولياتها، وتصرفاته اتجاه العلاقات مع جزء عزيز من العالم العربي الإسلامي.

ألزموا لأن تكون لهذه الحكومة طريقا تفصل بينها وبين المسلمين وإن لم يغير المستعمر طريقته فإنه عداوة تنشأ بين العرب المسلمين وهذه الحكومة حيث أن العرب لم ينسوا ولن ينسوا الدم العربي الإسلامي الذي تسيله هذه الحكومة البطشاء، الشرسة بالجزائر.

لم يسمحوا، ولن يسمحوا لحرب صليبية بإفريقيا الشمالية، القادرة على المسح والقضاء والتصدي لكل حقوق الإنسان عن طريق الحرب والاضطهاد.

طالبين في أول نقطة لهم من رئيس الجمهورية الفرنسية ولرئيس البرلمان الفرنسي ولرئيس مجلس الجمهورية، ولرئيس الحكومة الفرنسية، وقف العمليات السياسية بالجزائر.

يطلبون إقرار الحق الجزائري لنشأة دولة جزائرية قانونية، التي سلبت من هذا الحق، وكان ذلك سببا في نشوب الحرب بين الجزائر وفرنسا.

ينددون بقوة الاضطهادات الشنيعة وأساليب التعذيب التي يتعرض لها الشعب الجزائري الأخ.

يتمنون أن تحل قضية الجزائر بأساليب سلمية بطريقة تنهي مشكلة تأرق الحكومة وكذا الشعب الفرنسي وعلاقاته بالعالم الإسلامي¹.

وورد في الوثيقة الصادرة في يوم 5 ديسمبر 1956 عن مصلحة الاستعلامات العامة، ومصلحة الاتصال الشمال إفريقيا، عن بعض المعلومات التي أدلى بها مخبر متعاون مع الحكومة الفرنسية، وتحت عنوان: الطلبة الجزائريون في الزيتونة بتونس: إن لجنة جبهة التحرير الوطني بتونس أطلقت نداء إلى الطلبة في الزيتونة بتونس، تطالبهم فيه بمتابعة دروس في التعليمات العسكرية خلال مدة شهر، وبعد هذا التربص فإنه يتوجب على كل طالب متطوع الالتحاق بمنطقته الأصلية، ويعين بصفة مستشار تقني سياسي لرؤساء المتمردين المحليين (نجد هذا النعت من قبل محرر الوثيقة ويقصد بالمتمردين المحليين: الثوار)، وحسب المخبر الاستعلاماتي، خمسة عشر طالب أكبر سنا من أن يكملوا دراساتهم، أو ببساطة مغامرين، وليست لهم من الطالب إلا الاسم، قد استجابوا لهذا النداء، الآخرون الذين أبدوا الرغبة في إتمام دراستهم بهدوء كانوا موضع مضايقات من طرف أعضاء لجنة جبهة التحرير الوطني الجزائري الموجودة بتونس.

إمضاء الوثيقة من طرف رئيس مصلحة الاتصال شمال إفريقيا².

وورد في خطاب الأمين العام لجمعية الطلبة الجزائريين عيسى مسعودي، تحت عنوان: صرخة من جمعية الطلبة الجزائريين:

إن جمعية الطلبة الجزائريين كعنصر يمثل جانبا كبيرا واعيا من الشعب الجزائري المكافح لتعلن صارخة ناقمة احتجاجها العنيد وسخطها الجم على ما ارتكبت السلطات الاستعمارية الفرنسية من إلقاء القبض على الزعماء الجزائريين الأوفياء، إبطال جيش وجبهة التحرير الجزائريين.

¹ - وثائق شمال إفريقيا لـ 30 أبريل 1956، عريضة المعتدلين الزيتونيين، الصباح، 29 مارس 1956.
-A.N.O.M. Aix en Provence doc n°225, boîte 4507.

² - للاطلاع ينظر الملحق رقم 08. A.N.O.M. Aix en Provence, doc du 5/12/1956, boîte n°4507.

ووقوع مثل هذا الغدر المنكر من فرنسا، إنما هو تأكيد صارخ لما كنا ننادي به دائما، -وكما كان ينادي به كل من ذاق آلام الاستعمار الفرنسي ولُعق صابه-، من أن فرنسا مدرسة النفاق والغدر والمكر، وإنها زعيمة لخلق الأفكار الحرة ووأد الآراء السليمة الطاهرة، وتدنيس النوايا الشريفة وإنها لم تبق طويلا بعد ثورة 1879، التي طلعت بها على العالم بثالوثها الجبار مناصرة لهذا الثالوث، داعية له بل أصبحت من دعاة الاستعمار، بل ومن المتعصبين له، ومن مجيء الفتنة، وزارعي العداوة والبغضاء والحقد، تستهويها إراقة الدماء، دماء الأبرياء، والتلاعب بالكلمات الشرفية، ونكت العهود وإنها ليست في شيء قط من مجيء السلام، وأنّ جميع ما كان يصرح به ممثلوها في كل مكان إن هو إلا محض كذب، وتمويه ونفاق، لأنها كانت تعلم متيقنة أن ذهاب الزعماء الجزائريين، إلى الشقيقة تونس لم تكن غايته إلا السلام، السلام لها، وإعانتها على الخروج من هذا المأزق وكفها عن تلطيخ يدها بدم الأبرياء العزل من شيوخ وأطفال ونساء ممن تقتلهم في وحشية كل لحظة في كل مكان من القطر الجزائري المكافح.

أجل السلام لها لأن تلتفت قليلا إلى شؤونها الداخلية، الخاصة وتنظم أحوالها حتى يتسنى لها أخيرا أن تعتبر نفسها على الأقل من محبي السلام.

ولكن كيف تتمكن من هذا ومن أبرز غرائزها النفاق والغدر والكيد، إذن فلتعلم فرنسا جازمة أنها بفعلها الشنيع هذا، قد خسرت تلك الصداقة التي كانت تحلم بها، أو تظنها، ما برحت بينها وبين جناحي المغرب العربي الكبير¹.

فلتأكد فرنسا اليوم أن مثل هذه الطعنة من أبرز آثارها هو ضم الصفوف، وتكتل الجهود، (وتوحيد أبناء المغرب العربي الكبير، وأن ما يصيب أحدهم يؤلم الباقي، لأن مغربنا العربي أصبح اليوم وطنا عربيا كبيرا واحدا لجميع أبناء هذا الشمال المكافح، وويح فرنسا من أبناء المغرب العربي إذ توحدوا).

¹ - عيسى المسعودي (الكاتب العام لجمعية الطلبة الجزائريين)، صرخة من جمعية الطلبة الجزائريين، الصباح 25 أكتوبر 1956، ع 1496، ص 3.

أما المجاهدون الجزائريون في كل مكان في الجبال والمدن وفي العالم والشعب الجزائري، فإنهم جميعا يواصلون الكفاح إلى آخر قطرة من دمائهم، كما أخذوا هذا وعدا منذ اللحظة الأولى لثورتهم المباركة الجبارة المنتصرة رغم المكائد الفرنسية، ورغم النذالة الفرنسية، ورغم النفاق الفرنسي.

... أجل إنَّ المجاهدين الأبطال والجنود الأشاوس يواصلون كفاحهم وستتضافر جهودهم أكثر، وتتماسك وحدتهم أشد، وتتعدد هجوماتهم أعنف، وتتوالى انتصاراتهم أقوى... لأنهم أصبحوا يعتقدون اليوم بعد هذه التجربة الثورية الحاسمة - إن مثل هذا الأمر- وهو إلقاء القبض على زعمائهم وأبطالهم، ومخ الثورة الجزائرية أحمد بن بلة، لن يوهن من عزيمتهم، ولن يضعف من إيمانهم بالنصر القريب، ولن يقلل من هجوماتهم بل هم يستثنونها حمراء طاحنة على الاستعمار الفرنسي في كل مكان، وسيردون العدوان بالعدوان، ويواصلون الكفاح حتى النصر المبين، ذلك أنهم يعتقدون جازم الاعتقاد أن كل واحد اليوم في الشعب هو (بن بلة) ولا شيء غير بن بلة أيا كان مقره، في الجبال أو القرى أو المدن أو في عواصم العالم، كل واحد من الشعب هو (بن بلة)، أصبح اليوم فكرة، فكرة تناصر الحرية والعدالة والحق، وتحارب البغي والجور والذل، وهذه الفكرة التحريرية أصبح يدين بها كل عربي في كل مكان، ويناصرها غير العرب من الأحرار في كل مكان، فإن اعتقل اليوم بن بلة فليس معنى ذلك أن الكفاح في الجزائر سينتهي، بل بالعكس يا فرنسا سيتواصل ويتعاضم حتى النصر أحب من أحب، وكره من كره، ورغم أنفك يا فرنسا، سينتصر الشعب الجزائري رغم الأعداء يا فرنسا ولن يخسر غيرك يا فرنسا، ويحك اليوم يا فرنسا، ويحكم من وحدة المغرب العربي وعقاب أبنائه الأشاوس¹.

وفي الميدان، ميدان القتال الشريف، لا الغدر والمكر يا فرنسا... تجدين الخبر اليقين، وستبدي لك الأيام عجيب الأخبار وأهولها.

إنَّ بن بلة موجود في كل مكان يا فرنسا، يطاردك شبحة الرهيب ليست رغبته إلا الإجهار على الاستعمار الفرنسي أيا كان والفتك (يا أحفاد الذين حطموا الباستيل).

¹ - عيسى المسعودي، صرخة من جمعية الطلبة الجزائريين، الصباح، المصدر السابق، ص 3...

عاش بن بلة، وعاش صحبه الأبرار والمجاهدون الأحرار في كل مكان، وعاشت الجزائر حرة مستقلة، (وعاشت تونس والمغرب والوحدة العربية والعزة لنا)¹.

ولم يقتصر عيسى المسعودي بالكتابة عن ما يعاينه شعبه على نشرها في جريدة الصباح التونسية بل استغل فرصة إصدار جبهة التحرير الوطني بتونس صحيفة المقاومة التي سبقت صدور جريدة المجاهد، للكتابة والنشر بها، وكانت المقاومة تصدر باللسانين العربي والفرنسي. وبالنظر إلى قائمة محرريها نجدها تكاد تكون زيتونية، فإلى جانب عيسى المسعودي نجد إبراهيم مزهودي، محمد الميلي، عبد الله شريط، الأمين بشيش، عبد الرحمن شيبان، عبد الرحمن شريط، محمد الصالح صديق²، وكلهم خريجي الجامع الأعظم.

وعلى نفس النهج سار العديد من الطلبة الزيتونيين الذين أشهروا أعلامهم للكتابة عما يعاينه الشعب الجزائري عامة والطالب الزيتوني الجزائري خاصة، فهذا الطالب محمد الطاهر خليفي يكتب مقالا عن المعاملة التي يلقاها الطالب من الإدارة الاستعمارية وتحت عنوان: معاملة فرنسا الشرسة للطلبة الجزائريين، هذا جزء مما ورد في المقال:

إن السبب الوحيد الذي جعلنا نذكر الطلبة في هذه الكلمة المتواضعة هو صبرهم وموقفهم الذي وقفوه، والتعذيب الذي لاقوه، وكل هاته المصائب المؤلمة تستحق الذكر، وجديرة أن تبقى خالدة على مر الدهور والأزمان.

إن معاملة فرنسا للطلبة الجزائريين تثير العطف والإشفاق والحزن والشجون، في أن واحد،

أيها القارئ العزيز خبرني بربك: كيف لا تنفطر مرارة الإنسان من هذه الحوادث المهولة.

وبعدما روت السلطة غلتها من إخواننا العمال والأهالي الأبرياء العزل خطت خطوة إلى الأمام، إلى رجال المستقبل، إلى سويداء قلب الأمة الجزائرية النابض، إلى آخر

¹ - عيسى المسعودي، صرخة من جمعية الطلبة الجزائريين، الصباح، المصدر السابق، ص 3...

² - Hssani Abdelkrim, Guérilla sons visage, Alger, O.P.U., 1988, pp 26- 54.

أنفاسها، إلى القضاء على الرجال الذين تأمل الجزائر أن يكونوا رجال المستقبل، إلى تخييب أملها في رجالها، إلى إحراق أكباد الشعب الجزائري، إلى إزهاق نفوس وأرواح الطلبة الجزائريين الأبرار.

إن معاملة فرنسا لهؤلاء الطلبة الغرباء، أجل إنهم غرباء عن الأهل، غرباء عن بلادهم، غرباء عن شفقة الأبوين، معاملة مؤلمة محزنة، معاملة القتل والتشريد، معاملة الظلم والاضطهاد، ومعاملة الكبت والحرمان¹.

لقد حرمتهم من رؤية وطنهم، حرمتهم من النظر إلى الأبوين والأقارب بل حرمتهم حتى من استنشاق هواء بلادهم، الذي به تنتعش نفوسهم وأرواحهم لأنهم ألقوه ولا يستطيعون أن يعيشوا بدونه. ألقوا هواء بلادهم كما ألق السمك البحر، فإذا أخرجناه منه مات، وخرجت أنفاسه.

إذا فما بال فرنسا الوقحة الشريرة، تسيء إلى الطلبة؟

وما بال الاستعمار الظالم الجبار يعامل الطلبة بهاته المعاملة، معاملة الطغيان والجبروت؟ وأي كارثة حلت به حتى جعلته يعاملهم معاملة الظلم والاستبداد؟

وكثيرا من الطلبة في هاته الراحة الصيفية اشتاقوا إلى رؤية بلادهم وأبائهم، فامتنعت فرنسا أن تسلّم لهم رخص السفر والبعوض منهم سلّمت لهم رخص الردى والحمام فما كاد أن يستقر بهم المقام في القطار حتى قبض عليهم الجند الفرنسي، وساقهم إلى المحتشدات لينكل بهم، والبعوض قتلهم هناك بدون مفاهمة ولا محاكمة، رغم أن رخص السفر وبطاقات التعريف بأيديهم، وما هاته الحادثة إلا شعرة بيضاء في جلد ثور أسود بالنسبة لمنكرات الجند الفرنسي واضطهاد أبناء الجزائر.

¹ - محمد الطاهر خليفي، معاملة فرنسا الشرسة...، الصباح، ع.س، ص 3.

ولنذكر حادثة أخرى استعملت ضد الطلبة في عاصمة الجزائر بكلية بن عكنون للقضاء عليهم، وهي إعطاؤهم طعاما مسموما فما كاد يستقر ذلك الطعام في أمعائهم حتى تفت أكبادهم وقطعت أمعاؤهم.

وحادثة أخرى وقعت في ضواحي الجزائر، وهي أن جما غفيرا من الطلبة خرجوا من المدرسة فما ابتعدوا بضعة خطوات حتى وجه إليهم جند الاستعمار الطاعي البنادق والرشاشات النارية فقتلوا عليهم عن آخرهم¹.

ونجد الطلبة هم الذين يفهمون معنى الثورة ويؤيدونها ولا يعارضونها بل هم أول من ضحوا بأنفسهم في سبيل وطنهم، وفي سبيل الحرية والكرامة، وهم أول من خاضوا معمة القتال، ومنهم من هجر وترك دروسه بل عدل عن المشاركة في امتحان الشهادت العليا في سبيل غاية واحدة وهي استقلال البلاد والقضاء على الاستعمار الغاشم.

ونجدهم يقدرون مصير الثورة تقديرا محكما، ففي نجاحها عزتهم وكرامتهم ومستقبلهم الباسم الزاهر.

وفي هزيمتها ذلهم وشقاؤهم، وهم مؤمنون بالنجاح لذا كان كفاحهم دائما دفاعا مستميتا، ويقدرون الاستشهاد في سبيل الحرية حتى قدره فكان كفاحهم رغبة وطوعا، لا رهبة وطمعا.

إلى الأمام أيها الإخوة، إلى العزة والكرامة، إلى المجد والرفعة، وإلى العلو والسمو، ناضلوا بأخر قطرة من دمكم، كافحوا بأخر قطرة من دمكم، كافحوا بأخر أنفاسكم لتتصلوا على بغيتكم وضالتكم المنشودة، اتحدوا أيها الإخوة في أعمالكم وفي أقوالكم ولا تختلفوا فتذهب ربحكم.

¹ - محمد الطاهر خليفي، معاملة فرنسا الشرسة...، الصباح، ع.س، ص 3.

وتيقنوا بأن الاستعمار راحل من بلادكم وإنه في حالة احتضار بعد أن أكثر من الظلم، وأن النعمة تدوم مع الكفر ولا تدوم مع الظلم، وكفى بخيرات الجزائر نعمة، بل وكفى بانهزام الاستعمار عليه نقمة، الجهاد في سبيل الاتحاد¹.

¹ - محمد الطاهر خليفي، معاملة فرنسا الشرسة...، الصباح، ع.س، ص 3.

الفصل الرابع: أوضاع الطلبة المعيشية

عانى الطلبة الجزائريون في الأطوار الأولى من البعثات شتى أنواع العذاب ، لما جابههم من مشاكل مادية ومعنوية ، فكانوا يشدون الرحال إلى تونس على الأقدام ، عابرين الحدود ومعرضين أنفسهم لكل المخاطر والمجازفات¹، باستثناء الطلبة الذين كانوا ينحدرون من عائلات ميسورة الحال فكانوا يدخلونها عن طريق وسائل النقل ، وبعد قطع المسافات الطويلة كانوا يجدون أنفسهم أمام مشاكل السكن والأكل والملبس وهي مشاكل وهي مشاكل أعوص مما كانوا قد لاقوه في بلدهم الأم ، فضلا عن غربتهم وبعدهم عن ذويهم ، فكانوا لا يجدون من يخفف عنهم هذا العبء الثقيل، باستثناء المتطوعين القلائل، من الطلبة المتقدمين عنهم في السن والرتبة ، الذين كانوا يبادرون إلى تقديم ما يتوفر لديهم من المعونة، وغالبا ما يكون مرجعهم الوحيد شيخ من المشايخ يوكل إليه الطلبة تصريف أمورهم تبعا لخبرته ، وما يتسم به من فضائل ، ومكارم خلقية ولكن في حدود جهوده وعلاقاته الشخصية .

يذكر محمد الصالح بن عتيق* ، الذي التحق بتونس سنة 1927م، أنّ حالة الطلبة المعيشية كانت صعبة للغاية، رغم ذلك فإن تلك الصعوبة لم تؤثر سلبا على المردود التحصيلي للطلبة الجزائريين، بل بالعكس كان مردودهم الدراسي إيجابي جدا حيث يقول في هذا الصدد: إذا كانت حالتنا المادية بتونس تعسة، فإن الحالة الأدبية بها كانت طيبة وفي مستوى عالي فالطلبة الجزائريون يومئذ يتمتعون في جميع الأوساط التونسية بسمعة راقية، وكانوا مضرب الأمثال عندهم في الاستقامة وحسن السلوك وكثرة التحصيل².

1 - محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي والفكري ، المرجع السابق ، ص 100 .
* - محمد الصالح بن عتيق (1903-1993)، مصلح من منطقة الميلية خدم اللغة العربية والإسلام في الجزائر وفي فرنسا، سجن لمرات عديدة، وبعد الاستقلال واصل نشاطه الإصلاحي حتى وفاته. للمزيد ينظر محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج2، ط1، دار هومة، 2000، ص 42.
2 - محمد الصالح بن عتيق، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، ط1، مطبعة دحلب، 1990، ص 70.

أولاً: نداء جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين:

تسهر الجمعية على مصالح الطلبة وتوجيههم إلى ما فيه الخير والسداد للأمة والوطن، وتذكر الأمة الجزائرية عموماً والمقيمين بتونس الشقيقة منها على الأخص ما يعانیه هؤلاء المهاجرون من أبنائها الذين اصطفتهم المقادير لتلقي رسالة العلم الثقيلة وتحمل الأم الهجرة الطويلة من تعب في المساكن إلى نصب في المعاش ومن عناء الكسوة إلى وصب في الفراش¹.

فهناك من الطلبة من يتغذى ولا يتعشى وهناك من لم يجد سكنى فالتجأ إلى الفنادق الوضيعة وهناك من لم يجد أصلاً فرجع إلى حيث أتى فلم يكن بد من أن نتوجه بنداؤنا الاستعطافي إلى أبناء الجزائر المقيمين بالأقاليم التونسية فلعله نداء ينفذ إلى العواطف النبيلة فينقذ أبناء أمتهم وهي أحوج ما تكون إليهم وما كان هذا التخصيص بالنداء إلا لأن أبناء الجزائر إعاتتهم أكدوا ولأنهم أدركوا بما يتكبده هؤلاء الطلبة من آلام وأوصاب في سبيل تحرير أمه مما هو ظلم وقيد وتخليص شعب مما هو عار وشنار.

هذه الوضعية المأساوية دفعت الطلبة من خلال جمعيتهم إلى طلب المساعدة من إخوانهم الجزائريين المقيمين بتونس²، رغم الأزمة الاقتصادية الحادة بعد الحرب العالمية الثانية في الجزائر وتونس آنذاك، إلا أن الجمعية لبثت نداء وعملت ما بوسعها لمساعدتهم وكان أهل "ماطر" من الجزائريين المقيمين بها سابقين في نجدة إخوانهم مما حدا بالكاتب العام للجمعية إلى التنويه بعملهم من خلال نشر أسماء المتبرعين³ كما ورد في عددها الخامس والعشرين لجريدة البصائر فكان بحق مساعدة وإعانة وتأييداً ووحدة شعور مع أبنائهم. حيث استهل الطلبة نداءهم بالعبارات التالية:

إليك أيتها الأمة الجزائرية جمعاء نرفع هذا النداء المنبعث من وراء الأفق الغريب على أنه من باب التذكير للشعب كله وللهيئات التي لم تشارك قبل في الأخذ بيد الطلاب

¹ - البصائر ، ع24 ، الإثنين 12 ربيع الثاني 1367هـ / 23 فيفري 1948م ، ص8 .

² - عمار النجار " الجزائريون المقيمين بتونس " في إعانة الطلبة الجزائريين بتونس ، الزهرة ، 19 فيفري ، 1948م ، ص1 .

³ - البصائر ، العدد25 ، الإثنين 12 ربيع الثاني 1367هـ / 23 فيفري 1948م ، ص8 .

الذين ما هم- و إن أبوا- إلا آلة تشيد صرح المجتمع الجزائري الأعلى وهو الغرض الأسمى الذي تتحدث عنه جميع المبادئ وتقف أمامه كل الأغراض و تعتبر فيه كل النزاعات.

أيتها الأمة الجزائرية المسلمة العربية إن الواقع يفرض علينا أن نقول منك أمة وإليك أمة فلتكن مساعدتك لنا أمة أيضا. أما أنت أيها الشعب التونسي فقد أدبت لنا ما تراه واجبا حتميا ونراه منك كرما وفضلا من عطف وحنان ومساعدة جميلة تذكر لك فتشكر عليها¹.

ثانيا: الجالية الجزائرية بـ " ماطر " تونس في إعانة الطلبة الجزائريين الزيتونيين :

إن العواطف النبيلة والنفوس الكريمة من استجديت واستعطفت فإنها تنقذ وتنجد، وكذا كانت نفوس أبناء الجزائر المقيمين في الإيالة التونسية، فلقد كان لذلك النداء الاستعطافي الذي وجهته جمعية الطلبة الجزائريين إليهم على صفحات الجرائد الأثر الفعال في نفوسهم الحساسة، فدعينا من طرف إخواننا القاطنين بـماطر لأخذ ما جادت به شهامتهم، و ما كان بحق مساعدة كبرى على الرغم من وجود هذه الأزمات الاقتصادية.

وما نشر أسمائهم على الجرائد إلا لتقليل سدره المنه والتنويه بالمكرمات والمآثر، ولاستنهاض الباقين، فلعلمهم يحذون أولئك الفضلاء، فنتم الحاجيات وتستوفي الضرورات وفيما يلي أسماء المتبرعين²:

- قاسمي الحسين السطيفي 20000.
- حسن بن الحاج النموشي 20000.
- دريج الحاج مبروك السطيفي 20000.
- محمد بن السعيد بن محي الدين الزواوي 10000.
- ابنه عماره 10000.
- صالح الخير السطيفي 5000 .
- صالح العمري بن أحمد السطيفي 5000.

¹ - البصائر، الإثتين 12 ذي الحجة 1366هـ / 27 أكتوبر 1947م، الطاهر السعدي، نداء الطلبة الجزائريين، العدد 12، ص6.

² - البصائر 19 ربيع الثاني 1367هـ / 1 مارس 1948م، العدد 25، ص 8.

- البشير بن الطاهر المجدوب الزواوي 5000.
- على مختار ابن مزيان الزواوي 5000.
- محمد بن مسعود الزواوي 5000.
- ابن الوصيف الخضر بن اليزيد السطيفي 4000.
- ابن الوصيف أحمد بن اليزيد السطيفي 3000.
- صالح محمد بن الحاج السطيفي 3000.
- سي أحمد بن الحاج عثمان النموشي 2000.
- المجموع : 127000.

وهذا المبلغ الأبرع استهلال لما ستصل إليه جمعيتنا من إعانة و تأييد من طرف إخواننا الجزائريين هنا و أظهر الظواهر على وحدة الشعور واحتداه.

ومن جهة أخرى فالمتبرعون الأكارم قد علموا أن الأمة الجزائرية كل مشاريعها مقامة على كواهل أفراد الأمة، فتباهضت النفقات، وانصرفت الجهود إلى الداخل.

فكان لزاما علينا أن نبشر الأمة بأن هناك من أبنائها من علم بما تواجهه، فأخذ يكيد لها وليسعف من هم عدتها ورمز شخصيتها وعنوان نهضتها، فجزا الله المحسنين¹.

وإلى جانب هذا قامت الجمعية برحلة إلى ربوع القطر الجزائري خلال عطلة المولد النبوي الشريف سنة 1367هـ/1948م، وقامت بعرض مسرحية بعنوان " طارق بن زياد" لها فيها من مغازي سامية²، وهادفة فكانت مساعي الجمعية بحق التفاتة طيبة لإعانة ومساعدة الطلبة الجزائريين الذين كانوا غالبيتهم فقراء باستثناء الطلبة المنحدرين من

¹ - البصائر، المصدر السابق، ص 2، بإمضاء الكاتب العام عمار النجار.

² - الأسبوع، 21 مارس 1948م، ص 7، المسرحية طافت الشرق الجزائري و باعت في قسنطينة صورة لابن باديس ب 90 ألف فرنك، وأخرى لمصالي الحاج ب 30 ألف فرنك.

ميزاب الذي كان لهم تنظيم خاص يشرف عليه أحد زعماء ميزاب وميزانيته يمولها التجار الأباطين ، الشيء الذي مكن هؤلاء الطلبة من التعلم في ظروف مقبولة¹.

ثالثا: لجنة الإعانة لطلبة الأوراس :

ورد في إحدى الوثائق والصادرة عن شرطة الاستعلامات العامة لمقاطعة قسنطينة في 8 أكتوبر 1953م، تحت ختم سري، من السيد المحافظ العام للاستعلامات العامة، إلى السيد الوالي- مدير الأمن العام للجزائر، تحت عنوان: لجنة العون للطلبة بالأوراس، من نص موضوعه على ما يلي: مذكرة المرجع رقم 36.900 وتقرير رقم 8479، لشرطة الاستعلامات العامة ليوم 21 سبتمبر 1953م، والاستعلامات العامة لقسنطينة ليوم 11 سبتمبر 1953م، وتبعا لمذكرتكم، وتقرير المذكورين في المرجع، لدي الشرف لأطلعكم أن لجنة الإعانة لطلبة الأوراس، إنها مؤسسة أنشئت بتونس بهدف المساعدة للطلبة الأوراسيين المعوزين من الأوراس الذين يتابعون الدراسة بالزيتونة.

يترأسها الملقب ساكري محمد بن لخضر، المدعو محمود الذي ينحدر من مشتي جرّالة، دوار زلاطو التابع لبلدية الأوراس المختلطة، تلميذ سابق بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، وجامع الزيتونة، المطلوب من قبل العدالة والمتابع قضائيا، موزع لمذكرات ويقوم بتنقلات عديدة بتونس.

- الأمين العام المسمى نجاري فرحات بن محمد، المولود حوالي 1933م بدوار زلاطو، القاطن بمسوناش بلدية الأوراس، طالت، طالب بالزيتونة، معرفة ضمن جمعية العلماء، مشوه على الصعيد الوطني².

- المسمى شيباني سي محمود شريف، ينحدر من منطقة زلاطو الساكن بأريس، تربطه صداقة بسكاري محمد، الذي عينه كمراسل يبعث لهذا الأخير بمجموعات من الرسائل،

¹ - محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 101.

² - للاطلاع ينظر الملاحق رقم 44-45، A.N.O.M.، Aix en Provence، doc n°8.896، boîte 4507.

ومؤخرا يقوم ببعث طرود تضم دفاتر سوشي موجهة إلى التبرعات لحساب اللجنة
ببلدية الأوراس، الجمعية غير منظمة وليس لديها أي نشاط حالي.¹

بعثت إلى السيد رئيس المصلحة بقسنطينة.

إلى السيد المحافظ العام، رئيس مصلحة الاستعلامات العامة، مديرية مصالح الأمن
تونس. إمضاء وختم جواسير ش.ج.

رابعاً: الإعانة المادية للطلبة الجزائريين من قبل الإدارة الاستعمارية:

جاء في الوثيقة رقم 2058 الصادرة عن مكتب الحاكم العام، مصلحة الاتصال
لشمال إفريقيا بتاريخ 3 سبتمبر 1951م، إرسال من الحاكم العام للجزائر إلى السيد الوالي
(م.غ.ش.إ) لقسنطينة، الموضوع: الطلبة الجزائريين للزيتونة- مساعدة مالية مقدمة لهم.
مبلغ مالي يقدر بـ 5 ملايين سُجل بميزانية الجزائر (تم في 1951م- 1952م، قسم
د- الباب 5- المادة 1-3) من أجل مساعدة الطلبة الجزائريين في الجامعات بتونس، القاهرة
والمغرب الأقصى.

قبل أن نتطرق إلى تقسيمها، أود أن أضبط نفسي حول قرار تقديم منحة لطلبة
الزيتونة، وعن المساعدة المالية هذه.

في الحقيقة يتعلق الأمر بمعرفتنا إذا ما كنا نهدف إلى تشجيع أو عدم تشجيع المعركة
التي تجعل الطلبة الجزائريين يقومون بدروسهم التقليدية بتونس.

قضية تعارض هذا الموضوع، تتعلق بالنقاط التالية:

- قائمة غير محدودة.
- المكان الأصلي لهؤلاء الطلبة.
- عددهم.²

¹ - للاطلاع ينظر الملاحق رقم 44- 45، A.N.O.M.، Aix en Provence، doc n°8.896، boîte 4507

² - للاطلاع ينظر الملحق رقم 06، A.N.O.M.، Aix en Provence، doc n°2058، boîte 4507

- أسباب الحركة.
- متوسط سن الطلبة.
- المدة المتوسطة لدراساتهم بتونس.
- مواد دراستهم، الشهادة المتحصل عليها.
- مستوى دراستهم هل هو عالي، على الأقل على بعض النقاط للدروس التي يستطيعون تقديمها بالجزائر.
- ماذا يفعلون بتحصيلهم الدراسي؟ بعضهم هل سيبقى ساكنا بتونس¹؟
- ماذا سيفعل الذين سيدخلون إلى الجزائر؟ هل سيجدون مناصب عمل؟ هل يعينهم أمر الإشاعات الوطنية؟
- ردود الأفعال السياسية.
- في الأخير هل الحركة سيتم تشجيعها أو يجب أن توقف؟
- بأي طرق؟

عدد كبير من هؤلاء الطلبة من أصل ولايتكم، مصالحكم تظهر مؤهلة أكثر حتى تسير هذه القضية، من جهة في تونس، ومن جهة أخرى في الدوائر التابعة لولايتكم والمعنية بذهاب الطلبة إليها.

لي الشرف أن أطلب منكم أن تخولوا هذه المهمة إلى أحد أعوانكم على سبيل المثال: الرائد ترسي رئيس مصلحة الاتصال لشمال إفريقيا أو نائبه السيد بولاند.

في حالة ما لم يجد أي عامل لديكم أو أي عامل مؤهل لولايتكم ليس لديه الوقت في غضون بضعة أسابيع، ليتوجه إلى تونس، التحقيقات الجارية بهذه المدينة يمكن نقلها إلى أحد أعضاء مصلحة الاتصال لشمال إفريقيا الرئيسي.

إنه لمن واجبكم أن تعلموني بقراركم فيما يخص هذا الموضوع.²

¹ - A.N.O.M.، Aix en Provence، doc n°2058.

² - ينظر الملحق رقم 29، Aix en Provence، A.N.O.M.، doc n°2058.

وفي مطلع سنة 1950م قامت السلطات الفرنسية بغلق الحدود بين تونس والجزائر، ووضعتها تحت رقابة صارمة، وهو الأمر الذي أضر بالطلبة الجزائريين بقطع كل وسائل الدعم من أهاليهم في الجزائر، ولكن الجالية الجزائرية كما يذر السيد عميرايو احميدة في كتابه أبحاث في الفكر والتاريخ، تكلفت ولو جزئياً بتمويل لطلبة، وأن دور الجزائريين المقيمين في تونس قد قاموا بدور مشرف لصالح الطلبة أبنائهم من دون أن يؤثر غلق الحدود على سير دروسهم¹.

هذا لم يمنع الطلبة من طلب الإعانة المادية من الإدارة الفرنسية لأن عدد الطلبة كان هائلا بتونس وطبيعي أن إعانة بعض العائلات الجزائرية المستقرة بتونس سوف لن يغطي المصاريف اليومية للطلبة من تأمين للأكل والكراء واللبس ... وغيرها من المستلزمات المادية، وهذا ما لم يمنع بعض الطلبة من طلب المساعدة من الإدارة الفرنسية وهذا ما دلت عليه بعض المراسلات المبعوثة إلى هذه الأخيرة، سواء من قبل الطلبة أنفسهم أو من قبل أوليائهم، فهذه المراسلة الصادرة في 16 مارس 1956م ببريكة إلى السيد الحاكم العام للجزائر وإلى السيد الحاج تباري مفوض التجمع الجزائري بماك ماهون- والتي جاء في نص موضوعها ما يلي: السيد الحاكم العام: إن كرمك الكبير جعلني أقدم اليوم إليك باعتباري رجل فقير، والد مخلوفي عبدلالي طالب بالمدرسة الزيتونية (تونس) الذي لا يملك مالا لإكمال دراسته، لي الشرف أن أطلب من حضراتكم مساعدة حتى يتمكن ابني من متابعة دروسه، ولي الشرف العظيم سيدي الحكام العام أن أكون خادمك الوفي والمطيع².

ومراسلة أخرى صادرة بنفس التاريخ للمراسلة السابقة ودائما ببريكة إلى الحاكم العام بالجزائر، وتحت السلم التسلسلي للسيد الحاج تباري- مفوض بالتجمع الجزائري بماك ماهون، يقول فيها: السيد الحاكم العام بكل احتراماتي لي الشرف أن اطلب من حضراتكم مساعدة لابني بخوش إسماعيل، طالب بالجامع الزيتوني لتونس حتى يكمل دروسه، إن

¹ - احميدة عميرايو، أبحاث في الفكر والتاريخ، الجزائر، دار الهدى، 2003، ص 144.

² - بعثت ثلاث نسخ من المراسلة إلى السيد الوالي، مكتب الاتصالات لشمال إفريقيا بقسنطينة،

- A.N.O.M.، Aix en Provence، doc du 16/03/1956، boite n° 4507

وضعي المالي لا يسمح بمساعدته، لهذا السبب أتقدم إلى حضرتكم لتقديم هذه المساعدة. لقد قدم لي مساعدة تقدر بـ 25000 فرنك فرنسي والتي تعد قليلة جدا بسبب ما نعيشه اليوم من غلاء في المعيشة. ويختم المراسلة بقوله: أتمنى سيدي الحاكم العام أن تردوا إيجابيا على طلبي هذا، خادمكم الوفي بخوش عمار- دوار سفيان، بريكة، قسنطينة¹.

وهذه مراسلة أخرى دائما موجهة إلى السيد الحاكم العام بالجزائر، وتحت السلم التسلسلي للسيد الحاج تباري- مفوض بالتجمع الجزائري بماك ماهون: السيد الحاكم العام، بكل تقدير لي الشرف أن أتقدم إلى حضراتكم بطلب مساعدة تمكن ابني سليمان الطيب، طالب بمدرسة الزيتونة (بتونس) لمتابعة دروسه، لقد قدمت لي مساعدة مالية قدرت 25000 فرنك فرنسي في سنة 1955م، غير أن هذا المبلغ قليل جدا مقارنة بغلاء المعيشة الحالية.

أتمنى سيدي الحاكم العام أن تحكم بالحق ويكون ردكم إيجابيا في حالي هذه وتقبلوا فائق الاحترام والتقدير².

إذن هذه مراسلات تقدم بها أولياء الطلبة المذكورين إلى الإدارة الحكومية بالجزائر لطلب مساعدة مالية من شأنها تلبية متطلباتهم اليومية، وفيما يلي الرد على هذه المراسلات: لقد ورد في الوثيقة رقم 1200/NA الصادرة عن الحكومة العامة للجزائر ومن مكتب المقيم العام بالجزائر، مصلحة الاستعلامات لشمال إفريقيا وبتاريخ 24 ماي 1956م إلى السيد الوالي رئيس مكتب الاتصالات لشمال إفريقيا بقسنطينة، تحت عنوان إعطاء منح إلى مخلوفي محمد، سليمان عمور وبخوش عمار، أبناءهم طلبة زيتونيين بتونس، يقول فيها المقيم العام ما يلي: المرجع الخاص بإرسالتي رقم 951، 852، 853 ليوم 6 أبريل 1956م: لي الشرف أن أطلب منكم الإسراع في الرد على إرسالتي المبينة في المرجع

¹ - ثلاث نسخ طبق الأصل مبعوثة إلى السيد الوالي، مصلحة الاتصالات لشمال إفريقيا، ومكتب المقيم العام بالجزائر، - A.N.O.M.، Aix en Provence، doc n° 2/NA/853/NA2/ boite n° 4507.

² - doc n°852/NA2/ boite n°4507،

الخاصة بإعطاء منح للمسلمين: مخلوفي محمد، سليمان عمور، وبخوش عمار من دوار سفيان بلدية بريكة لأبنائهم الطلبة الزتونيين بتونس¹.

ومما يتبين من الوثيقة التالية التي بين أيدينا، والتي تخص الطالب سليمان الطيب السابق الذكر، أن الإدارة الاستعمارية لم تقم بالاستجابة مباشرة إلى طلب الإعانة المادية إلا بعدما تتحرى عن الطلبة من حيث الانتماء السياسي وما إذا كان قد سجلت عليه ملاحظات غير عادية، وهذا ما يتوضح في الإرسالية الصادرة بتاريخ 30 ماي 1956م، من قبل نائب الوالي لباتنة والمرسلة إلى السيد والي قسنطينة، مصلحة الاتصال لشمال إفريقيا التي يقول فيها: جوابا على إرساليتكم المبينة في المرجع، لي الشرف أن أعلمكم أن المسلمين سليمان الطيب طالب بالزيتونة بتونس، المعني بالأمر تابع للعلماء المصلحين، ولكنه لم يلاحظ ليومنا هذا أي شيء عليه من الناحية السياسية من وجهة نظري، منحة تقدر بخمسة وعشرين فرنك فرنسي يمكن أن تقدم إليه حتى تمكنه من متابعة دروسه. الوثيقة موقعة من قبل نائب الوالي².

وورد في الوثيقة رقم 4788 المتعلقة بالرد على طلب الإعانة إلى الطالب مخلوفي عبد الله، الصادرة بتاريخ 31 ماي 1956م من قبل نائب والي باتنة إلى السيد والي قسنطينة رئيس مصلحة الربط لشمال إفريقيا، ما نص موضوعه ما يلي:

ردا على إرسالكم المذكور أعلاه والمتمثل في طلب إعانة طالب مخلوفي عبد الله من دوار سفيان التابع لبلدية بريكة المختلطة، وعلى إرسالكم رقم 423 المؤرخ في 13 أفريل 1956م، لي الشرف أن أحيطكم علما بأن المدعو مخلوفي عبد الله لم يعد طالبا بالزيتونة بتونس، ويقوم حاليا بالدوار، ومن جهة أخرى عائلته لها نشاطات معادية وأحد أقاربه وبالتالي فالرد غير إيجابي على طلب الإعانة المقدم من المدعو مخلوفي محمد (والده). إمضاء الوثيقة من قبل الوالي³.

¹ - للاطلاع ينظر الملحق رقم 30-31-32 Ibid، doc n° 4507، boite n° 1200/NA/2

² - للاطلاع ينظر الملحق رقم 31، Aix en Provence، A.N.O.M.، doc n° 2192

³ - للاطلاع ينظر الملحق رقم 31، Ibid، doc n° 4788، boite n° 4507

كان قد سبق وأن قدمت الإدارة الفرنسية منحة إلى طلبة جزائريين بتونس وبمصر وبالجزائر أيضا، وهذا ما دلت عليه الوثيقة الصادرة عن مصلحة الاتصالات لشمال إفريقيا بتاريخ 18 أوت 1954م المبعوثة من قبل والي قسنطينة إلى السيد الحاكم العام للجزائر، تحت عنوان: منح الطلبة جاء في نص موضوعها ما يلي: لي الشرف أن أعلمكم أن السلطة المحلية أعطت القبول لتقديم منح للطلبة كالاتي:

- بوضياف عيسى طالب بالأزهر 50.000 فرنك فرنسي.
- مبروك أحمد طالب بالزيتونة لتونس 30.000 فرنك فرنسي.
- بخوش إسماعيل طالب بالزيتونة 30.000 فرنك فرنسي.
- شنعاء حواس طالب بمؤسسة ابن باديس 40.000 فرنك فرنسي.

سلماني أحمد طالب بمؤسسة ابن باديس 30.000 فرنك فرنسي.

- ولقد رفضت تقديم المنح لسلماني عمور طالب بمؤسسة بن باديس.

في نهاية الوثيقة يفصح الوالي عن سبب قبول طلب الإعانة فيقول: لا أستطيع من جهتي أن أرفض لمنح لطلبة ينتمون إلى عائلات معروفة والذين يملكون الاحترام من طرف المفوض الحاج تباري، أظن إذا أنه من الضروري القيام باحتياطات حول مبدأ تقديم منح لطلبة بن باديس لأن ذلك قد يؤدي إلى خلق مشكل معرقل، هذه المؤسسة التي ليس لها أي صفة قانونية والتي لم تقم بأي خطوة حتى تصلح وضعيتها.

وأترك لكم التقرير في حدود القيمة المالية المقترحة من طرف الإدارة المحلية حتى

تقنعوا الطلبة¹.

¹ - A.N.O.M.، Aix en Provence، doc n° 1213/NA، boite n°4507.

خامسا: الإمدادات المادية من قبل جبهة التحرير الوطني:

لقد ساعد القائد آيت حمودة عميروش طلبة الولاية الثالثة¹ الذين كانوا يزاولون دروسهم بالزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية²، على ترحيلهم إلى تونس فأخذوا يتوجهون إليها في شكل قوافل³، ومن بين الذين تمكنوا من الدخول إلى تونس ومتابعة الدراسة بها الشيخ الطاهر آيت علجت⁴، والشيخ محمد الصالح الصديق، والشيخ محمد الصالح وشام، والشيخ العربي سعدوني، والشيخ أرزقي الأشباني، والشيخ السعيد البيباني والشيخ الطاهر زقور والشيخ الصديق إمخلاف ..، وعندما وصل هذا العدد من الطلبة والتلامذة إلى تونس، إلتحق عميروش بهم، حيث قام أحد الجزائريين من أتباع الطريقة التيجانية في الجنوب الجزائري، والذي كان مقيما بتونس بفيلا ذات طابقين وحديقة، ومرآب في حي السانطرين (الواقع بالمقابل من حي دندان بين باب سعدون وحي باردو بتونس) فاتخذهما مقرا لهؤلاء الطلبة الذين انضم إليهم عدد آخر كانوا موجودين بتونس، وليس لهم مورد يعيلهم، وخصص ميزانية للإنفاق عليهم من أموال أوقاف الولاية، بعد أن انقطعت الصلات والعلاقات بين الجزائر وتونس وتم غلق الحدود بينهما منذ ربيع 1956م، وتولى الطلبة بالتناوب أعمال الطهي والتنظيف كل يوم يقوم بهما إثنان على التوالي⁵.

1 - المقصود بالولاية الثالثة هي منطقة القبائل الواقعة بين الجزائر العاصمة وسهل متيجة غربا، والشمال القسنطيني والأوراس شرقا.

2 - لقد قام آيت حمودة عميروش بتسخير أموال الأوقاف لطلبة العلم الذي كان يرى فيهم رجال الغد للجزائر، فقد كان حريصا على تجنيبهم مشاق الحرب، وقام بتعيين المجاهد والمحافظ السياسي عبد الحفيظ أمقران، قبل مؤتمر الصومام مفتشا، لما بقي من التعليم في المدارس الحرة وفي زوايا حوض الصومام كتشجيع منه للعلم وللطلبة على مواصلة التعلم، حتى عم إحراق وتحطيم هذه المؤسسات التعليمية في أواخر سنة 1956م.

3 - يذكر يحيى بوعزيز أن قوافل الطلبة كانت تلقى صعوبة في اجتياز الحدود من قبل ما سموهم بالمشوشين، الذين تزعمهم عيسى مسعودي فذبح أغلبهم، وقد وصل عدد قليل من مجموع الطلبة الذين ساعدتهم عميروش على الذهاب إلى تونس، للمزيد ينظر يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين: الثورة في الولاية الثالثة، ط.خ، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص282.

4 - يذكر الشيخ محمد الطاهر آيت علجت أن العقيد عميروش كلف لمراقبة الطلبة رجلين من رجال التعليم الحر وهما الشيخ الرزقي الأشباني، والمتحدث الشيخ محمد الطاهر آيت علجت، الذين إلتحقا بالثورة ليطبقا ما درساه للطلبة من نظم الجهاد وأحكامه، ولا يعلم إلا الله ما كانوا يكابدونه في الطريق من مشاق ومتاعب ن وخوف من القوات الإستعمارية التي كانت تترصد للجزائريين في كل مكان وتتعب المشبوه منذ لحظة خروجه من بيته ... فقام العقيد بفتح مركزين بتونس لاستقبال هؤلاء الطلبة أولهما في السانطرين، والثاني باب المنارة بقلب العاصمة، وكلف السيد سعيد بن غانم تولي رعايتهم ماديا ومعنويا، للمزيد ينظر خير الدين شترة، المرجع السابق.

5 - ورد في إحدى الوثائق الأرشيفية الموجودة بالعلبة رقم 4507 بأرشيف ما وراء البحار، أن الافلان سيخصص إعانة مادية للطلبة الجزائريين المتمدرسين بجامعة الزيتونة بتونس، ولذي راح أبواهم ضحايا للعمليات العسكرية أو البوليسية بالجزائر، إعانة بـ 20000 فرنك سترسل لهم أيضا بالإضافة إلى مجانية الأدوات المدرسية، السكن، اللباس، والغذاء.

A.N.O.M.، Aix en Provence، doc de 06/1957، boîte n° 4507

وتولى إدارة هذا المقر السيد السعيد بن غانم الورتلاني الذي كان كاتباً لقائد بني ورتلان، وسلم في وظيفته ، كما طلبت جبهة التحرير الوطني ، والتحق بتونس عبر إيطاليا، وكلفه عميروش بإدارة وتسيير هذه الدار ومراقبة الطلبة والتلاميذ ، ويساعده الشيخ محمد الصالح وشام ، وخلال وجوده بتونس أحضر إلى مقر الطلبة هذا عدداً من الجرحى جيء بهم من الولاية الثالثة، وأسكنهم في الطابق العلوي ، حيث كان يحضر إليهم يومياً عند منتصف النهار ليواسيهم ، وليتفقد أحوالهم ، ويشرف على غذائهم ، وكثيراً ما كان يحضر إلى قاعة أكل الطلبة ليتناول غذاءه معهم يتحدث إليهم ويسمع منهم، وأحياناً يشارك في تقديم الطعام لهم بكل تواضع ، ثم يغادر المقر مع مرافقه الدائم دون أن يلاحظه أحد أو يعلم اتجاهه¹ .

وفي إطار التنظيم والتبليغ والتوضيح ، دعى عميروش طلبة الولاية الثالثة إلى اجتماع في متاجر أحد الجزائريين من القبائل بسوق النحاس بتونس ، في الطابق العلوي حيث شرح لهم أوضاع الثورة في الولاية الثالثة ، وحياة المجاهدين ، واستمع لأسئلتهم واستفساراتهم ، وأشاد برجال الزوايا والطرق الصوفية ، وكان صريحاً في إجابته حتى بالنسبة لمن أعدم أبائهم وقال لهم : ... كونوا أنتم رجالاً ، ولا يهتمكم ما فعله آبؤكم .

وعندما طرح عليه قضية دخول بعض الطلبة إلى الجزائر، رفض ذلك بإصرار، وقال بأن الجزائر تحتاجكم بعد التحرير لأعمال البناء والتشييد، فاجتهدوا في دراستكم وجدوا لتتفوقوا، ولاتفكروا في الدخول إلى الداخل في هذه الظروف² .

¹ - يقول يحيى بوعزيز في هذا الشأن : هذا ما لاحظته أنا شخصياً ، لأنني كنت من ضمن طلبة هذا المقر فيما يخص المشاركة في الطهي دورياً ، وتناول الغذاء والعشاء ، أما المبيت فقد احتفظت بسكني في ساحة سوق العصر بوسط المدينة مع زميلين هما سليمان زروق وأخوه ، للمزيد ينظر يحيى بوعزيز ، الثورة في الولاية الثالثة ، المرجع السابق، ص 282 .
² - نفسه .

وبما أن أغلب الطلبة تنقصهم الألبسة ولا يملكون النقود لتجديدها فقد اتفق مع تاجر جزائري في ساحة باب البحر بتونس ، ليسلم لكل طالب بذلة وقميص وحذاء وجوارب ، فحمدوا عمله هذا وشكروه وأثنوا عليه¹ .

فيما يلي رسالة العقيد عميروش عثرنا عليها في العلبة رقم 4507 بأرشيف ما وراء البحار لمدينة آكس أون بروفانس، مترجمة بتاريخ 7 نوفمبر 1958م، جاء فيها ما يلي:

أبنائي الأعزاء:

لقد تلقيت رسالتكم المؤرخة في 09 أكتوبر 1958م الجاري وإنني جد مسرور لأنكم بخير، أما بالنسبة لي نعم شكرا، أنا أيضا بخير.

بالنسبة لعبد الحميد، فقد بعثت تلغراما إلى السي ناصر لبيعته له أيضا، بالنسبة لكم، الشيء الذي أطلبه منكم، هو أن تعملوا جيدا وتتخلصوا من كل المشاكل لصالحنا، ولا تنسوا بأن مئات الشباب في نفس ظروفكم، ويعيشون في نفس وضعيتكم، ولكن رغم الظروف والمعيقات التي تعترضهم، يقومون بما في وسعهم لبلوغ الهدف الذي سطره.

وعليه قووا أنفسكم، لأن بلادكم بحاجة إليكم، اعملوا على إسعادنا بعملكم الجيد في المدرسة.

أما بالنسبة لنا فسنقوم بما في وسعنا لتخطى الصعاب، وأتمنى أنه بعون الله سوف لا نتأخر عن الوصول إلى هدفنا الذي حددناه وهو الاستقلال.

الجميع يعمل أيضا لإعطائنا من حين لآخر بعض التفاصيل عن وضعية الطلبة، والمسؤولين في ولايتنا.

استعلموا أيضا عما إذا كانت لجنة الطلبة تلقت 5000.000 فرنك لشهر أفريل، وعليه أختتم به رسالتي بسلامي الحار إليكم وإلى حميد وإلى جميع الإخوة.

¹ - لم يستفد طلبة الولاية الثالثة وحدهم بالألبسة ، جميع الطلبة الذين كانوا معهم من مختلف الولايات ، وكان الطالب يحيى بوعزيز من بينهم ، ينظر يحيى بوعزيز ، الثورة في الولاية الثالثة ، المرجع السابق ، ص282 .

حظ سعيد، ارفعوا همتمكم إلى الثقة التي وضعتها بلادكم فيكم، نحن ربطنا وعزمنا على إتقان المهمة التي أنيطت لكم.

كونوا في مستوى الثقة التي وضعتها فيكم وطنكم بأدائكم المهمة التي أوكلت لكم بإتقان.¹ العقيد عميروش، قائد الولاية الثالثة. إمضاء: عميروش.

وجاء في الوثيقة المترجمة أيضا في نفس اليوم الذي ترجمت فيه الرسالة السابقة للعقيد عميروش، جاء في ركنها الأيمن جبهة التحرير الوطني، جبهة الدفاع عن الوطنية الجزائرية الولاية الثالثة، وفي ركنها الأيسر الجمهورية الجزائرية، تحت عنوان ترجمة في 7-11-1958م.

السادة الإخوة:

إلى شرف الإخوة المعلمين أوجه سلامي وتقديري:

إخوتي أحيطكم علما أن المدافعين، بنجاح كبير، يقومون بواجبهم بولايتنا، ويبلغونكم تحياتهم وأمانيتهم، ويتمنون لكم أيضا وللطلبة النجاح التام. أعلمكم أننا سنقوم بكل ما في وسعنا للحصول على المطبوعات التي تحتوي على الأسماء كما طلبتم منا، حتى يتمكن أبناءنا من الالتحاق بالجامعات والكليات التونسية بالسهولة المرجوة، ثقوا بأن تجدوا عندنا كل التفهم والتدبير حتى لا يكونوا متأخرين، كما أرجو منكم أن تُعلمونا كم المبلغ المالي الذي قبضتموه نقدا من مركز البريد، وبكل الوسائل الأخرى يعني حددوا كل المبالغ التي قبضتموها بعد عودة أخينا سي عميروش إلى الجزائر والجزائر العاصمة، وبشكل خاص تلك التي أرسلت إلى جمعية الطلبة الجزائريين.

أرجو منكم أن تطلعونا على عدد الطلبة بالولاية، وقدراتهم، والكليات التي من المفروض أن يكملوا دراستهم بها في تونس، وخارجها، نريد أيضا أن تطلعونا على وضعية المعلمين من وجهة نظر اقتصادية واجتماعية.

¹ - للاطلاع ينظر إلى الملحقين رقم 20- 21 'A.N.O.M. Aix en Provence، doc de 7/11/1958، boite 4507.

أطلعونا بعناوينكم الصحيحة، حتى يتسنى لنا إخباركم بالإعانة الشهرية، هذا العطاء
تستطيعون الحصول عليه لاحتياجاتكم على شكل نقود.

وفي آخر المطاف، أبلغوا تحياتنا إلى جميع الطلبة بالخارج، وكاتبونا شهريا على
عنوان "الشيخ سعيد" سلام، الصداقة إلى جميع الطلبة الجزائريين بتونس.¹
أخوكم سي عميروش- أحمد قادري.

- تعليق على ما ورد في رسائل عميروش من قبل الإدارة الفرنسية:

بين الملفات التي حوتها العلبه رقم 4507 والتي ضمت وثائق هامة عن الطلبة
الجزائريين بتونس، وثيقة في شكل مقطع ليس بها تاريخ، وهي وارده عن مصلحة
الاستعلامات العامة التي كانت تترصد الرسائل المتبادلة بين العقيد عميروش والقائمين على
الطلبة الجزائريين بتونس، فأوردت التعليق التالي:

علبة الرسائل الخاصة بأحمد حمود ظلت مجهولة إلى اليوم، عبد الحميد، وسي
الناصر إنهما مجهولان بالنسبة للمصلحة، الكلمة تلغرام تشد الانتباه، علبة الرسائل الخاصة
بـ 11 نهج سان لامي، معروفة جدا بالنسبة للمصلحة، المراسلات كثيرة بين الطلبة القبائل
بتونس وأصدقائهم (جيش التحرير الوطني)، (ديغزر- أمقران والناحية)، كان قد سبق
استعمالها من قبل عميروش نفسه، في مذكرتي رقم RG/7887، المتعلقة برسائله
الصادرة في 13 ماي 1958م الموجهة إلى الشيخ طاهر، ومذكرتي رقم 7887 بتاريخ
14 ماي 1958م إلى الشيخ محمد طاهر، ومذكرة رقم 958 بتاريخ 21 أوت 1958 م
في مصلحة الاستعلامات ببجاية.

إرسال مبلغ خمسة ملايين فرنك عن طريق الجبال في صندوق، قد أعلن عن طريق
مراسلة 12 أوت الأخيرة، التي كتبها باللغة العربية (بالخط السوري)، في ظرف مكتوب

¹ - للاطلاع ينظر إلى الملحقين رقم 22- 23 ،A.N.O.M. Aix en Provence، doc de 7/11/1958، boite ، 4507.

بالفرنسية من قبل نفس كاتب الظرف المرفق على عنوان أحمد حمود، عودة عميروش إلى الجزائر يبدو أنها في أواخر سنة 1957م.

هاته المراسلات لم تكن بالشيء الجديد بالنسبة للمصلحة ربما أن خطورة الإرسال الآلي لجيش التحرير وجبهة التحرير سجلت منذ جانفي 1958م مذكرة رقم 904 بتاريخ 17 جانفي، بالمقابل سلط عليها الضوء على مدى الاتصالات بين تونس والولاية الثالثة¹.

إمضاء المحافظ العام للاستعلامات العامة دوسال روجي مارتن أندري
لقد ورد في الوثيقة رقم 17.884 المؤرخة في يوم 21 نوفمبر 1958م الصادرة عن مصلحة القضايا السياسية لبون (عناية) تحت عنوان: مراسلات مبعوثة من تونس من قبل الكولونيل عميروش، قائد الناحية الثالثة أربع وثائق مترجمة².

معلومات واضحة تقول: تاريخ المعلومة: 19 نوفمبر 1958م.
تاريخ الأحداث: حديث. القيمة: A/I المصدر: بولند.
جاء فيها ما يلي: السيد أحمد حمود عند لوامي عبد الله، 1 شارع سيد تحمول، تونس، هو مستقبل ظرف مرسل من أقبو في 12 نوفمبر 1958م على الساعة السابعة وثلاثون دقيقة، ومتضمن رسالة خطية بالفرنسية، موقعة من طرف عميروش.
ستجدون طي نسخة مرفقة عن الوثائق:

تاريخ المعلومة: 19 نوفمبر 1958م. تاريخ الأحداث: حديث.
القيمة: A/I المصدر: بولند.
السيد محمد الطاهر بن صالح، 2 نهج سانت هنري بتونس هو مستقبل ظرف مرسل، في نفس المكان والتاريخ ويحتوي رسالة خطية بالعربية موقعة من طرف عميروش.

ستجدون نسخا مرفقة عن الوثائق، والترجمة الكاملة للنص.

¹ - للاطلاع ينظر إلى الملحق رقم 24، A.N.O.M، Aix en Provence، « doc de 7/11/1958 »، boîte 4507.
² - بعد التفتيش في العلية رقم 4507 التي ضمت كل الملفات المتعلقة بالطلبة الجزائريين بتونس، لم نعرث إلا على رسالتين للقائد عميروش مترجمتين، للاطلاع عليهما ينظر الملاحق رقم: 20- 21- 22- 23.

الإجراءات المتخذة: لا شيء.

الرأي: مراسلات عديدة واردة من عميروش أوقفت من طرف المصلحة¹.

وجاء في الوثيقة رقم 1.598 الصادرة عن مكتب الشرطة، مصلحة السياسة لمقاطعة قسنطينة، الصادرة بتاريخ 27 نوفمبر 1958م عليها طابع سري ومكتوم (Secret/ Confidentiel)، والمراسلة إلى السيد الجنرال العسكري ممثل الجنرال الحكومي للمكتب المدني، ينصب موضوعها حول ما يلي:

مذكرة استعلامات رقم 17.884 المؤرخة في يوم 21 نوفمبر 1958م من قبل شرطة الاستعلامات العامة ببونة (عناية حالياً)، فيما يتعلق بالمراسلات المبعوثة إلى تونس من طرف عميروش والمتعلقة بإرسال جبهة التحرير الوطني "الطلبة في الخارج".

إمضاء رئيس فصيلة القضايا السياسية، نائب الضابط.

نسخة إلى:

- السيد الجنرال العسكري، ممثل الجنرال الحاكم، المديرية الفرعية- الإدارة العامة، الجزائر العاصمة.
- الجنرال الرائد العسكري بقسنطينة.
- المكتب المدني، القضايا السياسية، قسنطينة².

ولنجاعة هذا النظام الذي استحدثه عميروش لطلبة ولايته ، قلده غيره في ذلك وعمموه على كل الطلبة الجزائريين بتونس، وأصبحت جبهة التحرير الوطني هي التي تشرف عليهم ابتداء من سنة 1958م، فأضافت مقرا آخر في نهج الأندلس لاستيعاب كل الطلبة، والتكفل

¹ - للاطلاع ينظر الملحق رقم 25، Aix en Provence، A.N.O.M.، doc n°17.884، boite 4507

² - للاطلاع ينظر الملحق رقم 26، Aix en Provence، A.N.O.M.، doc n°1.598، boite 4507

بهم، ودام ذلك حتى عام 1962م، وتعدد المسؤولون على هذه المقرات، ومنهم محمد العساكر الميزابي، وعبد القادر الشلالي¹.

ويذكر أحد الكتاب الفرنسيين أن القائد عميروش قد صرح لضابط عسكري فرنسي، كان الثوار الجزائريون قد ألقوا القبض إثر معركة من المعارك الضارية التي خاضوها ضد عساكر الاحتلال بما يلي: إذا فقدنا الحياة فليس لذلك من أهمية على الإطلاق لأن قوتنا الحقيقية تكمن في شبابنا المثقف وفي النخبة الشابة التي تتعلم حاليا في خارج البلاد ومن أجل هؤلاء فقط أشعلنا ضد فرنسا نار الحرب². وإذا تأكد أن هذا القول للقائد عميروش نفسه، فإننا نجد فيه أكثر من دلالة وإشارة إلى الاهتمام الكبير الذي أعطته الثورة لشبابها المثقف.

سادسا: الإعانة المادية من طرف الحكومة التونسية:

سعت الحكومة التونسية إلى مساعدة الطلبة الجزائريين بتوفير الدعم لهم، حيث قام وزير المعارف التونسي باستقبال وفد من جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين ليقيم لهم تسهيلات، فقرر إحداث مصلحة اجتماعية بالوزارة ذاتها لتسهر على مصالح الطلبة الجزائريين، وقامت الوزارة باتخاذ إجراءات تسهل التحاقهم بالمدارس التونسية فأصدرت بيانا جاء فيه ما يلي: "نظرا للحالة الاستثنائية وللظروف العصيبة التي يجتازها الجزائريون، والتي نتج عنها إغلاق أبواب المدارس، ونظرا لرغبة الحكومة التونسية في تسهيل إقامة إخواننا الجزائريين اللاجئين بربوعنا، وتقديم يد المساعدة لهم في جميع الميادين، وخاصة الشباب الطلابي، قررت وزارة المعارف: أولا: فتح دورة استثنائية خاصة بالتلاميذ الجزائريين لامتحان القبول بالأقسام الزيتونية³.

لقد تعاطفت الحكومة التونسية مع الطلبة الجزائريين خلال السنة الدراسية 1955م - 1956م ووافقت على إسناد منح جامعية إلى 5 طلبة وتمتيع طلبة آخرين بقروض شرفية،

¹ - يحيى بوعزيز ، الثورة في الولاية الثالثة ، المرجع السابق ، ص 82.

² - هلال عمر ، نشاط الطلبة، المرجع السابق، ص 82.

³ - حبيب حسين اللولب، المرجع السابق، ص 117.

وفي السنة الدراسية 1957م -1958م قرر المجلس الوزاري إشراف الطلبة الجزائريين في التمتع بالمنحة القومية للتعليم العالي المنصوص عليها في الأمر رقم 78 - 57 الصادر في 12 أكتوبر 1957م .

وقد قام الاتحاد العام لطلبة تونس بالتدخل لدى كتابة الدولة لفائدة أبناء الشهداء لقبولهم بقرية الأطفال، وتمت الاستجابة لهذا المطلب، وشرح وضعية الطلبة الجزائريين عقد الطاهر بلخوجة الأمين العام لاتحاد طلبة تونس ندوة صحفية بحضور منسق المكتب التنفيذي من الطلبة الجزائريين بأن الاتحاد يسعى إلى الحصول على مساعدات لـ 700 طالب جزائري بتونس، هذه المبادرة التي قام بها الاتحاد إزاء الطلبة الجزائريين لتحسين وضعيتهم الاجتماعية جاءت لتفعيل تضامنه وتجسيده على أرض الواقع¹.

وخلا انعقاد المؤتمر القومي السابع للاتحاد العام لطلبة تونس من 20 إلى 23 أوت 1959م أصدر لائحة خاصة بطلبة الجزائر هذا نصها: "... ونظرا للحالة التي آل إليها الإخوة الطلبة الجزائريون من تشرد ومضايقة ونظرا للصعوبات المادية التي يلاقونها بعد خروجهم من بلادهم، ومن فرنسا والتجائهم إلى البلاد الأجنبية، ونظرا لواجبنا في إعانتهم على تكوين الإطارات الضرورية للجزائر المستقلة نطالب من الحكومة التونسية أن تضاعف من جهودها في إمداد هؤلاء الطلبة بمنح تعينهم على مواصلة تعليمهم في أحسن الظروف، وتوفر لهم طرق العيش والعمل وأن يتمتع الطلبة الجزائريون بتونس بنفس الحقوق التي يتمتع بها طلبتنا."

تعاطف الاتحاد مع الطلبة الجزائريين في وضعيتهم الاجتماعية والسياسية الصعبة، وتدخل لدى الحكومة التونسية وطالب بتحسين وضعيتهم وإمدادهم بالمنح والإعانات الاجتماعية لتعينهم على مواصلة الدراسة ومساواتهم مع التونسيين في الحقوق الجامعية.

¹ - حبيب حسين اللولب، المرجع السابق، ص 120 - 121.

سابعاً: الحالة المعيشية للطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة :

لقد كانت مدارس سكنى الطلبة الجزائريين تعني الإهمال الذي كان بادياً على قواعد الصحة التي كانت كلها حالة سيئة وإهمال فضيع لا يليق بشرف العلم، وكرامة الإنسانية بل هي خطر على الصحة العامة أيضاً لان الأوقاف وإدارتها الاستعمارية أصمت آذانها عن نداء الطلبة ولم تسمع لشكاياهم و لا لتذمراتهم ومعاناتهم، فهي لا تريد أن تلتفت لإصلاح أي شيء من ذلك بل همها الوحيد هو ابتلاع الأحباس والمداخيل المعتبرة و إبقاء المدارس وغيرها هياكل يصبح على جدرانها الخراب.

أ- مدارس سكنى الطلبة:

لقد كانت مدارس سكن الطلبة تعاني من ضغط شديد واكتظاظ رهيب خصوصاً من الطلبة الأفاقين، وهو ما انجر عنه مشاكل عديدة عجزت المشيخة عن حلها نظراً لضعف مواردها المالية، وقد يعود الاكتظاظ الذي تلا الحرب العالمية الثانية لسبب جوهري، وهو كون أن الحرب كانت قد حالت دون استمرار العملية التدريسية بالجامع الأعظم بشكل منتظم مما اضطر استكمال دراستها ليلتقي ما مجموعه أزيد من 2000 طالب دفعة واحدة من الطلبة في سنة واحدة. والجدير بالملاحظة أنّ كل طالب متحصل على غرفة في إحدى مدارس سكنى الطلبة يستطيع أن يأوي زميلاً من زملائه في الدراسة بحيث بلغ عدد المقيمين في تلك المدارس حوالي 1000 طالب في نهاية 1938م، و1500 طالب في سنة 1945م، بعد إضافة حوالي عشر مدارس¹.

ومن بين ما عانى من ظروف السكن بتونس الطالب الجزائري يوسف الأخضر السوفي، الذي تم إقصائه من منحة المبيت بمدارس سكنى الطلبة بمجرد رسوبه في شهادة التحصيل.

¹ - العياشي، الزيتونة والزيتونيون، ص ص 171 - 173.

ومدارس سكنى الطلبة كما وصفها أحدهم كانت بمثابة "الجحور" المفتقرة في أغلب الأحيان إلى أبسط وسائل حفظ الصحة. كان الطلبة يقومون بأنفسهم بالشؤون المنزلية في تلك المدارس، المفتقرة في معظمها إلى الماء الصالح للشرب والكهرباء وقنوات الصرف الصحي. ولقد تطرق عبد الرحمن البعلاوي الذي أمضى مقالاته باسم عماد في العديد من المقالات عن حال الطلبة الزيتونيون، وظروف معيشتهم، وعن تردي أوضاع طلبة جامع الزيتونة، فذكر أن مدارس سكنى الطلبة "هؤلاء الغرباء الذين هجروا ديارهم طلبا للعلم، ورفع وصمة العار عن هذه الديار¹، هي عبارة عن خراجات تحتاج إلى الصيانة، وهي أشبه بمرايض الديون"، وتفتقر إلى الإضاءة، وإنّ جل بيوت المدارس لا يتخللها الهواء أبداً، ولا تكتحل من نور الشمس بمروء، وقد يضطر التلميذ لإسراج النور نهاراً ليتمكن من إتمام أشغاله².

وإنّ قطر مياه المطار على سطوح البيوت يلحق أضراراً بأثاث التلاميذ، أما في الصف فإن الماء الكائن بالمراجل يتعكر ويتعفن وبالتالي تكثر المزابل ومعها الروائح الكريهة، كما كانت أغلب الغرف بلا أبواب مما يتسبب في دخول الغرباء إليها³.

هذا ما دفع الطالب الزيتوني إلى كتابة أزيد من عشرين مقالا شرح فيها حالة مدارس سكنى الطلبة نشرت أغلبها على صفحات جريدة "لسان الشعب" نشرت تباعا بين سنوات 1923م إلى غاية 1925م، تحدث في مجملها عن مشاغل الطالب الزيتوني بصفة عامة والطالب الجزائري بصفة خاصة والتي أرقته مشكلة المبيت التي اعتبرها من أعوص المشاكل، فكان الكثير من الطلبة ينتظرون عدة أعوام للحصول على بيت الإقامة، مما يضطرهم إلى إيجار غرفة في وكالة لا تتوفر فيها أسباب الراحة للطالب ولا الضمانات

1 - عماد، كتاب مفتوح إلى مدير المعارف، لسان الشعب، تونس، 1924/10/08.

2 - عماد، "إدارة العلوم تحاول المغالطة"، لسان الشعب، تونس، 1924/04/09.

3 - عماد، حالة مدارس سكنى الطلبة 1، لسان الشعب، تونس، 1924/12/12.

الصحية، وهي في ذات الوقت مكلفة إذ ينجر عنها تكبد الطالب مصاريف عادة ما يعجز عنها¹.

والطالب الزيتوني الذي يحظى بالسكن داخل المبيت مطالب بدفع الاشتراكات الخاصة بالتموين والاكتظاظ وغالبا ما كان الطلبة يتوجهون إلى الجهات المسؤولة للأخذ بعين الاعتبار هذين الانشغالين، فكانوا كلما تجاهلتهم السلطات المعنية اضطروا إلى القيام بالإضراب لإسماع صوتهم وتلبية نداءهم، مثلما حدث في 4 ديسمبر 1944م، نتيجة خلاف وقع مع متعهد التموين الذي يزود المعهد الزيتوني وفروعه بالمواد الغذائية، احتج الطلبة على نوعية هذه المواد وعن مبلغ الاشتراكات المفروضة عليهم، فقاموا بإرسال مذكرة إلى شيخ الجامع الأعظم بتوقيع 800 طالب من بينهم العديد من الطلبة الجزائريين².

والجدير بالملاحظة أن كل طالب متحصل على غرفة في إحدى مدارس سكنى الطلبة يستطيع أن يؤوي زميلا من زملائه في الدراسة بحيث بلغ عدد المقيمين في تلك المدارس حوالي 1000 طالب في نهاية 1938م، و1500 طالب في سنة 1945م، بعد إضافة حوالي عشرة مدارس أخرى إلى جانب المدارس السابقة³، وتوجد في السلسلة (D) وخصوصا العلبة 53 عديد المراسلات والاحتجاجات التي تقدم بها الطلبة الجزائريون المتضررون من أزمة السكن هذه⁴.

وعموما فالأرشيف التونسي يعج بمراسلات الطلبة الجزائريين سواء إلى مشيخة الجامع الأعظم أو إلى النظارة العلمية أو إلى وزارة وجمعية الأوقاف أو إلى الحكومة التونسية، وفي بعض الأحيان إلى الإقامة العامة، وهذه المراسلات أحيانا تكون من طالب أو طالبين فقط وأحيانا أخرى تكون من قبل عدد من الطلبة المتضررين من أزمة السكن، وأحيانا تكون من طالب يحتج على طرده من سكنى المدارس بحكم سابق يقر عدم أهليته

¹ - الوزير، تونس، 29 جوان 1936.

² - خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 993.

³ - العياشي، الزيتون والزيتونيون، ص ص 171- 173.

⁴ - A.N.T. série D، c 53، dossier 8/1، N/P، 324، D. Ex (1933- 1940).

للحصول على غرفة والأسباب كثيرة، فقد جاء في مراسلة بعث بها شيخ الجامع الأعظم صالح المالقي إلى الوزير الأكبر الهادي بتاريخ 18 أبريل 1939م بخصوص تسوية وضعية سكن الطالب محمد العربي الصائغي الجزائري، حتى يتحقق مطلبه بالاستفادة من مبيت بإحدى مدارس السكنى، غير أن المشيخة رفضت مطلبه بحجة عدم أقدميته ووجود من هو أسبق منه في الدراسة بالجامع ولا يملك سكنا وهذا بعض ما جاء فيه: "... وبعد، فقد بلغ مكتوب الجنب عدد 25 المؤرخ في 16 محرم وفي 08 مارس المنصرمين مصحوب بطلب من التلميذ أعلاه في إسعافه بمنحه السكنى بمبيت بإحدى المدارس وعلمناه (كذا) والمنهي إلى الجنب أن تاريخ دفتر هذا التلميذ لا يخوله لسكنى في بيوت المدارس بطريق الأصالة¹.

وعلى النقيض من ذلك نجد الطلبة الميزابيين الذي تولى الإشراف عليهم أساتذة اخلصوا عملهم لرعاية هذا النشء وتوفير له كل الحاجيات الضرورية ليتلقى دروسه في أحسن الظروف، يأتي في مقدمة هؤلاء الأساتذة والشيخوخ: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، والشيخ أبي اليقظان، والشيخ محمد الثميني، ويعود الفضل في ذلك كما أكده الطالب الزيتوني إبراهيم فخار إلى أمرين هاميين:

المجهودات المادية والمعنوية للمرحوم الحاج يحي الواهج بدعم وتأيد من الشيخ بيوض الذي كان للحاج يحي الفضل في شراء ورعاية دار البعثة الميزابية في شارع ابن خلدون.

والأستاذ محمد العساكر الذي عرف بدهائه كيف يكون بعثة علمية لها وزنها ومكانتها في جزائر الثورة وما بعد الاستقلال².

وأیضا نجد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد اكرتت من مالها الخاص مسكنين حولتهما إلى مبيئات خاصة بالطلبة الجزائريين بتونس مدرستين للسكنى مدرسة نهج

¹ - A.N.T. série D, C53, dossier 8/2, N/P, doc n°55, date du 18/04/1939.

² - خير الدين شترة، المرجع السابق.

الوصفات ومدرسة تربية الباي، كما اكرت عدد من السكنات لكنها لم توف الغرض للتزايد الذي شهده الجامع الأعظم خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، مما اضطر إدارة التعليم للجمعية إرجاع البعض إلى الجزائر، وقد تحدث عن ذلك أحد الطلبة الزيتونيين في مقال نشرته جريدة البصائر في عددها السادس عشر قائلاً: لقد كانت مدارس سكنى الطلبة تغص في كثير من الأحيان بمجموع الطلبة الجزائريين الذين ملئوا الأوتيلات بتونس وأحوازها وكذلك المدارس التي هي على ذمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفي مطلع عام 1947م اضطرت الجمعية إلى إرجاع بعضهم إلى مدينة قسنطينة¹.

ظل مشكل السكن قائماً حتى سنوات الخمسينات وهذا ما تطرق إليه الطالب أبو القاسم سعد الله الذي تحدث عن معاناته خلال فترته الدراسية بتونس التي دامت من 1947م إلى 1954م.²

ولعل نفس الأمر التي أكدته المذكرة التي عثرنا عليها بأرشفيف ما وراء البحار والصادرة عن الإقامة العامة الفرنسية، ومن مركز الاستعلامات الإسلامية تحت عنوان شكل الصحافة العربية، أزمة السكن الزيتونيين والتي جاء فيها ما يلي:

لقد أصدرت "الزهرة" المقال التالي:

في رقمها الصادر بـ 16 أكتوبر 1953م أصدرت مقالا ممضى "المطالعة" والمتعلق بمشكل السكن الزيتوني، كاتب هذا المقال قدم كحل لمشكلة السكن وهو فتح الحي الزيتوني لكن كاد يكون حلاً جيداً لو توقف هنا، لكن هذا الكاتب لا يبحث حقا على مساعدة الجزائريين ويطمح إلى هدف آخر: " من المفروض أن يتركوا هذه المؤسسة لواحد من مؤسسيها" والذي بكل أنانية قام بطرد طالب إلى الشارع.

¹ - البصائر، ع 16، 22 نوفمبر 1947، ص 6.

² - سعد الله أبو القاسم، منطلقات فكرية، ص 64.

كان هذا اقتراح قدمه كاتب هذا المقال يطرح فيه فكرة جعل مدير الحي الزيتوني من أحد المؤسسين لها، لكن رد الهيئة المعنية على هذا الطلب ورد في نفس الوثيقة وصدر في نفس العدد من جريدة الزهرة التي كانت قد أوردت الاقتراح، فكان ردها كما يلي:

نقول للكاتب أن إدارة الحي قدمت لواحد من مؤسسيها المعروف بالاستقامة، وحبه للجميع، ولعل تخمين هذا الكاتب في شخص ما هدفه تحطيم كل ما بُني.

كما أن "المطالعة" أرادت أن تظهر نجاعتها مضيضة: إدارة المدرسة قامت بإصدار إعلان في الصحافة العربية يبين أن آخر أجل لتسجيل الطلبة للاستفادة من سكن حدد في 15 أكتوبر، غير أن هذا الإعلان لم يتم إصداره في أكتوبر وإنما في شهر جويلية، كما أنه لم يحدد آخر أجل للتسجيل في 15 أكتوبر، ولكن في آخر شهر أوت، أما 15 أكتوبر فيمثل تاريخ دخول الطلبة الذين لهم سكن. "المطالعة" قامت باختلاف هذا الإعلان حتى تخدع القارئ، وتجعلهم يظنون أن قرارات الإدارة المدرسية متناقضة¹.

نستخلص من خلال ما ورد في الوثيقة أن القائمين الإداريين على الأحياء السكنية كانوا على خلاف بينهم مما أثر المردود سلبا على الطلبة، وكان الطالب الجزائري من المتضررين الأوائل، وظلت تواريخ الإعلان عن فتح الأحياء غير محددة فانعكس كل ذلك سلبا على الطلبة.

وعندما تولى القائد عميروش شؤون الطلبة المادية خلال فترة الثورة التحريرية قام باكتراء مركزين لإيواء الطلبة الجزائريين أحدهما بحي سانطرين والثاني بباب المنارة بقلب العاصمة. وبعد استشهاد تضاءلت المداخل الممولة لهذين المركزين، اضطر المشرفين عليها لإنهاء مهام مركز سانطرين، وإبقاء مركز باب منارة لخدمة الطلبة بقيادة السيد منصورى الوناس إلى حين انتهاء الثورة².

¹ - A.N.O.M. Aix en Provence، doc du 30 octobre 1953، boîte 4507

² - بوعزيز يحي، الثورة في الولاية الثالثة، المرجع السابق.

ب- خطاب مفتوح من جمعية الطلبة الجزائريين إلى سعادة وزارة المعارف:

كان الكاتب العام لجمعية الطلبة الجزائريين قد حز في نفسه ما آل إليه وضع الطالب الجزائري فكتب مقالا عنونه بـ "خطاب مفتوح من جمعية الطلبة الجزائريين إلى سعادة وزارة المعارف" فيما يلي بعض ما جاء فيها:

قالوا تشكلت وزارة جديدة فيها عناصر جديدة، قلنا أهلا ومرحبا عهدنا الجديد في حاجة إلى كل جديد يسائر الركب ويحدو بنا إلى الأمام.

وتطلعت أرواحنا للشيء (أو الأشياء) الجديد التي ستباغت به الوزارة الجديدة العام الطالب المغربي، وبدت بوادر فاهتزت الخواطر، وأملنا خير في الوزارة الجديدة.

وإنا هنا نريد أن نؤكد بأننا لن نتحدث إلا عما يهم الطالب الجزائري، والوزارة الجديدة تعلم رعاها الله ما هي الوضعية التي تكتنف الطالب الجزائري منذ 1933م، والمصاعب التي كان يتحملها من جوع، وعري... ووحدة... والوزارة الجديدة تعلم رعاها الله أن الطالب الجزائري لسنة 1956م، ما برح هو نفسه طالب 1933م، من حيث السكنى والأكل والآلام، إن الوزارة الجديدة تعلم المغاور والكهوف، والأقبنة، بل إن الوزارة الجديدة تعلم الإسطبلات التي يسكنها الطالب الجزائري، والوكالات الفذرة التي يجاوره فيها (وراع القوم) يسكنون ستة عشر في بيت مساحتها (2×3) أو (3×5).

وأنا لا ندعي هذا بهتاناً أو إفراطاً ومبالغة، فلقد نقنا جميع هذا يا أيتها الوزارة (الجديدة) وتجدين هذا عند غالب الطلاب الجزائريين لسنة 1956م.

وإنّ تلك المدرسة التي تحمل علما جزائريا من أنبغ أعلامها، ومن أعز ما تعتر بهم الجامعة التونسية...، إنه الزعيم الديني الذي أخرج الجزائري من الظلمات إلى النور، إنه ابن باديس، والمدرسة التي تحمل هذا النبي الديني تعرفها جيدا الوزارة الجديدة، بل أخشى أن أقول أن متفقد الوزارة لم يجرؤ أبدا على الدخول إليها وهو يرى، ما يرى، ويشم ما يشم.

ولكن الغريب هو أن تلك المدرسة (التي هي أوسخ من مبوللة) ما برحت تحمل اسم هذا النبي الديني، وما برح يسكنها الطالب الجزائري حتى في عهد الوزارة الجديدة، وفي سنة 1956م هنا يعود الكاتب العام للجمعية لينوه بمجهودات الوزارة التونسية في وقت سابق.

ولكن قبل هذا ليس الجزائري أبداً أن ينكر ما كانت تقوم به معه الوزارة التونسية (الشقيقة) في كل زمان مضى، وليس له أن ينكر ما (تبرعت) به عليه الوزارة الجديدة- رعاها الله (فأطعمته) طوال الصيف الماضي. ولكن لا يمنع الطالب الجزائري أبداً أن يصرح بأن ما قامت به معه الوزارة الشقيقة ليس هو كل ما بإمكانها عمله، أنّ الطالب يقولها بكل صراحة لأنه يعشق الصراحة، يصرح بفضل من مَنّ عليه، ويصرح بتقصير من يتبجح عليه، وإنا نحيل الوزارة الجديدة¹ لكي نتيقن من هذا التقصير... نحيلها على الرأي العام التونسي الشقيق. وهي تدرك أن الطلبة الذين مكنتهم ظروفهم وحظوظهم من استئناف دروسهم، قد شرعوا في ذلك وقلوبهم ملأى بالأمل والنشاط والعمل كما تدرك وهذا المؤسف أن بالمقاهي والشوارع والأنهج طلبه جزائريين، محرومين من كل شيء، وأن أوليائهم قد اصطحبوهم إلى تونس الشقيقة بعد أن تعرضوا لمشاق وأهوال واستنطاقات استعمارية، أملا منهم بأنهم سيجدون بتونس الوطن الثاني... وإخوانا أشقاء لن يتركوهم يجوبون الشوارع والأزقة، ويذرعونها ساخطين ناقمين كافرين بهذه الأخوة التي ملئت بها الأسماع.

كانوا يعتقدون أن الوزارة الجديدة أو الحكومة الجديدة ستستقبلهم بكل ترحاب وأخوة، وتعاملهم معاملة الأبناء الأشقاء الذين وجدوا آباءهم في وطن شقيق، أو أخا في تربة شقيقة. لم يكن هؤلاء الأولياء يتصورون قط أن الوزارة الجديدة ستتناسى أمرهم، وتغض الطرف عنهم.

¹ - عيسى المسعودي: الكاتب العام لجمعية الطلبة الجزائريين، خطاب مفتوح إلى سعادة وزارة المعارف، الصباح 7 نوفمبر 1956، ع 1500، ص 2.

وتتركهم للمصاريف الهائلة في ظروف كهذه أصبح فيها كل جزائري معدما فقيرا...
تتملكهم الأوهام وتستولي عليهم الأفكار الشيطانية والظنون السيئة بإخوان كانوا يحسبون أو
يعتقدون أنهم أشقاء.

وصدمتهم هذه المماثلة المتكررة التي كانت تجابههم بها هذه الجمعية المسكينة،
وتجيبهم بتلك الأجوبة (المريضة الجريحة) حتى خالت الجمعية - بل اعتقدت بدورها- أن
الأولياء والطلبة يسندون إليها هذا التقصير ويظنون بها سوء، وهي التي لم تقدم إلا
لخدمتهم، وللسر على مصالحهم وتوفير كل راحة وعمل¹.

لذا فإن الجمعية تبعث بهذا الخطاب المفتوح إلى الوزارة الجديدة حتى يكون الكل
على بينة، وحتى يتيقن الأولياء والطلبة بأن هذه المماثلة الأليمة المتكررة لم تكن من
الجمعية المقصودة، وإنما بكل صراحة من الوزارة الجديدة... وإنما تعلم أن وفدا عن
الجمعية قد قابلها عدة مرات حتى خجل لكثرة تردداته التي كانت تبوء دائما بالفشل وتكلل
دائما بالمماثلة والتسويفات المقلقة الكريهة، وإنما تعلم رعاها الله أن سلة المهملات قد
احتضنت الكثير من رسائل الجمعية ولولا ذلك لما كانت المماثلة... إننا لا نطيل عليك
الحديث وأنت صاحب الأعمال الكثيرة... والمقابلات العديدة، والشؤون الداخلية والخارجية
فنذكر بأمر هؤلاء الطلبة الأبرياء ونعلمكم أنهم ما برحوا يجوبون الأنهج، ويذرعونها
عاطلين متبرمين، يذكرك بأنهم من تلك التربية المجاهدة من ذلك الوطن الثائر الذي يعاني
الكوارث الاستعمارية، إنهم من الجزائر الشقيقة.

نذكرك أيضا يا سعادة الوزارة بأنك أعطيت وعدا عدة مرات في إنجاز هذا العمل،
وبأنك ستسرعين في الحل المرضي لهؤلاء الطلبة في القريب العاجل، ونذكرك بأن وعد
الحر دين عليه، والذي نرغب في تسجيله الآن هو الإعجاب، عن سفر سعادة رئيسك إلى
عالم آخر، في مهمة، تاركا وراءه بكل ارتياح هذا العدد الجم من الطلبة مذبذبين حائرين في

¹ - عيسى المسعودي: الكاتب العام لجمعية الطلبة الجزائريين، خطاب مفتوح إلى سعادة وزارة المعارف، الصباح،
المصدر السابق، ص 2.

أمرهم والعدد الجم من أوليائهم الذين تركوا عائلاتهم بالجزائر بين النار والموت ليودعوا
أبنائهم أمانة عند الشقيقة تونس.

أما إن كان سعادته قد استجاب لطلباتنا فلماذا التأخر بالتنفيذ، وإنقاذ هؤلاء الطلبة من
الجولان والتعطّل، والقلق يا سعادة الوزارة.

إننا قد صرخنا بها داوية حتى نعلم الناس والطلبة بالخصوص بموقف كلينا الجرح يا
سعادة الوزارة، ونذكرك بأننا ما برحنا نرقب... والأولياء معنا- البلاغ الذي وعدت به
سعادتك.¹

نأمل أن لا يطول انتظارنا يا سعادة الوزارة.

كما كتب الطالب الزيتوني محمد الأخضر السائحي عن الحالة التي أصبح عليها
الطالب الجزائري، وعلق عما كان يلاقه ويواجهه كرد من الهيئات الحكومية. وهذا مقتطف
من المقال الذي سماه "الإعانة الخالدة" ورد فيه ما يلي:

كنت في مكتب من مكاتب وزارة المعارف، لأتحدث باسم جمعية الطلبة الجزائريين
عن قضية أخ من الطلبة، وبعدها أتممت حديثي للمسئول، ضحك ضحكة تونسية، وقال لي:
بربك يا أخي سادعك وأعفيك من الحالات الشاذة، وأنا بودي وبكل ما لدي من مجهودات
وآمال وأعمال أسعى لأن أعفي إخواني من الحالات الشاذة، ولكن مجهودي البسيط، بل
مجهود الشعب الجزائري كله، ومجهودات إخواننا العرب والمسلمين وأنصارنا في الإنسانية
وفي الأرض، هذه المجهودات الجبارة العظيمة، ما تزال تواصل سيرها وتعزز من جانبها
لتتوصل يا أخي لأن تعفي الشعب الجزائري كله من الحالات الشاذة، فالجزائر اليوم كلها
في حالة شاذة شذوذ مؤلم، محزن لا يليق بأي نوع من الحيوانات التي لها جسد مؤلف من
لحم ودم وعظام.

¹ - عيسى المسعودي: الكاتب العام لجمعية الطلبة الجزائريين، خطاب مفتوح إلى سعادة وزارة المعارف، الصباح، ع س،
ص 2.

هل سمعت يا أخي بشذوذ مثل هذا؟ إننا اليوم في الجزائر لا نملك شيئاً - أعني الأهل الأعزل- إنه يأكل الطعام بالرغم عنه تحت بساط وأمام أفواه الرشاشات المستعدة للطلق أو الحصد.

إنه يعمل مكرها مرغما، وكل شيء يأتيه مهما عظم أو حقر لا بد أن يكون تحت الإكراه والإرغام، هل هناك شذوذ فوق هذا يا أخي؟

أعتقد أن لا شذوذ يصل بالبشر إلى ما هو الحال اليوم في الجزائر المكافحة¹. وما دمت يا أخي قد حدثتك فاسمح لي بأن أزيد وأخرج إلى أشياء أخرى تعز في قلبي كثيرا، إن الذي دعاني لأن أتذكر ما كتبتة عن "الإعانة الخالدة" هو أخ من الطلبة الجزائريين الذين هم الآن في تونس ويقرءون في كعبة الشمال الإفريقي، ومن الذين يبيتون على الطوى، ولا يجدون ما يسد رمقهم ولا ما يقومون به على القراءة والتعلم، إنني لن أنسى كلمته "لماذا كتبت الإعانة الخالدة" سؤال لا يكفي أن أجيب عنه وحدي، بل الجواب الصحيح هو أن تجيب الإعانة نفسها بارزة واضحة في الواقع المحسوس المادي، الذي تشهد له الآن الألسن ومئات النفوس، وعشرات القلوب، أما أن أجيب عنه بما أو من به وبما اعتقده وبما أمله للشعب المغربي كله، فهذا مما لا شك فيه أي مدرك لبعض من حقيقتنا في هذا المغرب، أن الإعانة التي يجب أن تكون شمال إفريقيا هي خالدة، بل إنها أزلية، أبدية أحب من أحب وكره من كره ولن تقوى أية قوة وأي محرك على فصمها وقطعها، أو منع هذا الشعب الواحد الذي هو اليوم يبحث عن الوسائل القوية السريعة، لأن يحقق اتجاه فيما بينه وبين نفسه وبين أجزائه التي أوهمه الاستعمار البغيض على أنها أقسام متباينة لا يمكن أن تكون كلا واحدا.

أليست يا أخي هذه الحال التي عليها مئات من إخوانك وأبنائك الطلبة الجزائريين اليوم، واللييلة، والآن وفي كل لحظة إلى أن تدركهم رحمة الله أو تصلهم به رحمة تتمثل فيها الإعانة الخالدة تمثيلا واقعيا صحيحا، أليست هذه حالة شاذة أيضا؟²

1 - محمد الأخضر السائحي، الإعانة الخالدة (2)، الصباح، ع 1477، 13 أكتوبر 1956، ص 3.

2 - المصدر نفسه، ص 3.

كم أعدد وأعدد من هذه الحالات التي لا يمكن لي أن أسميها حياة، بل لقد أحسنت كل الإحسان إليّ وأنت تتلفظ بالكلمة الشاذة، في ضحكة تونسية مرحة، لقد أهديت إليّ حكمة بالغة، لقد وضعت يدي على ألم يصور كل هذه المتناقضات والمتضاربات والأشباه والأضداد، هذه الأخطا التي لا يمكن أن تكون إلا حالات شاذة، فالجزائر كلها في معركة التحرير والخلاص من هذه الحالة الشاذة، فمتى ينتصر هذا الشعب ومتى يتيقظ ضمير العالم إلى هذا الشذوذ المزري بالإنسانية¹.

¹ - المصدر السابق، ص 3.

:

الفصل الأول: جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين

أولاً: أسباب ودوافع ظهور الجمعية.

ثانياً: تذبذب أحوال جمعية الطلبة الجزائريين وظهور جمعية البعثة الزيتونية.

ثالثاً: نشاط الجمعية سنوات الخمسينات.

رابعاً: نشاط جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين على ضوء الوثائق الأرشيفية.

خامساً: حفلة جمعية الطلبة الجزائريين بتونس.

سادساً: حل الجمعية.

سابعاً: الكتابات المشتركة بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والطلبة.

الفصل الثاني: كتابات الطلبة في الصحف التونسية

أولاً: كتابات الطلبة سنوات العشرينات.

ثانياً: كتابات الطلبة سنوات الثلاثينات.

ثالثاً: كتابات الطلبة مطلع الأربعينات.

الفصل الثالث: كتابات الطلبة في جريدة الصباح

أولاً: كتابات الطلبة سنوات الخمسينات.

ثانياً: الكتابات القصصية سنوات الأربعينات ومنتصف الخمسينات.

الفصل الرابع: الإسهامات الثقافية للطلبة الجزائريين في الصحف التونسية

أولاً: كتابات الطلبة سنة 1958 م.

ثانياً: كتابات الطلبة سنة 1959 م.

ثالثاً: كتابات الطلبة بداية الستينات.

الفصل الأول: جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين

تميزت الهجرات الطلابية المبكرة بأنها كانت نتيجة رغبة شخصية أو مبادرة فردية، وتخرج من الجامع الأعظم الكثير من رجال الحركة الإصلاحية الجزائرية وعلى رأسهم العلامة عبد الحميد بن باديس الذي عمل بعد عودته من تونس وحصوله على شهادة العالمية على تشجيع طلابه على السفر إلى هذا الجامع ومتابعة التحصيل العلمي فيه ، بهدف إعادة الجسور الثقافية بين تونس والجزائر التي طالما سعى المستعمر بكل وسائله الخسيسة لهدمها¹.

وهكذا بدأت الرحلات الجزائرية العلمية إلى الزيتونة ، وكثر الطلاب الجزائريون هناك ، وغدت الحاجة ملحة لتكوين تجمع يلم شتاتهم ، ويهتم بحاجاتهم ، فكانت جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين .

أولاً: أسباب ودوافع ظهور الجمعية :

زار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي تونس بداية الثلاثينات، واجتمع بالطلبة والعمال الجزائريين هناك، وحثهم على رص الصفوف، ورأى أن عدد الطلبة الجزائريين وقتها يربوا عن المائتين وهو عدد غير قليل، ويحتاج إلى تنظيم قانوني يكفل له حرية العمل ويمكنه من جمع شتاته وتوحيد كلمته، فتحمس الطلبة لذلك أشد الحماس، وسار العمل بوتيرة بطيئة وسرية خشية من السلطات الاستعمارية المناهضة لأي نشاط أو تجمع يلوح في الأفق².

لقد ساعد على ظهور هذه الجمعية عدة عوامل يمكن إجمالها فيما يلي:

- ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ماي 1931م الإصلاحية التربوية ، والعاملة على إيجاد نشاط أكثر فعالية ، وتوحيد الجهود الجماعي المنظم بقيادة المشايخة الإصلاحيين .

¹ - أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر ، المرجع السابق ، ص 217

² - محمد صالح الجابري ، المرجع السابق ، ص ص 102 - 103 .

- الدور المؤثر الذي قام به الشيخ عبد الحميد بن باديس فقد كان لتلك الصرخات التي بعث بها الشيخ منشئ الحركة الإصلاحية ، أثرها الفعال في توجيه نخب إلى كعبة الشمال الإفريقي ، فهجرات العشرات من إخواننا إثر تلك الصرخة ، إلى هذا المهجر العلمي والموطن الروحي ، يعتبر كعنوان لبدء نهضة ثقافية ، وبزوغ شمس الإصلاح بوطننا المفدى¹.
- حاجة الطلبة الجزائريين الماسة إلى هيكل اجتماعي وثقافي منظم يعمد إلى توحيد صفوفهم، وتقريب وجهات نظرهم وتيسير أمورهم المادية وتحسين ظروفهم المعيشية الصعبة .
- ارتفاع عدد الطلبة الجزائريين بالجامع خلال الثلاثينات كدليل على جهود جمعية العلماء المسلمين وعدد من خريجي جامع الزيتونة لإرسال أكبر عدد من الطلاب وتوجيه أكبر قدر من البعثات العلمية نحو تونس كدعم للعمل الإصلاحي في الجزائر خاصة بعد تفكك الجمعية وخروج بعض أعضائها منها².
- تفاقم مشاكل الطلبة الجزائريين بتونس المادية والمعنوية جعلتهم بحاجة إلى من يتكفل بهم ويتولى أمورهم ويجمع شتاتهم ، غير أن هذه البعوث الأولية على قلة أفرادها لم تجد هنا ما يشجعها التشجيع كله على التمادي في الأخذ من مناهل العلم والارتواء من حياضه ، فتبرأت من الصعوبات والعقبات ، وأظهرت من الشكوى ما كان ملفتا للانتباه³.
- ظهور عدد من الطلبة المتميزين بروح الحماسة والفعالية والقدرة على التسيير والقيادة أمثال الشيخ الشاذلي المكي والأستاذ عبد المجيد حيرش .
- تأثر الطلبة الزيتونيين بجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا⁴.

1 - الثمرة الثانية ، 19ع ، مطبعة التليلي ، تونس 1947م - 1948م ، ص 8 .

2 - أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ، الجزء الثالث ، المرجع السابق ، ص 106 .

3 - الثمرة الثانية ، المصدر نفسه .

4 - ضمت هذه الجمعية نخبة من أبرز طلبة شمال إفريقيا الذين يدرسون بفرنسا ، والذين أصبحوا فيما بعد زعماء للحركة الوطنية المغربية أمثال مصالي الحاج ، فرحات عباس ، المنجي سليم ، الهادي نويرة ، صالح بن يوسف ، أحمد بن ميلاد ، علال الفاسي ، الحبيب تامر ...

- ضرورة التكفل التام بالطالب الجزائري، وإبقائه على أخلاقه ، خاصة وأن سن الطالب الزيتوني يتراوح بين 15 و 20 سنة وهي مرحلة حساسة ، وكان أغلبهم ينحدرون من البوادي والأرياف ، ولم يكن لهم سابق عهد لا بالمدينة و لا بالقرية ولا بالحرية التي سيعيشونها في تونس مخافة فساد أخلاقهم ، أو انجرافهم إلى تيارات أيديولوجية محددة ، وأهدافها لا تخدم الغاية التي هاجر لأجلها إلى تونس .
- نمو الوعي القومي والإحساس الوطني لدى جموع الطلبة الجزائريين مما حذى بهم إلى ضرورة التوحد والالتحام بدافع شعور الإنتماء إلى الوطن الواحد والقومية الواحدة " ... والأمة الجزائرية في هذا الظرف لم يخلق فيها ما يقال له الوعي القومي والإحساس الوطني حتى تشعر بما يعانیه هؤلاء الطلبة ، وتؤمن بضرورة الثقافة والأخذ بيد ذويها ، فالأنانية آخذة بالنفوس ، والجهل ضارب أطنابه على الرؤوس" ¹ .

أ- الجمعية بين النشأة والظهور :

استغرق العمل على إخراج الجمعية من طور التمهد والتفكير والمشاورات إلى الطور العلني ما يقارب السنتين ويرجع ذلك إلى الوضع الذي كان يعيشه الطلبة ، فقد كانوا مشتتين ينقصهم التنظيم، وتنخرهم الحاجة والفاقة، وتستبد بهم الغربة، ويعوزهم قلة الوعي، وصلابة القيادة، وبقيام هذه الجمعية وضع الحد الفاصل بين الطور الأول للبعثات التي كانت تقوم على الجهود الفردية، انطلاقاً من البعثة البادسية سنة 1913م ، إلى حين التفكير في إخراج الجمعية إلى وضعها في الحيز القانوني والفعلي و الإعلان عنها رسمياً سنة 1934م²، وبين المرحلة الموالية التي استمر فيها وجود الجمعية بين الظهور والاختفاء، وبين النشاط الحثيث والركود المفاجئ ، وبين التماسك والتعثر طيلة ما يقارب العشرين سنة فيما بين 1934م وحتى سنة 1957م موعد حل الجمعية من قبل جبهة التحرير الوطني³ .

¹ - الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص 9 .

² - يقتضى مرسوم 2 جويلية 1934م، الذي يهدف إلى خلق الصداقة الجيدة بين التلاميذ الجزائريين حتى يربطهم ببعضهم البعض، وبمساعدة المحتاجين منهم.

- A.N.O.M، Aix en province Bn° 4705.

³ - البصائر ، ع 44 ، 20 نوفمبر 1936م ، ص 5 .

إلحاح البشير الإبراهيمي على ضرورة تأسيس هذا الهيكل الجمعي ، ويتبين ذلك من خلال الجهود المبذولة التي قام بها مباشرة بعد زيارته بداية الثلاثينات إلى تونس فوجد هؤلاء الطلبة في بلبله وشتات ، على إثر ذلك نظم اجتماعا حضره بعض العمال والطلبة بجامع يقع في حي الحجامين ن ألقى فيه كلمة لفت نظرهم إلى حالة البؤس النفسي، والعوز المعنوي ن الذي يشدهم إلى القاع ، ويهد كيانهم ، داعيا إياهم إلى تكتيل الصفوف والتلاحم والخروج بقضيتهم وقضية شعبهم من الطور السلبي غلى طور العمل المجدي ، من الظل إلى المواجهة ، وتبصير الشعب التونسي ، وغيره من شعوب العالم العربي الإسلامي بعمق المأساة التي يعيشها الجزائري المحكوم عليه بمبارحة الأوطان هربا من التعسف ، وفرارا من الجهل الذي فرضه الإستعمار على الشباب الجزائري ، ففي تضافر جهودهم إنقاذ لحالتهم من شتى صنوف الهوان ، وفي ترتيب صفوفهم ورسها قوة للشخصية الجزائرية¹.

لقد حرص الشيخ البشير الإبراهيمي على أن يخرج الجمعية من طور الخيال إلى طور الواقع، فتقوت شوكتهم واشتدت صلابتهم، وأصبحوا ينظمون الاجتماعات واللقاءات، ويشاركون كطلبة لهم وحدة أدبية في الاجتماعات العامة التي تعقدها الجمعيات المحلية²، وأصبح للطلبة إسهامات كتابية في الصحف التونسية يتحدثون فيها عن المتاعب والأوصاب التي يكابدونها في مجموعة من المقالات الأدبية الهادفة .

فكان الظهور الحقيقي للجمعية في عام 1934م³ ، حيث تولى رئاستها الشيخ المهدي البجائي ، ومن إنجازاتها في عهده إقامة الطلبة احتفالات كان أولها احتفال بمناسبة نشأة

1 - المصدر نفسه ، ص5 .

2 - عمار النجار ، الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص9 .

3 - يذكر هلال أن أول من تولى رئاسة هذه الجمعية هو الطالب أحمد بن بوزيد الأغواطي، غير أن المصادر التاريخية التي أشارت إلى فترة الحركة الوطنية تدل على أن هناك عناصر أخرى ساهمت في ميلاد جمعية الطلبة الزيتونيين، وعلى رأسها الشيخ بورنان بن نصر الدريدي الميلي، وهو من الشخصيات التي توالى على الهيئة الإدارية لجمعية الطلبة، وهو ينتسب إلى الشباب الأدباء، ويعتبر أول رئيس للجمعية تحصل على رخصتها من الحكومة التونسية، وهو الأمر الذي أكده الشيخ محمد الصالح بن صديق عتيق بقوله، والمؤسس الأول لجمعية الطلبة هو الشيخ بورنان، للمزيد ينظر، عبد الكريم

الجمعية، قام فيه بعض الطلبة بتنظيم قصائد شعرية ، كان من بينهم الطالب محمد الحفناوي بن الأخضر نظم فيه قصيدا بهذه المناسبة نشرته جريدة (الصراط) في عددها الصادر يوم 1 جانفي 1934م تحت عنوان احتفال الطلبة الجزائريون بتونس ، إلى جانب تنظيم احتفالات لاستقبال الطلبة الجدد ، واحتفالات خاصة بتكريم الطلبة المتفوقين .

أسندت رئاسة الجمعية الشرفية إلى الشيخ مختار بن محمود ، ولن تدم رئاسة الشيخ البجائي سوى بضعة شهور ، لتنتقل إلى الشيخ عبد المجيد حيرش الذي ترأسها طيلة سنة 1934م ، بذلت خلالها الجمعية جهودا كبيرة من أجل التعريف بالجمعية وإشهارها وتبيين الأغراض التي تأسست من أجلها¹ ، وكان من أهم إنجازاتها أثناء رئاسته لها :

- إجراء حملات دعاية للتعريف بالجمعية .
- تكثيف اللقاءات والجلسات بين إدارة الجمعية والطلبة الجزائريين الزيتونيين .
- التكفل بالطلبة الجدد القادمين من الجزائر في إطار بعثات تكفلها جمعية العلماء أو يقودها بعض الطلبة المتخرجين .

لقد ورد في الفصل الثالث من قانونها الأساسي تكوين العلاقات الودية الطيبة بين كل الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، والتأليف بينهم وإعانة المحتاجين منهم بقدر الإمكان، كما أن لجمعية الطلبة حضورا مكثفا في النشاطات الفكرية والثقافية التي كانت تقام بتونس، ومن ذلك الحفل التكريمي الذي عقده الشبيبة المدرسية برئاسة عبد المجيد الشابي لتكريم الشيخ أبي اليقظان في 9 ديسمبر 1934، وقد علقت جريدة الأمة على الحفل قائلة: " ليلة زهراء بتونس، تونس تعانق شقيقتها الجزائر"، وقد ألقى بالمناسبة أبو اليقظان كلمة أشاد فيها بالحضور قائلاً: ولا يسعني بالشكر والثناء لكل من سعى وشارك في الحفل البهيج وأخص بالذكر رئيس جمعية الشبيبة المدرسية السيد عبد المجيد الشابي، ورئيس جمعية

بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945، ط1، مطبعة البحث، قسنطينة 1981، ص 349.

¹ - محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 104.

الطلبة الجزائريين عبد المجيد حيرش، ومنظم الحفل ومنشطه الشاب النشيط الطيب العنابي¹.

وفي 6 نوفمبر سنة 1935م عقدت الجمعية مؤتمرا واسعا أجرت أثناءه إنتخابات عامة حضرها الطلبة ، انتهت بانتخاب الشيخ الشذلي المكي ، والسعيد بن مخلوف الحجازي نائبا له ، والشيخ مختار بن محمود رئيسا شرفيا وأحمد بن أبي زيد الأغواطي ، ونائبه الصائغي محمد العربي ، أمين المال محمد بن المبروك ، ونائبه مصطفى بن سعد الجيجلي ، والمراقب العام الهادي بن أبي القاسم ، ونائبه أحمد بن صالح القنطري² .

أما عن العضوية فكانت لأحمد حماني الأخضر السائحي، عبد الحميد التيجاني ، عثمان الصائغي ، علي بن محمد الشرقي ، وكان مقر الجمعية في سوق الزلاج عدد131 تونس .

عزم المجلس الإداري على القيام بطبع نشریات تجمع بين مختلف الفنون النثرية ، وفني الخطابة والشعر التي يقدمها الطلبة خلال الاجتماعات النصف شهرية ، إضافة إلى أخذ صورة تضم أفراد الجمعية تباع بالجزائر ، وتجمع فائدتها لصالح خزينة الجمعية ، وكذلك تطبع مقتطفات تبعث لمن يطلبها بالجزائر ويوزعها الطلبة ببلدانهم في العطل الصيفية والرمضانية ، كما ترجع فائدتها للطلاب الزيتوني³ .

في سنة 1935م تولى رئاسة الجمعية الشيخ الشاذلي المكي حيث جاء بهذا الخصوص في الثمرة الثانية إن الشيخ نزيل القاهرة اليوم : " ... وما دمننا في دائرة التاريخ وفي نسج الحقيقة عليه أن يرى مبصرا الأستاذ الشاذلي المكي كتلة من الإخلاص ومجموعة من الفضائل والمكرمات، وآية العبقرية والذكاء ورموز التحفز والنشاط، ومجموع هذه الصفات هي الدعائم الكبرى لنجاح كل مشروع ووصوله إلى الهدف الأسمى ، فأخلاصه أوجب عليه أن يشقى ، فذلك التوجيه الصالح والسلوك الحسن يكتفيان لاعتبار أخينا الأستاذ المكي

¹ - الأمة، العدد 14، 18 ديسمبر 1934.

² - البصائر ، ع44 ، المصدر السابق ، ص5 .

³ - المصدر نفسه ، ص5 .

مضحيا وعاملا ومبلغا على أن عمله لم يكن في محيط الطلبة الداخلي فحسب ، بل تعدى إلى المحيط الخارجي ، فكان يكتب المقالات الرنانة في الصحافة التونسية يبعثها كزفرة على أمتة المنكوبة ، أو كتحميد لأعمال رجالات الجزائر على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم في الحياة "1 .

إن هذا العرض المقتضب لأعمال الشيخ الشاذلي المكي يكفيان ويوجبان بقاءه رئيسا للجمعية لمدة أربع سنوات .

ب- أهداف الجمعية :

لقد حدد البيان الذي توجه به الطلبة الجزائريين الزيتونيين ومن خلال جريدة البصائر، أهداف الجمعية الوطنية والقومية والسياسية، والمتمثلة فيما يلي:

- إعلان المطالب الوطنية باعتبار أن الشباب الطالب هو الرديف الأساسي لحركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو الانعكاس المباشر لأعمالها في ميدان نشر العلم الذي لا يزدهر إلا بازدهار حركة الإصلاح ، ونهضة الجمعية وإشعاعها في كل أنحاء الجزائر، فليس خافيا على أحد أن من برنامج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، نشر العلم الذي هو أساس الدين الصحيح والنهوض الحقيقي².
- الارتباط العضوي بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأعمالها القائمة على الدعوة والإصلاح .

في تصريح للسيد الشاذلي المكي رئيس جمعية الطلبة الجزائريين بتونس لمنسوب الشرق العربي ، وبطلب منه على تعليق خاص بحالة الطلبة الجزائريين بتونس سنة 1938م أمده بالتقرير التالي :

1 - الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص 81 .
2 - البيان موجه من الهيئة الإدارية بلسان كاتبها العام يطالب فيه الطلبة جمعية العلماء المسلمين بأن تعيرهم إتقانة وعناية، لأن الطلبة هم مادتها الأولية ، وناصروها الأوفياء ، وهم الذين ينشرون مبادئها ، ويرفعون لواءها ، كما طالبوا في نفس البيان أمتهم الجزائرية بأن تسأل عن أبنائها البررة ، ورجالها في المستقبل الذين تفهمهم ويفهمونها ، ويحافظون على كيانها وقوميتها بإخلاص وأمان ، للمزيد ينظر أحمد بن أبي زيد الأغواطي ، حضرة الداعية الأكبر الشيخ الطيب العقبي أطال الله بقاءه للعلم والإصلاح ، البصائر ، ع 44 ، 20 نوفمبر 1936م ، ص 2 .

يزداد عدد الطلبة الذين يزاولون الدروس بالمعهد الزيتوني عمره الله في كل عام، ففي السنة الجارية لاحظنا ما يقارب خمسين طالبا جديدا فيصير بهذه الصفة عدد الطلبة الجزائريين بالكلية الزيتونية ثلاث مائة طالب تقريبا، أما جمعيتنا فغايتها :

- تكوين روابط متينة بين التلامذة الجزائريين خاصة والتونسيين عامة، وذلك بإلقاء محاضرات ومحادثات ، وبإحياء ذكريات والقيام برحلات .
- تسعى الجمعية لإنشاء مدرسة لإسكان التلامذة الجزائريين، وإعانة الضعفاء منهم .
- مراقبة التلميذ الجزائري من الناحية الأخلاقية والمدرسية، ليكون جديرا بالإسم الذي يحمله، أمام الإنتخابات التي تقع عادة في شهر أكتوبر فإنها قد أجلت لما بعد شهر رمضان وستستأنف أعمالها إن شاء الله بعد الشهر الحرام¹.

وعن خدمات الجمعية وبعد عقد اجتماعها العام، وانتخاب هيئتها الإدارية كتب أمين ماليتها السيد مصطفى بن سعيد الجيجلي إلى جريدة البصائر بتقرير مالي، الذي ختمت به سنتها الخامسة ، وتقدمت بعده إلى السنة السادسة اشتمل على بيان خدمات الجمعية وفوائدها وتتلخص فيما يلي :

- بث روح التعارف و التآلف بين سكان شمال إفريقيا ، وذلك بالاجتماعات والنشرات ، فكان ذلك تذكيرا بعهد دول صنهاجة والموحدين التي جمعت شمل هذا الشمال .
- إرشاد الشباب إلى قواعد الدين وتعاليم الكتاب والسنة حتى يقبل النافع ويجتنب الضار .
- تمرين الطالب على الكتابة والخطابة حتى يستطيع أخذ حظه من الآداب العالية ، ويؤدي واجبه في خدمة اللغة ، والمجتمع فيرجع تاريخ أجداده .

ثم ذكر المالية التي صادق عليها الحاضرون ، فكان كل الداخل 1471,50، وجملة الخارج 763,80 وإنا لندرجوا لطلبتنا متانة الإتحاد وحسن الاستعداد للنهوض بواجبات

¹ - التلامذة الجزائريون بتونس ، تصريح الشيخ الشاذلي المكي رئيس جمعية الطلبة الجزائريين ، البصائر ، ع137 ، الإثنين 4 رمضان 1357هـ / 28 أكتوبر 1938م ، ص2 .

الدين والبلاد ، و نرجوا لجمعيتهم الثبات على المحن ، والتقدم على تقادم الزمن حتى تكون داخلاتها أوفر ونتائجها المفيدة أحضر¹ .

يقول الشيخ عبد الرحمان شيبان عن نشاطات وبرامج الجمعية :

كانت جمعية الطلبة الزيتونيين تقوم بعدة أنشطة ذات أهداف أدبية وعلمية وفنية وإدارية ورياضية ، وخلال فترة ترأسي لجنيتها أوكلت إلي المهام التالية :

- إجراء دورات تكوينية مكثفة في بعض المواد المقررة لتدريس الطلبة المقبلين على امتحانات شهادتي الأهلية والتحصيل، يلقبها عليهم بعض من الطلبة الجزائريين النجباء الذين سبقوهم في نيلها² .

- حض الطلبة على البذل والاجتهاد قصد التفوق والنجاح ، وأذكر أنه وكننتيجة لهذه الجهود خلال السنة الدراسية 1947م - 1948م نجح بتفوق نحو عشرون طالبا من مجموع ثلاث و عشرون طالبا أي بنسبة خمسة وثمانون بالمائة وهي نسبة عالية مقارنة بالنتائج المتحصل عليها من قبل نظرائهم من الطلبة التونسيين .

- التكفل التام بالطلبة الجدد إداريا ونفسيا حيث يقول عبد الرحمان شيبان في هذا الشأن : ... عندما يصل الطلبة الجزائريون الجدد إلى تونس العاصمة ، يجدوننا قد سبقناهم إلى الجامع فنقوم بتسهيل إجراءات تسجيلهم به أو في مدارس سكنى الطلبة ، ثم نعمل على توجيههم وتنبيههم في لقاء خاص يشرف عليه الطلبة القدماء بالجامع .

لذلك جاء في مقدمة الثمرة الثانية تحديد الهدف الرئيسي من تأسيس جمعية الطلبة الجزائريين بقولها: "... فكرت هته النخبة في أن تجعل لآلامها حدا ، وأن تقلل من تلك العراقيل مما يسمح بتأدية رسالتها الكبرى ومأموريتها الشاقة ، وذلك بتأسيس جمعية تلم شملها وتشد أزرها ن وتجعلها في اطمئنان مما يؤدي ويعيق³ .

1 - البصائر ، ع148 ، الإثنين 22 ذي القعدة 1357هـ / 13 جانفي 1939م ، ص6.

2 - في بعض الأحيان كان الأساتذة التونسيون يتطوعون للقيام بهذه الدورات التكوينية التدمعية .

3 - الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص9 .

- إحياء بعض المناسبات الدينية كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف والهجرة النبوية ، والمناسبات الوطنية كإحياء ذكرى وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وتدخل هذه الاحتفالات في إطار ملء الفراغ العائلي الذي يعيشه الطلبة في غربتهم وبعدهم عن أهاليهم، يكون الاحتفال بتحضير خطابات قيمة إحياء للذكرى : حوارات تمثيلية ، عروض مسرحية يقوم بتمثيلها الطلبة الجزائريون ، أو القيام برحلات جماعية تستهدف جولات في المدينة وضواحيها ، وبالرغم من قلة المداخل المادية للجمعية إلا أنها كانت تقوم بتحضير وجبة رمزية تقدم للحاضرين والمدعوين¹ .
- إجراء دورات جماعية في الخطابة بشتى أنواعها في الأدب أو الفقه أو الشعر أو السياسة، ويكون ذلك بتكليف الطلبة الراغبين في تعلم الخطابة بتحضير مواضيع لإلقائها ، وفي اليوم المبرمج يقوم الطالب بإلقائها أمام جميع زملائه الطلبة الذين يقومون بتقويمه ، والهدف من ذلك تعويد الطالب على الجرأة في الحديث أمام الحضور .- ربط الصلة بين الجزائريين الزائرين لتونس لشؤون خاصة بالجالية الجزائرية المقيمة بها فمثلا كان الطالب محمد الصغير قارة على صلة وثيقة بالشيخ البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية ، إذ كان يعهد إليه بنقل رسائله إلى الجالية الجزائرية بتونس يدعوها إلى المساهمة فيما تقوم به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من مشاريع تربوية وإصلاحية للنهوض بالأمة ونشر المعرفة الدينية وتوعية المجتمع².
- الحفاظ على الصورة الأخلاقية الجزائرية للتلميذ في الوسط التونسي³ .
- استقدام الجمعية لفرق مسرحية تقوم بتقديم مسرحيات مثيرة للمشاعر الوطنية ، والتي كانت غالبا ما تلقى استحسانا مكن الجمهور عند ذكر مواقف انهزام المستعمر⁴ .

¹ - كان الطلبة في كل احتفال بمناسبة دينية أو وطنية يقومون بجمع مبالغ مالية بينهم لشراء مايلزمهم للاحتفال ، خاصة وأن مطاعم سكنى الطلبة كانت تغلق أبوابها خلال المناسبات الدينية

² - خير الدين شترة ، المرجع السابق ، ص846 .

³ - في هذا الإطار يقول السيد محمد حمدات : إن الجمعية كلفت أعضاء بمراقبة التلامذة الجدد من الناحية الأخلاقية ، فإن كان تصرف أحدهم منافيا للأخلاق يستدعى ولي التلميذ ويوقف عن الدراسة .

⁴ - لقد جاء في تقرير الشرطة المؤرخ في 27 نوفمبر 1944م أن موضوع المسرحية يعرض حالة تاريخية تشبه في كثير من جوانبها وضعيتها كل من الأميرين ، الأمين والمنصف باي ، وقد كانت الفقرات التي تشير إلى الإستبداد والظلم تثير هتافات المشاهدين ، وتصفيقهم الحار ، للمزيد ينظر مختار العياشي ، البيئة الزيتونية ، المرجع السابق ، ص 193 .

- إجراء المسابقات الثقافية كالمسابقات الشعرية ، والخطابية ، والتي كانت غالبا ما تستقطب حضور أساتذة الجامع الأعظم والطلبة الزيتونيين .

ظلت الجمعية تسير على نفس البرنامج إلى غاية مطلع الخمسينات فقد جاء في رسالة الجمعيات التي صدرت في شكل مقالات متسلسلة بإمضاء محررها رئيس الجمعية عبد الحميد بن هدوقة وفي جزئها الأول الصادر بجريدة الصباح ما يلي :

في الاجتماع العام الذي عقده جمعية الطلبة الجزائريين يوم 18 ديسمبر 1953م ، لتجديد مكتبها الإداري استعرضت الأحوال الشاذة التي يعيش فيها التلميذ الجزائري ، وما إن استلم المكتب الجديد زمام الجمعية حتى شرع حالا في وضع برامج للعمل كان المفروض فيها أن تحقق له إنفاذ هذا التلميذ من دركات الوضعية المادية والمعنوية التي انحدر إليها إلى المستوى اللائق بسمعته كتلميذ أولا وكجزائري ثانيا ، وبالتالي كإنسان يتركب من جسم عقل وخلق - كما يقول الإغريق - لكل منها فضيلة يجب علينا أن لا نقلتها بالإهمال ، أو إن لم نستطع إنقاذه لضيق إمكانياتنا المادية بل والمعنوية ، فلا أقول من أن نتحرك ولو في الخطأ خير من السكون في الصواب حتى نجد المعين المرشد ... وفعلا كونا لجانا أدبية ورياضية وتفقدية تحت إشراف الجمعية بالإضافة إلى تنظيم المكتبة القيمة التي نملكها تنظيما موحها ، أي أننا عينا الكتب تعيينا مناسبا للدرجة الثقافية لدى التلميذ¹، كما نظمنا دروسا في الفرنسية والرياضيات بإعانة بعض الأساتذة ، وغايتنا من ذلك كله مبدئيا إعانة التلامذة في مصالحتهم الخاصة، هذه المصالح التي نرى أنها ستجعلهم مجبورين على الاجتماع مع بعضهم بعض تحت سقف واحد مدة ، ومن هنا يتعارفون ويتألفون فتأتي بعد ذلك في سهولة ويسر الثقة المتبادلة التي ينبني عليها التعاون المفيد ، وإذ ذاك نستطيع أن ننجح في مسعانا ، ونقطع مرحلة لا بأس بها من البعد الفاصل أو الموصل بنا بيننا وبين الغاية التي نصبوا إليها وهي أن نخرج إلى معترك الحياة خلقا آخرين ، خلقا تعلموا أن

¹ - عبد الحميد بن هدوقة ، رسالة الجمعيات (1) ، الصباح ، ع679 ، 19 مارس 1954م ، ص2 .

ينتفعوا بملكاتهم الجسمية والعقلية والخلقية إلى أقصى حد ن خلقا جديرين ببناء ذلك المجتمع
الفاضل المتحرر من الجهل والذل والمرض¹.

ج- نشاطات الجمعية مطلع الثلاثينات :

أخذت الهيئة الإدارية على عاتقها تكوين الطالب في البداية تكوينا أدبيا وعلميا
صرفا، وتطلب العمل لاحقا إرداف التكوين الأدبي بالتكوين الخطابي السياسي ، باعتبار
الطالب رجل الإصلاح الذي سوف يلتحق بالركب حين يتخرج من الزيتونة ، وعليه أن
يتحلى بالقدرات التي تؤهله للارتقاء إلى المستوى الذي ينتظره أبناء أمته ، وكان الشيخ بن
باديس المثل الأعلى في إمامه بفني الكتابة والبيان وفي ظهوره على الواجهتين الدينية
والوطنية .

وعلى عهد الشاذلي المكي استقبلت الجمعية الشيخ عبد الحميد بن باديس ثلاث مرات
بين سنتي 1936م - 1937م ، ودعته لإلقاء محاضرة على شرفها ، فكان له لقاء مع
الطلبة الجزائريين والتونسيين على منبر قصر الجمعية الفرنسية بتونس²، حيث حلل من
خلال المحاضرة أوضاع الجزائر العلمية والسياسية والاجتماعية ، وأثناء هذه الزيارات إلى
تونس كان بن باديس كثيرا ما يلتقي بأعضاء الجمعية ، ويحضرهم بنفحات منه ، وفي كل هذه
اللقاءات يلقن رئيس الجمعية محضر عضده المثل العليا ، ويريه من نفسه نماذج مثلى³.

ولعل ما يميز الفترة التي ترأسها الشيخ الشاذلي المكي هو أن الجمعية سارت سيرا
منتظما، قوامه خدمة مصالح الطلبة، والدعوة للعلم والمعرفة والتعريف بالجزائر وأعلامها،
وواقعها الإستعماري ، مع السعي الحثيث لتكوين الطلبة من الناحيتين الأدبية والخطابية ،
فالجزائر في هذه المرحلة كانت بحاجة ماسة إلى خطباء يتوزعون على المساجد والمدارس
، يهزون بأصواتهم ركود شعبيهم ، ويبثون روح الحماس الوطني فيهم مثلما هم بحاجة إلى

1 - عبد الحميد بن هدوقة ، المصدر السابق، ص3 .

2 - تقع القاعة في شارع باريس بتونس العاصمة ، وقد أصبح يطلق عليها فيما بعد اسم دار الثقافة بن الرشيق ذلك بعد
استقلال تونس .

3 - عمار النجار ، الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص10 .

علماء يبذلون في أرجائها بذور المعرفة بين الصغار في المدارس والكبار في الحلقات العامة ، وداخل جدران المساجد¹ .

وكان إصدار الجمعية لأول نشرية لها (الثمرة الأولى) خير دليل على المجهودات العظيمة التي يقوم بها هذا الشيخ الجليل ن حيث اشتملت على ملف حافل بالمداخلات الدينية، التي تم إلقاؤها على منبر الجمعية يوم الإحتفال بذكرى الهجرة النبوية وهي نشرة السنة الرابعة للجمعية² الموافقة لسنة 1355 - 1356 هـ / 1936 - 1937 م ، جمعتها ورتبتها اللجنة الأدبية للجمعية ، وقام بتصحيحها ونشرها الشيخ الشاذلي المكي رئيس الجمعية³ .

تضمن فهرس الثمرة الأولى ما يلي⁴ :

- 2 - الإهداء لجمعية الطلبة .
- 3 - مقدمة للأديب أحمد الأغواطي.
- 6 - أربعة كلمات في حياة بن عبد الله للشاذلي المكي .
- 23 - المثل السامي للهجرة النبوية للأستاذ عبد الحميد بن باديس .
- 25 - كلمة الفاضل الأستاذ محمد المختار بن محمود .
- 28 - آلام المهاجرين للأديب محمد العربي الصائغي .
- 32 - نظرة حول ذكريات الهجرة للأديب أحمد بن البشير اليحياوي .
- 38 - ذكرى الهجرة " قصيدة " للأديب عبد الله الزريبي .
- 39 - حول الهجرة للأستاذ أبي يعلى الزواوي .

¹ - عمار النجار ، الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص10 .
² - بلغ ثمن النسخة أربع فرنكات وتم طبعها بمطبعة الشباب ، شارع باب منارة رقم 21 تونس .
³ - من الواضح أن الجمعية فكرت مسبقا في الاستفادة من مداخلات الأساتذة في إبراز الثمرة الأولى على النحو الذي كانت تطمح إليه ، ولهذا الغرض راسلت كبار الأدباء في الجزائر لموافاتها بكلمات للنشر ، على أن تلقى نيابة عنه في هذا الإحتفال
⁴ - للتفصيل في أهم مداخلات التي ألقى بها الأساتذة المشاركون ينظر في الملحق الخاص بنشاط الجمعية في جزء الملاحق.

- 42 - أثر الهجرة في الإسلام للأستاذ علي رحومة .
- 48 - حول محمد والغار للأديب محمد الشبوكي .
- 55 - محرم سنة 1356 هـ " قصيدة " للأديب أخضر السائحي .
- 57 - نظرة إجمالية في حياة الرسول للأديب مصطفى الجيجلي .
- 62 - ذكرى هجرة منقذ الكون وسر الوجود للأديب محمد الصادق بسيس .
- 70 - الصفح الجميل للأديب أحمد حماني الملي .
- 77 - أصحاب محمد يستشهدون في جنوب قسنطينة ... للأديب عثمان الصائغي .
- 82 - إسلام عمر للأديب الوردي التبسي .

تفضل الأستاذ الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس بمدخلة عنونها بالمثل السامي للهجرة النبوية استهلها بتساؤل : المهاجرون يحتفلون بالهجرة ، ومن أحف بالاحتفال منهم بها ؟ ثم يجيب في نفس الوقت : نعم أنتم يا أبنائي هاجرتم لأنفسكم ، بل لتتعبوا أنفسكم ثم تعودوا إليها فتنقذوها .

... وهكذا كانت هجرة محمد صلى الله عليه وسلم وهجرة أصحابه رضي الله عنهم فارقوا مكة - كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الكلمة التي ودعهم بها عند الجزورة - أحب البلاد إليهم ، وجاؤوا إلى المدينة والحنين إلى مكة وطنهم الأول لم يفارقهم ، حتى دعا¹ حتى دعا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم: " اللهم حبيب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أكثر".

¹ - عبد الحميد بن باديس ، المثل السامي للهجرة النبوية ، الثمرة الأولى ، مطبعة الشباب ، تونس ، 1355 - 1356 هـ / 1936 - 1937 م ، ص 23 وما يليها .

ثم داوموا على الجد والعمل والجهاد المتواصل حتى فتح الله عليهم مكة ... هذا هو المثل السامي الذي يجب أن يطمح ويعمل إليه كل مهاجر منا معشر المسلمين ، لأنه الصورة الصادقة للهجرة النبوية .

بهذه الكلمات يهدف الشيخ عبد الحميد إلى إبراز المغزى العميق للهجرة النبوية، واستلهام شخصية الرسول وجهاده لتلقين الطلبة الجزائريين الدروس والعبر الخالدة ، وحتى يعضوا في الكفاح المستبسل ، ... ثم يواصل " تعلمون يا أبنائي أن الشمال الإفريقي ، طرابلس وتونس ، والجزائر ومراكش وطن واحد بآماله كما يمثله حفلكم هذا فحياكم الله ، وبآلامه كما مثله شهداء المتلوي¹ قتل الظلم والظلمة والوحشية رحمهم الله، بل لو تربت الإنسانية المعذبة على المبادئ الإسلامية السامية لكانت الكرة الأرضية كلها وطن واحد ، ولكن هذا كله لا يمنع من حنين المرء إلى وطنه الأول لتقدم حقه عليه قبل سائر الحقوق ، ذلك الحق الذي لا ينتظر من المرء قيامه بغيره إذا قصر فيه ، ومن أهمل ذاته كيف يستطيع أن ينفع ذوات إخوته ؟ فلذا أدعوكم وأنتم في تونس الشقيقة مهاجرين كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم - وهم ما فارقوا العرب ولا وطن العرب - مهاجرين ثبتكم الله وأعانكم الله ووفقكم الله ورجع الله بكم إلى الجزائر سالمين غانمين من الحق والخير ، عاملين مجاهدين آمين يا رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أجمعين، من أخيك عبد الحميد بن باديس² .

يرى بن باديس بأن هجرة الطالب الجزائري إلى تونس تتدرج ضمن المعنى الضيق لمصطلح الهجرة لأن في نظره من هاجر من الجزائر إلى تونس أو مراكش كلها وطن واحد ، بغض النظر على اختلاف المعالم الجغرافية والحضارية .

¹ - وقعت الحادثة في منجم الفوسفات بالمكان المسمى بالمتلوي في شهر مارس من سنة 1937م ، وذلك إثر احتلال العمال من التونسيين والجزائريين والمغاربة والليبيين لأماكن العمل ومنعهم الأوربيين من الالتحاق بوظائفهم إثر إضراب قاموا به للمطالب بتعديل الأجور ، وكان رد فعل المستعمر جد قاسي على هؤلاء العمال ، حيث باغث الجيش بإطلاق النار على المضربين مما أدى باستشهاد ثمانية تونسيين وثلاثة جزائريين وثلاثة ليبيين ومغربيين ، للمزيد ينظر محمد صالح الجابري، النشاط الفكري والعلمي ، المرجع السابق.

² - الثمرة الأولى ، المصدر السابق ، ص 24 .

ولكن رغم هذا يعود إلى ذكر الحنين إلى البلد الأم الذي لامفر منه فالعاطفة تتحدى الإنسان خاصة وأنه كان قد مر بهذه التجربة ن كما يتطرق إلى ذكر الواجب الخاص الذي يحتم على المرء القيام بواجباته في محيطه الإجتماعي حيث لايجوز لغيره النيابة عنه ، فهو الحق الخاص للوطن الأول مهما تناءت الأوطان ، فإذا قصر في تأديته على أكمل وجه يكون بذلك مهملاً لذاته أولاً ومفترطاً في مصالح أمته ثانياً ، وينهي ما قاله بتوصيتهم ودعوتهم إلى التحكم في مشاعرهم حتى لايطغى الجانب العاطفي على الواجب المهاجر من أجله ، ويدعو الله لهم بالإعانة والتوفيق والثبات .

لقد كانت الكلمة التي بعث بها الشيخ عبد الحميد بن باديس قصيرة من حيث الكم معبرة من حيث المضمون ، فهي مجموعة مغازي تعبر عن ما يخالج ضمائر الطلبة ، وما يشغل بالهم ، وما ينتاب شعورهم ن كما كان لها البعد الإنساني باستدلاله بالأحداث التاريخية وللمهاجرين الذين فروا بدينهم تاركين ديارهم وأهاليهم مكرهين على الهجرة ، ذلك هو حال الطلبة الذين تحملوا مشاق البعد ومتاعب الغربة في سبيل صنع مستقبل وطنهم.

فكان لكلمته الأثر البليغ في تجسيم الغاية من إصدار الثمرة الأولى وإلى جانبه كبار الأساتذة المقيمين بالجزائر الذين وجهت إليهم الدعوة ، فساهموا في الحفل لبعث مواضيعهم إلى الهيئة الإدارية أمثال الشيخ أبو يعلى الزواوي الذي كتب موضوعاً بعنوان (حول الهجرة) الذي قدم من خلاله استعراض للجوانب التاريخية الإسلامية التي ميزت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم¹ ، وعلي رحومة الذي بعث مقالا بعنوان (أثر الهجرة في الإسلام) إستهله بالشكر والتقدير الذي وجههما إلى الجمعية بصفة عامة وإلى رئيسها الشيخ الفاضل الشاذلي المكي بصفة خاصة ، الذي ألح عليه بالكتابة إذا تعذر عليه الحضور ، وفعلاً وفي الأستاذ علي رحومة الموضوع حقه فبعث بمقال تحدث فيه بإسهاب عن هجرة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، حيث تطرق إلى أهم الأحداث التي اعترضت طريقه

¹ - أبو يعلى الزواوي ، حول الهجرة ، الثمرة الأولى ، المصدر السابق ، ص38

صلى الله عليه وسلم وصحابته في سبيل إعلاء كلمة الله مهاجرا بدينه وأهله فارا من بطش قريش ، تاركا المدينة التي كانت من أحب البقاع إلى قلبه¹.

فلاقى المسلمون من أجل الهجرة كل هول ، وتجرعوا كل غصة ، وهنا تظهر تلك البطولة الخالدة والمغامرة الهائلة والشجاعة النادرة التي لا يقدر عليها أحد من البشر إلا من اختصه الله بعنايته ووعده بنصره ورعايته .

وبعد حديث مفصل عن الموضوع ينهي الأستاذ مداخلته بفقرة قيمة يقول فيها : ... فهل ضحينا نحن يا بني قومي بعشر تلك التضحيات في سبيل إعزاز ديننا ؟ أم طال علينا الأمد فقست قلوبنا ؟ .

هاهو التاريخ يخاطبنا : أن لا حياة إلا بالموت ، وأن لا عزة إلا بالتضحية ، أفيليق بنا أن نأكل ملء البطون ، ونرقد ملئ الجفون، ودين الله وتراث محمد صلى الله عليه وسلم مهان يدوسه أهله وغير أهله بما شاءت لهم أهواؤهم من ضروب المنكرات ... نعم لا يليق بنا السكوت عن ذلك أيها الإخوان ، وهذه ذكرى الهجرة تنبهنا في كل عام إلى ما يجب علينا نحو ديننا وقوميتنا من التضحية والدفاع ن وكأن الذي اقترح ابتداء التاريخ الإسلامي بالهجرة أراد أن يذكرنا في كل عام بما يجب علينا من التضحية لأجل هذا الدين ... أيها الشباب فأنتم جنود الإسلام وحماته إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته² .

ولقد اعتذر عن المشاركة في هذه الذكرى كل من الشيخ محمد مبارك المليي ومفدي زكريا إذ لم يتمكنوا من تلبية الدعوة الموجهة إليهما فقاما بإرسال رسالتي اعتذار ، حيث جاء في رسالة الشيخ المليي : تعبير فخر عن هذا النشاط الذي حقق فيه طلبة الجمعية حلما طالما راوده منذ أن كان تلميذا بجامع الزيتونة ، وهو يتحقق اليوم بإذن الله وبفضل نشاط الجمعية الدؤوب ، وبفضل جهود كبار أساتذتها الجزائريين والتونسيين ، وبفضل حب الطلبة للعمل المثمر .

¹ - علي رحومة ، أثر الهجرة في الإسلام ، المصدر السابق، ص42 .

² - علي رحومة ، الثمرة الأولى ، المصدر نفسه، ص43 وما يليها .

إن هذا الشعور هو الذي جعل الشيخ مبارك المليي يخاطب الطلبة في رسالته بقوله :
 "وليعلم أبناؤنا وإخواننا من أعضاء جمعية الطلبة أنه بوجدنا أن نشجعهم على المضي نحو
 غايتهم السامية وأن نمدهم بكل ما في وسعنا إمدادهم به ، فإن في هاته الجمعية تحقيق
 لأحلام كنا أردنا إبرازها أيام طلبنا العلم في جامع الزيتونة ، وعاقنا قلة الحاملين له الفكرة
 والمؤمنين بنجاحها ، فنحن نرى في هذه أمنيئتنا التي كنا نقترحها على مر الزمان، وإذا
 طلبتم مني كلمة تلقونها في احتفالنا ، فلم تطلبوا إلا أقل حق لكم علينا"¹ .

وتضمنت رسالة مفدي زكريا الدعاء والشكر والتعظيم لما يقوم به الطلبة من أجل
 غد مثقف بعيدين عن وطنهم الأم ، وعن أهاليهم حيث جاء في رسالته بهذا الشأن : " أبقاكم
 الله لهذا الوطن الذي يستنجد بكم ويستغيث ويتربكم بفارغ صبر لتنتشلوه من هوة الفناء
 والانحلال ، بما تقومون به من التضحية ، وما تقدمونه في سبيل السعادة من جلائل الأعمال
 فهنيئاً لكم يا أبناء اليوم ويا رجال الغد"² .

ولم يفتح الحفل باب المداخلات للأساتذة وكبار العلماء فقط ، بل كانت الفرصة
 سانحة للنشء الصاعد من الجامع الأعظم، حيث تقدم بعض الطلبة الذين كانوا أعضاء
 للهيئة الإدارية أمثال محمد العربي الصائغي، وأحمد بن البشير اليحيوي والأخضر
 السائحي ، وأحمد حماني المليي، وعثمان الصائغي ، لنشر مقالاتهم مثلهم مثل أساتذتهم ،
 وتعبيراً لتألفهم ووحدتهم كجزائريين أولاً ومغاربة ثانياً ، وهذا ما نوه إليه الشيخ محمد
 المختار بن محمود في الكلمة التي ألقاها : " ... لم أقف بينكم الآن لأتحدث عن الهجرة
 وتاريخها وما لها من الآثار في تاريخ الإسلام ، وما تنطوي عليه من المغازي والعبر التي
 تستفيد منها الشعوب الإسلامية ... وإنما وقفت لأبدي إعجابي بهم ، وأعبر عن شعوري
 نحوهم ، ونحو جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين ، التي أتشرف بأن كنت من أول
 العاملين على تكوينها، والساعين في إبرازها وإمطة الأذى عن طريقها³ فلقد كنت وأنا

¹ - الثمرة الأولى ، المصدر السابق ، ص 87 .

² - الثمرة الأولى ، المصدر نفسه ، ص 88 .

³ - كلمة الشيخ محمد المختار بن محمود ، المدرس بجامع الزيتونة ، الثمرة الأولى ، نفسه ، ص ص 26 - 27 .

أسمع تلك الخطب¹ والقصائد ، أحس بفرح وسرور يعسر علي وصفه لما كان يظهر على عموم المتكلمين في هذا الموكب العظيم من حسن اختيار المواضيع التي تكلموا والإجادة في الإحاطة بها وحسن الإلقاء وجمال التعبير ... فيفه مطمح آمالنا ومعقد رجائنا، في القطر الجزائري الشقيق ... وإن ما يضاعف هذا الأمل وينميه ما أشاهده في التلامذة الجزائريين - بارك الله فيهم - من اجتماع ثلاثة أمور هي ملاك الفضائل كلها ، وهي : أولا تقوى الله وثانيا المحافظة على القومية وثالثا حب العمل ... وبود لو كان حاضرا معنا هنا بعض أصدقائنا من علماء الجزائر حتى يشاهدوا آثار أبنائهم الزيتونيين ن ويرو أن الغرس قد نضج ثمره وآتى أكله شهيا طيبا ، وإنني أعتبر نفسي كئائب عنهم جميعا في قبول هاته الباكورة الطيبة والاستبشار بها وتعليق واسع الآمال عليها حقق الله الآمال ونجح الأعمال² .

وهكذا استطاعت هذه الهيئة الإدارية النشيطة في عهد رئيسها الشاذلي المكي وكتبتها أحمد بن أبي زيد الأغواطي أن تقوم بدور بارز في مجال دفع الجمعية إلى العمل الفكري والسياسي وربط الصلة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، والإعلان عن نفسها في الصحف ، وإبراز كيانها إلى حيز الوجود ، وإظهار قوتها كحركة طالبية تعبر عن إرادة الجيل الجديد من أبناء الجزائر³ .

د- نشاط الجمعية منتصف الأربعينات :

بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية انطوى نشاط الجمعية ، وهاجر رئيسها الشيخ الشاذلي المكي إلى القاهرة ، ولم تستأنف نشاطها إلا بعد الحرب ، وبعدما عادت الحياة إلى طبيعتها هبت الجمعية إلى لم شتاتها بمساعدات مالية من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبتبرعات أشرف على جمعها الشيخ أحمد المسعودي ، وكان عملها الأدبي في

¹ - كانت الجمعية تقوم بدعوة الأساتذة لإلقاء محاضرات على مسامع الطلبة تتم بمبالغ زهيدة ، عبارة عن عشرين سنتيم لكل طالب ، لأن الجمعية كانت تقوم بكراء قاعات لذلك ، ومن ضمنها قاعة الخلدونية بجوار جامع الزيتونة ، وقصر الجمعيات ، ومن بين المحاضرين الشيخ الفاضل بن عاشور ، الدكتور الهادي الحميري ، عثمان الكعاك ، المختار الوزير ، عبد الله شريط ، المختار بن محمود ، حسن حسني عبد الوهاب ، الشاذلي بلقاضي ، الشاذلي النيفر ، وغالبا ما كانت تشتمل المحاضرات على مقررات الشهادة الأهلية والتحصيل ، للمزيد ينظر يحيى بوعزيز ، رحلة في فضاء العمر ، ج3، ص178 .

² - للتفصيل في نص المداخلة ، ينظر إلى جزء الملاحق .

³ - محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي ، المرجع السابق ، ص120 .

هذه الفترة أبرز من سبقه ، فتعهدت بإقامة الاجتماعات الأسبوعية في مساكن الطلبة ، تلقي فيها الخطب والمقالات المتنوعة ، كما تعهدت بتصحيح المواضيع المختلفة التي كانت تقدمها للطلبة في كل أسبوع ، مما كان له الأثر الحسن في امتحان شهادة الأهلية في تلك السنة¹.

وفي هذا الصدد نجد الجمعية تعود إلى الأسلوب الأول الذي اتبعته وهو تكوين الطلبة تكويناً أدبياً علمياً ، حسبما تقتضيه طبيعة البرامج الزيتونية دون إغفال مهمتها في تكوين الخطباء ، رجال الغد لتعودهم على مواجهة الجمهور ، ماضية في السير لما انتهجه شيخها الشاذلي المكي .

وفي شهر أبريل من سنة 1946م²، قامت الجمعية بانتخاب هيئة إدارية برئاسة الشيخ أحمد بوروح ، وقد تولى رئاستها الشرفية الشيخ الطاهر بن عاشور ، لم تدم رئاسة الشيخ بوروح إلا أشهر³ ، حيث أجرت انتخابات أخرى فاز من خلالها الشيخ عبد الرحمان شيبان كان ذلك في شهر نوفمبر من سنة 1946م الذي رأى إعادة التعريف بالجمعية ، وإعادة ربطها بالطلبة الجزائريين⁴، والذين يبدو أن الكثير منهم لم يعاصر المرحلة الأولى من عمر الجمعية (1934م - 1939م) ، فكتب مقالا مطولا في جريدة الأسبوع⁵، تناول فيه تاريخ الجمعية منذ تأسيسها إلى غاية ترأسه إياها ، وذكر أنها في المرحلة الأولى إنما ركزت على العمل الأدبي ، وأهملت الجانب المادي للطلبة نظرا لوضعيتها المادية المتردية والتي تواصلت مع عودتها إلى الساحة .

1 - الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص 13 .
 2 - كانت هذه الهيئة مؤقتة لأن القانون الأساسي للجمعية نص على تجديد الهيئة في بداية شهر نوفمبر من كل سنة ، أي بعد بداية الدراسة بشهر واحد في دورة تمتد إلى أربع سنوات .
 3 - محمد صالح الجابري ، النشاط الفكري والعلمي ، المرجع السابق ، ص 124 .
 4 - بلوزاع براهيم ، كتابات الجزائريين في الصحافة التونسية ، المرجع السابق ، ص 40 .
 5 - عبد الرحمان شيبان ، جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين ، الأسبوع ، 30 مارس 1947م ، ص ص 4 - 8 .

دفعت الوضعية المزرية التي آل إليها حال الطلبة¹ من خلال جمعيتهم إلى طلب المساعدة من إخوانهم الجزائريين المقيمين بتونس²، ورغم الأزمة المالية الخائقة بعد الحرب العالمية الثانية والتي كان يعيشها الجزائريون والتونسيون على حد سواء³، فقد استجاب هؤلاء لهذا الطلب قدر استطاعتهم ، وكان أهل ماطر من المسارعين لنجدتهم مما حدا بالكاتب العام للجمعية إلى التنويه بعملهم من خلال نشر أسماء المتبرعين⁴، حثا بهم لغيرهم على التبرع ، لكن بالرغم من هاته المساعدة إلا أنها لم تكف مقارنة بالوضع المادي الذي كان يعانيه الطلبة ، فقررت جمعية الطلبة الجزائريين القيام برحلة إلى ربوع القطر الجزائري خلال عطلة المولد النبوي الشريف للسنة الهجرة 1367هـ الموافق لـ 1948م، بعرض إحدى المسرحيات العربية، وقد تم اختيار مسرحية بعنوان طارق بن زياد⁵، لما فيها فيها من المغازي السامية⁶، الشيء الذي ساعد الجمعية على القيام ببعض واجباتها في إعانة إعانة الطلبة الذين كانوا في غالبيتهم العظمى فقراء، باستثناء الطلبة المنحدرين من وادي ميزاب، والذين كان في لهم تنظيمهم الخاص يشرف عليه أحد علماء ميزاب، وميزانيته يمولها بالخصوص التجار الإباضيين، الشيء الذي مكن هؤلاء الطلبة من التعلم في ظروف مقبولة⁷.

ولعل من أبرز ما نهضت به هذه الهيئة في عهد عبد الرحمان شيبان هو الحصول على مدرسة لإسكان الطلبة الجزائريين ، وهي مدرسة نهج الوصفان ، ومقر لهيئتهم بنهج عبد الوهاب وإقامة الذكرى السادسة لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس .

1 - قدر عدد الطلبة الجزائريين سنة 1947م ، بسبع مائة طالب ، كلهم يدرسون في جامع الزيتونة ، تلميذ جزائري ، الجزائر والوحي الزيتوني ، النهضة ، 7 سبتمبر 1947م ، ص4 .
 2 - عمار النجار ، الجزائريون المقيمون بتونس في إعانة الطلبة الجزائريين بتونس ، الزهرة ، 19 فيفري 1948م ، ص1 .
 3 - عمار النجار ، الجزائريون المقيمون بتونس ، المصدر السابق ، ص1 .
 4 - الكرامي القسنطيني ، أزمة ما بعد الحرب أم تأزم إجماعي ، الفقراء بتونس 1949م ، أعمال الندوة الدولية الخامسة حول البلاد التونسية في فترة ما بعد الحرب 1945م - 1950م ، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس 1991م ، ص88 وما يليها .
 5 - قدر المبلغ بمائة وسبعة وعشرون ألف فرنك ، وتعود أصول أغلب المتبرعين من منطقة القبائل ، ومدينة سطيف .
 6 - المسرحية طاقت الشرق الجزائري ، وباعت في قسنطينة صورة لعبد الحميد بن باديس بتسعين ألف فرنك ، وأخرى لمصالي الحاج بثلاثين ألف فرنك ، الأسبوع ، 21 مارس 1948م ، ص7 .
 7 - محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي والفكري ، المرجع السابق ، ص101 .

ثم آلت رئاسة الجمعية في سنة 1947م إلى الشيخ محمد مرازقة ، وأصبح عمار النجار كاتباً عاماً لها ، وخلال هذه الفترة صدرت الثمرة الثانية التي ضمت عدة مقالات أدبية ، وقصائد شعرية ، ومقالات سياسية لبعض الجزائريين من الأساتذة والطلبة وبعض التونسيين من الساسة والشعراء ، وقد أقرت هذه الهيئة الجديدة ما كان موجوداً سابقاً من اللجنة الأدبية واللجنة الخطابية وعملها ونظامها ، ومن مآثرها استحداث مكتبة للطلبة الجزائري بمركز الجمعية التي تبرع بها المحسنون والفضلاء ، إضافة إلى إبراز نشرة الثمرة التي تعتبر الصورة الصادقة لنفوس الطلبة ، والمرآة التي تعكس قيمهم الأدبية ، على أنها قد تكون أعظم وسيلة لأن يجعل إسم هذه الجمعية في الأوساط مشاعاً وعلماً¹ .

وسارت على نفس خطى الهيئة السابقة فقامت بنشر الثمرة الثانية ، ولما غيب الموت الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فكرت في توجيه الدعوة لمصالي الحاج ليبارك عملها بكلمة تشجيع وتوجيه فلبى الدعوة وقدم مقالا لخص فيه " دور الشبيبة المثقفة في تكوين الحركة الوطنية بمغربنا " ودعى الشبيبة للالتحام بالشعب لكي تكون طليعة كفاحه وقوة للأجيال الصاعدة حيث جاء في مقاله بهذا الخصوص " ... فالشبيبة الجزائرية التي ستصبح في مستقبل الزمن نخبة البلاد ، ينبغي لها أن تصنع إدارة كفاحها وهي على مقاعد المدارس والكلليات ، وأن تضرب عرض الحائط بصفة نهائية تلك الأخلاق الفاسدة التي يحاول الاستعمار أن يغذيها به ، فالشبيبة المدرسية وإن كانت عزيزة بثقافتها ، شريفة النفس بما اقتبسته من تاريخ الحضارة العربية يجب عليها زيادة على ذلك أن تكون في طليعة الكفاح الوطني وأن تقود جماهير الشعب إلى حيث الانتصار على الاستعمار وإلى حيث الحرية والاستقلال"².

وفعلاً فقد كان الطلبة كفؤاً بالمسؤولية التي أنيطت بهم ، فهم يتطلعون دائماً إلى غد متحرر يرون فيه الجزائر مستقلة ، حتى لو لم تسمح لهم ظروف البعد عن المشاركة بالسلاح فقد ساهموا بكتاباتهم وخطاباتهم ، ولعل إصدارهم للثمرة الثانية لخير دليل على

¹ - محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي والفكري ، المرجع السابق ، ص 124 .

² - الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص 13 .

خطى شيوخهم ، الذين انطلقوا على أساس مجابهة المستعمر بكل الوسائل في سبيل الحفاظ على هويتهم العربية ومقومات شخصيتهم الإسلامية .

حيث نجد الطلبة وفي مقدمة الثمرة الثانية يستهلونها بكلمة إلى الجزائر جاء فيها مايلي: " ... إلى التي شع عليها بصيص من الأمل ، فاستيقظت ، وهب عليها نسيم الحياة، فانتعشت وتطلعت ، وأنجبت أبناء بررة فعزت وعظمت ، الأمة الجزائرية العربية المسلمة، ... نهدي هذه النشرة المتواضعة عنوانا على بر ووفاء ، وتضحية وولاء¹ .

ولما كانت الأوضاع المادية سيئة جدا للجمعية فما كان عليها إلا التفكير في طريقة تكسب من خلالها ولو جزءا يسيرا من النقود فقامت بتمثيل رواية طاف بها الطلبة العديد من المدن الجزائرية ، وجاء في الثمرة ذكر لهذه المسرحية " ... مثلت الرواية ، وتحصلنا على مبلغ عظيم من المال ، كما تحصلنا على سيء لم يكن في الحساب أن نتحصل عليه وهو إعجاب الأمة بالطالب الزيتوني وعلى مقدرته الفائقة في هذا الميدان ، بعد أن كان الشائع أو ما استقر في الأذهان أن الطالب الزيتوني لا يستطيع أن يعمل إلا فيما أوقف عليه في حياته ، فأصبح بذلك محط الآمال ومطمح الأنظار ، وصارت مساعدتهم ، والالتفاف حوله على مقدار هذا الأمل وعظم الرجاء² .

ولعل ما ميز الثمرة الثانية هو كتابات الطلبة التي أخذت طابعا توعويا وتفهما أكثر لأوضاع السياسة ، وإدراكا للمشاكل الاجتماعية الحادة التي يعانيتها مجتمعهم ، وحسا قوميا عربيا ، فقد تطرق المتدخلون إلى قضية الجزائر ومحنتها ، وطموح أبنائها في الانتقام ، واستعدادهم للمقاومة في إطار قومي عربي مغربي، دون طغيان المؤثرات الإسلامية التي اتسمت بها معظم أعمال الجمعية قبل الأربعينات، فالتوحيد في نظر هؤلاء يعني توحيد الكلمة ، وتوحيد الصفوف ، لتأليف قوة ضاربة حية من أفراد الشعب ، تقوم بما يمليه الواجب تجاه الوطن ، وترعى مصالح البلاد ، وتجمع القلوب على الألفة والتعاون

1 - الثمرة الثانية ، المصدر السابق، ص8 .

2 - الثمرة الثانية ، نفسه ، ص17 .

والوحدة¹، وهذا ما ورد في الكلمة التي ألقاها رئيس الجمعية السيد محمد مرزقة الذي دعا في كلمته إلى الشعب الجزائري إلى مايلي: " ... التوحيد الذي يشمل كل ما يكفل الأمة للألفة والوحدة ، والتعاون على الصالح العام ، ومصالح البلاد ومنافع الوطن والعباد ، من توحيد الكلمة المفرقة ، وتوحيد الغاية المبعثرة ، وتوحيد المنهج الذي نسلكه الآن ، هذا التوحيد الذي أعني وهذا التوحيد الذي أقصد "².

وتطرق الطاهر براهيمية في مقاله (مبلغ الإحساس الوطني) إلى وجوب تأسيس أحزاب وطنية منظمة تنظيما عصريا ، فهي في نظره الأمر الوحيد الكفيل بالنجاح وبلوغ الغايات المراد بلوغها ، وهي التحرير³ .

كما تناول ثابت الأزهري مقال (مسؤولية المجتمع الجزائري) جاء فيه ما يلي :
" ... عظيمة وعبؤها ثقيل ، وخاصة في شعب مستعمر منكوب مثل الجزائر العربية " ، وهو يحصر مسؤولية النهضة في ثلاث طبقات " هم السياسيون والعلماء والتجار ، فكل منهم دور واضح ، فالسياسي بعزيمته الصادقة ، وإرادته القوية ، والعالم بحكمته وشجاعته وأناته، والثري بما له من مال وقدرة على التضحية والافتداء بهذا المال "⁴.

وذهب الشيخ أبا القاسم البيضاءوي إلى الإجابة على سؤال تقدمت به جمعية الطلبة الجزائريين وهو : عما يجب أن يعمل بهم سلموا الشمال الإفريقي؟ ، وهو : لابد من تنبيه العلماء إلى هذا الخلل في لحمة الكفاح ن ويدينهم إدانة صريحة بسبب تهريبهم من أداء الواجب الوطني ، وإلقاء العبء كله على كاهل الشباب الذي ما يزال غصا يافعا، ثم يطرح السؤال : كيف يسوغ أن يذهب الشباب من كل الطبقات إلى السجون والعذاب والموت؟ وينجوا العلماء منه ويخشون ذلك؟، ومع هذا يرون أنفسهم أجل وأعلى من أولئك الأبناء الأبطال بل ذلك الشباب متهورا جاهلا لا حكمة عنده ولا عقل.

1 - محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي والفكري ، المرجع السابق ، ص 129 .

2 - الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص 56 .

3 - الطاهر براهيمية ، مبلغ الإحساس الوطني ، الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص 70 .

4 - ثابت الأزهري ، مسؤولية المجتمع الجزائري ، الثمرة الثانية ، المصدر نفسه ، ص 80 .

يرى الشيخ أبا القاسم أن تحرير الشعوب المستعمرة لا يتحقق إلا بتلاحم وتكاتف جميع طبقات المجتمع بغض النظر عن المستوى الثقافي أو المادي ، فالكل أبناء الوطن وواجب عليهم محاربة ومقاومة المستعمر بالقول والفعل ، دون حصر مسؤولية الكفاح على فئة المجاهدين فقط¹.

ويخلص محمد ابراهيمي إلى أن مبادئ التحرير الأساسية تكمن في القومية العربية أو الوحدة المغربية التي سبق وأن نادى بها الشيخ عبد الحميد بن باديس حيث جاء في مقاله هذه الكلمات : " ... فبذلك أوصى عبد الحميد بن باديس الذي دعى إلى وحدة الشعوب العربية فكانت غاية ما تمناه ، لأنه كان يرى فيها آمالنا العزيزة التي نرجوا أن تحقق على أيديها ، فلا عجب بعدئذ أن نضع فيها ثقتنا القوية رجاء أن تعيد ما اندثر لنا من مدنيات وتجلو ما غمض عنا من تاريخ تراكمت سجلاته ، غشاها الغبار والتراب².

لقد اختلف مضمون الثمرة الثانية كليا عن مضمون الثمرة الأولى ، التي اقتصرنا على تحفيز الطلبة وحثهم على ضرورة العمل الإيجابي ، وتوحيد صفوفها وتقويتها ، دون إعطاء أهمية للعمل السياسي ، وإن كان ذلك ليس بدافع الإهمال ، وإنما بهدف إبعاد الطالب عن المشاكل السياسية ن حتى يتفرغ للدراسة فيرجع إلى بلده مثقفا ، ينفع أمته التي حاولت فرنسا تجهيلها بمختلف الطرق .

أما الثمرة الثانية فكانت جل مواضيعها اجتماعية سياسية ، تهدف إلى إقحام الشعب بأجمعه وبمختلف طبقاته كأنها تنادي بصرخة عالية : يا شعب الجزائر هبوا إلى نصره الجزائر جزائر مجازر الثامن ماي التي راح ضحيتها آلاف الجزائريين .

وهي ثمرة يانعة متنوعة في مذاقها، مختلفة في طعمها ، نقدمها إلى جمهورنا الكريم التواق إلى كل ما ينتجه الشباب المتشوق إلى كل جديد ومبتغى الظامئ إلى الارتقاء من الينابيع الصافية لا من الجداول الكدرة، وإنما كل قصدنا أن نسجل ظواهر الشباب ، وميوله

1 - الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص 88 .

2 - محمد ابراهيمي ، بن باديس ووحدة الشعوب العربية ، الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص 80 .

ونفسياته ، ونشجعه على الإنتاج والإخراج والابتكار والتجديد ، وأي منا يجهل النتائج التي تنتج عن التشجيع ، فأقلام الشباب لا يجودها ويجعلها أخاذة ومبهرة ، إلا التأييد والتشجيع¹ .

كما تضمنت الافتتاحية بقلم الكاتب العام للجمعية أهم مميزات هذا الإنجاز وجاء في هذا الإطار ما يلي : " ... ونشريتنا هذه لم نجعل لها اسما جديدا ، حتى لا نكون جاحدين لعمل من تقدموا من الإخوان منا أو لنحاول قطع الصلة بين من آخاهم ألم ، ووحدهم أمل ، وضمهم وطن وشملهم عمل ، فإذا كان عنوان نشرتنا هذا هو الثمرة الثانية ، فلتوكيد هذه الوحدة ، والاعتراف بتلك الجهود ، على أن هذا لا يمنعنا من أن نعلن ما لهذه الثمرة من مميزات على تقتضيه لفظة (ثانية) ، فلقد تنوعت مواضيعها وكانت صورة عاكسة على الجهود المبذولة والمراحل المقطوعة في سبيل جني هذه الثمرة ، إن لم تكن هي العائدة الأولى الأساسية² ، وكان مضمون الفهرس كما يلي :

- 1 - دور الشبيبة المثقفة بقلم الأستاذ مصالي الحاج .
- 21 - نهضة الجزائر المعاصرة بقلم الأستاذ الحبيب شلبي .
- 37 - عبرة من تاريخنا بقلم الأستاذ محمد الحبيب .
- 40 - ما يجب أن يعمل به بقلم الشيخ أبي القاسم البيضوي .
- 44 - نحن طلاب العزة والكرامة بقلم الأستاذ عمر مالك الليبي .
- 47 - في ذكرى العظيم (قصيدة) للشاعر العبقري محمد زيد .
- 50 - أرى الفجر يسري نحونا (قصيدة) للشاعر الفحل مصطفى خريف .
- 55 - الهجرة وفوائدها بقلم الأديب الألمعي محمود عميار .
- 61 - الشباب الجزائري بقلم الأديب الألمعي محمود عميار .

¹ - الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص 5 .

² - عمار النجار ، الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص 5 .

- 66 - من آثار الهجرة النبوية بقلم الأديب محمد الطيب العلوي .
- 70 - مبلغ الإحساس الوطني في الجزائر بقلم الأديب الطاهر براهيمية¹ .
- 74 - بن باديس ووحدة الشعوب العربية بقلم الأديب محمد إبراهيمي .
- 82 - مسؤولية المجتمع الجزائري بقلم الأديب ثابت الأزهري .
- 85 - الثقافة وأثرها في رقي الأمم بقلم الأديب عبد الحميد التيجاني .
- 88 - نتيجة الصبر والكفاح بقلم الشاب قاسم مولود .
- 93 - آمال الأمة فينا بقلم الشاب النجيب محمد² .

لقد كانت مدة عشر سنوات التي فصلت بين ظهور الثمرة الأولى والثمرة الثانية كافية لتعكس واقع الحياة المعاش في الجزائر ، ومع تطور الأحداث السياسية ، ونضج الطالب فكريا دفع به إلى التفكير في إقحام نفسه سياسيا ، والتفكير في تحرير بلاده وإن لم تسمح له الظروف بالمشاركة على أرض الميدان ، وظلت فكرة الوحدة الوطنية والعربية المغاربية الشغل الشاغل لجميع الطلبة على اختلاف أعمارهم الذين رأو فيها تحقيق الهدف المنشود لأن في الإتحاد قوة ، وتحديا لمقاومة المستعمر³ .

فهذا مولود قاسم تلميذ بالسنة الأولى من التعليم الثانوي الزيتوني يتحدث في مقاله :
 " ... ليلة غدافية الأهاب وحالكة الجلاباب ... ، الأجانب يهاجمون أمة عزلاء ، ويلقون القبض على أميرها الأول ثم أميرها الثاني ثم الثالث ، وقد اتحدت قوى المستعمر مع قوى الخيانة ، ثم ماهي إلا ثورة حتى أتى الشعب على كل شيء ، وحرر نفسه مع قيود الاستعباد، وأطاح بالاستعمار وبالخيانة معا ، وجوزي كل مخلص بالسيادة في وطنه بفضل جهاده ، وسعدت الأمة بحكومتها المستمدة بنفوذها من إرادة الشعب ، وسعدت الحكومة بأمتها المطيعة المنقادة ، واستطاعت الحكومة إذ ذاك أن تلتقط أبناءها الضائعين في مختلف

¹ - الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص6 .

² - الثمرة الثانية ، المصدر نفسه ، ص6 .

³ - محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي والفكري ، المرجع السابق ، ص132 .

المدن، وأن تجدد اتصالاتها القديمة ، وتقوي روابطها الشريفة بتلك الأخوات لها في الدين والدم واللغة والتاريخ والمصيبة والكفاح¹.

إن الصحوه السياسية التي عمت الجزائر خلال هذه الفترة كان لها انعكاس على هذا الشباب الوافد إلى تونس ، وهكذا أصبح فريق من الطلبة النشيطين يقوم بنشر مبادئ حزب الشعب في أوساط الطلبة ، ويدافعون عن أطروحاته بحماس شديد لأن هناك من الطلبة (وهم فئة قليلة) من كانوا ينتمون إلى أحزاب وهيئات أخرى بالجزائر ، وكانت الاحتفالات الدينية أو الوطنية التي تقيمها جمعية الطلبة تفتتح بنشيد " فداء الجزائر " الذي هو النشيد الرسمي لحزب الشعب ، والكلمات التي تلقى من قبل الطلبة خلال هذه الاحتفالات أغلبها يتجه إلى التنويه بما يقوم به مناضلو حزب الشعب من أعمال في إطار المهام التي يكفون بها².

وكانت الجمعية تقوم باتصالات مع الحزب الحر الدستوري وبالجمعيات ذات الطابع الثقافي والسياسي وكانت تتابع عن كثب الأحداث والوقائع اليومية بالجزائر ، فعندما عمد الوالي العام نيجلان بالجزائر إلى تزوير انتخابات المجلس الجزائري التي جرت في شهر أفريل من سنة 1948م ، وألقت السلطات الفرنسية القبض على مرشحي حزب الشعب لهذه الانتخابات سارعت جمعية الطلبة إلى دعوة الأحزاب السياسية ورجال الصحافة والجمعيات الثقافية والرياضية للاجتماع بمقرها لتقديم احتجاج إلى السلطات بالجزائر ، وبفرنسا على هذا التزوير ، وعلى ما ارتكب من مظالم في حق مرشحي حزب الشعب ، وقد نشرت هذا الاحتجاج الصحافة التونسية ، جاء فيه ما يلي : " ... هذا وقد يتبادر إلى الأذهان أننا كنا حزبيين بالمفهوم الشائع لهذه الكلمة ، وفي الحقيقة كنا وطنيين والوطنية في مفهوم الشباب آنذاك ، هي العمل بكل الوسائل على تحرير الوطن ، ومن هنا كنا نساعد وبلا تحفظ كل من يعمل في هذا الاتجاه ونرفض التعامل مع أي حزب أو هيئة تهادن الاستعمار وتلاينه أو

¹ - مولود قاسم ، نتيجة الصبر والكفاح ، الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص 88 .
² - خير الدين شترة ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة ، المرجع السابق ، ص 868 .

تقتصر في عملها على مطالب محددة والعمل السياسي كما كان يسمى ، الذي كنا نقوم به لم ينسنا دراستنا حيث كنا نولي الاهتمام نفسه للميدان الثقافي والأدبي "1 .

ثانيا: تذبذب أحوال جمعية الطلبة الجزائريين وظهور جمعية البعثة الزيتونية :

علمت الجزائر ما آلت إليه حالة الطلبة الجزائريين الزيتونيين بسبب استيلاء إحدى الأيادي الغادرة عن الجمعية بعدما بنثت فيها أفكارا شيطانية و غدت آلة من آلات الشر، ومادة تصد الطلبة عن الاشتغال بمهمتهم والاستجابة لنداء الواجب والفضيلة، وعقبة كأداء في سبيل كل طالب جزائري يريد تجنيد قواه لعلم الذي هاجر من أجله، وهو ما جعل جمعية العلماء المسلمين توفد أحد أعضائها في شهر نوفمبر إلى تونس وهو الشيخ الأستاذ العربي التبسي قصد معالجة الحالة وإرجاع الجمعية إلى سبيلها القديم وتوجيها الوجهة القويمة، لكن أبت إلا أن تتخذ الموقف المشين أمام الشيخ العربي التبسي²، و أن تنفذ إلا أوامر تلك اليد المستولية عليها قصد محاربة العلم باسم العلم مما جعلها ترفض كل اقتراح قدمه إليها الشيخ التبسي مهما كان معقولا و منطقيا.

و أعلنت أنها تصاممت عن سماع الحق فأعلنت بكل وقاحة رفضها التام لكل اقتراح يقدم إليها وهنا قامت جماعة من عقلاء الطلبة بحركة الانفصال عن هذه العصابة الساخرة و نشأت - بين عشية وضحاها- جمعية البعثة الجزائرية الزيتونية لجمعية العلماء فتنفصل الطلبة لها , وجعلت من شعارها " الهجرة إلى العلم" وارتبطت في تونس بعلمين من أعلام الزيتونة العامرة هما الأستاذان الجليلان الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي , مراقب الجمعية والشيخ محمد الفاضل بن عاشور مرشدا لها, كل ذلك رغبة منها في الهداية والتوفيق مما جعل كافة الأوساط العلمية الجزائرية والتونسية ترحب بها و تعلق عليها آمالا كبيرة³.

1 - أبو القاسم سعد الله ، خارج السرب ،المرجع السابق ، صص1038 - 1039 .
 2 - فلقد طلب إليها أن تكذب ما كانت أذاعته عن المعهد على لسان الجرائد من أخبار كاذبة لا تمت إلى الحقيقة بأي صلة، وطلب منها كذلك أن تبعد تلك البلبلة التي نشأ على يدها الخلاف القائم بين صفوف الطلبة والعمل على ترشيح نخبة من الطلبة الأكفاء الصالحين يتكون منهم المجلس الإداري لجمعية الطلبة لسنة 48-49 وكان ردها كما تقدم.
 3 - البصائر ع 79، 11 رجب 1368 هـ/ الموافق لـ 9 ماي 1949م، ص 2.

وثارت ثائرة جمعية الطلبة الزيتونيين فأخذت تعمل على إحباط كل عمل تقوم به جمعية البعثة, مستعملة كل الوسائل الخفية والعلنية للقضاء عليها, كما قاموا بالتعرض إليها بالتهديدات الشفوية والكتابية¹.

أ- جمعية البعثة الزيتونية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

تأسست هذه الجمعية المباركة تحت رعاية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقد كان تأسيسها لازما لما كانت تعيشه الأماسة الطالبية وتعيشه من ظروف حرجة, تضيع فيها القيم المعنوية وتهمل فيها الاعتبارات الأدبية الخالصة, ولهذا رأت هذه الفئة المختارة تأسيس هذه الجمعية حتى تكون منارا للتلاميذ الذين لم تفسدهم سفاسف الأمور ولم تخالط عقولهم دنايا الأغراض, مما قد يؤدي بالتلميذ إلى أن يحيد عن خطته الأصلية وهي التعلم والاجتهاد فيه, فمن أغراضها إذن العمل على توجيه الطالب الجزائري توجيهها ثقافيا بحثا خالصا من الشوائب التي أصابت صفوف الطلبة والتي تعتبر دخيلة في الحياة الدراسية لأن التوجيه الأدبي المحض هو الذي ينقصنا وهو الذي نريد أن ينتشر ويذيع, هذا التوجيه الثقافي الذي غفلت عنه العقول ونسجت حوله ستائر السواد وبعثته إلى كثير من النفوس فوصفوه بالنقص في الشعور وضعف في الإيمان. من هنا يتضح لنا أن إنشاء هذه الجمعية ضرورة حتمية لا محيد عنها, في مثل هذه الظروف التي انطمست فيها معالم الثقافة.

وقد ذهب وفد منها لمقابلة العلامة الأكبر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مدير الجامع الأعظم وفروعه وعرضت عليه الرئاسة الشرفية مع تقديمها لنسخة من قانونها الأساسي فقبل الرئاسة الشرفية².

وتركب مجلسها الإداري من الأعضاء التالية:

- رابح بن محمد بونار: رئيسا لها.
- عبد الحميد حمادوش : نائبه.

¹ - البصائر، المصدر السابق، ص 2.

² -Abdel moula (h)op cit,p203.

- محمد إبراهيمي: كاتب عام.
- شريف الحسنی: نائبه.
- عبد المجید الشریف: أمين مال.
- محمد ميغازي : نائبه.
- الصغير قارة: مراقب أول.
- حسين مغلوي : مراقب ثاني.
- العربي الشريف: مراقب ثالث.
- الطاهر وادي : مراقب رابع.

بشنون سليمان, عمر حمياني, عبد الرحمن نوار, السعدي, بوزينة, أعضاء مستشارون¹. وبقيت هذه الهيئة الإدارية في إطار العمل إلى غاية مطلع سنة 1950 حيث تم تجديد المكتب بطاقم جديد ترأسه العنصر الاستشاري السابق شنون سليمان قبل حصوله على شهادة التحصيل في ذات السنة، كما شغل في نفس الوقت منصب ممثل جمعية العلماء وهمزة وصل بينها وبين طلبة البعثة، وقد رغبه رئيس الجمعية أن يبقى ممثلاً لجمعية العلماء في تونس ضمن طلبة الجامع، لكنه فضل العودة إلى الوطن².

وفي مطلع السنة الدراسية (1950- 1951)، جرت انتخابات لتحديد المكتب وانبثقت عنها هيئة جديدة ترأسها الطالب أحمد بوعرزج، وعن ذلك يقول أبو القاسم سعد الله: ... تولى جمعية البعثة قبل أن تؤول إليّ، هو الأخ أحمد بوعروج، ولا أذكر الآن كم بقي علي في مهمته وقد بقي مقر جمعية الطلبة الواقع في نهج جامع الهواء هو نفسه مقر جمعية البعثة لأن العلماء هم الذين كانوا يدفعون كراء المحل للسيد علال التونسي، وعندما أكمل الأخ بوعروج دراسته ترك مقاليد جمعية البعثة في يدي مؤقتاً، رغم أنني لم أكن

¹ - إبراهيمي محمد، جمعية البعثة الزيتونية لجمعية العلماء، البصائر، ع 76، 20 جمادى الثانية 1368 هـ/ 18 أبريل 1949م، ص 2.

² - فضلاء محمد الحسن، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، ج3، دار الأمة، الجزائر، 1999، ص 338.

محسوبا على الطلبة النشطين في الحياة الطلابية عموما، ولا أدري لماذا وقع علي الاختيار رغم أنني لم أشارك في التنافس الطلابي الذي وصل حد التضارب أحيانا¹.

وبعد تخرج بوعروج في جوان 1950، كان أعضاء جمعية البعثة مضطرون إلى تجديد المكتب في انتظار بداية الموسم الدراسي (1950-1951)، وانبثق عن انتخابات التجديد تكليف الطالب أبو القاسم سعد الله برئاسة الجمعية وهذا بعد تزكية من طرف رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ العربي التبسي رغم الاعتذارات المتكررة لأبي القاسم سعد الله عن عدم قبول المسؤولية، إلا أنه ظل مسئولاً إلى غاية تخرجه عام 1954 ويقول عن ذلك: " وعلى كل حال فإن الشيخ العربي التبسي مدير معهد بن باديس، ونائب رئيس الجمعية هو الطي ثبتني برسالة رسمية باسم جمعية العلماء على رأس جمعية البعثة، وقد تمنعت وأرسلت له رسالة اعتذار عن قبول المسؤولية ولكن أصر وأعاد تثبيتي في رسالة أخرى... وبعد تخرجي غادرت تونس وتركت مهمة جمعية البعثة في يد الأخ محمد دريدي التي دامت سنتين.

إن سنوات التي تلت سنة 1950 كانت لصالح لجنة الطالب الزيتونية وهي حركة قادتها طليعة من الطلبة الزيتونيين، وانضم إليها بعض الطلبة الجزائريين، وعرفت الزيتونة خلالها حملة من الإضرابات والاعتصامات والمسيرات وأدى تعطل الدروس إلى سفر الجزائريين المتكرر وأثر ذلك سلبا على نشاط جمعية البعثة².

زيادة على الأغراض التي أنشأت لأجلها البعثة الزيتونية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لاهتمامات أخرى ترفه عن الطلبة وتفيدهم في الوقت ذاته فقد كان لها عمل جليل له قيمته وأهميته في الأطوار الدراسية التي يجتازها التلميذ من ناحيته الصحية وهي الرياضة البدنية حيث رأت أن تؤلف لجنة رياضية للعب كرة القدم مساء يوم الخميس من كل أسبوع فكونتها مسابرة لما تقتضيه التربية الحديثة الصحيحة ويقره المنطق و ذلك رغبة منها في تقوية بدن التلميذ , سيتقوى على العمل وتنشيط أعضائه وإراحة فكره بعد إجهاد

¹ - مراسلة من الأستاذ أبو القاسم سعد الله، خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 1223.

² - نفسه، ص 123.

الدراسة الأسبوعية له ليستريح ويستجم, وهل العقل السليم إلا في الجسم السليم كما قيل وستنجز هذه الحركة الرياضية متدرجة من حسن إلى أحسن حتى تحقق ما يرجى منها في مستقبل الأيام.

ب- المسابقات الكتابية:

إلى جانب ما تقدم فقد اهتمت جمعية البعثة سعياً منها في الإقبال على الأدب إلى إجراء مسابقات كتابية تقرت بجوائز من الكتب الأدبية تشجيعاً لهم على خوض الميدان الأدبي و إثارة لروح التنافس المحمودة في هذا الجانب الهام من جوانبهم الدراسية و قد افتتحت هذه المسابقات في ظرف هذه السنة للمتشحين لشهادة الأهلية الذين هم في حاجة إلى بذل عناية خاصة وتلامذة التعليم الثانوي بأقسامه الثلاثة على نية تعميم مثل هذه المسابقات في مستقبل حياتها¹, والعمل على إجراء مسابقات أخرى في ميادين مختلفة لإفادة الطلبة وملئ فراغاتهم و إن كانت قليلة لما يعود عليهم بالنفع الإيجابي للمزيد من التحصيل العلمي والتنقيفي².

وقد وردت عبارات الشكر من أعضاء جمعية البعثة على جريدة البصائر وبقلم رئيسها رابح بن محمد بونار كما يلي: " هذا ولا ننسى زوارنا الكرام الذين كانوا يشرفوننا بزياراتهم الودادية في مقدمتهم أساتذة الزيتونة العامرة وكذلك مواطنونا الكرام الذين كانوا ينشطون لزيارتنا كلما وفد احدهم على تونس الشقيقة فإلى جميعهم شكرنا وتقديرنا"³.

وكانت الجمعية بثت إعلاناتها عن إجراء أي مسابقة في جريدة البصائر بعنوان: إلى الزيتونيين الجزائريين, وفيما يلي عينة من إحدى إعلاناتها:

تعلن جمعية البعثة الجزائرية الزيتونية عن مباراة كتابية أدبية.

للتلامذة الجزائريين من أصل السنة الرابعة ابتدائي

1 - البصائر، العدد 120، سنة 1950م، ص 7.

2 - نفسه.

3 - نفسه.

الموضوع (ملك في الحياة)

- (1) ما تأمل أن تكون في مستقبل حياتك.
- (2) كيف تسعى لتحقيق هذا الأمل.
- (3) أذكر أهم الوسائل التي ترجو أن توصلك إلى غايتك.
- (4) هل ترض بهذه الغاية.

الجوائز كتب أدبية توزع على الفائزين الثلاثة على ترتيب الدرجات حسب المتفوق في العدد و آخر أجل لقبول المواضيع يوم 5 أفريل 1950م, ويشرف على التصحيح بعض أساتذة الأدب بجامع الزيتونة المعمور¹.

ج- حماية جمعية العلماء المسلمين لجمعية البعثة الزيتونية :

كما سبق الحديث أن جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين تفننت في محاربتها لجمعية البعثة الزيتونية وفي العديد من المرات أفسدوا اجتماعاتها بإحداثهم للفتن ونصبهم لها مكائد مأكرة بدعوا فيها.

وفي الوقت ذاته لا تزال جمعية العلماء خير مناصر ومشجع لجمعية البعثة باعتبارها الهيئة الوحيدة الصالحة لتمثيل الطالب الحقيقي الجزائري بمهجره العلمي, فقد قدمت لها ما في إمكانها من المساعدات المادية والأدبية لتتمكن على أداء مهمتها التوجيهية السامية على الوجه الأتم².

ففي أواخر شهر ماي من سنة 1949م, اتصلت جمعية العلماء برسالة من جمعية البعثة تطلب فيها أن توفد إليها بعض أفرادها للمشاركة في الحفلة التي عازمت على إقامتها بمناسبة الذكرى التاسعة لفقيد الجزائر العظيم الشيخ عبد الحميد بن باديس, فلبت جمعية العلماء رغبة أبنائها البررة, و أرسلت ثلاثة من أساتذة المعهد الباديسي, وما إن تسامعت

¹ - البصائر، العدد 113 و سنة 1950م، ص 7.

² - L'étoile Algérienne ، Nos étudiants ، 1949 – 1950 .

العصابة المسماة بجمعية الطلبة بقدوم الأساتذة حتى أخذت تسمم الجو بما تذيع من الأقاويل والأراجيف وبما تنشر من الإرهاب بين صفوف الطلبة، ووصل الأمر بالمجرمين إلى القيام بأعمال مخزية وحوادث إجرامية لم تعهد بين صفوف الطلبة من قبل و فيما يلي بيان تلك الأعمال الناقمة:

بينما جمعية البعثة تحتفل بضيوف أساتذة المعهد الباديسي في اجتماع خاص عقده بمحل خاص هو نادي الإتحاد المسرحي إذا بعصابة مسلحة مؤلفة من جمعية الطلبة , وآخرين من العوام تهاجم النادي , تريد الدخول إلى غرفة الاجتماع قصد التشويش والإفساد – لولا أن الله سلم- حيث كان عند الباب عدد من شباب البعثة تصدوا لرد هجمات المهاجمين، وتمكنوا من الحيلولة دونهم ودون الوصول إلى ما يصبون من أغراض إجرامية كبرى, حيث أسفرت في النهاية حركة المجرمين إلى جرحى من الطرفين¹, وتواصل الاعتداء في الليلة الموالية على عدد من أعضاء البعثة منهم الكاتب العام والمراقب العام أدى إلى وقوع جرحى من الجانبين, وهنا أدركت جمعية البعثة أن جمعية الطلبة مقدمة على أعمال إجرامية تحريضية من قبل يد أجنبية ماكرة مشهود لها بمحاربة العلم والعلماء, وأمام هذه البلبلة سارعت مختلف الشخصيات والهيئات التونسية للتدخل والاتفاق بغية القضاء على هذه المشاغبات التي يثيرها أولئك المجرمون بتسترهم بقناع الطالب الذي كان دوما مثالا طاهرا لحملة العلم, بعدما أصابهم من عمى في أبصارهم فأصبحوا أداة لتحقيق نوايا أعداء العروبة والإسلام, وقد نجح الوفد في مساعيه الرامية لتوقيف سير الحوادث بين الطلبة إلى حد كبير².

وبعد هذا العمل الإجرامي نالت الأعمال المشينة التي ساقتها هذه الأعضاء الإجرامية³ التي تخللت جسد جمعية الطلبة كداء ينخر هيكلها, حيث تمثل العمل المشين

¹ - الأمر الذي أدى بإثارة الخجل والقلق إلى مصير الطلبة بتونس بعدما أصبح دور جمعية الطلبة تحريض أتباعها و أمرهم بترك التعليم الذي هو هدف هجرتهم وسفرهم، والقضاء على جمعية البعثة ومحاربتها.

² - البصائر، 11 رجب 1368هـ/ 9 ماي 1949م، ع 79، ص 2.

³ - وفد يرأسه كبير مزغنة متزعم الحركة المصالية في الجزائر، ومعه الأمين بن هادي العضو بالمجلس الجزائري، والباش عادل بالخروب الذي أرتقى أخيرا إلى رتبة قاض جزاءا على خدمته للحركة المصالية كأحد أعضائها المخلصين ومعهما بودة ، و حامد روابحية، ومن اصطحبهم من الأوباش الماجورين الذين سلطوهم على الطلبة فأمعنوا فيهم بالضرب والشتم وإحداث القلاقل في صفوفهم.

الأول التي قامت به في الموقف المخزي إزاء الشيخ خير الدين أمين مال جمعية العلماء المسلمين خلال زيارته في صائفة 1948م، والموقف الثاني الذي اتخذته مع الشيخ العربي التبسي وهاهي تفوق الموقفين السابقين باللؤم والإثم نحو أساتذة المعهد، " ونحن لهذا لا يسعنا إلا أن نحمل هذه العصابة المجرمة التي تسمى نفسها جمعية الطلبة مسؤولية جميع الحوادث التي وقعت لأبنائنا الطلبة ونشارك معها في المسؤولية تلك اليد الخفية الأثيمة التي تحركها والتي تدعي، مقاومة الاستعمار كذبا وزورا وهي في الحقيقة من أكبر أعوانه على مقاومة العلم والدين و لما عجزت عن ذلك في الجزائر أرادت ستر عجزها بعقد رحلات متوالية و تأليف وفود الشر إلى تونس بقصد صرف الطلبة عما هاجروا إليه من طلب العلم والإنكباب على التحصيل ، ولكنها ما باءت إلا بالفشل الذريع لحركتها الهدامة و إعلانها عن إفلاسها السياسي في قضية الجزائر التي أعانت عليها الاستعمار بسلوكها وجعلها.

وهذا أن وفد جمعية العلماء إلى تونس ليأسف كامل الأسف لهذه الحوادث المؤلمة والشاذة ، ويدعو عقلاء الأمة الجزائرية لاتخاذ الوسائل الحاسمة لتطهير صفوف التلامذة من هذه الجرائم الوبئة، وتلفت أنظار أولياء التلاميذ إلى العمل على إبعاد أبنائهم عن هؤلاء الأشرار الذين يحاولون باسم الوطنية إفساد الطلبة تنفيذا لخطتهم المرسومة وتحقيقا لرغباتهم المذمومة المقنعة بقناع يعزر العواطف النبيلة، ويلهب المشاعر ألا وهو الدعوة إلى الحرية والاستقلال. وختاما نسأل الله تعالى أن يصبر أمتنا الجزائرية فيريها الحق حقا و يرزقها إتباعه ويريها الباطل باطلا ويرزقها اجتنابه¹.

د- الخلافات الطلابية :

كانت مدينة تونس تعج بمئات الطلبة الجزائريين من مختلف أنحاء البلاد ، خاصة من الشرق الجزائري ، وكان الأغلبية منهم يدرسون في الزيتونة ، والأقلية القليلة جدا يدرسون بالثانويات العصرية كالصادقية والعلوية و ثانوية كارنو و ثانوية شارل ، وينقسمون من الناحية السياسية إلى اتجاهين اثنين أساسيين ، ينضويان تحت جمعيتين وهما : الاتجاه

¹ - نص البيان الذي أورده وفد جمعية العلماء إلى تونس، بقلم العباس النعيمي، عبد الرحمن شيبان، البصائر ، العدد السابق، ص 2.

الأول تابع لجمعية البعثة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، والمنطوقون تحتها إلا بعض الطلبة ، ومن رؤسائها محمد كسوري الذي انتقل إلى مصر في بعثة ، وأخوه حمزة كسوري الذي تحصل على شهادة التحصيل ، وعاد إلى الجزائر ، وشارك في ثورة التحرير المباركة ، وكان مقر الجمعية في رحبة الغنم ، أو ما يسمى بمعقل الزعيم¹.

الاتجاه الثاني : ينضوي تحت جمعية الطلبة الجزائريين التابعة لحزب الشعب المنحل منذ عام 1939م ، وهي الأغلبية الساحقة ، ومقر هذه الجمعية يقع في 29 مكرر نهج الجرمان بالقرب من الجامع الحنفي ، وسوق العصر وباب الجريد ، ومن بين رؤسائها عبد الحميد مهري - قاسم رزيق - عبد الحميد بن هدوقة - الجنيد خليفة - عيسى مسعودي ، ومن ضمن إطارات هذه الجمعية النشطين : علي جغاب - عبد القادر الشيلالي - رشيد سحلي - الطاهر عمراوي - محمد فارح - إبراهيم زعبوب - أحمد فريحة - قاسم قرطال - أحمد الشريف - عبد القادر السائحي ... أغلب منخرطي جمعية الطلبة كانوا مهيكليين في خلايا صغيرة تابعة لحزب حركة إنتصار الحريات الديمقراطية ، وكل طالب يدفع مائتي فرنك شهريا ، وتعد هذه الخلايا إجتماعاتها كل شهر ، ويحضر مراقبون للحزب مرة على مرة للإضطلاع على سير هذه الخلايا وأنشطتها ، ولتبليغ المعلومات والأخبار الجديدة ومن ضمن المسؤولين على الخلية علي بيوض الذي كان يتابع الدراسة بالسماع فقط ، وثقافته فرنسية ، وهو شبه متفرغ لعمل الحزب ، وشديد الحماس له².

ففي شهر ماي سنة 1947م ، قدم وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى تونس باستدعاء من جمعية البعثة الجزائرية للمشاركة في الإحتفال الخاص بإحياء ذكرى وفاة العلامة عبد الحميد بن باديس ، حيث خططت جماعة إفساد الحفل ، ووقعت حوادث مؤلمة بين الطلبة الجزائريين ، فقامت البصائر بطلب بيان لكشف الحوادث من أعضاء الوفد ، وورد في إفتتاحية العدد 79 من الجريدة ذاتها ذكر الدوافع والأسباب التي أدت بعدد

¹ - يحيى بوعزيز ، رحلة في فضاء العمر ، المرجع السابق ، ص 177 .

² - يذكر يحيى بوعزيز الطالب الزيتوني أنه كان مهيكلي تحت خلية علي بيوض ، الرجل الوطني الذي كانت له جريدة تصل غلى تونس وتباع بسرعة ، حيث عرف هذا الرجل بالمواظبة في خدمة الحزب رغم أنه كان فقيرا جدا ، للمزيد ينظر ، يحيى بوعزيز ، المرجع نفسه .

من الطلبة الجزائريين المحسوبين على الجناح المصالي بإفساد حفل جمعية البعثة ومضايقة وفد الشيوخ الثلاثة¹ : " ... تحركت هذه الشرذمة المفسدة من الجزائر إلى تونس ، وفي وفد يرأسه كبيرهم مزغنة متزعم الحركة المصالية في الجزائر ومعه الأمين بن الهادي العضو بالمجلس الجزائري ، والباش عادل بلخروب الذي ارتقى أخيرا إلى رتبة قاضي جزاء على خدمته للحركة المصالية كأحد أعضائها المخلصين ومعهما بودة وحامد روابحية² ، ومن إستصحبوهم من الأوباش المأجورين الذين سلطوهم على الطلبة فأمعنوا فيهم بالضرب والشتم وإحداث القلائل في صفوفهم³ .

ونعتت الجريدة هاته الفئة بالموالات إلى الاستعمار ، والتستر بستار الوطنية وجاء في هذا الشأن مايلي : " ... يدعي هؤلاء مقاومة الاستعمار كذبا وزورا ، ولكنهم في الحقيقة من أكبر أعوانه على مقاومة العلم والدين ، ولما عجزوا عن ذلك في الجزائر أرادوا ستر عجزهم بعقد رحلات متوالية ، وتأليف وفود الشر إلى تونس ، بقصد صرف الطلبة عما هاجروا إليه من طلب العلم والإنكباب على التحصيل ، ولكنهم ما باؤوا من هذا كله إلا بالفشل الذريع لحركتهم الهدامة ، وإعلانهم عن إفلاسهم السياسي في قضية الجزائر ، التي أعانوا عليها الإستعمار بسلوكهم وجهلهم ، والبصائر تحتج على أعمال هؤلاء المفسدين ، وتحملهم مسؤولية ما حدث بين الطلبة الجزائريين في تونس ، وتحذر الرأي العام بالجزائر وتونس من هذه الطائفة المتظاهرة بالوطنية ، وهي آلة في يد الاستعمار يهدم بها الحركات القائمة النافعة من دينية ، وثقافية ، وسياسية في هذا الوطن⁴ .

أما عن البيان الذي طلبت الجريدة أعضاء الوفد(2) موافاته بها بخصوص حيثيات الموضوع فكان كالتالي :

الأمة الجزائرية على علم مما آلت إليه حالة الطلبة الجزائريين الزيتونيين بسبب استيلاء يد أجنبية على العلم وعلى جمعيتهم ، التي كانت حرة تسير طبق ما تريد الكرامة

¹ - اقتحام بعض الطلبة الموالين لحزب الشعب ، موقع الاحتفال بالقوة ومهددين بإيذاء وفد الجمعية بتونس ، أسوة بما فعلوه السنة الماضية بالشيخ العربي التبسي .

² - البصائر، ع79 ، 9 جوان 1949م ، ص 1 .

³ - البصائر ، نفسه .

⁴ - نفسه .

العلمية وحسب ما تقتضي وضعية التلميذ المهاجر ، وغدت بعد أن استبعدت من قبل تلك اليد عن العلم - آلة من آلات الشر - ، ومادة لصد الطلبة عن الانشغال بمهمتهم ، والاستجابة لنداء الواجب والفضيلة ، وهو ماجعل جمعية العلماء القائمة بنشر التعليم العربي الإسلامي بهذه الديار توفد في شهر نوفمبر الماضي ، نائب رئيسها حضرة الأستاذ الشيخ العربي التبسي إلى تونس قصد معالجة الحالة ... ، ولقد اتخذت جمعية الطلبة موقفا إزاء قضية الشيخ ، وطلب المجلس الإداري للجمعية سنة 1948م - 1949م ونتيجة لعجز الشيخ التوفيق بين الجناحين المتنافرين فكرة انفصال بعثة جمعية العلماء المسلمين عن جمعية الطلبة الزيتونيين وجاء في هذا الخصوص ما يلي : " ... وهنا لا نستغرب إذا ما قامت جماعة من عقلاء الطلبة بحركة الانفصال عن هذه العصابة المسخرة ، فتفاءل الناس خيرا بهذه الجمعية الميمونة التي جعلت شعارها - الهجرة إلى العلم - ، وربطت نفسها هنا بالجزائر بهيئة علمية رشيدة مرشدة هي جمعية العلماء ، وارتبطت هناك بتونس بعلمين من أعلام الزيتونة هما الأستاذان الجليلان الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي مراقب الجمعية ، والشيخ الفاضل بن عاشور مرشدها ، كل ذلك رغبة منها في الهداية والتوفيق مما جعل كافة الأوساط العلمية الجزائرية التونسية ترحب بها وتعلق عليها آمالا كبيرة ، وأما تلك الهيئة التي تسمى نفسها جمعية الطلبة فلم يرقها إبراز جمعية البعثة ، مستعملة في ذلك كل الوسائل الخفية والعلنية للقضاء عليها ، فكم مرة اعترضت سبيل أعضاء جمعية البعثة بالتهديد الشفهي تارة والكتاب تارة أخرى ؟ وكم مرة أفسدوا عليها اجتماعاتها بما يحدثون من فتن وما ينصبون من مكائد مأكرة برعوا فيها¹ .

¹ - البصائر ، المصدر السابق ، ص 2 .

ثالثاً: نشاط الجمعية سنوات الخمسينات :

تميز نشاط الجمعية بدءاً من سنة 1948م وإلى غاية سنة 1949م بتردي النضال الطلابي لما أصابه من ارتخاء وانكماش ، فأصبحت أصداء الجمعية تظهر واهنة في الصحافة وعلى استحياء ، وتأثرت تأثراً واضحاً بانكماش حركة الإصلاح ، حيث دب بين أعضائها الخلاف¹، وتكتل البادسيون ومن تأثروا بجمعية العلماء في بعثة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، واستقل مؤيدوا حركة الانتصار بجمعية الطلبة الجزائريين ، وجمع طلبة وادي ميزاب الانتماء إلى المذهب الإباضي² ، ويبدو أن الانقسام والاختلاف بين توجه جمعية العلماء ونظيره حركة الانتصار قد بلغ حداً كان لا بد من تدخل العقلاء فيه من الجالية الجزائرية بتونس لإصلاح ذات البين ، وفعلاً صدرت دعوة موقعة من التنظيمين للكف عن الخلاف ، لأن التآخي الوطني والرابطة العلمية لا يقضيان على كل تلميذ جزائري أن يترفع عن كل ما من شأنه أن يصدع وحدتنا ، وينال من أخوتنا ، وإن هجرتنا المباركة لتوجب علينا أن نتماسك ، ونتعاضد في كل أعمالنا ، وأن نبذل كل ما في الوسع لتحقيق الغاية الشريفة التي هاجرنا من أجلها³ .

كما دعى أحمد توفيق المدني دعوة صادقة لترك الخلافات الحزبية والاهتمام في هذه المرحلة بتحصيل العلم فقط ، لحاجة الأمة إلى ذلك⁴ ، وحتى هذه الدعوة لم تجد أذان صاغية في وقت كانت فيه الدعوة إلى الإتحاد عملة رائجة في الجزائر⁵ .

وخلال هذه الفترة لا نكاد نعرف الكثير عن أحوال الجمعية ولا عن أسماء أعضاء الهيئات الجديدة التي ساهمت في إدارة نشاطها ، ولم يبق لها من ذلك الإشعاع الذي كانت تحاول الصحافة إبرازه وتأييده إلا بصيص ضئيل كان يدلنا من حين لآخر على أسماء بعض قادتها ، مثلما عرفنا على سبيل المثال أن كتابتها العامة آلت في سنة 1949م إلى

¹ - محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي والفكري ، المرجع السابق ، ص 134 .

² - براهيم بلوزاع ، كتابات الجزائريين في الصحافة التونسية ، المرجع السابق ، ص 41 .

³ - نداء إلى الطلبة الجزائريين الزيتونيين ، الزهرة ، 20 أبريل 1948م ، ص 2 .

⁴ - م . ع ، جمعية العلماء ، الأسبوع ، 2 أبريل 1952م ، ص 6 .

⁵ - Henri Alleg (s.d) ، La guerre d'algerie ، T1 ، ed ، temps ، Paris ، 1981 ، p326 .

الطالب الطاهر حميدات الذي نشرت له جريدة الأسبوع ، مقالا يحيي فيه ذكرى الأمير عبد القادر ، ويشير في آخره إلى أنه الكاتب العام لهذه الجمعية¹ .

وفي سنة 1951م نرى الجمعية تصحوا لبعض الشيء من غفوتها ، فتقيم حفلا شرفيا للمتخرجين في تلك السنة ، حيث ورد في إحدى صفحات جريدة الصباح، وصفا لوقائع الحفل الذي أقيم خصيصا من أجل الطلبة الذين أحرزوا على شهادتي الأهلية والتحصيل ، وفيه إشارة للكلمة التي ألقاها ممثل الجمعية ، وهو يوصي العائدين إلى الوطن بما يجب عليه القيام به في أوساط مجتمعاتهم الجزائرية من العمل والإرشاد ، فقد ذكرت الجريدة أن جمعية الطلبة الجزائريين قد أقامت حفلة شاي في المدرسة السليمانية ، على الساعة الرابعة مساء ، يوم 31 أكتوبر 1951م ، وقد حضر الحفل جمع غفير من الطلبة ، كما حضرته بعض الشخصيات التونسية والجزائرية المدعويين من قبل الجمعية ، وقام ممثل الجمعية فألقى كلمة ترحيبية ، وتقدم بتهاني الجمعية الحارة الحائزين على التحصيل والأهلية ، وثنم لهم تلك الجهود التي بذلوها ، وما يجب عليهم نحو شعبهم ، وأن يوجهوا عنايتهم ، إلى تحطيم أركان التالوث (الفقر ، الجهل ، المرض)² .

ولم تلبث الجمعية أن استعادت حيويتها سنة 1953م ، بعدما أدرك القائمون بها سوء الحالة النفسية والمعنوية التي أصبح يعاني منها الطلبة الجزائريون ، وغياب نفوذ الجمعية وتقلص نشاطها ، وفتور اهتمامها بتنفيذ الواجبات المناطة بعهدتها ، فعقدت لهذه الغاية اجتماعا يوم 18 ديسمبر 1953م، وخصصته للنظر في تجديد مكتبها الإداري ، وضرورة النظر في الحالة المزرية التي يعيشها الطالب الجزائري ، ووضعت برنامج عمل للخروج من المشاكل المادية والمعنوية التي ينحدر إليها المستوى الغير اللائق بسمعة التلميذ الجزائري .

1 - الطاهر حميدات ، في ذكرى الأمير عبد القادر ، الأسبوع 8 أوت 1949م ، ص 2 .

2 - الصباح ، 3 نوفمبر 1951م ، ص 3 .

أما عن المكتب الإداري فقد دلت إحدى الرسائل لأحد الطلبة المخبرين الذين كانوا ينقلون أخبار الجمعية إلى الإدارة الاستعمارية على تشكيل المكتب الإداري المتكون من الأعضاء التالية أسماؤهم:

- رئيس المكتب: قاسم رويزق (الساكن ببسكرة).
- نائب الرئيس: اخفارة محمد الصالح (الساكن بقسنطينة).
- أمين المال: معروف محمد (الساكن بالسحاولة بالجزائر العاصمة).
- نائب أمين المال: بوصبيعات الساكن بالعاصمة.
- الكاتب العام: عبد الحميد بن هدوثة.
- نائب الكاتب العام: بن رابح علي من نواحي الصحراء.
- المراقب العام: علي كافي يقطن بالحروش (يقول عنه الطالب المخبر: هذا بلغ أمره إلى السيد الكولونيل بأنه كان قد حكم عليه بعشرين عاما سجنا وهو الآن يقطن بالمدرسة التوفيقية في جامع الهواء).

والأعضاء المستشارين هم:

- سحري رشيد: يسكن بحمام المسخوطين.
 - وعبد القادر (عنوان سكنه غير واضح في الوثيقة).
- ويختم رسالته التي كانت قد بعث بها إلى السيد أ.ب. الذي يعتبر كهزمة وصل بينه وبين السيد الكولونيل بالعبارة التالية: وهذا ما أقوله لكم الآن وفي المستقبل سأتيكم بأخبار جديدة والسلام من صديقكم المعروف بسعدان والسلام¹.

¹ - الرسالة حررت في يوم 7 فيفري 1953، استهلها صاحبها بالكلمات التالية: سعادة المغفال الكريم السيد أ.ب. أنبئكم بأن رسالتكم الشريفة قد اتصلت بها، واستبعدت منها ما تضمنته وأما قولك بالخبر بالأنباء فإننا بصدد ذلك، فردا على جوابكم فيما يخص الجمعية، فأعلمكم بأن الجمعية الجديدة قد تشكلت ويا حبذا لو كنت معهم، ولكن هذا لم يهمني كثيرا حيث لم أكن معهم لأنني أستطيع أن أراقب أعمالهم ولو كنت خارج الجمعية، فالمطلوب منط أن تبلغ هذا إلى السيد الكولونيل وتقول له بأن يكون واثقا أشد الوثوق بما أقول لكم.

للاطلاع على الرسالة باللغة العربية والفرنسية كما وجدناه في أرشيف ما وراء البحار لآكس أون بروفانس، العلية رقم 4507.

ارتأت الجمعية كتابة مجموعة مقالات تحت عنوان رسالة الجمعيات جاء في مقدمة أول عدد منها مايلي : " هذه سلسلة مقالات توجيهية ودراسية رأت جمعية الطلبة الجزائريين ضرورة القيام بها حتى تنير للشباب والطلبة الجزائريين أنفسهم بعض النواحي من مشاكلهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، وهي تريد من وراء هذه المقالات أيضا أن توجه الطالب الجزائري في سلوكه الأخلاقي والعلمي حتى يكون على بصيرة من مسؤوليته إزاء المشاكل التي تنتظره ... وغايتنا من ذلك كله إعانة التلاميذ في مصالحهم الخاصة ، هذه المصالح التي نرى أنها ستجعلهم مجبورين على الاجتماع مع بعضهم بعضا تحت سقف واحد ... إن الغاية التي نصبوا إليها وهي أن نخرج إلى معترك الحياة خلقا آخرين ، خلقا تعلموا أن ينتفعوا بملكاتهم الجسمية والعقلية والخلقية إلى أقصى حد ، خلقا جديرين ببناء ذلك المجتمع الفاضل المتحرر من الجهل والذل والمرض "1.

لقد أمكن للجمعية الانتعاش من جديد خلال سنوات 1953م ، 1955م² وذلك بفضل ما قامت به من نشاط مكثف خلال صائفة 1953م حيث طافت أنحاء الجزائر تعرض مسرحية الخليفة العادل³ ، التي قام بإعدادها وتمثيلها فريق من الطلبة المتطوعين لتمويل صندوق الجمعية ، والتعريف بها في الأوساط العامة في الجزائر ، إسوة بأسلافهم الذين قاموا بنفس العمل في السنوات الماضية ن ولكن رغم هذا الانتعاش الظاهري ، فإن الجمعية كانت تشكو من انقسامات واضحة بين صفوفها للأسباب السياسية .

وظلت الجمعية برغم المجهودات الجبارة التي قطعتها للنهوض من جديد محل انتقاد الكثير من الطلبة الذين اتهموها بالتقصير في أداء رسالتها ، دون مراعاة لما قامت به

1 - عبد الحميد بن هدوقة ، رسالة الجمعيات (1) ، الصباح ، ع649 ، 19 مارس 1954م ، ص2 .
 2 - ظلت الجمعية تجدد كل عام مكتبها الإداري في اجتماع يحضره الطلبة الأعضاء فيها وتحت إشراف شيوخ الإدارة الزيتونية ، فيقدموا رئيس الجمعية تقريرا أدبيا عن أعمالها السنوية ، ويقدم أمين المال تقريرا عن ماليتها ويتم انتخاب المجلس عن طريق التصويت بالأوراق ، ليتم توزيع المسؤوليات ، وبذلك تتم الأمور بصورة واضحة لا تلاعب بمالية الجمعية التي كانت جد متواضعة ، تجمع من اشتراكات الأعضاء في الجمعية والمكتبة وبعض الإعانات المقدمة من أعضاء ودادية الجزائر بتونس ، وبعض الجمعيات التونسية ، في سنة 1955م تم انتخاب يحيى بوعزيز في جمعية الطلبة الجزائريين حيث أسندت له إدارة المكتبة ، يساعده على أمورها عبد القادر الشلالي ، للمزيد ينظر يحيى بوعزيز ، رحلة في فضاء العمر ، ص141 .
 3 - أبو القاسم سعد الله ، منطلقات فكرية ، ص45 ، حيث يذكر أبو القاسم أنه كان أحد التلامذة الذين اشتركوا سنة 1953م في تمثيل هذه الرواية في عدة مدن جزائرية .

نحوهم وما تحملت في سبيلهم من أتعاب ، ولقد جاء الرد على هذا النعت السيء في العدد الثاني من مقال رسالة الجمعيات حيث يقول عبد الحميد بن هذوقة في هذا الشأن ما يلي :

"... وكثيرا من هذا الصنف أيضا يبذون الآراء ويقترحون المقترحات ، وينصحون أن تعمل هذا وتترك ذلك ، فإذا ما طالبتهم أن يعملوا معك ، ويشرفوا بأنفسهم على تنفيذ ما اقترحوا ، تراجعوا والتمسوا المعاذير الواهية ، ثم انفضوا من حولك ... فإلى هؤلاء وإلى غيرهم من الذين يخامروا أفكارهم حب العمل ، ولكن ما يزالون يتشاءبون نسوق هذه الأحاديث ، التي لا نبتغي من ورائها جزاء ولا شكورا ، وكلما نرجوه أن نزيل الغشاوة عن بعض الأبصار، ونكشف للشباب عن مغالط ، ذلك أن نجعل الشبيبة التي ستصبح في يوم من الأيام أمام مسؤوليات الحياة الكبرى ، أن نجعلها تستعد وهي على مقاعد الدراسة لتحمل تلك المسؤوليات عن جدارة و استحقاق ، إذ من ذا يروقه أن يرى هؤلاء الشباب حائرين في أمورهم ، ضالين عن الطريق دون أن يمددهم بالعون ويرشدهم إلى حيث النجاة والخلص ، ونحن مع علمنا بالعقبات الكثيرة التي تعترض سبلنا بالنكبات الجمة التي يمكن أن تصادمنا قبل بلوغ الغاية المستدعية للبس نعال من حديد ، فإننا عازمون على المضي ، مصممون على شق هذه الأستار الفاصمة المتتالية أمامنا ، وليكن بعد ذلك ما يكون ، ولكن لا ننسى أن هناك أشواكا من العادات الاجتماعية والأمراض النفسية ، ولا يمكننا أن نسير خطوة قبل أن نزيلها ، ونلقي بها عرض الفناء ، ولنلتزم دائما هذا المبدأ الأساسي وهو أن الخطة المثلى هي أن تعمل الواجب القريب مني ، ولنتيقن سلفا أننا واصلون إلى أهدافنا لا محالة ، ولكن بشرط أن نريد ، وأن نفهم ما نريد ، وبشرط أن ننظر إلى الواقع كما هو ، لا نجمله بتطريات الشعراء ، فنجعل من نقيق الضفادع سمفونيات ، ولا نلبسه أثواب الرهبان ونقول : فقد شرب الدهر صفو الأنام - فلم يبق في الأرض إلا العكر . ولندع وراءنا أولئك الذين ينظرون إلى الحياة نظرة الحالمين ، وتفتنهم الزهرة التي تثمر ، ويخلبهم لمعان السراب ، أولئك يملكون الأرض والسماوات في لحظات ، ويخسرونها في لحظات لا يهتمهم من الماء إلا الخير ¹ ."

¹ - عبد الحميد بن هذوقة ، رسالة الجمعيات (2) ، الصباح ، 688ع ، 28 مارس 1954م ، ص 3 .

في الوقت الذي كان بعض الطلبة يشغلهم أمر انتقاد أعمال وبرامج جمعية الطلبة الجزائريين ، كان البعض الآخر يعانون الآم الانقسام الحاصل في صفوفهم ، في الوقت الذي هم بحاجة ماسة إلى الإتحاد ، هذا ما دفع إلى عبد الحميد بن هدوقة بتصوير الوضعية في إحدى المقالات المنشورة يتحدث فيها عن ظاهرة الاختلاف والائتلاف في صفوف الطلبة ، معللا ذلك بتزايد عدد الطلبة الذين أصبحت كثرتهم مصدر خلاف ، وقتلهم مصدر تضامن ، حيث جاء في مقاله : " ... عاشت جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين لمدة ستة عشر سنة موحدة الصفوف ، ولما تركزت وذاع صيتها ، وكثر التلامذة الجزائريون بتونس انشقت على نفسها ... " ، ويتساءل عن انحلال عقدة الإتحاد في وقت لم يتغير فيه شيء من الظروف الخارجة عن نطاق الجمعيات ، والذي يتوفر بتوفر الوسائل الكفيلة لتحقيقه والتي في نظره تكمن فيما يلي : - الأولى : إبداء الآراء واقتراح المقترحات ، ومناقشة الموضوع بكل صراحة بحيث يتحتم على الشباب المثقف الشاعر بالمسؤولية أن يعبر كل عن رأيه فيما يخص الموضوع ، موضحا ما يرتئيه صالحا دون خوف أو غموض ، وأن لا يقلد ولا يحابي أيا كان ، بل ينتقد الآراء والجمعيات التي بها مكان للنقد مخلصا مريدا بذلك المصلحة العامة ، كما يتقبل انتقاد غيره لآرائه أو جمعياته إن كان متكلما باسم جمعية .

الثانية : فتلقى مسؤولية القيام بها على عاتق الجمعيات ، فهي وحدها القادرة عمليا على توجيه نداء لعقد مؤتمر ضيق يحضره ممثلون عن مختلف الجمعيات الشبابية لدرس وتحضير برنامج يتضمن الدعوة إلى عقد مؤتمر عام تقرر فيه نهائيا الكيفية التي يكون بها الإتحاد¹ .

ثم يتساءل عبد الحميد هل الأصلح أن يكون إتحاد جمعيات ؟ أم شباب ؟ أو طلبة ؟ فاقترح أن يشكل إتحاد من الجمعيات الموجودة بالفعل ، والمعاملة ولو في مجال ضيق ، كمعظم جمعيات تلاميذ الجامع الأعظم ، مهمته تسيير تلك الجمعيات ، ووضع البرامج لها والسهر على مصالحها في كل الميادين ، بحيث يشرف عليها إشرافا حازما .

¹ - عبد الحميد بن هدوقة ، رسالة الجمعيات (3) ، ع706 ، 18 أبريل 1954م ، ص3 .

ثم يسعى لربط الصلات بغيره من الجمعيات الممثلة لأقطار أخرى ، ولكي يكون كفؤا لكل ذلك ينبغي أن تراعى في أعضائه الشروط التالية :

على كل مترشح أن يكون :

أ- عمل بإحدى الجمعيات أو الهيئات مدة لا تقل عن ثلاث سنوات .

ب- قد حصل على الأقل على شهادة التحصيل أو البكالوريا أو الديبلوم .

ويجب أن ينتخب جميع الأعضاء لمدة ثلاث سنوات ، ويقع تجديدهم بعد انتهاء المدة المذكورة بانتخابهم هم وأفراد آخرين توفرت فيهم الشروط السابقة¹.

ليخلص إلى أن ما حدث من انقسام سببه الاندفاع مع العاطفة ، اندفاعا مقبنا ضاعت معه قوانا وتلاشت حيويتنا بين الأنايات ، وبذلك أتحنا للمستغلين أن ينتفعوا بتخاذلنا واندفاعنا².

على أن الجمعية حاولت ترميم الصدوع ، حيث نجدها في بعض الأحيان تجابه بحماس الوضع بشيء من الجد والحزم ، فاستغلت المناسبات الدينية والوطنية لدعوة الطلبة إلى صهر خلافاتهم والمشاركة بروح جماعية إيجابية في نشاط يوحد وجهة نظرهم ، ويقرب بينها وبين تباين آرائهم ، ومن هذه المناسبات الذكرى الخامسة عشر لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، حيث أقيم احتفال وجه الطلبة فيه دعوات إلى رجال العلم والأدب الجزائريين والتونسيين³ تعبيرا عن إتحاد الطلبة وتضامنهم في ظروف أخذ فيها الكفاح المسلح سيره في الجبال والمدن ، في هذا الأوان قام الطلبة بإصدار نشرية تضمنت أهم أعمال هذا الاحتفال ، لكنها كانت ضعيفة مقارنة بالثمرة الأولى والثمرة الثانية التي كانت قد أصدرتها جمعية الطلبة الجزائريين ، حيث ألقى المداخلون كلمات عن الجزائر وعروبنتها

1 - عبد الحميد بن هدوقة ، رسالة الجمعيات (3) ، الصباح ، المصدر السابق ، ص3 .

2- نفسه .

3 - أقيم الاحتفال في قصر الجمعيات الفرنسية يوم 16 أبريل 1955م ، أهم ما ميزه مشاركة عدد من وجوه الزعامة في تونس ، ومن كبار رجال الأدب والفكر أمثال علي البهلوان ، ناجيه ثامر ، أحمد بن صالح ، البشير العربي ، والظاهر قيقية، ومن الجزائريين عبد الله شريط ، إضافة إلى كلمتي رئيس الجمعية الجنيدي خليفة ، وكاتبها العام علي جغاب ، للمزيد ينظر محمد صالح الجابري النشاط العلمي والفكري ، المرجع السابق ، ص140 .

وإسلامها ، وجعلوا من المعاني السامية المحور الأساسي للذكرى يتعداد فضائل وخصال الشيخ بن باديس ، ونوهوا بضرورة إستخلاص العبرة منها ، وقد تضمنت الكلمة التي قام بإلقائها علي جغاب الكاتب العام للجمعية آنذاك ما يلي : " ... رحم الله بن باديس فقد كان لنا إسوة حسنة نقتدي به، وكان لنا من المعلمين الأولين، ومن المصلحين الأولين ، ومن الموجهين الأولين، ربما كان في الجزائر من هو أغزر منه علما ، ولكن الشيخ امتاز بالحكمة وقوة الإيمان ، فقد تمكن من تنفيذ ما علمه صالحا ، وآمن به إيمانا راسخا ، وكتب في سجل العلماء العاملين ، ولم يقتصر نضال بن باديس على الجزائر فقط ، بل دافع بقلمه عن تونس الشقيقة ، وفلسطين الشهيدة ، وعن سائر الأقطار العربية والإسلامية ، وعن الإنسانية المعذبة ، فقد كان إنسانيا لوطنه ولجميع الشعوب العربية ... ، وإنما اليوم إذ نحتمل بذكراه لسنا في حاجة إلى ذكر مناقبه كي نعددها وندعوا له بالرحمة فقط ، بل نحن في حاجة إلى أن نعي حياته المليئة بالأعمال الصالحة ، فنستخلص منها دروسا تبعثنا إلى السير نحو الطريق الذي عبده حتى نبلغ الهدف الذي كان يرمي إليه ..."¹ .

ناضل بن باديس من أجل تعميق الصلات القومية العربية ، وبتث الفكر الإصلاحية والديني ، وتمكن من تحصين مقومات الشخصية الجزائرية العربية المسلمة من مخاطر التجنيس والتتصير ، وترك في كل مدينة وقرية من قرى الجزائر مسجدا يذكر فيه إسم الله ، أو مدرسة تلقن ناشئة البلاد دينها الإسلامي الحنيف ، ولغتها العربية القحة ، وقوميتها الجزائرية الخالصة، أو ناديا يضم شتات الأمة ، ويلم شعث الشعب الذي كانت تصدعه الأحداث، وتذهب به الأوضاع إلى كل مذهب ، وتجعل منه السياسة شعبا لا يرجى له التئام، فإذا هو يلتئم على يد عبد الحميد ، فيؤلف شعب الجزائر العربي المسلمة ، ويمثل قوة فعالة يقرأ لها ألف حساب² .

ويستهل علي البهلوان الكلمة التي ألقاها بتمجيد عروبة الجزائر وعودة أصالتها الإسلامية العربية بفضل شخص هذا الشيخ الجليل ، وحيله الذكية في بعث اللغة والدين،

¹ - علي جغاب ، في ذكرى وفاة بن باديس ، الثمرة الثانية ، ص 12 .

² - البشير العريبي ، الثمرة الثانية ، المصدر السابق ، ص 26 .

ونشر التعليم في أوساط مجتمعه وعلمه المضني من أجل الوحدة العربية ... فعندما نحتفل اليوم ، فإننا نحتفل في الحقيقة بالجزائر العربية الإسلامية الخالدة ، هذا الذي يعبر عنه وجودكم كعرب ومسلمين ، ولا أقول كجزائريين ، لأنني بصفتي عربيا أو من إيماننا قاطعا أن الأمة العربية كل لا يتجزأ ، فكما يقول المثل : إن الطائر لا يستطيع أن يطير بجناح واحد، فكذلك عالمنا العربي الإسلامي ... إن حركة بن باديس الرامية إلى إحياء اللغة العربية ، والدين الحنيف ليست إلا بعثا جديدا لمقومات وطنيتنا ، وإضافة إلى عالمنا العربي من جديد ، وإنما لعل يقين من أن الجزائر على أبواب فجر جديد ، وبفضل رجالها العظماء الذين من بينهم هذا الرجل العظيم الذي نحتفل به الآن سينجلي على ليلها إلا ليل الفجر الجديد ، مشرقا واضحا ، حيث تكون من جديد مجدا شامخا ... ونرفع صوتنا في العالم رفيعا كما رفعه أجدادنا الأفداد¹ .

ولئن كانت الذكرى الخامسة عشر لوفاة بن باديس قد خفتت من حدة الخلافات التي كانت قائمة بين الطلبة ، فإن التأييد الذي أخذت تحضى به الثورة من قبل الطلبة كان محفزا وعاملا حاسما في مباركتها منذ اندلاعها ، وتحمسهم لالتحاق البعض منهم بصوفها ، وتسخير البعض الآخر قواهم الفكرية والثقافية لتمجد بطولاتها بأقلامهم من خلال الجرائد التونسية ، وبذلك فإن أوضاع الجمعية قد تبعثرت ، ولن تعد لها تلك الأهمية التي كان يعلق عليها الطلبة آمالهم ، باعتبارها بؤرة ثورية ، وخليّة وطنية تتيح لهم العمل من حين إلى آخر للتعريف بالقضية الجزائرية ، ومع ذلك لم يكن من السهل التخلي عن الجمعية ومكاسبها منذ الوهلة الأولى لقيام الثورة ، فعدد الطلبة المقبلين على الزيتونة كان في تزايد مستمر ، وكانت مشاكلهم بحاجة إلى الإبقاء عليها ، وعليه حاول جمع من الطلبة إعادة الروح إليها وإعادة بعثها من جديد ، وبذلك قرروا القيام بحملات تربوية وإعلامية ن بهدف تعريف الطالب بما يجب أن يتميز به من أخلاق فاضلة ، تدله على العمل الصالح وتمكنه المساهمة في بناء مستقبل الأمة الجزائرية التي هي بحاجة ماسة إليه والذي لا يتحقق إلا

¹ - علي البهلوان ، نشرة الطلبة الجزائريين ، بن باديس في ذكراه الخامسة عشر ، ص 46 .

بالعمل الجماعي ن والإتحاد لخدمة الصالح العام ، وحتى يكون كفؤاً للحصول على عضوية الجمعية¹.

ولهذا الغرض قام الطالب يحيى بوعزيز بكتابة مجموعة مقالات² حول موضوع رسالة الجمعيات في سنة 1957م ، على غرار ما كان قد قام به عبد الحميد بن هدوقة الكاتب العام للجمعية في سنة 1954م ، حيث اشتملت أعدادها الأولى على ذكر الشروط التي يجب أن يتوفر عليها أعضاء الجمعية ، والتي نلخصها فيما يلي :

- أن يتجردوا من الأهواء والعواطف والتحيزات المزيفة .
- أن لا يتشبثوا بحب الظهور والتكبر والاستعلاء .
- أن يذوبوا في المصلحة العامة ، ويعملوا لخدمة المبدأ الصحيح ، بعد أن يعدموا شخصياتهم ، ويقفوا على كل أنانية فردية تتسرب إلى النفس كي يستطيعوا أداء رسالتهم على أكمل وجه ، ومعنى هذا أن يتمذهبوا بدستور الجمعية الصحيح ، ويسيروا على النهج الذي يحقق نجاح مشاريعهم الثقافية أن يعتمدوا في تنفيذ مشاريعهم وبرامجهم على التضحية الفردية والجماعية .
- أن يكون بين أعضاء الهيئة الإدارية الوئام التام والإخلاص الصادق ، والأخوة الكاملة ، والتسامح والود مع الرصانة والتعقل .
- الإخلاص والصدق على المثابرة والعمل³.

يواصل يحيى بوعزيز في توصية الشباب بقوله : " ... إن وقف الجمعية ونجاحها مرهون بالشروط السالفة الذكر... ، وأما أن يتنافر الأعضاء ويتشاجروا ، وأما أن لا يتعاونوا على العمل ، ولا يثقوا ببعضهم بعض ، وأما أن يعتدي كل برأيه ، ولا يلتفت لأقوال غيره ، وأما أن لا يترجل الأعضاء أعمالهم من غير أن تقع المفاهمة فيها ، بحيث يصبح الأعضاء مشرقبين مغربيين كل يتيه في بيداء النعمة الشخصية ، وصحراء النزعة الطائفية ينفذ ما أمّلته عليه نزعته الشخصية وعاطفته الانتقامية ، أما أن لا يرضخ العضو

¹ - محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي والفكري ، المرجع السابق ، ص141 .

² - نشرت هذه المقالات بجريدة الصباح في أعداده المؤرخة ب 1، 4، 16، 25، 27، جانفي ، 6 فيفري 1957م .

³ - يحيى بوعزيز ، رسالة الجمعيات ، الصباح 4 جانفي 1957م .

لرأي الجماعة ، فهذا معناه الخراب والدمار ، فهذا معناه القضاء على كيان الجمعية ، ومسوخ دستورها ، ودوس كرامتها ، والاعتداء على شرف المؤسسين لها ، اعتداءا سافرا ليس من الكرامة والإنسانية في شيء¹ .

رابعا: نشاط جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين على ضوء الوثائق الأرشيفية:

ورد في الوثيقة الصادرة بتاريخ 23 فيفري 1954، عن مصلحة الاتصال لشمال إفريقيا تحت عنوان: استعلامات حول نشاط الجزائريين بتونس.

استقطب نشاط الجزائريين بتونس حول منطمتين:

- جمعية الطلاب الجزائريين بتونس.
- الصداقة للجزائريين في تونس.

الطلبة الجزائريون للزيتونة الذي يقارب عددهم 800 كانوا دائما ممثلين بالقرب من الموجهين للجامعة بواسطة لجنة إدارية مسؤولة، رؤساء هذه الجمعية هم:

- الشيخ بو عبد اللي مهدي مفتي لأوريونفيل (الأصنام).
- الشيخ عبد الرحمن شيبان، أستاذ بمعهد عبد الحميد بن باديس.

في 1947، شعر الموجهون الإصلاحيون بنقص تأثيرهم في وسط الطلاب، مقارنة بحركة انتصار الحريات الديمقراطية، فحاولوا تنظيم انتخابات للمجلس الجديد، إثر حضور الشيخ العربي التبسي، ظهرت بعض المناوشات، وفي هذه السنة تغلبت قائمة الموالين لحركة انتصار الحريات الديمقراطية على قائمة الموالين للإصلاحيين، حيث أن مهري عبد الحميد كان على رأس حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

في سنة 1954 قرر العلماء الإصلاحيون إنشاء منظمة حرة مسماة ب: مهمة منظمة العلماء الإصلاحيين للطلاب الجزائريين، غير أنها لم تقم بنشاطات كبيرة في 1954.²

¹ - يحيى بوعزيز ، المصدر السابق.

² - A.N.O.M. Aix en Provence، doc du 23/02/1954، boîte n°4507.

إن منظمة الطلاب تشكل منذ نشأتها مدرسة ممتازة للإطارات، منبع معلومات، ومركز إشعاع نشيط لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية وحزب الشعب الجزائري الذي ينتمي إليه.

توجد علاقة وطيدة بين منظمة الطلاب الزيتونيين والمكتب السياسي لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

إن مهري عبد الحميد الرئيس السابق لجمعية الطلبة الزيتونيين، المنفي من تونس ومحفوظ محمد الملقب ب: عبد القادر: تلميذ سابق بالزيتونة، هما عضوان للجنة التوجيهية لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، يلتقيان بانتظام معلومات للتقارير لمجموعة حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية للزيتونة.

لقد أقر محفوظ أمام قادة الحزب أنه قام بنصب شبكة معلوماتية، وكوّن ضباط اتصال وأكد أن المكتب السياسي سيكون على علم بكل ما يحدث في الناحية¹.

لقد خلف قاسم سليمان بن شريف رزيق* الملقب برزيق قاسم، عبد الحميد مهري في 1952، انتخب بداية هذه السنة بصفة رئيس لهذه الجمعية التي تشكل مصدر أساسي للوطنيين الجزائريين المتشددين، هدفها التعليم بالنسبة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية وحزب الشعب الجزائري بتونس.

وإن مكتب هذه الجمعية يشكل حلقة ربط بين المكتب السياسي لنفس الحزب ولنظيره الحزب الدستوري الجديد، قاسم رزيق المكلف أساسا بهذا الربط يتابع حاليا دروس السنة الثانية بالجامع الأعظم.

إنه حامل لشهادة التحصيل، ويحضر لنيل شهادة العالمية، وعلى الصعيد السياسي المعني مكلف بنشاط هام وسري لصالح حركة انتصار الحريات الديمقراطية وحزب الشعب

¹ - A.N.O.M. Aix en Provence، doc n°60، boite 4705.

* - ولد قاسم بن سليمان بن شريف رزيق حوالي 1924 بمخادمة التابعة لمقاطعة قسنطينة، والده سليمان وأمه وهنية بين مصطفى، وهو أعزب، وطالب بالجامع الأعظم، وقاطن بـ 29 مكرر جرمان بتونس.

الجزائري، إنه يحظى بالثقة الكاملة من مسيري هذا الحزب بالجزائر، الذين يدعمون الجمعية التي يرأسها¹.

رزيق يقوم م نوقت لآخر بالاتصال بمسيريه، ويجلب إلى أراضي الانتداب منشورات وجرائد ممنوعة.

في 1952، أثناء اجتماع منعقد بالجزائر (العاصمة) من طرف "الاتحاد الإسلامي للطلبة المغاربيين" تحت رعاية رئيس الطلبة الشمال إفريقيين بباريس، رزيق شارك باسم المجموعة التي يرأسها في الدورة العادية لـ"الاتحاد الفدرالي للطلبة المسلمين لشمال إفريقيا".

أخيرا، على الصعيد المحلي، هناك مجال لإضافة أن رزيق يقوم باتصالات دائمة مع أوساط الطلبة المسلمين بالمنطقة، خاصة مع "جمعية قدماء الطلبة بالمدرسة الصادقية".

من جهة أخرى، الجمعية التي يرأسها جمعت أموالا في أوساط الجزائريين لصالح لجنة دعم ضحايا القمع.

أخيرا، فإن رزيق يرتاد يوميا مطعما كائنا برقم 28 سوق الحصار بتونس، مشتغلا من طرف رفيقه حرشي الطيب بن عمر بن محمد المدعو "محمد طالب" الذي تربطه به علاقة صداقة. هذا المطعم يرتاده حاليا الوطنيون الجزائريون المقيمون أو العابرون بتونس.²

ورد في الوثيقة رقم 766 تحت عنوان جمعية الطلبة الجزائريين، مقطع مترجم بتاريخ 13 مارس 1953.

تجديد المكتب الإدارية لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين:

¹ - A.N.O.M. Aix en Provence، doc، A.N.O.M.، date 21/01/1953، boîte 4705، للمزيد ينظر الملحق رقم 9- 10
² - A.N.O.M. Aix En Provence، boîte n° 4507.

جرت الانتخابات يوم الجمعة 29 جمادى الأولى 1373 هـ الموافق لـ 6 فيفري 1953م على الساعة العاشرة بمقر الجمعية، 29 مكرر شارع الجرمان، بعد التقرير عن نشاط الجمعية خلال السنة الماضية انتخب الأعضاء الآتون:

- رزيق قاسم: رئيسا.
- لخضر محمد صالح: نائب الأول للرئيس.
- الأمين العام: عبد الحميد بن هدوثة.
- مساعد الأمين العام: بشير بن رابح.
- المراقب العام: علي كافي.
- المراقب المساعد: زغلاش موثي.
- القابض: محمد بوصبيعات.
- القابض المساعد: عيساوي عبد القادر.
- المستشارون: ساحر رشيد/ نواكلي محمد سعيد.

إرسال إلى السيد رئيس مصلحة Service de liaison Nord Africain (S.L.N.A)

قسنطينة، ختم المصلحة بـ 1 أفريل 1953 رقم 162.

توقيع نائب الضابط ورئيس المصلحة في يوم 30 مارس 1953¹.

بعد مضي حوالي أربعة أشهر على تنصيب قاسم رزيق رئيسا على جمعية الطلبة، تقوم السلطات الفرنسية ومن مقر الإقامة العامة بتونس بتوجيه مذكرة من قبل سفير فرنسا المقيم العام بتونس إلى السيد الحاكم العام بالجزائر، وإلى مصلحة الاتصال الشمال إفريقية، جاء في مضمونها ما يلي:

فيما يخص قاسم بن سليمان بن شريف روزيق:

¹ - للمزيد ينظر الملحق رقم 11، A.N.O.M. Aix En Provence، doc n° 766.

لي الشرف أن أطلعكم طي هذا الإرسال، مذكرة استعلامات محضرة من طرف مصلحة حراسة الحدود بتونس، تخص المدعو قاسم بن سليمان بن شريف رزيق، فرنسي مسلم من الجزائر رئيسة جمعية الطلبة الجزائريين بالزيتونة، تجمع ينتمي إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية وحزب الشعب الجزائري.

بسبب النشاطات المعادية للوطنية لهذا الجزائري، قررت إصدار مذكرة ترحيل في

حقه.

إمضاء من طرف المقيم العام، ووضع عليها ختم مكتوم وسري.

وردت للوثيقة ثلاث نسخ طبق الأصل تم إرسالها إلى:

السيد المدير العام للأمن العام.

السيد مدير مكتب مصلحة الاتصال لشمال إفريقية بقسنطينة.

بتاريخ 22-24 أبريل 1953، تحت رقم 1935¹.

وورد في وثيقة بدون رقم تحت عنوان جمعية الطلبة الجزائريين ما يلي:

تمت انتخابات جديدة في ديسمبر 1953 تحت رئاسة الشيخ الشاذلي النيفر.

المكتب المنتخب متكون من:

- الرئيس هدوثة عبد الحميد.
- نائب الرئيس: لعوج أحمد من برج بوعريريج.
- الأمين العام: شريط عبد الرحمن من تبسة أخوه شريط عبد الله.
- نائب الأمين العام: جغاب علي.
- أمين المال العام: بوصبيعات محمد من الجزائر.
- نائب أمين المال العام: عمراوي تابر.

¹ - للمزيد ينظر الملحق رقم 12، A.N.O.M. doc n°3590، boîte n°4507، Aix en Provence

- المراقب العام: جنيدي خليفة من بون.

- نائب المراقب العام: صالحى لخضر من قالمة.

واحد من السادة المسمى يحي بوعزيز من البرج الذي له أخوين خياطين ساكنين
بوهران، هو من المساعدين النشطين لهدوثة.

هذه المجموعة لها ميول لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

موجهي الزيتونة رفضوا أن يقوم موجهي هذه المجموعة بممارسة السياسة.

إنهم بالنسبة لهم المسئولين على أصدقائهم الجزائريين، والوسطاء بين الطلبة وإدارة
الجامعة.

إن الشيخ الشاذلي النيفر، من المعروف أنه يميل إلى الدستور الجديد والذي يعتبر أن
انتخاب اللجنة لها ميول سياسي قريب من ميوله¹.

وجاء في الوثيقة رقم 457 بتاريخ 22 مارس 1954 الواردة من قبل شرطة
الاستعلامات العامة بسوق أهراس، تقرير فيما يخص سبعة فرنسيين مسلمين جزائريين
مطرودين من تونس، فيما يلي نص موضوعها:

لي الشرف أن أحيطكم علما بالمعلومات التالية الخاصة بسبعة فرنسيين مسلمين
جزائريين مبعدين من أراضي الانتداب، في 19 من الشهر الجاري، ونقلوا في نفس اليوم
عن طريق السكة الحديدية إلى المقر المركزي لفرقة الحدود للاستعلامات العامة بسوق
أهراس، للتذكير أن ستة من بينهم هم طلبة بالجامع الكبير بتونس، اعتقلوا في 15 مارس
1954، أثناء المظاهرة.

يتراسهم المسمى بدوي محمد، مسير جمعية الطلبة الجزائريين بالزيتونة، وهو الذي
قام بدور جد فعال في حركة الإضراب لشهر مارس الجاري، كان قد أوقف واعتقل من
طرف الشرطة التونسية.

¹ - للمزيد انظر للملحق 13-14 ، A.N.O.M. Aix en Provence ، doc n°202، boite n° 4507 .

قد قام أصدقاؤه بإعلام اللجنة المديرة (حركة انتصار الحريات الديمقراطية وحزب الشعب الجزائري بالعاصمة) من أجل طلب تنظيم مظاهرات في الجزائر من أجل تحرير بدوي.

أما الطلبة الآخرون فهم:

- غلام الله بو عبد الله بن محمد، فرنسي مسلم جزائري، ولد في 4 فيفري 1934 بواريقات (وهران) ابن محمد ومامي سي موشي، أعزب، ساكن بتيارت شارع شفاز رقم 9، طالب بالجامع الكبير بتونس، لم يؤد الخدمة العسكرية، اعتقل في 15-03-1954 أثناء مظاهرة ساحة القصبية، يعود إلى تيارت.

- حشماوي دحو بن مصطفى: ولد في 1932 بمعسكر، ابن مصطفى وحببية بنت موح، طالب، قاطن بمعسكر المختلطة دوار سيدي بن عبد الله. كان طالبا بفاس منذ 1951 إلى غاية 1953، ثم في 27 سبتمبر 1953 إلى يومنا هذا بالجامع الأعظم بتونس، اعتقل في 15 مارس أثناء مظاهرة الطلبة، يعود إلى معسكر المختلطة.

- نعيمة محمد بن يحيى: فرنسي مسلم جزائري، ولد في 11 ديسمبر 1928 بالصومعة، ابن عمر بن محمد وشيخير بنت محمد، متزوج وأب لطفلين، طالب¹ بالجامع الأعظم بتونس، اعتقل بسوق العطارين أثناء مظاهرة 15 مارس 1954، عاد إلى تيزي وزو.

- لونيس بلقاسم علي، فرنسي مسلم جزائري، ولد عام 1927 بدوار مروانة بلدية بلازمة المختلطة، ابن علي بن بلقاسم، زياني خولة، متزوج. طالب ساكن بدوار مروانة، بلدية بلازمة المختلطة، تابع دراسته بقسنطينة إلى غاية 1953، في أكتوبر من نفس السنة سجل نفسه بالجامع الأعظم بتونس، أبعده من تونس على إثر مظاهرة 15 مارس عاد إلى دوار مروانة.

- بوعزيز بن يوسف بن شريف، فرنسي مسلم جزائري، ولد في 23-12-1928 بالخروب، ابن شريف بن ساعد، ودريوش فطوم بنت سعيد، أعزب، طالب ساكن

¹ - Aix en Provence، A.N.O.M.، doc n° 457، boîte 4507، للمزيد ينظر الملحق رقم 15-16

بقسنطينة، 26 شارع عبد الله باي، عند كرفوشي عبد القادر طالب بالجامع الأعظم بتونس، لم يؤد الخدمة العسكرية، طرد بعد مظاهرة 15 مارس، يعود إلى قسنطينة. وقعت الوثيقة من قبل المحافظ المركزي ج. زامبوني.

وطبعت بختم المحافظة المركزية.¹

في يوم الثلاثاء 23 مارس 1954م تصرح جريدة الصباح بأن الطلبة الزيتونيين من أصول جزائرية، أرجعوا إلى بلدانهم تحت الحراسة.²

وجاء في الوثيقة رقم 33 الصادرة عن شرطة الاستعلامات العامة، المكتب المجاور لشاردينو، عامل الاستعلامات لشرطة جيورجي جين، ملحق بالمركز الحدودي لغارديماو وفي تاريخ 8 أبريل 1959، إلى السيد المحافظ العام رئيس شرطة الاستعلامات العامة لناحية قسنطينة. الموضوع: فيما يخص الطلبة الفرنسيين المسلمين الجزائريين لجامعة الزيتونة: (سري).

لي الشرف أن أوصل إليكم قائمة من الطلبة الزيتونيين من أصل ولاية قسنطينة الذين عادوا لديارهم ليلة الإضراب العام، في الغد لأحداث 15 مارس بتونس، من خلال المعلومات التي استطعنا أن نجمعها، هذا الإضراب سيستمر إلى شهر أكتوبر 1954 يوم الدخول المدرسي للعام الجديد.

قرب رمضان 5 ماي، المدة التي يكون فيها الطلبة الزيتونيين في عطلة يظهر مؤكداً.³

وورد في وثيقة غير مرقمة كما نشرته جريدة "الصباح" لـ 24 جانفي 1956م، بعنوان "احتجاج جمعية الطلبة الجزائريين"، جاء فيه ما يلي:

¹ - A.N.O.M. Aix en Provence، doc du 23 mars 1954، boite 4507.

² - A.N.O.M. Aix en Provence، doc n° 457، boite 4507، للمزيد ينظر الملحق رقم 15-16

³ - A.N.O.M. Aix en Provence، doc n° 33، boite 4507

جمعية الطلبة الجزائريين المقيمين بتونس تحتج بشدة على المعاملة الموجهة للطلبة الجزائريين بفرنسا، وتلقي بالمسؤولية على الحكومة الفرنسية.

وتؤكد من جهة أخرى لجميع المناضلين الجزائريين عن تضامنها الكامل، وتطلب منهم مواصلة النضال الفكري من أجل رفعة الجزائر¹.

وورد في وثيقة أخرى تحت عنوان "الفائدة المقدمة من المغرب للمشكل الجزائري":
تصريح وزير الدولة المغربي السيد شرقاوي لجريدة باريسية لم يحدد عنوانها: "أنه في الصفحة الثانية من جريدة "الزهرة" تحت عنوان "جمعية الطلبة الجزائريين: تأسيس المكتب الإداري للجمعية" تم نشر تقرير الاجتماع المنعقد في 13 من الشهر الجاري (جانفي) بالخلدونية، من طرف جمعية الطلبة الجزائريين بتونس بعد تسجيل العدد الهائل للطلبة الجزائريين الذين شاركوا بنسبة كبيرة في هذا الاجتماع وقدموا الدليل على مشاعر التضامن.

"الزهرة" تصرح بهذه المناسبة قدم السيد الطاهر خطابا لامعا وقويا، أين أكد بالتحديد عن العلاقات الوطيدة التي تجمع الجزائر بتونس. ووجهت تشكرات إلى مدير الزيتونة والشيخ عبد القادر النابلي اللذان سمحا لهذه الجمعية بعقد اجتماعها بالخلدونية².

وفي 16 أبريل من سنة 1955 أثنى السيد عابد بوهفة، ممثل هيئة الاستقلال للمغرب العربي في نيويورك عن نشاط جمعية الطلاب الجزائريين بتونس وأكد على أن الهيئة تؤيد وحدة عمل الأحزاب الوطنية لشمال إفريقيا³.

وجاء في الوثيقة الصادرة بمصلحة الاتصال لشمال إفريقيا لمقاطعة قسنطينة تحت عنوان "معلومات"، نص موضوعها: فيما يخص بن هدوثة (ناحية قوبير): بأن المدعو بن هدوثة أو هدوثة عبد الحميد رئيس جمعية الطلبة الجزائريين بالزيتونة، التابعة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، يقوم حاليا بدعاية كبيرة لحزبه، إنه يجوب المدينة

¹ - ينظر الملحق 16، A.N.O.M، Aix en Provence، boîte n°4507

² - ينظر الملحق رقم 17 Aix en Provence، A.N.O.M، doc daté le 27/56، boîte n°4705.

³ - للاطلاع ينظر الملحق رقم 2، Aix en Provence، A.N.O.M، doc n°202، boîte 4705

والضواحي، يجمع أموالا لصالح جمعيته، يقوم باتصالات مع مسيري الحزب الدستوري الجديد ويوجه له نداءات من أجل تقديم العون والاتحاد. المساندين والمعاونين الأكثر نشاطا لابن هذوثة هم المدعوان بوعزيز يحي من برج بوعريريج، والمدعو بودماغ مسعود من عين مليلة.¹

بعد إنشاء الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين، وتحت ضغط لجنة الأحزاب السياسية الجزائرية، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مختلف الجمعيات الزيتونية اتحدت في 12 ماي 1957، مكتب جديد ناشط للاتحاد كان مكون من:

- الرئيس: سايحي لخضر

لخضاري محمد لخضر من تقرت.

- نائب الرئيس: زعوب إبراهيم.

- الأمين العام: عسول فاتح.

- أمين الخزانة العامة: بن صادق محمد شريف.

- المسئول عن الصحافة: أبو عبد الله صالح.

- مسئول العلاقات: بوهليلة رشيد.

- مسئول العلاقات الثقافية: شلالي عبد القادر.

- مسئول العلاقات الاجتماعية: بولمعيز محمد.

- مسئول الرياضة والمسرح: حابس مصطفى.

- المسئول عن المكتبة والطلاب: غوتي ليلة.²

خامسا: حفلة جمعية الطلبة الجزائريين بتونس

لازالت هذه المؤسسة توالي جهودها في السعي إلى راحة أفواج التلامذة المقبلين على الجامعة الزيتونية وعلى الأخص في هذا العام الذي غصت فيه غالب الأوتيلات بتونس

¹ - للمزيد ينظر الملحق رقم 18، A.N.O.M.، Aix en Provence، doc daté 3/02/1956، boîte n°4705.
² - A.N.O.M.، même doc.

وأحوازها وكذلك المدارس التي هي على ذمة جمعية العلماء وهم لا يزالون دائبين على المحافظة لمراقبة سير التلاميذ, وعندما طغى عليهم السيل هذا العام عملوا على إرجاع البعض منهم إلى مدينة قسنطينة للالتحاق بالمعهد الباديسي ولازالت توفر لهم أسباب الراحة لجميعهم.

فبمناسبة المولد النبوي الكريم على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم أقامت هاته الجمعية الفتية احتفالاً زاهراً بقاعة قصر الفرنسيوة بتونس أحياءاً لذكرى ذلك اليوم الخالد في سجل التاريخ الإنساني.

وقد حضر الاجتماع جم غفير من التلاميذ الجزائريين والتونسيين و في مقدمتهم بعض الأساتذة المدرسين بجامع الزيتونة عمره الله وألقي في هذا الاحتفال العظيم كثير من المحاضرات العلمية والخطب المفيدة والقصائد الفريدة التي تناولت دراسة شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وتاريخه وأطوار حياته العامرة بالصبر والعظمت والخطب المفيدة, ألقى فيه الشيخان الجليلان الطيب التليلي المدرس بجامع الزيتونة والشيخ الصادق أبو السرور المتطوع بالتدريس في الجامع¹ أيضاً خطابان كريمان كان لهما الأثر البالغ في نفوس الطلبة الزيتونيين لاسيما الطلبة الجزائريين الذين أوصاهم بأن يقتدوا بسيد الخلق فهو أحسن مثال للصبر و أجل مثل لمكارم الأخلاق, ودعاهم إلى الترصن وترك الباطل وإتباع منهاج الحق والتحلي بالإيمان فهو سلاح المسلم والتوكل على الله, طلب العلم في سبيله.

وجرت العادة بأن تحتفل الجمعية بمولد الهادي الكريم في كل سنة, كونها ذكرى عظيمة غالية في نفوس المسلمين يجيب إحيائها و للترفيه و بث البهجة والسرور بين صفوف الطلبة المغتربين بغية تحصيل العلم².

¹ - محمد صالح الجابري، النشاط الفكري والعلمي، نفسه، ص 138.

² - علي مرحوم، احتفال جمعية الطلبة الجزائريين بتونس، البصائر، ع172، الاثنين 12 جمادى الأولى 1358هـ / 30 جوان 1939م، ص4.

أ- احتفال الجمعية بعيد الأضحى المبارك :

اغتنمت الجمعية حلول عيد النحر ففكرت في إقامة حفلة باهرة ليلة العيد بإحدى مراكز الطلبة من مدارسهم وفعلا اكتظت هذه المدرسة بأفواج الطلبة و أسندت رئاسة الاحتفال إلى الشيخ " أحمد بوعروج" أكبر الأعضاء سنا لتغيب الشيخ عبد الرحمن شيبان رئيس هذه المؤسسة وتولى الخطباء من الشباب الجزائري أمثال السادة: رابح بونار, عمار النجار, عمر بوناب, الطاهر بن إبراهيم, الطاهر السعدي, علي الجندوبي, ومجموع هؤلاء من التعليم الثانوي وختمت الحفلة بتوزيع كؤوس الحليب والتمر وفارق الحفل التلامذة وهم يترنمون بالأناشيد القومية للمرحوم العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس¹.

ومن بين الكلمات التي ألقيت في حفلة الطلبة الجزائريين المزاولين للتعليم بالجامعة الزيتونية بمناسبة حفلة ليلة العيد التي أقامتها جمعية الطلبة الجزائريين ألقاها السيد علي الجندوبي الصحفي التونسي جاء فيها ما يلي:

سادتي و إخواني الفضلاء ، أقف اليوم بينكم أيها الإخوان و أن خجل لأنني لم أتعود الخاطبة ولست من رجالها و إنما تلبية لرغبة البعض من الإخوان ولرابطة روحية تربطني بالقطر الشقيق الجزائري وعلى الأخص بشبابه المغترب لأجل العلم هذه البلدة التي أنا في شوق للتعرف إليها ولأهلها وعلى الأخص بعد سماعي إلى المحاضرات المتوالية التي يقوم بها الشيخ المختار بن محمود² على الجزائر وقيمتها ومحاسن أهلها.

هذا زيادة على الروابط التي تربطنا بفقيد الجميع العلامة المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي يرجع له الفضل في بذر هذه البذرة الصالحة في جسم الأمة الجزائرية العربية المسلمة و يلذ لي اليوم أن أحي فيكم روح هذا العالم العامل الذي سطر لكم مناهج التعليم والمعرفة فعلى عهده كانت أكبر قافلة علمية وردت علينا لا يتجاوز عددها 150 طالبا وبعد انتقال روحه إلى الرفيق الأعلى ها نحن نشاهد في العالم يفوق عددهم

¹ - البصائر، العدد 16، الاثنين 7 صفر 1367هـ / 22 ديسمبر 1947م، ص 2.
² - المختار بن محمود رحالة تونسي، ويصادف هذا التاريخ بلوغ العام عن زيارته للجزائر الذي لا زال يفيض القول عنها وعن أهلها خاصة وأن الله أعطاه سحر القول والبيان والتدقيق.

1300 طالب زيادة عن عدد لا بأس به ملتحق بالمدارس العصرية كالصادقية ومعهد الآداب¹.

و لا تسأل عن انتشار حفاظ القرآن الكريم بقطركم و التثبت باللغة العربية و آدابها كما أثبتته لنا الرحالة التونسي الشيخ المختار بن محمود و انتشار الفقه والأخلاق الفاضلة لديكم و يكفي شهادة هذا العلامة و يكفي الجزائر فخرا أنها اقتفت أثر البرنامج الذي سطره الشيخ عبد الحميد بن باديس و سعي جمعية العلماء في تكوين ثلاثة مراكز ممتازة للتعليم إحداهما بالعاصمة و الثانية بعمالة وهران و الثالثة بمدينة قسنطينة التي افتتحت أبوابها في هذا العام و هي تشتمل على سبعة أقسام و أسندت إدارتها إلى العلامة النابغة الشيخ العربي التبسي أحد أقطاب الحركة العلمية التي تقوم بها جمعية العلماء و هذا الأخ هو خليفة العلامة الشيخ عبد المجيد البشر الإبراهيمي الذي من سوء حظنا أننا لم نتعرف إلى ذاته و إنما عرفناه بآثاره الأدبية عن طريق جريدة " البصائر " تلك التحفة الأدبية التي هي أكبر حجة وبرهان ساطع على نبوغ الجزائري الذي هو عنوان مجد العروبة و الإسلام رغم ما نال الجزائر من أوصاب².

و هي وثيقة أدبية يتحلى بها جيل الجزائر و يفتخر بها الشمال الإفريقي لغزارة مادتها اللغوية و متانة أسلوبها اللطيف الذي شهدت بتفوقه طائفة من النجباء الذين لهم باع في هذا الميدان.

و يكفي الجزائر فخرا أنها لها اليوم من الناجحين من خرجي الجامعة الزيتونية بين الموسم الدراسي للعام الفارط و مفتح هذه السنة أي (1947م) أكثر من 80 طالبا تحصلوا على شهادتي الأهلية و التحصيل مع نجاح كافة بقية التلامذة في ميدان الاختبارات و قد شهد البعض من الأساتذة بتفوقهم حتى على إخوانهم أبناء تونس³.

1 - البصائر ، 16ع ، المصدر السابق ، ص 2 .

2 - علي الجنوبي ، احتفال جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بعيد الأضحى المبارك ، البصائر ، 16ع ، المصدر السابق ، ص 6 .

3 - الجنوبي ، احتفال جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بعيد الأضحى المبارك ، المصدر السابق ، ص 6 .

إن العلم أيها الإخوان هو أقدم سلاح تحارب به الأمم الضعيفة المستعبدة طغاة البغي وعبدة الطاغوت من العاملين على نشر وطمس الحقائق الخالدة في حياة الأمم العربية المسلمة¹.

إنني مسرور جد السرور من تمكني لهذه الفرصة التعرف على أرواح طاهرة، وإخوان تعارفوا على الصفاء لأبدي لكم بعض ملاحظات مصدرها رجل خبير مُر الدهر وحلوه.

وإنني أقف اليوم بينكم معبرا عن ابتهاجي الشخصي كأحقر خادم أمين للمؤسسات الأدبية والعلمية وبالأخص جمعية الطلبة الجزائريين التي أعتبر نفسي فردا منها و لا أخفي عليكم تأسفي الشديد لغياب صديقي الحميم الشيخ عبد الرحمن شيبان الذي أقعده المرض على أن يكون بينكم.

إن الشمال الإفريقي و بالأخص القافلة العلمية هي سائرة في طريق النهوض والاعتماد على النفس باذلا كل ما في وسعه لإنارة ذهنية الشباب. هذا الشباب الذي انقسم عنوانه بدون دجل فأنتم عنوان الحيوية والتضحية في سبيل الآمال المنشودة مثل بقية الأمم العربية المسلمة.

إنني أيها الإخوان غير قادر على التعبير على ما يختلج في ضميري نحو أشبال الشمال الإفريقي وفي المقدمة القطر الشقيق الجزائري الذي ضرب أهله باسمهم المثل في ميدان الثقافة والاقتصاد والتفكير المصيب. فقد توقف رجالكم العاملون من أهل العلم وتغلبوا على قتل روح الجهل الذي كان يخيم على بلادكم حتى أصبح صوت الجزائر يدوي كالرعد له صدهاء في أقصى العالم.

وإنني لفخور اليوم إذ أعبر لكم عن أجمل العواطف النبيلة التي يستحقها هذا الجمع الذي يمثل عنصرا حيا في ميدان المعرفة والنهوض الاجتماعي الثقافي².

1 - البصائر، الاثنين 7 صفر 1367هـ/ 22 ديسمبر 1947م، العدد 16، ص 6.

2 - البصائر، المصدر نفسه، ص 6.

ب- إحياء الذكرى الحادية عشر لحوادث الثامن ماي:

لقد ورد في الوثيقة رقم 681 الصادرة بـ 18 ماي 1956 عن مصلحة الاتصال بشمال إفريقيا تحت عنوان: مأخوذة عن الصحافة التونسية: الصباح لـ 9 ماي 1956 ما يلي:

إخواننا الجزائريون يحيون ذكرى 8 ماي 1945 بالجامع الكبير للزيتونة، "الصباح" أصدرت تحت هذا العنوان عرض الحال لاجتماع تم يوم 8 ماي 1956، من طرف الطلبة الجزائريين لتونس بجامع الزيتونة بالمناسبة الحادية عشر لأحداث 8 ماي 1945، والتي قامت فيها القوات الفرنسية الشرسة، قامت بمذبحة شنيعة أدت إلى قتل 45 ألف ضحية من بين سكان سطيف وقلمة.

كثير من المجتمعين أخذوا الكلمة في هذه المناسبة حتى يظهر لنا الجرائم التي قام بها الاستعمار على أبرياء، وكذا يمدح ويثني على بطولة وبسالة جيش التحرير الجزائري، وختمت الوثيقة بتوقيع رئيس مصلحة الاتصال لشمال إفريقيا¹.

ج- إحياء الذكرى السادسة عشر لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس:

وجاء في الوثيقة الصادرة بيوم 25 ماي 1956، تحت عنوان مذكرة قضايا ثقافية، إحياء ذكرى وفاة ابن باديس، كلمة الأمين لجمعية الطلبة الجزائريين:

"الصباح" أصدرت تحت هذا العنوان أهم المقطعات التي أقرها الأمين العام لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس أثناء الحفلة التي تمت في 24-05-1956 بالحي الزيتوني من طرف هذه الجمعية لإحياء ذكرى الشيخ ابن باديس.

المتحدث يؤكد كثيرا على أعماله المعبرة، التي تمت في حياته كما تطرق إلى المجهودات الجبارة التي قام بها بدون ملل أو خوف حتى يبين للجزائريين، ويشعرهم

¹ - A.N.O.M.، Aix en Provence، doc n° 688، boite 4507.

بالحقيقة الوطنية بالجزائر، وروح المقاومة والتصدي لاستعمار شرس الذي هدفه الوحيد هو القضاء على الشخصية العربية والإسلامية للجزائر وتحطيم المقومات المقدسة.

بعدها تطرق إلى التضحيات التي قام بها الشيخ بن باديس، من أجل تقدم وإحياء الجزائر، واعترف بمقاومته القوية والحقيقية ضد الاستعمار الفرنسي وأناسه، المتحدث أكمل يقوله التالي: آوه ابن باديس، أولادك يموتون بآلاف المئات من أجل البلاد، الشيوخ يقتلون، ويشوهون بقوة... الأولاد يصرخون للبحث عن أمهاتهم... الرضع يقتلون... الشباب يقتلون بالرصاص والعربات القتالية، ويتحرشون بالبنات البكر والزوجات تحت أعين أزواجهم وعائلاتهم... يحرقون الناس، يدمرون الدشرات والقرى...¹

آوه ابن باديس، شعبك اليوم مبعثر، إنه ليس إلا مجموعة من الأرامل يتامى ومحتاجين، غير أن هذه الأرامل اليتامى، وهؤلاء المضطهدين يحتملون كل هذا بقوة إنهم صابرين ومقتنعين، اليوم كل الجزائر في ثورة لا يوجد اليوم إلا ثائرين بالجزائر، لأنهم اتبعوا طريقك، آوه أنت أول من ثار ضد الاستعمار.

بعدها وضح بطولة جيش التحرير الجزائري، الذي يحقق اليوم آمال وأمنيات الشيخ ابن باديس، كما مدح المتحدث، تلميذ بن باديس، الرئيس بن بلة بطل المقاومة الوطنية، وختم كلامه بالعبارات التالية: تحيا بن بلة، حتى يبقى قائد الجزائر، حتى يتغلب على فرنسا، وينصر الجزائر، تحيا الجزائر حرة مستقلة، تحيا تونس أخت وصديقة، والتي أسكنت وما زالت تسكن اللاجئين الجزائريين، تحيا المغرب العزيزة، تحيا الوحدة العربية "الانتصار لنا"².

وفي ختام نشاط الجمعية يمكن ملاحظة ما يلي :

قامت جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتشجيع من الشيخ البشير الإبراهيمي ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ضرورة وجود الشخصية القيادية ، التي تستطيع تنظيم

¹ - A.N.O.M.، Aix en Provence، doc n°، 1328 boîte 4507.

² - Ibid.

جهود الشباب المبعثرة ، وحرص صفوفهم المتفرقة ، ويدل على قابلية الشباب للعمل المفيد بشرط وجود القيادة الصالحة ، فالشباب طاقة وقوة يمكن توجيهها إما إلى الخير أو الشر .

- قامت الجمعية بهدف المحافظة على الشباب ، بجمع شملهم وتنظيم جهودهم ، ولغاية أساسية تتمثل في محاربة كل ما يمس كيانه وهويته ، وتنمية وعيه ، وتبصير الأحداث والحوادث من حوله ، وتهيئته لمقاومة الاستعمار الذي كان يسعى بكل قواه إلى طمس مقومات شخصيته العربية الإسلامية .

وبفضل هذه الجهود النشيطة البارزة قطعت الجمعية شوطا كبيرا في إعداد الطلبة للمستقبل ، وتنشأة جيل منهم قادر على درء الضلالات التي يروجها المغرضون ، وأعدان الاستعمار ، وعليه فقد فكر القائمون على شؤون الجمعية في الكيفية التي ستدار بها المعركة المقبلة ، حين يعود هذا الشباب الجزائري إلى وطنه ، أو يواجه أذئاب الاستعمار الذين سعوا إلى غسل عقولهم بمختلف التراهاات التي تردد في الزوايا ، فكان لابد إذا من تسليح هذا الشباب بقدرات خطابية ، وتأهيله لمواجهة الجمهور ، والاحتكاك بالناس ، هذا القرار الذي اتخذته الجمعية ، وشرعت في تطبيقه هو أقرب إلى القرارات السياسية منه إلى القرارات الأدبية والعلمية ، وهو يوضح لنا الأغراض والمقاصد التي كانت تخامر عقول مسيري هذه الجمعية ، كما يبين لنا تطور الوعي السياسي وتناميهِ من حلقة علمية إلى أخرى ، ومن جيل طالبي إلى جيل آخر¹ .

سادسا: حل الجمعية

ورغم محاولات النهوض بالجمعية إلا أن تلك الجهود كانت غالبا ما تصطدم بالعراقيل والموعقات، بسبب اختلاف الطلبة في الآراء، وتدخل بعض النزاعات السياسية، ولقد ظل الانقسام حاصلًا في صفوف الطلبة إلى غاية سنة 1957م السنة التي قامت جبهة

¹ - الشاذلي المكي ، الفسطاط (PDF) ، 3 جانفي 2013م على الساعة 10:10 سا .

التحرير الوطني فيها بتجميد الجمعية ونشاطها ، لتعيد بعثها من جديد في شكل تنظيم يجمع شتات الطلبة ، ويرفع بهم فوق الخلافات¹.

بعد تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية أخذت وزارة الشؤون الثقافية على عاتقها التكفل بحل مشاكل الطلبة الجزائريين ، وذلك بالسعي لدى مختلف الجهات والمنظمات ، وبالتنسيق مع الإتحاد ، فكان أن عينت الوزارة الوضع ، الذي يعيشونه وقدم الوزير وصفا لحالتهم فيما يلي : " ... أما بتونس فإن حالة الفقر والفاقة المخجلة التي يعانيها الجزائري قد أثرت نوعا ما على دراسته ، فالناجحين في الامتحان غالبا ما ينالون درجة قريب من الحسن أو دون ملاحظة ، ولا أنتظر من طالب لا ينال منذ سنوات البكالوريا الضرورية ، ولا يأوي في الغالب إلا إلى جحر ضب خرب ، أن يقوم بمجهود كبير.. "2

وعند انعقاد المجلس الوطني للثورة الجزائرية في طرابلس في ديسمبر 1959م ، أعاد الوزير تقديم حالة الطلبة بتونس فذكر بأنهم : " ... في حالة إهمال تام ونقص عظيم في التغذية واللباس، ولهم مساكن مخجلة ، تتنافى مع كرامة الإنسان ويتناول أكثرهم طعامه في مطعم بئس حقير، لا يجدون فيه ما يسد الرمق ، ولم يتناولوا قطعة لحم أو فاكهة منذ ما يزيد عن ستة أشهر ، ولقد كانت مصلحة الشؤون الاجتماعية هي التي تتبرع عليهم بما تستطيع اقتصاده من مواد اللاجئيين ، لكنها اضطرت عند تشكيل الحكومة أن تقطع ذلك عنهم ، ولقد أصيب ما لا يقل عن العشرة بأمراض السل والروماتيزم ... "3.

إزاء هذه الوضعية قامت هذه الوزارة بمجهودات ومسااعي حثيثة لمساعدة هؤلاء الطلبة ، فكان أن سعت وفتحت لهم آفاقا جديدة بجامعةات ومعاهد المشرق (بغداد ، القاهرة،

¹ - ليكن في علم جميع الطلبة الجزائريين أن المكتب الإداري لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين قد انحل في الاجتماع العام الذي وقع مساء الأحد 8 ماي بقاعة الجامعة العامة للموظفين التونسيين ، وبهذا الانحلال انتهت مهمة الجمعية ، ومن ذلك التاريخ تكونت لجنة تحت إشراف جبهة التحرير الوطني ، لتحضير القانون الأساسي للإتحاد العام للطلبة الجزائريين بتونس ، فعلى كافة الطلبة أن يأتوا ليشاركوا قبل منتصف يوم الأحد 12 ماي ، فالمكتب مفتوح كل يوم من الساعة التاسعة إلى الواحد بعد الزوال ومن الرابعة إلى السابعة مساء ، ومن لم يشترك قبل هذا التاريخ لا صوت له ، وليكن في علم الجميع أنه سينعقد اجتماع عام مساء الأحد 12 ماي على الساعة الثانية بعد الزوال تحت إشراف ممثل جيش وجبهة التحرير الوطني بقاعة الجامعة العامة بنهج سوق أهراس تونس ن تقرأ فيه خطوط القانون الأساسي للإتحاد العام للطلبة الجزائريين، كما يقع الانتخاب ، إمضاء الصاغ الأول مراد ، الصاغ الثاني أو عمران ، جيش وجبهة التحرير الوطني الجزائري ، إعلان لكافة الطلبة الجزائريين ، الصباح ، ع1657 ، سنة 1957م ، ص4 .

² - المجاهد ، ع33 ، 8 ديسمبر 1958 / ، ص11 .

³ - مركز الأرشيف الوطني ، جلسات المجلس الوطني للثورة المنعقدة بطرابلس ، ديسمبر 1959م .

دمشق) وجامعات أوروبا وسعيًا مع الدول العربية الشقيقة لتخصيص مقاعد جديدة بجامعاتها للطلاب الجزائريين المتحصّلين على كفاءة علمية ، ووجدنا استعدادًا حسنًا فأخذنا من تونس أول مرة في مفتح سنة 1959م ، 64 طالبًا وزعوا بين كليات ومعاهد الشرق الأوسطن وذلك حسب درجات نجاحهم في الامتحانات وشهاداتهم¹، وبفضل الجهود التي قامت بها الوزارة ، وكذلك الإتحاد تم التوصل إلى تحسين مطعم الطلبة كما ونوعًا ومكانًا ، وكما وضعوا لهم بعض المنح المالية لسد حاجاتهم الضرورية ، وتم إعانتهم ببعض الملابس²، أما بالنسبة للسكن فإنه تم إنشاء دار للطلبة الجزائريين وتحقق إسكانهم في ظروف تساعدهم على دراسة لائقة ، كما تم قبول عدد كبير من التلاميذ الجزائريين في الداخليات التونسية ، سواء بمنح من الحكومة التونسية أو بواسطة منح من الخارج³، ورغم هذه الظروف القاسية التي عاشها الطلبة الجزائريون بتونس إلا أن ذلك لم يثنيهم عن المشاركة في الثورة منذ انطلاقها .

سابعًا: الكتابات المشتركة بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والطلبة:

أ- مطالب الجمعية بفصل الدين عن الدولة:

الإسلام في الجزائر دين راسخ والركيزة الأساسية للذاتية الجزائرية، وهو السلاح الذي يرفع في وجه الغزاة حفظًا لحرية هذا البلد.

إن اعتزاز الجزائريين بالإسلام الكبير جعلهم ينوهون به كمنقذ للبشرية من دياجير الجهل ومن ظلم قوبها لضعفها⁴، ولم يتوان الإسلام لحظة واحدة على مواساة البشرية المرزوءة والبر بها في جميع ما ينتابها من ويلات (الحدثان) دون تفرقة بين شيوخها وشبابها، ورجالها ونسائها، فعاملهم الإسلام كلهم معاملة واحدة رائعة حيث أخذ بأيديهم

¹ - مركز الأرشيف الوطني ، نفسه ، تقرير وزير الشؤون الثقافية ، جلسة يوم 22 - 12 - 1959م ، ميكروفيلم رقم 11-1 - 3/ ، للمزيد ينظر محمد السعيد عقيب ، الطلبة الجزائريون في الأقطار العربية ، ومساندتهم في الثورة التحريرية ، عصور الجديدة ، 9ع ، دار القدس العربي ، الجزائر 2013 ، ص 80 .

² - مركز الأرشيف الوطني ، المصدر السابق .

³ - نفسه ، تقرير نشاط وزارة الشؤون الثقافية والاجتماعية ، 1960م - 1962م ، العلبه 75 ، الملف 13 .

⁴ - إمضاء أ.ع. ، "أثر الحركة الإصلاحية بالجزائر" ، الأسبوع ، 20 فيفري 1950 ، ص 05.

جميعا إلى النجاة والسلامة لأن مبادئه تركز على الرحمة والرفق بالإنسانية¹، وهذا سر الانتشار الواسع والسريع، فقد كان يعتمد في جميع فتوحاته الواسعة على مواسة الضعفاء وإدخال الطمأنينة على نفوسهم الشيء الذي يجعله متبعا إلى يوم الدين².

لذا فمناداة الجزائريين للتمسك بالإسلام مبررة واعتبارهم أن نجاتهم في الاتحاد الديني³، للوقوف أمام الاستعمار والذي عاث في الأرض فسادا لأن الإسلام هو القوة الدافعة للمقاومة فهو الذي بقي ثابتا يكافح الخصم فينتصر.

إنّ الاستعمار ولفقادي هذه الوضعية في الجزائر بادر إلى إضعاف الإسلام من خلال التجريد من الأوقاف من المساجد والمدارس، الأمر الذي يؤدي إلى تصنيف فرص التعلم أمام المسلمين⁴، وبالتالي قطع الصلة بين الإسلام والمسلمين تدريجيا ومن ثم التحكم في الضمائر بتشجيع الانتهازيين لشغل مناصب الإمامة، وتحويل المجالس العلمية والمواعظ الدينية إلى حلقات هرولة ودروشة واعتقاد في بركة الشيخ بأنه هو الواسطة بين الناس⁵ وربهم⁶، بل ويروي آخرون أن هذا غير كاف في نظر الاستعمار فلا بد أن يكون التدمير ذاتيا ومن داخل الجسم المراد تحطيمه، وكانت وسيلته في ذلك النخبة، وفقدت في الغالب صلتها بالإسلام، مما يبعث الشك في النفوس والضعينة في القلوب والفرقة في الصفوف⁷.

كان لا بد من المقاومة فمتى دبّ الفشل في أمة من الأمم وطاشت أحلام أبنائها نحو الشهوات والميول النفسية وغضت طرفها عن الأخلاق الفاضلة الإسلامية ونبتتها إلا وأصبحت عرضة للأزمات والنكبات في مختلف فروع الحياة⁸. والنتيجة الانحلال

1 - الأمين عبد العزيز، "المواسة في الإسلام"، الأسبوع، 2 جانفي 1950، ص 10.

2 - محمد شائب الذراع، "الإسلام انقلاب تجديدي"، الأسبوع، 21 جوان 1954، ص 7.

3 - إبراهيم بن محمد خرفي، "نجاتنا في الاتحاد الديني"، الأسبوع، 10 ديسمبر 1951، ص 12.

4 - محمد المنصوري الغاسري، "الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر"، الأسبوع، 14 مارس 1949، ص 3.

5 - بلوزاع براهيم، كتابات الجزائريين...، المرجع السابق، ص 51.

6 - محمد المنصوري الغاسري، المصدر السابق، ص 3.

7 - محمد شائب الذراع، المصدر السابق، ص 7.

8 - إبراهيم بن محمد خرفي، المصدر السابق، ص 12.

والاضمحلال والهبوط إلى مرتبة العبودية وذاك ما يريده الاستعمار بتدخله في كل كبيرة وصغيرة تخص الدين الإسلامي وشعائره.

وعندما تأسست جمعية العلماء، لم يظهر في قانونها الأساسي ما يدل بوضوح على مطالبتها بفصل الدين عن الدولة، ولكنها عندما تحررت من الطرقية وأعوان الإدارة جعلت من هذا المطلب غايتها الرئيسية ويبدو ذلك من المطالب التي تقدمت بها الجمعية للمؤتمر الإسلامي المنعقد في العاصمة الجزائرية في شهر جوان 1936م، والتي جاء فيها:

تسلم المساجد للمسلمين مع تعيين مقدار من ميزانية الجزائر لها يتناسب مع أوقافها، وتتولى أمرها جمعيات دينية مؤسسة على منوال القوانين المتعلقة بفصل الدين عن الحكومة.

أما عبارة فصل الدين عن الدولة فيبدو أنها وردت لأول مرة في مطالب المؤتمر الذي كان قد دعا إلى عقده بن باديس¹، والذي ضم بالإضافة إلى جمعية العلماء عددا من الأحزاب السياسية، ومجموعة من النواب الجزائريين، ورفع مطالبه إلى حكومة الجبهة الشعبية في باريس عام 1936م ووردت هذه العبارة في البند الثالث كما يلي: فصل الدين عن الدولة بصفة عامة، وتنفيذ هذا القانون حسب مفهومه ومنطوقه².

واستمرت جمعية العلماء، بعد رفض الحكومة الفرنسية لمطالب المؤتمر في نضالها من أجل الحصول على استقلال الدين الإسلامي عن الإدارة الفرنسية أسوة بما تحقق للأديان الأخرى في هذا المجال.

وقدمت الجمعية في 5 أوت 1944م تقريرا إلى الحكومة الجزائرية، وضعت فيه قضية فصل الدين عن الدولة في رأس مقاصدها الثلاثة:

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ط2، 1937، ص171.

² - الشهاب جويلية 1936، ص 236.

1- المساجد وموظفوها وأوقافها. 2- التعليم العربي ومدارسه ومعلموه. 3- القضاء الإسلامي وتعليمه ورجاله¹.

وبينت جمعية العلماء مقاصدها من تقديم التقرير فيما يتعلق بالشؤون الدينية بما يلي:

– نحن الآن باسم الدين، وباسم الأمة نتمسك بعبارة فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الجزائرية، ونريد تطبيقها على الكيفية الآتية:

أولاً: فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الجزائرية فصلاً حقيقياً بحيث لا تتدخل في شيء من شؤونه لا ظاهراً ولا باطناً، لا في أصوله ولا في فروعها.

ثانياً: تسليم ذلك كله إلى أيدي الأمة الإسلامية صاحبة الحق المطلق فيه، وتقدير سلطتهم على أمور دينهم تقريراً فعلياً خالصاً لا التواء فيه².

وتناولت بعد ذلك مطالب جمعية العلماء، داعمة إياها بالضغوطات الشعبية والبرلمانية والدينية محاولة التأثير على موقف الحكومة الفرنسية التي ما لبثت أن أصدرت قانون 20 سبتمبر 1947م، الذي وضع نظاماً خاصاً للجزائر، جاء في مادته 26 ما يلي:

¹ - التقرير الذي قدمه مجلس إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الحكومة الجزائرية بعد اجتماعه في 5 أوت 1944.

² - دائماً يتحقق ذلك ويصير نافذاً بما يأتي:

- أ. تشكيل مجلس إسلامي أعلى مؤقت بعاصمة الجزائر يتركب من:
 1. بعض العلماء الأحرار المعترف بعلمهم وأعمالهم للدين الإسلامي.
 2. بعض أعيان المسلمين المتدينين البعيدين عن المناصب الحكومية.
 3. بعض الموظفين المتدينين بشرط أن يكونوا أقل من النصف، ويتسلم هذا المجلس جميع السلطة التي كانت للحكومة في الشؤون الدينية =
- ب. = من أهم أعمال المجلس أن يتولى تشكيل جمعيات دينية بالطرق الممكنة انتخاباً وتعييناً، وله أن يكلف بما يراه صالحاً من الجمعيات الدينية الحرة السابقة.
- ج. فإذا تمت تلك التشكيلات يعقد مؤتمر ديني من المجلس الأعلى ورؤساء الجمعيات الدينية وبعض أعضائها البارزين، وفي هذا المؤتمر يوضع النظام العام للمستقبل طبق قانون الفصل.
- د. كل ما يقرره هذا المؤتمر يعتبر قانوناً نافذاً يجب الخضوع له، ولا ينقصه إلا مؤتمر سنوي آخر.
- هـ. بعد انعقاد المؤتمر الأول ينحل المجلس الأعلى المؤقت وتنتخب الجمعيات الدينية مجلساً على النظام السابق وإلى المدة التي يقررها المؤتمر.
- و. يملك المجلس الإسلامي الأعلى المنتخب، السلطة التنفيذية لمقررات المؤتمر الدينية السنوية، أما السلطة التشريعية فيملكها المؤتمر، وليس للمجلس الأعلى إلا تقديم الإرشادات ووضع التقارير والدفاع عنها أمام المؤتمر.

" أن استقلال الديانة الإسلامية مؤمن في نظر الدولة أسوة بالأديان الأخرى، وذلك في إطار ما ورد في قانون ديسمبر ومرسوم 27 سبتمبر 1907م¹.

ولكن هذا القانون الذي ضمن استقلال الديانة الإسلامية نظريا، جعل تنفيذ هذا الاستقلال وفقا لما ورد في الفقرة الثانية من نفس المادة، رهنا مشيئة المجلس الجزائري L'assemblée Algérienne الذي كانت تهيمن عليه الإدارة الفرنسية، ولم يتمكن هذا المجلس طيلة حياته البرلمانية من اتخاذ أي قرار فعلي بتأمين استقلال الديانة الإسلامية أو النظر في وضع أوقاف المساجد، وبقي هذا القانون ورقة ميتة محفوظة في أدراج المجلس، بالرغم من المكتسبات الدينية والثقافية التي نص عليها، والتي جاءت على ما يبدو نتيجة لنشاط جمعية العلماء والحركة الوطنية الجزائرية.

إن مطالبة الجزائريين بفصل الدين الإسلامي وأوقافه عن الدولة الفرنسية له ما يبرره، نظرا للتصرفات الإدارية المخجلة في حق المسلمين وشعورهم الديني.

يحكي عبد الرحمن العقون عن مهزلة رؤية هلال ذي الحجة لعام 1948م²: أو كما سماه (الهلال الجزائري)، لم يظهر لا يوم تسعة ولا يوم عشرة ذي الحجة، فكنت ترى الشعب الجزائري المسكين كأنه ملل ونحل مختلفة فمنه المحتفل بيوم العيد، ومنه الصائم ليوم عرفة، ومنه المحتفل في بيته، والممسك أمام الناس خوفا من أعوان الحكومة الفرنسية التي ساعدتها الظروف على التدخل حتى في صلاة العيد وذبح الأضاحي، وإنك لتري هذا يا للأسف في البلد الوحيد والقرية الوحيدة وتري من صلى صلاة العيد يومين متعاقبين، ومن صلاها في اليوم الأول خفية وفي الثاني علنا بحسب تشدد وتسامح رجال الإدارة، وقد اشتمل لدى العموم أن يوم الخميس هو يوم العيد الرسمي للحكومة بناء على كمال الهلال الجزائري فحجزت ذبائح المحتفلين بيوم الأربعاء وأوقف المصلون وأغلقت مساجدهم

¹ - Statut organique de l'Algérie- loi n° 47- 1853 du 2 septembre 1947، art : 567 (Jeanson، L'Algérie hors la loi (annexe)، p. 289.

² - عبد الرحمن العقون، "العالم الإسلامي ومسؤوليته إزاء المواسم الإسلامية"، الأسبوع، 14 نوفمبر 1948.

وحررت التقارير بكثير من المحتفلين في كثير من البلدان، أما يوم الأربعاء فهو يمو العيد الإسلامي الذي ثبت في كثير من البلدان الإسلامية¹.

ولسحب البساط من تحت أقدام السلطات الاستعمارية يجب توحيد الرؤية على مستوى العالم الإسلامي وذلك بتركيز محطات لرصد الأهلة في نقاط معينة ومن هناك تنشر نتائج الرصد على كامل العالم الإسلامي بواسطة "إذاعات لاسلكية" تؤسس لهذا الغرض².

وإلى حين تنفيذ هذا الاقتراح، والذي لم ينفذ إلى اليوم وما زالت حالة التشرذم قائمة، فإن السيد عبد الرحمن العقون حمل جمعية العلماء المسؤولية كاملة عن إفساح المجال للاستعمار للتدخل مرة أخرى في ممارسة الشرائع الإسلامية والتلاعب بها لأنها سكتت عن الأمر، ولم تقل الناس من حيرتهم، فأخلت باختصاص هام من اختصاصاتها³.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد حتى الحج نال نصيبه من التدخل⁴، فلا يحج الحاج حتى تجس حرارة إيمانه بالولاء، أما المغضوب عليهم من الإدارة فيكفي إذا أرادوا الحج في الماضي أن يتوجهوا شطر دور الحكومة ليتمسحوا بأعتابها ويستنزلون رحمتها ويستدرون رضاها إذا ما رضيت، وهيئات أن ترضى فقد كان حجمهم مبررا وإلا كان حجمهم في الحج مقبور.

وحتى القضاء الإسلامي لم يبق له الاستعمار إلا الأحوال الشخصية وحتى هذه الدائرة الضيقة حاول التدخل فيها من خلال قانون 23 نوفمبر 1944م⁵، الذي يبيح للمسلمين الخيار ما بين القضاء الإسلامية والقضاء الفرنسي في كل القضايا.

¹ - الرحمن العقون، "العالم الإسلامي ومسؤوليته إزاء المواسم الإسلامية"، المصدر السابق.

² - بلوزاع براهيمة، كتابات الجزائريين...، المرجع السابق، ص 53.

³ - عبد الرحمن العقون، المصدر السابق،

⁴ - Claude Collot، Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale 1830- 1962، éd. CNRS، OPU، paris- Alger، 1987.

- نقلا عن بلوزاع براهيمة، المرجع نفسه.

⁵ - لائحة جمعية القضاء الإسلامية، الأسبوع 18 ماي 1947، ص 3.

وكانت قد أدرجت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عنصر القضاء ضمن لائحة المطالب التي تقدمت بها إلى المؤتمر الإسلامي حيث جاء في هذا الصدد:

– **القضاء:** ينظم القضاء بوضع مجلة أحكام شرعية على يد هيئة إسلامية يكون انتخابها تحت إشراف الجمعيات الدينية، وإدخال إصلاحات على المدارس التي يتخرج منها رجال القضاء، منها تدريس تلك المجلة والتحقق بالعلوم الشرعية الإسلامية وطبع التعليم بطابعها لتكوين رجال يكونون من أصدق الممثلين لها¹.

رغم ذلك لم تأبه السلطات الفرنسية لهاته المطالب، ولم يجد أحدهم أن يعلق: كيف يعقل هذا في بلد إسلامي؟²، خاصة وأن أحكام القاضي المسلم لا بد لها من أن تصادق قاضي المخالفات الفرنسي³.

ب- الطلبة الجزائريون بتونس ومحاربتهم للطرقية:

لقد حارب الطلبة الجزائريون الطرقيون بقوة وفيما يلي بعض الرسائل الموجهة إليهم، يستهل الإمام بن راشد القفصي حديثه الموجه إلى الطرقيين وبعنوانه العريض الكلية الزيتونية والطرقيون: ... الكلية الزيتونية يؤمها كل عام جم غفير من إخواننا الجزائريين لطلب العلم الشريف ويحملون الأتعاب والمشاق في سبيل العلم والكرع من منهل العذب وهو ما نرمقه بعين السرور ونتلقاه بالفرح والحبور ولا ننفك ندعو لهم بالفتح والنجاح وبلوغ الآمال. غير أن الطرقيين لا ينظرون هنا بالعين التي ننظر بها نحن وسوانا بل إنهم طالما كذبوا على آباء الأطفال وأولياء التلامذة، ويظهرون لهم أن بتونس سوق الملاهي والفساد وحتى إذا ما استجيبت دعوتهم وسمعت منهم هذه النصائح ألفتوا أنظار الآباء إلى أبنائهم وطلبوا منهم عدم إرسال أفلاد أكبادهم لتونس خوفا عليهم من الفساد. وعلى هذا فلا نستغرب منهم مقاومة التعليم لتنوير الأذهان ونصب العراقيل والوشايات عن المعاهد العلمية والتقوّل عنها بما ليس فيها.

¹ - البصائر، السنة الأولى، العدد 24، 19 جوان 1936، عمار طالبي، ج3، ص 327.

² - م.د. المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس، ج2، الأسبوع 25 أبريل 1955، ص 07.

³ - لائحة القضاء الإسلامية، المصدر السابق.

ألا فاتقوا الله، إن كنتم به تؤمنون، أيها الطريقون المبتدعون ولا تعودوا لنصب العراقيل في سبيل العلم حتى لا يُحمّل وزر الجهل عليكم وتكونوا أنتم أمام الله المسئولين¹.

ج. مظاهر الخلاف بين جمعية العلماء والطريقين:

- نقد معتقدات الطرق الصوفية:

يعتبر المصلحون أن الطرق الصوفية بدعة لم يعرفها السلف، ومبناها كلها على الغلو في الشيخ، والتحيز لإتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ، إلى ما هنالك من استغلال ومن تجميد للعقول، إماتة للهمم وقتل للشعور².

وإنّ هذه الطرق برأيهم أدت ببنيتها وسلوكها إلى إحداث وثنية في الإسلام³ لإتباعها طقوسا خاصة بعيدة عن أصالة الدين الصحيح، مثل الخلوة والتوسل والبركة، ويهاجم البشير الإبراهيمي هذه الطقوس التعبدية قوله: "القوم عارفون بالله، وإن لم يدخلوا كتابا، ولم يقرءوا كتابا، وكل من ينتسب إليهم عارف بالله بمجرد الانتساب أو بمجرد اللحظة من شيخه، وقد كان قدامؤهم يتخذون من مراحل التربية مدارج للوصول إلى معرفة الله فيما يزعمون، وفي ذلك تطويل للمسافة، وإشعار بأن المطلوب شاق، حتى جاء الدجال بن عليوة وأتباعه بالخاطئة، فأدخلوا تنقيحات على الطريق.

أما التوسل فقد اعتبره العلماء شركا بالله، ونددوا بمن يدعي أنه يملك قدرات خاصة فيتصف بأوصاف الربوبية، فهو الذي يعطي، وهو الذي يمنع، وهو الذي يقبض وهو الذي يبسط، وهو منبع كل خير ومصدر كل شر⁴. وفي ذلك يقول ابن باديس: واحذروا كل متريبط يريد أن يقف بينك وبين ربك، ويسيطر على عقلك وقلبك وجسمك، ومالك بقوة يزعم التصرف بها في الكون⁵.

¹ - الشهاب، الخميس 16 ربيع الثاني 1346هـ/ 13 أكتوبر 1927م، العدد 117، ص 7.

² - الشهاب، ج4، م4، 11 جوان 1937، ص 178.

³ - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص 351.

⁴ - المرجع نفسه، ص 351.

⁵ - الشهاب، ع 49، 23 أوت 1926.

ويرى العلماء بأن هذه القواعد التي تلتزم بها الطريقة في نظامها تقوم أساسا على مبدأ الخضوع اللامشروط للشيخ الذي تطلق عليه ألقاب تتصف بها الذات الإلهية مثل "مولانا" و"سيدنا"، أصبح صاحب شيخ الطريقة، أو صاحب الضريح، أكبر مكانة في نفس السواد المغفل من الله¹، فكان حق الشيخ كما يقول الإبراهيمي، قبل الزوجة والأولاد، والآباء والأجداد، وحق الشيخ في المال قبل حق الفقير المسكين.

ظلت المواجهة قائمة بين الشق الإصلاحية والشق الطرقي، وكان موقف الإدارة الوقوف بجانب لأنها هي التي وافقت على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بشكلها الذي كانت عليه عام 1931م، لم تحاول التعرض لنشاط هذه الجمعية في البدء أملا في تمكين أصحاب الزوايا ومن يناصرهم في السيطرة عليها وتحويلها بالتالي إلى جمعية دينية تستقطب الشعر الديني لمسلمي الجزائر، وتحتوي تطلعاتهم الإصلاحية، وتكون في الوقت نفسه تحت هيمنة الإدارة.

ولكن سيطرة المصلحين على الجمعية، جعلت الإدارة تعيرها اهتماما أكبر من ذي قبل، فأخذت تغذي الصراع الذي دار بعد ذلك بين المصلحين والطرقيين، ووقفت خلف الطرقيين تشد أزرها دون أن تتدخل مباشرة في الصراع، إلا أن الطرقيين الذين كانت تعوزهم الإطارات العلمية لمجابهة علماء الإصلاح والمتخرجين من جامعات الشرق العربي ومن الزيتونة ومن الجامع الأخضر في قسنطينة، والذين كانوا يتحلون بعقيدة إصلاحية ثابتة، ويستعملون أساليب الإقناع المدعومة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، هذا في الوقت الذي كانت الطريقة في الوطن العربي بصورة عامة تجر أذيال الضعف والهزيمة تحت تأثير النهضة الفكرية الحديثة، هؤلاء الطرقيون شعروا أخيرا بأنهم فشلوا في مبارزتهم العقائدية، وأنه لم يعد أمامهم من وسيلة لوقف الحركة الإصلاحية عند حدها سوى الاستعانة بالإدارة التي أصبحت في رأيهم كفيلا بوقف النشاط الإصلاحي².

¹ - أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 185.

² - المرجع نفسه، ص 185.

د. محاربة الطريقة:

تبين لنا فيما سبق بأن الحركة الإصلاحية الناشئة التي قادها عبد الحميد بن باديس، استهدفت فيما استهدفته من دعوتها الإصلاحية القضاء على الطرق الصوفية التي كانت تعيش بصورة رئيسية في بعض الزوايا، ليس الجميع، لأن هناك زوايا أقامها أصحابها من أجل العلم والعبادة، ولم تتخذ مريدين طرقيين، وإنما كانت محجة وموئلا لطلاب العلم والمعرفة¹.

انحصر الصراع بين المصلحين والطرقيين في البدء في شرق الجزائر (عمالة قسنطينة) بالنظر لكون الدعوة الإصلاحية انطلقت من هذه المنطقة ويبدو أن هذا الصراع لم يكن متكافئاً، فقد كانت الطرق الصوفية المتواجدة بقسنطينة تفتقد إلى مدافعين أقوياء يقفون في وجه علماء الإصلاح الذين كانوا يمزقون غشاوة الجهل بهمة ومعرفة، وأبرز الذين انبروا للرد على المصلحين، بعض موظفي الإدارة الدينيين، وكان يشوب هذا الرد أحيانا تصرف عصبي، كإغلاق المساجد في وجه دعاة الإصلاح، كما فعل مفتي قسنطينة "المولود بن الموهوب" عندما منع بن باديس من متابعة دروس الوعظ في الجامع الكبير²، وكثيرا ما تكررت هذه الظاهرة في المدن الجزائرية الأخرى.

وكان الصراع بشدة كلما امتدت الدعوة الإصلاحية إلى وسط الجزائر وغربها، وقد خفت حدة هذا الصراع عندما شرع البحث في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

استمر الإصلاحيون في نشاطهم المناوئ للطرقيين، وتبين لهؤلاء، حسب قولهم: إن جمعية العلماء أصبحت "جمعية المصلحين" لا جمعية علماء الجزائر التي كنا نرجو من ورائها إصلاح ذات البين بين الإصلاحيين والطرقيين³، وأخذ كل فريق يسعى للاستئثار بالجمعية، وكانت الغلبة لرجال الإصلاح الذين تنفسوا الصعداء عندما أصبحت الجمعية بالفعل جمعية المصلحين، وكان على الطرقيين وأنصارهم أن يسعوا إلى تكوين رابطة

1 - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ف2، ص 93.

2 - عمار طالبي، بن باديس حياته وأثاره، ج1، ط1، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، ج1، ص 115.

3 - المرشد، لسان حال الزاوية العلوية، "تكوين جمعية علماء الجزائر"، ع 43، مستغانم، 12 نوفمبر 1950، ص 3.

تجمعهم بعدما تحولت جمعية العلماء إلى جمعية وهابية مائة في المائة لا تمت بصلة لأي مسلم من مسلمي الجزائر، إلا من نهج نهجها وعمل بمقتضاها¹، وسرعان ما برزت إلى الساحة الجزائرية جمعية منافسة لجمعية العلماء، أطلق عليها مؤسسها جمعية علماء السنة الجزائريين².

ولكي تتأهض جمعية علماء السنة أعلام الحركة الإصلاحية التي كانت تبثه جرائدها في ذلك الوقت مثل "الشهاب" و"المرصاد"³، "الإخلاص"⁴، التي أشرف عليها مباشرة عمر إسماعيل والمولود الحافظي، وأخذت تسدد هجماتها على بن باديس وأنصاره، تساندها في ذلك جريدة "البلاغ"⁵ لسان حال الطريقة العليوية بزعامة أحمد بن عليوة المستغانمي.

وشهدت السنتان 1932م-1933م، تراشقا صحفيا واتهامات متبادلة بين الفريقين، وصلت إلى حد المهاترات السخيفة والكلمات البذيئة التي ظهرت بصورة رئيسية بين "المرصاد" الإصلاحية التي كان يصدرها محمد عباس الأخصري من جهة و"الإخلاص"

¹ - المرشد، لسان حال الزاوية العليوية، "تكوين جمعية علماء الجزائر"، المصدر السابق، ص 3.
² - تأسست هذه الجمعية بتاريخ 15 سبتمبر 1932، كان الساعي إليها الشيخ المولود الحافظي الذي كان عضوا مستشارا في المجلس الأدبي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 والذي لم يكن راضيا بذلك فاتخذ جانب المعارضة لها، والذي كان يمثل وجهة نظر الطرفين الذين فشلوا في انتخابات المجلس الإداري للجمعية في 23 ماي 1932، إثر مقاطعتهم لها عندما تبين لهم عجزهم عن تأمين الأغلبية، راحوا يدعون إلى إنشاء جمعية منافسة لجمعية العلماء، فكانت جمعية علماء السنة التي جمعت بين رؤساء الزوايا والموظفين الدينيين المسلمين في الإدارة الحكومية. ينظر أحمد الخطيب، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 180.

³ - المرصاد (1931-1933): صدر العدد الأول منها بالجزائر في 27-12-1931، وهو يحمل التعريف التالي: "حرية دينية، مليّة، أخلاقية، تصدر كل يوم جمعة" مديرها محمد عباس الأخصري، وصاحب امتيازها محمد الشريف جوكلازي فرنسي الجنسية، مسلم العقيدة، وطني النزعة، أصدر العديد من الدوريات، استغله المصلحون لحصانته لأنه فرنسي الجنسية"، نجد جل مقالاتها تهاجم الانحراف الديني وتفضح أصحابه، خاصة ما كان يشيع في أعقاب الطريقة العليوية من تهتك وانحراف باسم الدين، عطلت المرصاد بعد أن صدر قرار بمنعه في الثامن نوفمبر سنة 1933 وقد صدر منه أربعة وستون عددا. للمزيد ينظر د. محمد ناصر، الصحف العربية، مرجع سابق، ص ص 119-124.

⁴ - الإخلاص: (1932-1933): في 14 ديسمبر من سنة 1932 صدر أول عدد جاء في تعريفها ما يلي: جريدة عملية دينية إرشادية، إخبارية يحررها نخبة من العلماء العاملين المعتدلين، تحت إشراف الأستاذ مولود بن الصديق الحافظي الزهري، أصدرها تجمع رجال الزوايا بعد انشقاق وقع بينهم وبين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لم تستمر في الصدور فقد توقفت أثناء سنة 1933، كانت توزع حوالي ألفي نسخة، لكنها سرعان ما توقفت ولعل هذا يعود أساسا إلى العوائق المادية.

⁵ - البلاغ: مستغانم ثم الجزائر (1926-1943): صحيفة علمية، إرشادية دفاعية أسسها أحمد بن عليوة شيخ الطريقة العليوية، لتكون لسان حال هذه الطريقة، أخذت الصحافة الإصلاحية تهاجمها منذ سنة 1925 صدر العدد الأول منها في 1926/02/24، كانت تطبع بالمطبعة العليوية ثم بالعاصمة، تعاقب على رئاسة تحريرها وإدارتها عدة أشخاص من بينهم حدوني محمد بن محي الدين، عدة بن يونس.

و"البلاغ" من جهة أخرى، ويبدو أن الشهاب التي كان يصدرها بن باديس من قسنطينة، اتبعت في ردها على تهجمات الطرقيين الأسلوب العلمي الرصين.

ولعل احتدام الصراع تطلب نجدات صحفية جديدة فأصدر الطرقيون جريدة "المعيار"¹ التي اشتهرت بنداواتها، وسفاهتها، فقابلها المصلحون جريدة أشد بأسا وهي جريدة "الجحيم"².

شعر الطرقيون أنهم في صراع ضد الإصلاح استنفذوا كل أسلحتهم وأنهم لم يعودوا قادرين وحدهم على الوقوف في وجه جمعية العلماء التي كانت تنشط بشكل ملحوظ، فحاولوا العودة إلى التفاهم معها، ووجهت جريدة "الإخلاص" في شهر ماي 1933 م دعوة إلى الوفاق لكن جمعية العلماء كانت قد انطلقت في طريق الدعوة الإصلاحية، ولم يعد بإمكانها العودة إلى الوراء والتخلي عن مبادئها.

هـ. رسالة الطلبة الجزائريين بتونس إلى المؤتمر الطرقي:

تونس 21 صفر 1358هـ / 12 أبريل سنة 1939م.

من الطلبة الجزائريين بتونس إلى حضرة السيد مصطفى القاسمي رئيس اتحاد الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر.

السلام على من اتبع الهدى.

¹ - المعيار (1932-1933): ظهر أول عدد من الجريدة بالعاصمة في 18 ديسمبر 1932، جاء في تعريفها: جريدة أدبية انتقادية فكاوية تصدر مرتين في الشهر، مديرها هراس مصطفى، ومحررها أبو مرزية جبهة تحمل تحت عنوانها كشاعر الآية الكريمة (إن الأبرار لفي نعيم، وإنّ الفجار لفي جحيم) تعني بالأبرار علماء السنة وأصحابهم الطرقيين، وبالفجار الإصلاحيون من جمعية العلماء المسلمين، تبين من أعدادها العشرة تقريبا ملاحظتها العنيفة لأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأسلوب غير قليل من الفحش والسب وبذيء القول شعرا ونثرا، توقفت في أوائل جوان 1933.

² - الجحيم: كان من جراء رد الفعل الذي أحدثته جريدة المعيار، المهاجمة لجمعية العلماء بالطريقة البذيئة، فكان لا بد من رد عليها فأصدرت الجماعة الإصلاحية "الجحيم" بمثل أسلوبها، صدر العدد الأول منها في 30 مارس 1933، طبع بطريقة سرية في قسنطينة جاء في تعريفها: جريدة أسبوعية، حرة، مستقلة، تدافع عن الشر، والفضيلة، وشعارها العصا لمن عصى، وكان من بين محرريها جوكلاري محمد الشريف، لقد سعى أصحاب جريدة المعيار باتفاق مع السلطة الاستعمارية المساندة لهم إلى حجز العدد السابع من الجحيم المعروض للبيع بتاريخ 1933/05/11، وعطلت صدورها بقرار من وزارة الداخلية، في حين تركت الحرية لجريدة المعيار.

لقد علمنا عن طريق الأنباء والصحف أنكم عزمتم على عقد مؤتمر عام دعوتكم إليه أعضاء اتحادكم وأنصاركم وعلمنا أنكم في هذا المؤتمر ستتناولون أشياء وتفاوضون في مسائل تهم الأمة الجزائرية وتمس بحياتها وحيويتها ولقد كما نكون مسرورين - يا سيدي- بعملكم هذا، وناظرين إليه نظرات الإعجاب والتقدير.

وشاكرين لكم هذا السعي، ومقدرين لكم هذا الاهتمام بالأمة وشؤونها، ولو لم تكن هناك أمور واعتبارات تحملنا على الشك في مقاصدكم والريبة من أعمالكم والتوجس من كل حركاتكم. وإنما - يا سيدي- إذا نظرنا إلى ظروف كثيرة واعتبارات شتى وجدنا أنه توجد بواعت كثيرة ومبررات خطيرة لهذا الشك وهذه الريبة وهذا الخرق.

وأول هذه المبررات أن كل تحركاتكم أعمالكم في الماضي إنما كانت تنفيذا لإيعازات وإشارات لا تخفى على لبيب، وإن الأيدي التي تسخركم وتحرككم وتنفذ أغراضها ومقاصدها السيئة بواسطتكم، لا تنكرونها ولا تتبرؤون منها بل لقد كانت في عدة مناسبات من دواعي فخركم ومنها تتباهون بأنكم محصلون على ثقتها وتأييدها وهذا يظهر جليا لكل من اتبع حركاتكم واطلع على مقرراتكم وأعمالكم في الماضي والحاضر¹.

ولنذكر - يا سيدي- ولتذكروا معا على سبيل المثال برقيتكم المشؤمة التي ختمتم بها أعمالكم في مؤتمر السنة الماضية والتي صادتمت بها مطالب الأمة وتحديتكم بها شعورها، فبينما كانت الأمة ملتفة حول زعمائها الأحرار وقادتها الأبرار تؤيدهم وتشد أزهم، ومجمعة على مطالبها ورغائبها لا تريد أن تتنازل عن شيء منها إذا بكم تصادمونها بعملكم المذكور وتزعمون - والباطل زعمتم- أنكم تتكلمون باسم ثلاثة ملايين من الأمة وأنكم لا ترغبون في شيء ولا تطالبون بحق، ثم تدعون - دعوى المعمرين الانتفاعيين- أن كل حركة في الجزائر إنما منشؤها الحالة الاقتصادية السيئة... ولو كان هذا الاعتبار وحده لكفي أن يجعلنا نرتاب في أعمالكم ونتوجس خيفة من حركاتكم ونتبرأ من كل النتائج التي تنتج عنها ولكن هناك اعتبار آخر، هو أنكم تعتبرون أكبر المساعدين لأعداء الإسلام

¹ - البصائر، 8 ربيع الأول 1358هـ/ 28 أبريل 1939م، العدد 162، ص 2.

والعربية بوطننا الذين يريدون أن يهدموا كل ما شاده وما يشيده رجال الأمة الأبرار وقادتها المخلصون في سبيل العربية والإسلام.

لا نلومكم يا سيدي أن تخاصموا وتعادوا ابن باديس والإبراهيمي والميلي والتبسي وخير الدين وغيرهم من أبناء الوطن البررة وليس لنا أدنى سلطة عليكم لنردكم على ذلك ما دامت هذه العداوة وهذه الخصومة لا تمس مصلحة الوطن ولا تضر بمستقبل العربية والإسلام في وطننا العزيز، وما دامت عداوتكم شريفة أما وقد برهنت الحوادث والأيام على أن خصومتكم ليست من هذا النوع وأنها قد تجاوزت الحدود إلى المضرة بمستقبل الوطن وكيان الإسلام والعربية فيه وأنكم لجأتم فيها إلى وسائل لا تشرّفكم بالمرّة وسمحتم لأنفسكم أن تدخلوا في هذه الخصومة أيادي أجنبية خبيثة لا تنوي إلا الشر والكيد للإسلام والعربية¹ في وطننا بل إنكم سمحتم لهم وصمّ خصوم قضيتنا المقدسة قضية الجزائر العربية المسلمة أن يُسخروكم ويملوا عليكم برامج لتحاربوا بها رجال الأمة وقضيتها فإننا لا نسمح لأنفسنا أن نبقى متفرجين وغافلين عن أعمالكم وحركاتكم كأن الأمر لا يعيننا وكأننا أجنب عن هذا الوطن وتلك القضية بل إننا نحتم على أنفسنا أن نصارحكم ومن سار سيرتكم ونهج نهجكم أنكم أنتم الأجنبيون عن الأمة وإنكم لا تمثلونها، ولا تتكلمون باسمها وإنها غير مسئولة عن أعمالكم ولا ملزمة ولا مصدّقة على قراراتكم، وإن طلبتم برهاننا على أنكم لا تمثلون الأمة وأنكم أجنبيون عنها وإن كل سعي منكم إنما يكون في مضرتها لا في نفعها فإن أهون شيء عندنا هو إثبات هذا البرهان، فالمساجد إنما أوصدت في وجوه الأمة وعلمائها الأحرار بسعيكم والمدارس والنوادي إنما توّصد ويقضى عليها بمساعدتكم ومعونتكم وبوشايات كاذبة سافلة من أتباعكم وأنصاركم، وهبنا ضربنا صفحا عن أعمالكم وتجاهلنا "خدماتكم" التي تخدمون بها محرّكيكم وجعلناكم تتحركون بإرادتكم فكيف نفسّر موقفكم من هذه الحوادث؟

ألم يبلغكم قرار 8 مارس المشثوم؟ أو لم تروا الخطر الذي تجسم فيه على مستقبل الإسلام والعربية بالجزائر، أو لم تبلغكم حوادث إغلاق المدارس والنوادي، وتشتيت

¹ - البصائر، العدد السابق، ص 2.

الصبيان والصبيات الذين أموها لتعلم القرآن ومبادئ لغته، أو لم تبلغكم محاكمات الشيوخ والمعلمين وسجنهم وتغريمهم ونزع الرخصة ممن بيده رخصة منهم؟ فإن كانت قد بلغتكم كل هذه الحوادث والنكبات التي انصبت على رأس الأمة الجزائرية فلماذا سكئتم عن هذا الأمر ولم تستنكروه أم أنكم لا تعترفون بأن هذا العمل فيه كل الخطر على مستقبل الإسلام والعربية بالجزائر؟ أم أنكم سمعتم وشعرتم بالخطر ولكنكم مشاركين في الجريمة والمشجعون على ارتكابها¹.

وإننا لنرجع هذا الفرض وهو أنكم فيها مشاركون، وبها راضون وبالمصابين والمنكوبين شامتون، والدليل على ذلكم أنكم بدل أن تتعاونوا مع الذين شعروا بخطر هذا القرار وتشجعوهم على هدمه والسعي لرفع كابوسه المخيف، جعلتم تهاجمون أشخاصهم وتسعون لهدم أعمالهم والتحقير من شأنهم والتقليل من تأثير قولهم.

وإن كان لم يبلغكم نبأ هذا القرار وما أحدثه من الإفطار، وما كان له من تأثير في الأمة ولم تشعروا بالهزات العنيفة التي أحدثتها والشكاوى الصارخة من كل أنحاء الوطن فأبي شيء إذن يبرر ادعائكم بأنكم تمثلون الأمة وتكلمون باسمها وتعبرون عن أفكارها وتجتمعون للتفاوض في أمور تخصها وتمس مصالحها، أي شيء يبرر لكم هذا ما دتم لا تتأثرون بما نتأثر منه ولا تفزعون منه ولا تجزعون لما نجزع منه ولا تتألمون لما نتألم منه؟

هناك اعتبار ديني يتمثل في كونكم تخدمون الطائفية وتسعون لتشتيت الأمة وتفريقها على طرائق مختلفة وطوائف شتى وانطبع برهان ذلك هو عنوانكم "اتحاد الزوايا وأصحاب الطرق الصوفية" لماذا لا تقولون الطرق الإسلامية؟ أم أنكم تهربتم من هذا لأنكم تعلمون أن الإسلام طريقة واحدة وأنه بني على التوحيد والوحدة، وأنه يعتبر المسلمين طائفة واحدة ووحدة غير قابلة للتجزئة وجماعة يد الله معهم وأن كل خارج عنها وعن الطريقة التي

¹ - البصائر، العدد السابق، ص 2.

سورها القرآن مبتدع ضال وخارج عن الطريق المستقيم وضرره على الإسلام وجماعته أكبر من أعدائه الأجانب عنه¹.

... إنكم لا تمثلون إلا أشخاصكم ولا تتكلمون إلا بأسمائكم ولا تعبّرون إلا إن رغباتكم فالأمة لا تعترف بكم ولا بطوائفكم وهي تتبرأ منكم ومن أعمالكم وغير مسئولة عن أقوالكم وحركاتكم وإنما باسم الشباب المتنوّر من الأمة وباسم الأمة - لا في الجزائر فقط- بل في الشمال الإفريقي نتبرأ منكم ومن أعمالكم ونعتبركم غير معبرين ولا معربين عن أفكارنا وأمانينا وآمالنا وأن الرجال الذين يعبرون عن أفكارنا وآمالنا وأحزاننا وآلامنا إنما هم رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأبرار وكل من يتصل عنهم يتنكر لهم نعتبره متنكرا ومتنصلا وخارجا على الأمة وإنما بهذه المناسبة نعلن تجديد ثقتنا بهم وجمعيتهم والسلام على من اتبع الهدى².

ويختتم الطلبة رسالتهم بالعبارات التالية: هذا صوت الجدّ وزئير الشباب أهتف وصراخ الحق العذب فليسمع الشعب الجزائري المسلم العربيّ، وليسمع القوم المستخفون بالشعب والعاثون في حالة وبمآله.

أما كلمتنا لهذا الشباب فهي "عرفت فالزم" وأما كلمتنا للأمة فهي البشارة بقوة حقها وتحققه في المستقبل فإن امة يكون مثل هذا الشباب من أبنائها لجديرة ببلوغ المنى وخلود الحياة³.

¹ - البصائر، العدد السابق، ص 3.

² - الرسالة من إمضاء ما يفوق المائة والعشرين طالبا.

³ - البصائر، العدد السابق، ص 3.

الفصل الثاني: كتابات الطلبة في الصحف التونسية

كان النشاط لصحفي متوارثا بين الأجيال، تفرد فيه كل جيل بخصوصية المرحلة التي عاشها، فكان بذلك نشاطا وطنيا متنوع الأساليب والأهداف عازم الحماس لبلوغ الغاية التي رسمها الأولون الذين استهلوا صفحة هذا النشاط في ظروف جد صعبة.

مثما ساهم في توسيع دائرة هذا النشاط نخبة من الجزائريين خارج وطنهم بأفكارها وآرائهم، فقد ساهم في تزكيته ومتابعته بحرص فلول الطلبة بأنفسهم وبأقلامهم معا فوجدوا في تلك اللبانات التي وضعها الكاتبان عمر بن قدور*، وعمر راسم منطلقا مكينا للاندفاع نحو بلورة هذا النشاط إلى مراحل ثلاث متعاقبة دون انقطاع:

المرحلة الأولى: وتتمثل في مرحلة المناوشة التي تظهر لنا الدور الذي لعبه الجزائريون بأقلامهم في الصحافة العربية، والمتمثل في إبداء الرأي الهادف إلى إخراج المستعمر، وفي معارضة قراراته، وهي مرحلة تميزت بالجرأة النادرة رغم الصعوبات والمعيقات التي اعترضت طريقهم، وانتهت بتغريم هؤلاء الثمن الباهظ في مطلع هذا القرن ممن كان لهم دور بارز خلال هذه المرحلة، التي خاض خلالها الجزائريون نشاط ميزته مؤازرتهم للحركة الوطني في تونس، بقصد تحقيق غايتين أساسيتين: أولاهما: مقاومة الاستعمار الفرنسي في إطار حركة وطنية معترف بها من قبل السلطات نفسها بتكثيل الجهود لمضايقته وإشفاء غليلهم بالإجهاز عليه¹.

وثانيهما تحويل هذه الحركة الوطنية المتمثلة في الحزب الدستوري التونسي إلى حركة مغربية يتاح من خلالها لبناء الشمال الإفريقي تكثيل جهودهم لنصرة باقي الأقطار الواقعة تحت قبضة الاستعمار.

* - عمر بن قدور: ولد سنة 1886 بالجزائر، درس بالزيتونة، ثم بمصر، انضم إلى أسرة (اللواء) المصرية، ثم رجع إلى الجزائر سنة 1908، من أبرز الصحفيين الجزائريين جاهد بقلمه في سبيل أمته إلى أن توفي سنة 1930.

¹ - A.N.T، S.M.N.C 19. DOS2 : Notes et rapports sur les relations entre les indigènes algériens et jeunes tunisiens، fol 155 : liste des étudiants du M'Zab fréquentant l'école en 1922.

لكن هذا الأخير سرعان ما تفتن لنشأة هؤلاء فضرب بقسوة العناصر الجزائرية التي انضمت إلى الحزب الدستوري 2، وأفضى بضرورة إعادتهم إلى وطنهم الجزائر، وفكك النواة المغربية للحزب وأفقد محتواه من أبرز عناصره النشيطة، والمتحمسة مما أدى بالحزب إلى السير في طريق الفشل والتهيه الشتات¹.

أما المرحلة الثانية فتمثلت في مرحلة المقاومة فيها لعب الكتاب الجزائريون دورا هاما لاسيما الطلبة الجزائريون خارج الجزائر الذين كانت لهم إسهامات فكرية رائعة تجسدت في مقالات ثورية نشرت على صفحات الجرائد العربية، بهدف شد أزر الثورة ورفع صداها عاليا والتعريف بها في مختلف المحافل، والإعلان عن حقيقة وجودها، وإبراز الكيان الوطني الجزائري بمقوماته الإسلامية العربية ونفي أي صلة له بالحضارة الغربية الفرنسية.

وإذا أمعنا النظر فإننا نجد بان الثورة الجزائرية كانت واحدة من تلك الثورات التي مهد لها الكتاب بنشاطاتهم الحثيثة، كما كانت من بين أهم الثورات التي استشهد فيها الكتاب والمؤلفون والشعراء الجزائريون على يد المستعمر حين أبوا أن يصمتوا وشهروا أقلامهم في وجه المستعمر أمثال أحمد رضا حوحو، العربي التبسي والربيع بوشامة، ومولود فرعون... وغيرهم كثيرون.

ويضاف إلى الشهداء الذين سقطوا برصاص المستعمر، شهداء آخرين كان استشهادهم أشد إيلاما حين أجبروا على قبول الموت وهم أحياء بسبب آرائهم المناوئة للاستعمار، فكان استشهاد عمر بن قدور بطوليا، وكذلك عمر راسم، وإبراهيم اطفيش، ومن كان على نفس حالهم ممن هاجروا بأنفسهم وآرائهم، فلقوا أصنافا من العذاب، بعدما كان المستعمر يترقب نشاطهم الفكري والثوري، ويترقب خطره الجسيم، وإن تباعدت مواطن النشر، سواء كانت بالصحف الجزائرية أو بالصحف العربية².

¹ - A.N.T، S.E. C 550، Dos 30/15 : Cens a surveilles، N° dos 2538 : Ibrahim Ben Mohamed Atfeich، fol 1. Note de clavier، commissaire de la police spéciale adresse le 18 juin 192.

² - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري، المرجع السابق، ص 220.

ومقابل هذا الحصار بذل الكتاب الجزائريون جهودا مضنية وصادقة لمجاهرة الاستعمار بأرائهم وجندوا أقلامهم لما يلي:

- التعريف بواقع الشعب الجزائري المتطلع لنيل حريته المسلوبة،
- الاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام والعروبة، وأن الجزائري عربي مسلم لا يمكن أن يقبل يوما فكرة الإدماج التي يسعى المستعمر جاهدا لتحقيقها على أرض الواقع،
- محاربة الظلم ونصرة الحق، وإعلاء صوت الجزائر خارج الحدود الجغرافية للوطن وتوسيع نطاق المناوشات، وجعلها جبهة عريضة تمتد من القاهرة إلى تونس،
- إحراج المستعمر بتكثيف الكتابات الهادفة إلى إحراج المستعمر بالتطرق إلى الموضوعات التي كان يتستر عنها ويتجاهل إدراك الجزائري لها، خاصة التي كانت تنشر على صفحات الجرائد التونسية بهدف إطلاع العالم العربي عليها، والرأي العام التونسي بالذات لما لذلك من انعكاس على نفوس التونسيين خاصة الذين كانوا يعتبرون ما يسلط على إخوانهم الجزائريين من قوانين جائرة إنما يتضمن تهديدا مباشرا لهم¹.

أولا: كتابات الطلبة سنوات العشرينات:

كان من أبرز كتاب هذا العقد علي بوشوشة، الذي تصدرت كتاباته جريدة (الحاضرة) التونسية²، ومن بين المقالات الهامة التي نشرتها له هذه الجريدة هي (فرنسا والإسلام) و(أخطار البذاءة)، و(وجوب الاحتياط)، إضافة إلى العديد من المقالات التي بينت سعة ثقافته وقوة بيانه³، وإلى جانبه عمر بن قدور الذي قام الوالي العام على الجزائر شارل

1 - نفسه.

2 - أول جريدة أسبوعية لقيت رواجاً كبيراً بين أوساط المثقفين، خاصة بعدما تفرغ بوشوشة لإدارتها، وقد استمرت في الظهور لمدة فاقت عشرين سنة منذ تاريخ صدورها سنة 1888، للمزيد ينظر علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المرجع السابق، ص 48.

3 - نشر المقال الأول في العدد الصادر بتاريخ 28-07-1896، والثاني بتاريخ 18-05-1897 والثالث بتاريخ 15-06-1897. للمزيد ينظر إلى المرجع نفسه.

جونار* سنة 1906 بإبلاغه عن استياء السلطات الاستعمارية من مقالاته التي كانت تنشرها جريدة اللواء المصرية، وأمره بالكف عن مراسلة هذه الجريدة. انقطع عمر بن قدور عن الكتابة ليعود في سنة 1908 مجدداً لنشر مقالاته على الجرائد التونسية.

وكان عمر راسم من أوائل الكتاب الذين قاموا بنشر مقالاتهم بهذه الجرائد وكان أول مقال نشرته له جريدة (التقدم) الصادرة بتاريخ 26 ديسمبر 1907 تحت عنوان (رأي حر)، عبارة عن رسالة جريئة موجهة إلى رئيس وزراء فرنسا ووزير حريبتها، وظل راسم ينشر رسائله ومقالاته في جريدة التقدم ثم (مرشد الأمة) ثم جريدة (الحاضرة) ثم جريدة (المشير).

ولعل مناسبة صدور مثل جريدة التقدم، وأمثالها من الجرائد التونسية هي التي أثارت في نفس عمر بن قدور الحماس والرغبة في أن تصبح الجزائر مثل شقيقاتها العربيات، بصحافتها الوطنية التي تخاطب القراء بصورة مباشرة وتتيح للكاتب الجزائري شجاعة لتحمل مسؤولياته الوطنية. حيث نجد عمر بن قدور في إحدى مقالاته يصرخ مخاطباً شعبه ومنبهاً لدور الصحافة الوطنية في الإرشاد قائلاً: ما لمصر تقدمت، ما لتونس تيقظت، ما لسائر بلاد الإسلام تفقحت ورجال الجزائر الذين عليهم اعتماد الأمة في سبات عميق، لا صحافة ترشدهم إلا ورقة (كوكب إفريقية)¹، التي جاء بها أحد الفرنسيين، ويا ليتها لم تصدر، لأنها لا تزيد بها هوة التنافر إلا اتساعاً².

* - تولى الحكم خلال فترتين متباعدتين الأولى من سنة 1900 إلى غاية 1911، والثانية من 1918 - 1921، ورغم سلبياته نجد عمر بن قدور يشير في إحدى مقالاته إلى بعض النواحي الإيجابية فيه قائلاً: " ... إن هذا الرجل الراحل عنا أفاد الأمة الجزائرية بفوائد تظهر عظيمة... منها قلة التضييق على المفكرين الذي نتج عنه نوع من الحرية حيث صار أفراد يعدون على الأصابع يكتبون في الصحف ويجهرون بأرائهم، ومنهم الكاتب لهذه الرسالة، وقد كان أحدنا قبل جونار إن نطق بجملة سياسية بين الجمهور يحمل إلى حيث لا يدري...". عمر بن قدور، 19-03-1911، للمزيد ينظر: محمد صالح الجابري، النشاط الفكري، المرجع السابق.

¹ - صدرت الجريدة بالجزائر في 17 ماي سنة 1907 لصاحبها محمد كحول، حيث يذهب بن أبي شنب إلى أن منشئها هي الولاية العامة، تمكنت من الوقوف على قدميها طويلاً، كانت تظهر كل جمعة في أربع صفحات من الحجم الكبير، يقول عمر بن قدور في شأنها "أما كوكب إفريقيا فإنها لم تكن إلا جريدة شبيهة بالرسمية عارية من كل صيغة وطنية".

² - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري، المرجع السابق.

وعليه فقد سخر الكاتبان أقلامهما في سبيل خدمة القضية الجزائرية، ولكسب تعاطف أكثر من الدول العربية، وكانت الاستجابة من الشعب التونسي الشقيق الذي تجاوزت صحافته في وجه الكتاب الجزائريين فكان الجسر الأول من جسور الامتزاج الفكري والتوافق السياسي ووحدة النضال ضد المستعمر.

ونظرا لتأثير بن قدور¹ الكبير، ورواج كتاباته في تونس فإن خبر نعيه قد تلقفته الصحافة التونسية بحزن غامر، فهذا الشيخ الطيب بن عيسى* صاحب جريدتي (المشير) و(الوزير) ينعي صاحبه: " فالفقيد قطب من أقطاب الشمال الإفريقي عرفناه بالمكاتبه، قابلناه مرتين بتونس ومرة بالجزائر وموته خسارة لا تعوض"².

كما ورد أيضا في مقدمة الجريدة وفاة رصيف كبير... الفقيد بقلبه وبلسانه وبعلمه الغزير ونصح الوفير، مع الإخلاص التام والانقطاع لخدمة الصالح العام.

ولا أدل على ذلك من تضحياته في سبيل إعزاز أمته، تلك التضحيات التي كانت سببا في إبعاده عن العاصمة إلى مدينة الأغواط إداريا، وسيره نحو الأربعمئة كيلومترا على قدميه حتى انتفختا وجرحتا جروحا بليغة، حسب التعليمات التي صدرت في هذا الشأن من طرف الحكومة، ثم مكوثه مدة طويلة في منفاه أثناء الحرب العالمية الأولى، ولم يقع الإفراج عنه إلا بعد أن كابد أعظم المشاق، وقاس مرارة الفاقة والاحتياج³.

أما عمر راسم فقد قام هو الآخر بزيارة تونس مرتين، الأولى كانت في سنة 1946م والثانية كانت في سنة 1951م، وكان الغرض من كلتا الزيارتين الاطلاع على

¹ - تنوع الأسلوب الأدبي لعمر بن قدور من قصصي وروائي وشعري، حيث نجد أول قصيدة نشرتها جريدة (المشير) كانت بعنوان جمعة على الملة، ضمت 84 بيتا، ثم قصيدة بعنوان (الإسلام والمسلمون)، نشرتا القصيدتان الأولى في 1911/01/1 والثانية في 28 ماي 1911، ثم قصيدة (الضمير والأصداع) ضمت 454 بيتا شعريا صدرت بتاريخ 6 أوت 1911.

* - بن عيسى الطيب 1885- 1965 من أصل جزائري، درس بالزيتونة، وساهم منذ نشأته المبكرة في تحرير عدد من الصحف من بينها (الرشدية) و(الصواب) وهي جرائد تونسية، و(الفاروق) الجزائرية، ثم في سنة 1911 أسس جريدة (المشير) التي أصبحت في سنة 1920 إلى جريدة (الوزير).

² - الوزير 18 فيفري 1932، نقلا عن محمد صالح الجابري، النشاط الفكري، المرجع السابق، ص 167.

³ - زير 18 فيفري 1932، نقلا عن محمد صالح الجابري، النشاط الفكري، المرجع السابق، ص 167.

أحوال المسلمين والتفاوض مع زعمائهم فيما يعود للصالح العام على الوطن العربي والإسلامي¹.

ومن خلال هذه الزيارات والكتابات الهائلة ترسم الصورة الأولى من صور النشاط الصحفي الذي مارسه الرواد الأوائل الذين أثبتوا فاعلية وجدوى النضال بالفكر والحرف وكانوا عنصرا من عناصر التحريض على مقاومة المستعمر، وطلبة المبشرين بالإصلاح والعاملين على تركيزه.

ولقوا مقابل هذا أشد العقاب، فهذا عمر بن قدور سيق إلى منفاه في صحراء الجنوب الجزائري ولقي ما كفاه من ألوان العذاب والإهانة، كما حكم على عمر راسم بالأشغال الشاقة والسجن بتهمة مناهضة الاستعمار والاتصال بالعدو².

لقد كانت مساهمة الكاتبين عمر راسم وعمر بن قدور³ في النشاط الصحفي الزاخر في هذه الحقبة دليلا واضحا على ما كانت تحظى به الصحف التونسية من صدى طيب ورواج محمود بين الجمهور.

فقد لعبت الصحافة التونسية دورا كبيرا في تسريب الأفكار الإصلاحية، وفي عبور الصحف المشرقية والعربية، وما وفره هذا المناخ الفكري والثقافي من الحرية للكتاب الجزائريين، مما أدى بالمؤرخ أبي القاسم سعد الله أن يصف تونس في هذه الحقبة المبكرة في مطلع القرن بأنها كانت من أهم القناطر التي عبرت عليها القومية الإسلامية، وكانت طريقا قدمت من خلاله الدعاية المضادة لفرنسا التي تسربت إلى الجزائر في شكل جرائد وكتب ومنشورات⁴.

1 - ناصر محمد، الثقافة، أوت- سبتمبر 197، ص 67.

2 - في هذا الصدد يذكر الأستاذ أحمد توفيق المدني في كتابه حياة كفاح، أن عمر راسم أصابه كفران بالحياة والناس، وأصابه عذاب النفس واليأس من طول الحياة المفعمة بالمآسي والأحزان، حتى استبدته تشاؤم حالك قتل كل أمل في نفسه. للمزيد انظر أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص 53.

3 - دعا بن قدور إلى تأسيس جماعة التعاون الإسلامي، بين مفكري المسلمين في الجزائر، وتونس والمغرب الأقصى ولعله كان أول المبادرين إلى هذه الدعوة بين الأقطار الثلاثة، حيث كان يربط هذه الجماعة بمثيلاتها في المشرق العربي، وقد نشر هذه الدعوة في جريدة الفاروق، وظل يكررها حتى توقفت جريدته نهائيا، كما دعا إلى تكوين جامعة الصحافة الإسلامية منذ 1911. انظر: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5.

4 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص 137.

لقد أفرزت العشرينات الطلائع الأولى من طلبة البعثة الذين تعلموا بالزيتونة وأخذوا يلتمسون الطريق للمشاركة في الحياة الفكرية بإنتاجهم الأدبي، وهو الجيل الذي دفع به العلامة والمصلح الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس ليكون وريثا لتلك الإرهاصات التي بذرها الصحفيون الجزائريون الرواد والذين كان في مقدمتهم الكاتبان عمر راسم، وعمر بن قدور.

كان هذا الجيل قد تشبع بالآراء الإصلاحية بما أخذ من حلقات الشيخ بن باديس وما خاضه من مناقشات بينه وبين أساتذة الجامع الأعظم حول معركة القديم والجديد، من خلال ما استخلصه من أفكار طلبته التي كانت في مجملها تهدف إلى البحث عن طريق، لتطوير المؤسسات التعليمية، وقتئذ وخاصة منها الزيتونة بما يتماشى وروح العصر، والتطلعات الجديدة، ليؤدي هذا المعهد المعمور دورا كاملا في حركة النضال الوطني¹.

وإزاء هذه الطلائع التي برزت مساهمتها خلال هذه المرحلة بشكل متألق خصوصا في المجال الأدبي، ظهور التيار السياسي الجديد الذي يتشكل في معظمه من العناصر الجزائرية الوافدة على تونس للدراسة أو المقيمة بها منذ فترات من الزمن، وقد شد هؤلاء من أزر الحزب الدستوري التونسي الذي توافق ظهوره في سنة 1920م مع عودة الصحافة إلى سالف نشاطها، فكانت لهؤلاء مساهمة نشيطة في المجالين الحزبي السياسي والصحفي الوطني.

ولعل هذا كان بمثابة الحافز للأدباء والصحفيين الجزائريين المقيمين بالجزائر إلى الكتابة في الصحافة التونسية واغتنام هذه الفرصة لمعاوضة الحزب الدستوري التونسي، ولشد أزر هذا التدفق الصحفي وإعادة النشاط للأقلام التي شلت بفعل القوانين المجحفة التي سلطت عليها².

¹ - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري، المرجع السابق، ص 187.
² - كانت أول الجرائد تعطى بعد الحرب العالمية الأولى هي جريدة (المشير) لصاحبها الطيب بن عيسى الجزائري بسبب موقفها المؤيد لما جاء في كتاب الثعالبي (تونس الشهيدة) لكن الطيب استأنف نشاطه الصحفي بعد أسبوع فقط حيث أصدر جريدة (الوزير) التي كانت جل مقالاته التي نشرت فيها تدعو إلى العمل، حيث جاء في إحداها: «... لا حياة إلا بسعي، ولا سعي إلا بالعمل ولا عمل إلا بالاقتصاد... وإياكم والخمول، إياكم والتبذير، إياكم والزهد في لذائذ الحياة...». صدرت جريدة الوزير في سنة 1920 واختفت سنة 1956. للمزيد ينظر خير الدين، المرجع السابق، ص 338.

وبعد تأسيسه لحزبه الإصلاحية عام 1921م، أسس حسن قلاتي جريدة أسبوعية هي (البرهان) التي توقفت عن الصدور منتصف عام 1922م، ليؤسس بعدها جريدة (النهضة) سنة 1923م التي اتخذت الاتجاه الإصلاحية¹، وتوقفت عن الصدور سنة 1954.

وأول ما تجدر الإشارة إليه بهذا الخصوص هو تعدد هذه المشاركات وتنوعها وارتباط أصحابها بصحف معينة، إذ كثيرا ما لاحظنا اقتصار الكاتب الجزائري على التحرير في صحيفة واحدة دون غيرها، إما بحكم العلاقة الخاصة التي تربط هذا الكاتب بأحد محرري هذه الجريدة مثلما نلمس ذلك من خلال الصداقة الوطيدة التي كانت بين حمزة بكوشة* ومحمود بورقبيبة** محرر الركن الأدبي لجريدة (الوزير) الأمر الذي جعل بكوشة ينشر جل كتاباته بهذه الجريدة.

وهو الحال ذاته بالنسبة للكاتب السعيد الزاهري*** الذي تبنت جريدة (النهضة)² جل كتاباته وتم نشرها كلها طيلة السنوات الثلاث 1923م- 1924م- 1925م وظل يثابر على مراسلتها حتى بعد تخرجه من الزيتونة وعودته إلى الجزائر بما يتوفر له من الأخبار الهامة عن الوضع الداخلي ببلاده.

كان الدافع الوطني هو السبب الأساسي في جعل بعض الكتاب الجزائريين يساندون الصحف ذات النزعة الوطنية أو الحزبية الدستورية، إظهارا للتضامن ومساهمة مباشرة منهم في إثراء الحركة الوطنية وتأييدا علنيا للمواقف التي يقفها الوطنيون التونسيون، وقد

¹ - ظلت الجريدة على هذا المنوال إلى غاية 1926م، وبعد أن انشق الحزب بعد الانتخابات العضوية المجراة داخل المجلس الكبير توقفت الجريدة عن الصدور.

* - حمزة بكوشة: من مواليد واد سوف، درس بالزيتونة وتخرج منها سنة 1930م، نشر قصائد عديدة في جريدة (الوزير)، ساهم في الحركة الإصلاحية بمقالاته التي نشرت بجريدتي (الشهاب) و(البصائر) في الثلاثينات.

** - محمد بورقبيبة (1909- 1956)، ولد بمدينة تونس، وتعلم بالزيتونة شارك في تحرير عدد كبير من الصحف وعرف بقصائده الشعرية الغنائية.

*** - محمد السعيد الزاهري، (1900- 1956) ولد بقرية ليانة قرب بسكرة تتلمذ على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، ثم أتم دراسته بجامع الزيتونة، حصل على شهادة التطويح سنة 1924، شارك في الحركة الإصلاحية بمقالاته في عدد من صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كما كان عضوا بارزا في حركة الإصلاح.

² - النهضة: صدرت هذه الجريدة في سنة 1923م لصاحبها الشاذلي القسطلي. من الصحف الوطنية الإصلاحية من بينها (ميزاب) و(وادي ميزاب) و(النور)، كما شارك في تحرير صحف تونسية أخرى، أصدر ديوان عرف بديوان أبي اليقظان سنة 1933م.

فعل هذا معظم الكتاب الجزائريين، أمثال الشيخ إبراهيم بن الحاج عيسى الذي نشر معظم مقالاته وقصائده ورسائله السياسية العديدة عن الوضع في جنوب الجزائر في جريدة (المنير)¹، ذات الاتجاه الوطني، ومحمد العيد الجباري* الشاعر الجزائري المناضل والثائر الوطني الذي تميز نضاله بالعناء والصمود، فكان شعره وكتاباتة مدادا ثوريا، تتباهى بنشره جريدة (العمل)² التونسية.

وكذلك الكاتب والشاعر محمد العربي**، الذي ترأس تحرير جريدة صبرة³، التي كانت سببا في إدخاله السجن سنة 1938م⁴.

وسار على نهجه الشاعر محمد الأخضر السائحي***، الذي نشر معظم مقالاته في جريدة (العمل) و(الواجهة)⁵، و(البوق)⁶، و(الزمان)⁷ بين سنوات 1936م، 1937م، 1938م.

أما الأستاذ أحمد توفيق المدني، عره بنشاطه الواسع على الصعيدين السياسي والأدبي، ولعضويته البارزة في الحزب الدستوري التونسي، نجد معظم أعماله التي كتبها منذ سنة 1920م وإلى غاية 1935م قد تصدرت معظم المجلات والصحف الحزبية

¹ - صدرت الجريدة في ماي 1907 لصاحبها الشاذلي المورالي، وتعطلت سنة 1912 ثم استأنفت الصدور سنة 1920.
* - محمد العيد الجباري (1911-1942) من عائلة جزائرية، نشأ بتونس ودرس بالزيتونة، وكانت له مشاركة نشيطة في الحركة الوطنية التونسية حيث سُجن عدة مرات بسبب مواقفه النضالية، انضم إلى الحزب الدستوري سنة 1936، من آثاره: الفوائد في العلم والأدب والاجتماع، (ديوان اللهيبي) نشر بعد وفاته بتحقيق محمد المرزوقي سنة 1974.
² - صدرت عن الحزب الدستوري الجديد سنة 1934، وعطلت في نفس السنة لتستأنف صدورها سنة 1937، وبعد سنة واحدة أعيد تعطيلها، ولم تعد للصدور بصورة منتظمة إلا في سنة 1955.
** - محمد العربي (1917-1946)، أصيل تيارت، ولد بتونس، وبها تعلم، ساهم في الحياة الفكرية شعرا وقصة ومقالة، كما شارك في تحرير عدد من الصحف (صبرة، الزمان، الزهرة، البوق، المباحث) غادر تونس للعمل بإذاعة الكونغو ببرازافيل، توفي بباريس منتحرا في ظروف غامضة.
³ - صدرت سنة 1936 بمدينة القيروان، لصاحبها عمر العجرة، تولى رئاسة تحريرها محمد العربي ثم عطلت سنة 1938.
⁴ - الجابري محمد صالح، النشاط الفكري...، المرجع السابق، ص 191.
*** - محمد الأخضر السائحي، ولد بتقوت سنة 1918، درس بمدينة القنطرة ثم انتقل إلى جامع الزيتونة سنة 1934 مكث بها مدة أربع سنوات، في أواخر سنة 1938 عاد إلى وطنه الجزائر، له العديد من الأعمال الأدبية والمقالات ذات الأبعاد السياسية الوطنية نشرت معظم أعماله في الصحف والجرائد التونسية، له ديوان همسات وصرخات.
⁵ - صدرت في سنة 1936 لصاحبها التجاني بن سالم، وتوقفت بعد سنة من تاريخ صدورها.
⁶ - صدرت سنة 1937 لصاحبها عز الدين بلحاج.
⁷ - صدرت سنة 1927 لصاحبها محمد بنيس.

الدستورية، أو الصحف المتعاطفة مع الدستوريين، كان أهمها (الفجر)¹، و(العرب)²، و(تقويم المنصور)³، التي صدرت أعدادها الأولى بتونس قبل أن تنتقل معه إلى الجزائر، و(الوزير)، وجريدة (النديم)⁴، و(الأمة)⁵ و(الاتحاد)⁶ و(الإرادة)⁷.

ولطالما لم تجد الصحف التونسية بتلك المبادرات التي نهض بها بعض الجزائريين عند إقدامهم على الاستفادة من الظروف الخاصة برواج المنشورات، وطباعتها بتونس وفقا للقانون الصادر في شهر فيفري 1920م، والذي يعطي الصحافة حرية الطباعة والرواج، فأقدموا على إنشاء صحف جزائرية للمسامة في الحركة الوطنية جنوب البلاد، وقرروا أن تكون إدارتها بالجزائر، على أن يسند الإشراف على طباعة موادها إلى وكيل تونسي.

ونظرا لتوفر الصيغة القانونية لهذا الإجراء فإن السلطة لم يكن بإمكانها الممانعة في تطبيق القانون، ولكنها تفتنت لما سوف ينجر عن ذلك من تبعات سياسية حيث يمكن لهذه الصحف الجزائرية أن تستفيد من الأوضاع الخاصة بقوانين المطبوعات واختلافها بين البلدين، فتعامل معاملة الصحف الأجنبية عند طباعتها بتونس، ثم عند ترويجها بالجزائر. ويبدو أن السلطة الاستعمارية أحست بهذا الخلل الواضح، وبأنها ارتكبت خطأ فادحا بمصادقتها على رخصة تتعلق بطباعة جريدة (وادي ميزاب)، ولذلك فبمجرد أن تقدم مصطفى بن شعبان*، وكيل جريدة الإصلاح، ورغم استيفائه كل الوثائق القانونية المطلوبة، وعزمها على الوقوف ضد تقديم أية تسهيلات قد تغري عددا آخر من الصحفيين باستغلال هذه الفرصة، عندئذ لم تجد جريدة الوزير مناصا من إثارة هذا الموضوع ونشرته على

1 - صدرت سنة 1920 لصاحبها أحمد الصافي، ولكنها لم تعمر طويلا.

2 - من المجلات العامة التي أصدرها الشيخ زين العابدين السنوسي سنة 1920 تحت عناوين مختلفة.

3 - صدر في سنة 1923 لصاحبة احمد توفيق المدني.

4 - من الصحف الفكاهية التي عمرت طويلا، وقد صدرت بصفة دورية أسبوعيا من سنة 1921 إلى غاية 1942، وهي من الصحف الحزبية التي كان يديرها حسين الجزيري.

5 - صدرت سنة 1921 لصاحبها الحاج علي بن مصطفى، وتوقفت في سنة 1924.

6 - صدرت في سنة 1920 لصاحبها الشاذلي بن الحطاب، وهي من الصحف الوطنية.

7 - لسان اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري القديم، تعثر تواصل صدورها بين سنتي 1934 و1955.

* مصطفى بنم شعبان ولد بتونس العاصمة وتوفي بها سنة 1937، درس بالزيتونة، شارك في تحرير عدة صحف بتونس من بينها (لسان الشعب) و(الوزير)، كما شارك في تحرير صحف جزائرية من بينها (الشهاب)، و(صدى الصحراء) (الإصلاح).

صفحاتها الصادرة بتاريخ 1 نوفمبر 1927م، ووضحت الأسباب الخفية التي تجعل السلطة تصر على هذه المماثلة، وفيما يلي مقتطف مما جاء في بيانها: «... إلى الآن وبعد الآن، ورسيفنا مصطفى بن شعبان بصفته وكيلا مفوضا يراجع إدارة المحافظة في شأن طبع الجريدة بالمطابع التونسية ولكنها لم تأذن، ولا تزال تمهله إلى ورود الإذن الرسمي من طرف السفارة الفرنسية».

تقول المحافظة أن الامتياز الجزائري صحيح، وإن توكيلك ثابت، وإن إذن المطبعة التونسية محقق ولكن هنالك ملاحظة أتنا عن طريق السفارة العامة بتونس، تقتضي إمهال الإذن بالطبع إلا أن تتحقق الحكومة المحلية الاضطرار التام لطبع الصحف العربية بتونس، بدل الجزائر لفقدان المطابع هناك¹.

وتورد الجريدة رأي السفارة الفرنسية في الموضوع وهو رأي ينم عن الشعور بالخوف من هذا الزحف الصحفي الذي من شأنه أن يجعل حركة التبادل بين الأقطار المجاورة أكثر يسرا بفضل انتشار الأخبار عبرها، وتقارب بين وجهات نظر المثقفين ورجال الفكر من كلا القطرين، ويساهمون بكتاباتهم هنا وهناك في تنشيط وبعث اللغة العربية التي أوشكت أن تحل محلها لغة المستعمر، كما هو تخوف من كثرة الصحف الجزائرية التي ربما تقوم يوما آخر مقام الصحف التونسية المعطلة، وتحل محلها فتنهض بالأمتين التونسية والجزائرية معا...

وتواصل الجريدة في إبداء رأيها «... وهذا النهوض هو ضد مشروع التعطيل لمعظم الجرائد التونسية، ومنع صحف جديدة مهما بلغت تعهدات أصحابها بملازمة جانب اللين السياسي أو الحياد التام، والاستقلال بالمواضيع الأدبية والأخلاقية وإضرابها، ونحن لا نزال نحتج على هذه الصرامة المستعملة ضد الحركة الفكرية الآخذة في الانتشار بالشمال الإفريقي».

¹ - محمد صالح الجابري، النشاط الفكري، ص 192 وما يليها.

ولم يكن هذا الموضوع الذي نشرته الجريدة هو الدفاع الأول من نوعه عن حرية الصحافة الجزائرية وعن جريدة (الإصلاح) بالذات بل كان قد سبق وأن نشرت جريدة الوزير قبل شهرين تأسفها لما صدر عن السلطات الاستعمارية لمنع طباعة جريدة (الإصلاح) بالمطابع التونسية، فكتبت تحت عنوان (الصحف الجزائرية والطابع التونسية) إن السلطة تهدف إلى القضاء على التفكير، وتعمل على كبت حرية النشر، بل وحرية التجارة واكتساب القوت اليومي بالنسبة لأصحاب المطابع الذين يحرمون موارد جديدة... إن ما تمسكت به إدارة المحافظة يعني الرفض لا يكون مبررا أبدا لهذه المعاملة... وحرمان المطابع التونسية من التعامل مع الجزائريين هو مناقض للقوانين التي تدعو إلى توسيع نطاق المعاملات والمبادلات بين القطرين الذين يخضعان لأوضاع استعمارية واحدة، لأنه لا يعد من قبيل الإنصاف، ولا من المنطق منع أرباب الصحف الجزائرية من طبع جرائدهم بتونس بحجة أنه توجد مطابع ببلادهم.

ويبدو أن الضغط الذي مارسته الصحافة في شتى المناسبات وبإصرار كان بسبب الاضطهاد الذي لحق الصحافة الوطنية الجزائرية، وبسبب المضايقة التي شعرت بها السلطات الاستعمارية عند صدور العدد الأول من جريدة الإصلاح، لكنها إمعانا في كبت الحريات لم تمنح إذنا بالطبع للعدد الثاني الذي لم يظهر إلا سنة 1929م بعد تأسيس الشيخ الطيب العقبي مطبعة بدائية لاستئناف صدور جريدته¹.

لم تتوان الصحافة التونسية طوال الحقبة على التنويه بضروب الكفاح الصحفي والسياسي والأدبي الذي تجشمه الجزائريون بوسائلهم المحدودة وعبر صحفهم المتواضعة التي كانوا ينفقون عليها من حر مالهم، ويسخرون لها طاقتهم المادية والمعنوية من أجل سماع صوت الجزائر الوطني في تونس، وفي الأقطار العربية الأخرى التي كانت تصلها الصحافة التونسية كمصير وبلاد الشام، معجبة بكل الخطوات التي كانت تقطع بهذا الصدد

¹ - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق، ص ص 199 - 201.

قصد تعريب اللسان الجزائري الذي عجمته اللغة الفرنسية، وخدمة للأهداف النبيلة، والنضال الوطني من خلال الصحافة صوت الأمة الجهير¹.

والواقع لئن كان موقف السلطة الاستعمارية عجيبا في جبروته، فإنّ الأعجب منه هو إصرار الصحفيين الجزائريين الوطنيين الذين اتسم موقفهم بالمقاومة المستمرة والتحدي الصامد فقد آمنوا إيمانا ثابتا بجدوى الصحافة في إيقاظ الأمة ولدورها الفعال في بث الوعي بين صفوفها، لذلك لم يستسلموا قط لهذه المعاملة القاسية، فقابلوا جبروت المستعمر وتعسفه بالحكمة وضبط النفس حيناً وبالحيلولة والمناورة حيناً آخر فما أن تصدر السلطة جريدة عربية حتى يسارعوا إلى إصدارها بطريقة أخرى فقد يكون اسم مختلفا ولكن المسمى واحد، ويديرها المدير الملاحق نفسه، والأسرة المنكوبة عينها، بل ولربما عادت بلهجة أشد وأقسى.

وتعد مأساة جرائد أبي اليقظان الثمانية التي تساقطت مستشهدة واحدة تلو الأخرى في مدة لا تزيد عن ثلاث عشرة سنة من أروع أمثلة الجهاد الصحفي في الجزائر، وآية من آيات المقاومة والتصدي.

ومما يوضح لنا هذه الروح الصامدة عند الجزائريين الحاسم المستمر في كل المناسبات على المطالبة بحرية الصحافة²، فلا يكاد يجد الباحث بيانا أو عريضة أو مطلباً قدم إلى السلطة الحاكمة أو إلى لجان البحث البرلمانية خلو من المطالبة والتأكيد على حرية الصحافة العربية خاصة والصحافة الوطنية عامة.

كما يؤكد هذا الإيمان الثابت بروز الصحف العربية وتوالدها ولا سيما في الفترات التاريخية التي تستيقظ فيها الوعي الوطني والإصلاحي، ونضرب لذلك مثلا الفترة التي تلت سنة 1925م، حيث برزت حوالي عشر جرائد على الرغم من أن الفترة الممتدة ما بين

¹ - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق، ص 203.

² - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص56.

1927م- 1931م عرفت واليا حاقدا يدعى بيار بورد، على الصحافة الوطنية والكتاب الجزائريين.

كما أن الفترة الممتدة بين 1931م- 1939م وحدها شهدت ميلاد حوالي ثلاثين جريدة عربية بغض النظر عن اختلاف اتجاهاتها ونزعاتها، ولو أن أغلبها إصلاحية وطني، ولكي نفهم هذا التوالد العجيب والاستمرار المتواصل على الرغم من صيف المستعمر وبطشه يجب أن نضع في الاعتبار تلك النزعة العامة للرأي الإسلامي العام في الجزائر في العشرينات، ثم بعد سنة 1937م السنة التي ظهرت فيها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فبينما كانت الحكومة الاستعمارية تلح على ضرورة الغزو الفكري للمسلمين الجزائريين، وتسعى لتتويج هذه الخطة بالاحتفال المئوي للاحتلال الفرنسي، وبينما كان المثقفون الجزائريون ثقافة فرنسية ممن عرفوا بنزعتهم الغربية يمتدحون التشبه بالأوروبيين، ويعجبون بالحضارة الغربية اندماجا وتجنسا، كان المصلحون ومن يعاضدهم في أفكارهم من الوطنيين المخلصين مجندين جسدا وروحا لمقاومة هذه الانحرافات المتخلفة، وكان طبيعيا أن تكون الصحافة من أجل كل ذلك هي الوسيلة المفضلة التي يتصلون بها بالجماهير العريضة، رغم العقبات الفنية منها ندرة الطباعة العربية وقتها، فإنه حتى سنة 1930 كان لا يوجد بالجزائر كلها سوى خمس مطابع عربية فقط¹، مما دفع بعض أصحاب الصحف التي تحمل المشاق العظيمة في هذا السبيل وهي تضحيات تدعو إلى الإعجاب والتقدير.

فإن عمر راسم، كان يقوم وحده بأعباء جريدة (ذو الفقار) تحريريا ونسخا ورسما وطبعا ثم توزيعا ونشرا، وكذلك كان عمر بن قدور الجزائري صاحب (الفاروق)، وعندما أصدر أبو اليقظان جريدته (وادي ميزاب) بالعاصمة سنة 1926م اضطر إلى أن يبعث بأصولها وموادها لتطبع بتونس أسبوعيا، واستمر الحال مدة سنتين وأربعة أشهر، وسلك الطيب العقبي المسلك نفسه عند إصدار جريدته (الإصلاح) سنة 1927م ببسكرة، وكذلك كانت (صدى الصحراء) يحررها أحمد بن العابد العقبي والطيب العقبي ومحمد العيد

¹ - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، الجزائر، 1931، ص 372.

الجباري ببسكرة، ويطبعونها بمدينة قسنطينة ثم تعود في الأكياس مع القطار لتوزع من جديد على مشتركها هنا وهناك¹، تلك هي الظروف القاسية التي أحاطت بالجريدة العربية منذ نشأتها، ولكن العوامل التي دفعت بأصحابها إلى المغامرة والتضحية كانت أشد وأقوى.

فقد رأت الصحف التونسية في صدور جريدة وادي ميزاب – رغم طباعتها بتونس- حدثا من الأحداث العامة التي يدعم تضامن الصحافة الوطنية الجزائرية، ويساعدها على رفع الصوت الخافت الذي فرض الاستعمار دونه حصارا ضاربا، وقد علقت جريدة النهضة الصادرة بتاريخ 24 أكتوبر 1926م على صدور العدد الأول منها قائلة في ابتهاج وثناء، إذ لما تصفحناها ألفيناها مؤسسة لغايات نبيلة جدا، ومحررة بأقلام عربية عالية، وجامعة لما يهم الصالح الإسلامي الاطلاع عليه، من فصول سياسية، واقتصادية، ووطني واجتماعية. وبالجملة فالجريدة سدت فراغا محسوسا في صحافة الجزائر إذ تضامنت تلك الصحف الوطنية لخدمة وطنها وعلاء شأنه، فلا شك أنه سيبلغ صدى صوته الخافتين بعد أن كان خافتا².

وللإحساس بثقل مسؤولية إصدار جريدة من بلد كالجزائر تطبق عليه السلطات بيد من حديد، فإن التونسيين كانوا شديدي الحرص على دعم هذه الصحف، وشد أزر أصحابها بكل الوسائل المتاحة، فإلى جانب دفاعهم عن حرية هذه الصحف، ودعوتهم لتمكينها من ممارسة دورها الوطني والوقوف إلى جانب رجالها معاداة للسلطة وتحديا لها، نجدهم لا يكتفون بهذا الدعم المعنوي الأخوي فيكرسون أقلامهم لإمدادها بالمقالات السياسية، والأدبية والقصائد الشعرية.

1 - محمد ناصر، الصحف العربية، المرجع السابق، ص 18.
2 - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري...، المرجع السابق، ص 204.

ومن ثمة نطالع عددا وافرا من المقالات التي تزدان بها هذه الصحف، وخاصة صحف (الإصلاح)¹، و(وادي ميزاب)² و(صدى الصحراء)³ التي ساهم في تحريرها نخبة من الكتاب والشعراء التونسيين أمثال صالح سوسي القيرواني*، ومحمد الفائز القيرواني**، وجلال الدين النقاش***، الذين نشروا قصائدهم في جريدة صدى الصحراء خلال سنتي 1925م-1926م، وكذلك عثمان الكعاك****، ومحمود بورقوية اللذان كتبا الدراسات ونشروا القصائد بجريدة (وادي ميزاب) سنة 1927م، كما ساهم محمد المهدي الناصر**** في الافتتاحيات السياسية لجريدة الإصلاح يلة سنة 1947م، إلى جانب عدد آخر من الكتاب والشعراء الذين كتبوا في الجرائد التي نشرتها جمعية العلماء ك(الشهاب)⁴، و(البصائر)⁵.

¹ - صدرت في بسكرة سنة 1927 لصاحبها الشيخ الطيب العقبي لتحطيم الخرافات، صدر أول عدد لها في 8 سبتمبر 1927 طبع بتونس، تم توقيفها من طرف السلطات الفرنسية بمجرد صدوره حيث اضطر الشيخ إلى تركيب مطبعة بدائية ببسكرة بأموال المحسنين سميت (المطبعة العلمية) كان يقود تسييرها بنفسه فأصدر العدد الثاني منها بعد سنتين في 5 سبتمبر 1929 كان توقفها نهائيا في 3 مارس 1948. للمزيد ينظر د. محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، المرجع السابق، ص 91.

² - صدر العدد الأول منها في الجزائر العاصمة في 1 أكتوبر 1926 جاء في افتتاحيته: «جريدة وطنية إسلامية، باسم (وادي ميزاب) تصدر مرة في كل جمعة بعاصمة الجزائر، وهي وإن كانت كلسان حال الأمة الميزابية إلا أنها قبل كل شيء لسان حال الفكر الإسلامي عموما والجزائري خصوصا»، تم طبعها بتونس صدر لها 119 عدد لمدة سنتين دون انقطاع إلى حين أمر التعطيل الصادر في 18 جانفي 1929 لشدة لهجتها.

³ - لصاحبها أحمد بن العابد العقبي أصدرها ببسكرة سنة 1925 إلى غاية 1926 حيث صدر منها 13 عدد ثم توقفت عن الصدور لتظهر في سنة 1934 في الخامس من شهر سبتمبر توقفت بعد إصدارها العدد 20 بتاريخ 1934/10/12.

* - صالح سوسي القيرواني: 1878-1943، شاعر وقاص وناشر تونسي كتب في معظم الجرائد الصادرة في مطلع القرن، له عدة مؤلفات صغيرة الحجم، ومن أهم آثاره رواية الهيفاء وسراج الليل التي نشرت سنة 1906.

** - محمد الفائز القيرواني: 1902-1953، شاعر غزلي رقيق له ديوان شعري نشر سنة 1978.

*** - جلال الدين النقاش من مواليد 1910، شاعر تونسي عرف بكتابة المطولات الشعرية، وبالمثابرة على المساهمة بشعره في المواكب الوطنية.

**** - عثمان الكعاك (1903-1976) من أبرز رجالات الفكر في المغرب العربي، درس بالصادقية وباريس تخرج سنة 1927، عرف كموسوعي بذاكرته العجيبة وإتقانه لعدد من اللغات ومساهماته المتعددة في الصحف والمجلات العربية والأجنبية، له عدد من المؤلفات منها: تاريخ الجزائر العام- بلاغة العرب في الجزائر- الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط- تاريخ المسرح التونسي.

***** - محمد المهدي الناصر: محام تونسي معروف، شارك بمقالاته في الكتابة عن القضايا التونسية وإثارتها في الصحافة التونسية والجزائرية.

⁴ - صدرت سنة 1925 لصاحبها بن باديس وتوقفت سنة 1939، خلفا لجريدة (المنتقد) التي عطلتها السلطات الاستعمارية. صدر أول عدد منها في 12 نوفمبر 1925 مرة كل أسبوع ثم مرتين لكن بسبب أزمة مالية أصبحت الجريدة مجلة شهرية، صدرت بانتظام دون توقف منذ صدورها حتى شهر أوت 1939 الذي أمر فيه الوالي العام بتعطيلها.

⁵ - تعد البصائر الصحيفة الرابعة التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، برز العدد الأول منها في يوم 27 ديسمبر 1935، كان يحررها ويرأسها الشيخ الطيب العقبي تم طبعها بالمطبعة العربية للشيخ أبي اليقظان الكائنة بالعاصمة، صدر منها 180 عددا كان إصدار آخر عدد يوم 25 أوت 1939 لتعود إلى الظهور في سنة 1947.

ولم يكتف هؤلاء بالمشاركة، والدعم وشد الأزر، بل راحوا يقدمون النصائح وثمرات الخبرة، ويزودون القائمين على هذه الصحف بزاد من تجارب العمل، وعمل السنين ونضال الحياة.

وأخيرا يمكن القول بأن الصحافة التونسية اهتمت اهتماما واسعا باستقطاب الصحفيين الجزائريين منذ مطلع القرن، فاستكثبتهم وتبنت آرائهم المناهضة وحاولت أن تبرز أخبار الجزائر من خلال مراسلاتهم ومقالاتهم المختلفة.

ورغم الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الصحافة التونسية تحت وطأة القوانين الزاجرة فإنها لم ترهب الاستعمار ولم تدعن لإرادة السلطة، وتحدثت كل الصعوبات من اجل فتح مجالات التعبير أمام الكتاب الجزائريين الذين كانوا يعيشون الكبت والإرهاب، ويضطرون للكتابة في الصحافة المصرية، وصحف الشرق العربي، والصحف العثمانية كي يعرفوا بالقضية الجزائرية، التي تجد أن الصحافة العربية التونسية قد لعبت دورا هاما في مؤازرتها، وكانت الفرصة للجزائريين في الاستفادة من الجانب الإعلامي لفضح المؤامرة الاستعمارية، والتنديد بالأساليب الوطنية المسلطة على الشعب الجزائري، وفي مقدمة الصحف التي فتحت أبوابها للأقلام الجزائرية نجد جريدتي (التقدم) و(المشير) اللتان حفلتا بمقالات سياسية وأدبية واجتماعية بقلم الكاتبتين الشهيرين عمر راسم وعمر بن قدور، وصحيفة (الاتحاد الإسلامي) التي أسسها الشيخان عبد العزيز الثعالبي وعلي باش حمابه، التي دافعت عن قضية الشعب الجزائري وإلى جانبها جريدة الزهرة التي تبنت بكل جرأة نشر أخباره واهتمت بالدفاع عن قضايا ومطالبه.

ثم لم تلبث هذه المشاركة الصحفية البعيدة أن تحولت إلى علاقة وطيدة وصدقة متينة ربطت بين كتاب القطرين، فتبادلوا الزيارات تبادلهم للكتابة هنا وهناك.

وبهذه المحاولات الأولى أرسلت دعائم التبادل الصحفي بين القطرين، وتتابع من مرحلة إلى أخرى ومن جيل إلى آخر، فوجدنا الجيل الذي خلف بن قدور وعمر راسم يواصل نفس السبيل، ويعمل جاهدا هو الآخر على إرساء قواعد التبادل على أسس أكثر

إحكاماً وتميزاً، فكانت مساهمته في الكتابة بالصحافة التونسية مساهمة إيجابية تطورت هي مجرد تبادل المقالات والآراء على صفحات الجرائد إلى تلاحم سياسي وفكري شكل خطراً جسيماً على المستعمر، ووسع من نطاق المعارضة الفكرية، وأصبغها صبغة عربية مغربية.

على أن هذه المساهمات الأدبية والفكرية والسياسية تطورت بعد الحرب العالمية الثانية، فيما تضاعف عدد الطلاب الجزائريين المقيمين بتونس إلى جانب نمو الوعي السياسي ودخول الكفاح الجزائري ضد المستعمر الفرنسي طورا جديدا من المجابهة المباشرة.

وقد كان لهذا التضامن الفكري أثره الفعال على تصرفات السلطة الاستعمارية التي أغاظها هذا الالتفاف وهذه الوحدة، فبادرت في كثير من الأحيان إلى سن القوانين الجائرة وفرض العقوبات لوضع حد لهذا الزحف الصحفي والحد من التبادل وإقامة العراقيل والحواجز بين البلدين بقصد منه حرية الصحافة وحدة العمل في إطاره المغربي¹.

ثانياً: كتابات الطلبة سنوات الثلاثينات:

يتصدر هذه الفترة الشاعر الزيتوني الجزائري الكبير مفدي زكريا، والذي كان ولوجه عالم الصحافة كمبادرة أولى، فقد تميزت كتاباته الصحفية بطابعها الثوري وحماسها الفياض ولهجتها المباشرة موجهة إلى الشعب والجماهير وطافحة بالتهكم والسخرية اللاذعة موجهة إلى قوى الاستعمار، وقد غلب على كتابات مفدي زكريا المقال الصحفي الذي غلب عليه بلاغة طابع التحريفي، وقد أسس جمعية الوفاق الأدبية التي أصدرت صحيفتها في الفترة ما بين 1925م- 1930م في تونس، ورغم اهتماماته الوطنية الكثيرة، فقد ظل مراسلا وفيما للعديد من الصحف والمجلات التونسية، وغالبا ما كان يمضي مقالاته بأسماء مستعارة مثل "الفتى الوطني"، "أبو فراس" و"ابن سليمان"²، وقد تحدث في كتابه "تاريخ الصحافة العربية في الجزائر" عن الخلاف الذي وقع بين علماء وادي ميزاب من محافظين

¹ - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق، ص 214.

² - المرجع نفسه، ص 214.

وتقدميين حول مسألة إرسال بعثة طلابية من شباب المنطقة للدراسة في تونس، خلال تحدّثه عن أسباب صدور صحيفة وادي ميزاب لمؤسسها الشيخ أبو اليقظان والتي نجملها فيما يلي: محاربة الإدارة الاستعمارية لبعثات التعليم التي كانت تتقاطر من ميزاب على تونس، كانت تتوزع على مدارسها الأهلية القرآنية وعلى جامع الزيتونة خاصة، وقد اعتمدت الحكومة في هذه المعركة كعادتها على طائفة من الرجعيين المتجنسين اتخذتهم أبواقا لدعايتها المغرصة في مساجد الميزابيين بالخطر الذي يتهدد مذهبهم وعوائدهم إذا سمحوا لأبنائهم أن يتعلموا بتونس في مدارس المخالفين، وقد احتدمت المعركة واندلع لهيبها بين الطرفين فلم تقتصر على الحملات الصحفية بل اجتازتها إلى تأليف الكتب ونشرها فألف الرجعيون كتاب "كشف اللثام عن أغراض بعض اللثام"، ورد عليه أنصار الفكرة التقدمية الإصلاحية بكتاب إرشاد الحاشرين لصاحبه أبي اليقظان، ودخل المعركة الزعيم الوطني الدستوري الشيخ صالح بن يحي فكتب عدة مقالات هاجم بها الانهزاميين بجريدتي لسان الشعب والصواب، وهذه المقالات كانت حافزا لصدور كتاب البراهين¹ العاصفة فرد عليه الشيخ إبراهيم اطفيش الذي كان في تلك الفترة بالقاهرة، بتأليف كتاب "الدعاية إلى سبيل المؤمنين" وكان إصدار جريدة "وادي ميزاب" كتوقيع للفوز الذي أحرزه التقدميون على خصومهم².

وكان ثاني قصيد نظمها الشاعر مفدي زكريا بعد قصيده المنشور في جريدة (لسان الشعب)³ هو قصيد "نهوضا بني إفريقيا من سباتكم"⁴، التي تصدرت صفحات (النشرة الثانية لطلبة شمال إفريقيا)، ثم تلتها قصيدة "أحيي الظرف والأدب"⁵ وقصيدة "الوداع أمام القطار". وإلى جانبه نجد الكاتب أحمد توفيق المدني، فنظرا إلى تعدد نشاطه ووفورته منه جهة، ولعلاقته الخاصة برجال الصحافة، وعضويته في الحزب الدستوري التونسي من

1 - مفدي زكريا، تاريخ الصحافة.

2 - مفدي زكريا، تاريخ الصحافة، المرجع السابق، ص 167.

3 - مفدي زكريا (أبي سليمان)، إلى الريفيين، لسان الشعب، 6 ماي 1925.

4 - مفدي زكريا، نهوضا بني إفريقيا من سباتكم، النشرة الثانية لطلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا، مطبعة الاتحاد، الجزائر، 1932، ص 16.

5 - مفدي زكريا، "أحيي الظرف والأدب"، النشرة الثانية لمؤتمر شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا، نهج الباشا، ع 116، مطبعة الاتحاد، تونس، 1923، ص 139.

جهة أخرى، فإن كتابته وإنتاجه الخصب المنشور فيما بين سنتي 1920م- 1935م شمل معظم المجالات والصحف الوطنية، وخصوصا منها الصحف الحزبية الدستورية.

حيث قام بنشر إنتاجه المتعدد الأنماط والفنون من شعر، ومقالات أدبية وسياسية في كل من مجلة (الفجر)¹، و(العرب)²، و(تقويم المنصور)³، و(الوزير)، و(النديم)⁴. و(الأمة)⁵، و(العصر الجديد)، و(الاتحاد)⁶، و(الإرادة)⁷.

وجد الطالب الزيتوني حمزة بوكوشة الذي قام بنشر عدد لا بأس به من القصائد نذكر منها "زفرات"⁸ التي نشرت على صفائح جريدة (الوزير) جاء في مقدمتها:

برمت من الإقامة في بلاد يؤول أهلها الكفر الصريحا

يقودهما المعجل للزوايا ويأخذ منهم الثمن الربيحيا.

وقصيدة "ذكرى وحنين"⁹ جاء في ختامها:

ألا يا قومي استمعوا ولّبوا دعائي للمعارف والمعالي

عليكم بالعلوم فإن فيها حياة النشء من بعد الزوال

1 - صدرت سنة 1920 لصاحبها أحمد الصافي.

2 - من المجلات الهامة التي أصدرها الشيخ زين العابدين بن السنوسي سنة 1920.

3 - صدرت أعدادها الأولى في تونس سنة 1923 لصاحبة احمد توفيق المدني، ثم نقلها معه إلى الجزائر.

4 - من الصحف الفكاهية التي عمرت طويلا، وقد صدرت بصفة دورية أسبوعيا من سنة 1921 إلى غاية 1942، وهي من الصحف الحزبية التي كان يديرها حسين الجزيري، وقد ورد فيها قصيد لأحمد توفيق المدني رثعاً بعنوان "مدّوا الأكف" ضمت 36 بيتا، ألقاها يوم 27 رمضان في حفلة جمعية الشبيبة الإسلامية بالجزائر، ونشرتها الصحيفة ذاتها يوم 18 فيفري 1933

5 - صدرت سنة 1921 لصاحبها الحاج علي بن مصطفى، وتوقفت سنة 1924.

6 - صدرت سنة 1920 لصاحبها الشاذلي بن الخطاب، وهي من الصحف الوطنية.

7 - لسان اللجنة التنفيذية للحزب القديم، وأداة معارضتها للحزب الدستوري الجديد الذي تأسس في 2 مارس 1934، وقد تواصل صدورهما بين انتظام وتعثر من سنة 1934 وحتى سنة 195. للمزيد ينظر محمد صالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق، ص ص 192- 193.

8 - حمزة بوكوشة، زفرات، الوزير، ع 425، 20 ديسمبر 1930.

9 - حمزة بوكوشة، ذكرى وحنين، الوزير، 21 جويلية 1932.

ثم كتل قصيدة "زهرة الشاطئ"¹ يهنئ فيها الشاعر محمود بورقبية بمصيفه الجديد
جاء فيها:

زر أرض تونس واسبح في شواطئها وحيّ عمرا تقضي في مغانيها
وقف بروض النهى والدين حارسه "زيتونة" بزلال العلم يرويها

ثم قام بكتابة ما تبقى من قصيدة زفرات نشر في عددتين الجزء الثاني²، والجزء
الثالث³، والرابع⁴، والخامس⁵.

جاء في الجزء الثاني:

وكم مفسد بالقطر ينقد مصلحا بسبّه، بالتجهيل والرمي بالكفر
فمن لي بأن يدري بأنه مفسد ومن لي بأن يدري بأنه لا يدري.
وجاء في الجزء الثالث وفي مقدمته ما يلي:

يا طير كيف على الغصون تغرّد طربا... وكم من صائد لك يرصد؟
غرثك أرض بالربيع تزينت وغدت ببهجتها الكواكب تسجد.

وجاء في الجزء الرابع:

لعمرك ما العيش إلا كبحر وكل العباد به كالسفن
فمن سابح بين تلك اللجاج ومن غارق تحتها في دجن.

1 - حمزة بوكوشة، زهرة الشاطئ، الوزير 13 أكتوبر 1932.

2 - حمزة بوكوشة، زفرات، الوزير 8 ماي 1933.

3 - حمزة بوكوشة، زفرات، الوزير 13 جويلية 1933.

4 - حمزة بوكوشة، زفرات، الوزير، ع 387، 10 أوت 1933.

5 - حمزة بوكوشة، الوزير 5 جويلية 1934.

وجاء في جزئها الأخير:

أبيّ لما علمتني منذ الصبا

فحملت من تعليمك الأدواء؟

علمتني فغدوت ما بين الملا

صبا غريبا بكرة ومساء.

كما كتب قصيدا بعنوان "إلى صديقي شاعر الشباب"¹، وهو صديقه الوفي دائما

محمود بورقيبة، هذا بعض ما جاء فيها:

إيه أخي، إني لمشتا

ق لماضينا السعيد

في زهرة الشاطئ التي

فيها تطارحنا النشيد

ثم كتب قصيدة بعنوان (شمس الهداية)² ألقىت ترحابا بوفد جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين الذي وفد على بلدة دلس تحت رئاسة الداعية الإسلامي العظيم الأستاذ الطيب

العقبي، هذه بعض الأبيات التي وردت فيها:

يا بلبل الشرق ما أشجاك أشجاني

قم ناج قلبي بتغريد وتحنان

فإن مثلي كئيب حل في شرك

وأنت مثلي غريب بين أوطان

ثم كتب قصيدا بمناسبة الذكرى السنوية لجريدة الوزير التي تبنت مختلف أعمالها

سماها "ربع قرن"³ توجه من خلال أبياتها بالخطاب إلى الشيخ الطيب بن عيسى صاحب

الجريدة ومديرها، وهو الذي قاد خذاه الأولى وشجعه على النشر، وأفسح له المجال في

جريدته، ودون أن ينسى ذكر صديقه شاعر الشباب محمود حيث قال عن الشيخ الطيب:

ربع قرن قضيته في الصحافة

دائبا ساعيا لنشر الثقافة

لم تؤيد مدى الحياة فؤونا

غادرا بالبلاد، أو ذا خرافة

¹ - حمزة بوكوشة، إلى صديقي شاعر الشباب، الوزير، 3 نوفمبر 1933.

² - حمزة بوكوشة، شمس الهداية، الوزير، 22 أوت 1935.

³ - حمزة بوكوشة، ربع قرن، الوزير، 28 فيفري 1935.

وقال عن صديقه:

لا عدمت الصديق (محمود) من قد ملك الشعر قلبه وشفافه
دم بعز ودام محمود للشعر ودام الوزير بين الصحافة

وكذلك الكاتب والشاعر محمد العربي الذي كان يمضي كتاباته بابن تومرت، والذي قام بنشر العديد من الأعمال الأدبية والسياسية، وكان أول عمل نشر له هو شعر "موتة قلب" التي نشرتها مجلة (العالم الأدبي)، من بين ما جاء فيها:

مات قلبي الكئيب متخنا كالجراح
الظلام الظلام أين نور الرجاء

ثم قام بكتابة مقال تحت عنوان "معرض يحي التركي" نشر على صفحات جريدة الزهرة الصادرة بشهر جانفي 1935م، ثم توالى كتاباته الشعرية فكتب قصيده بعنوان "موت النور" نشرت في (مجلة العالم الأدبي) الصادرة بتاريخ 10 فيفري 1935م، و"الصلاة النورانية" نشرت على نفس المجلة في أول أبريل 1935م ثم في 17 جوان من نفس السنة كتب قصيدة "الملال"، ثم كتب قصيدة "أريدك" نشرتها جريدة (تونس) الصادرة بتاريخ 25 ديسمبر 1936، ثم قصيدة (صلوات) التي نشرت على صفحات (مجلة المباحث) بتاريخ 1 جانفي 1938، ولم يكتف بهذا القدر من الإسهامات الفكرية والأدبية حتى ترأس تحرير جريدة من أعتى الجرائد الوطنية، وأشدها صلابة وأكثرها نضالا، وهي جريدة (صبرة)¹ التي قادته إلى السجن في سنة 1938، وكان من أبرز ما اهتم به الكاتب أثناء توليه رئاسة الجريدة، نشر كل ما يتعلق بوطنه الجزائر من قضايا اجتماعية، وأحداث سياسية، وكان قبل هذا قد ترأس تحرير صحف تونسية أخرى نذكر منها (السرور)، و(السرودك)، و(الوطن) و(العالم الأدبي)، والتي غالبا ما كانت مقالاته تنصدرها والتي

¹ - صدرت سنة 1936 بمدينة القيروان، لصاحبها عمر العجرة، تولى رئاستها محمد العربي ثم تعطلت بعد صدور العدد 37 منها الذي صدر في 1938/04/01، وتم إلقاء القبض على محمد العربي وزج به في السجن، ثم عادت من جديد لتستأنف النشاط المعهود، فكان صدور أول عدد منها في 7 جوان 1939، لكن نظرا لما حوته من مقالات كانت قد عالجت الجانب السياسي، واهتمت كثيرا بالظلم والاضطهاد الذي تعرض له أنصار وزعماء الحزب الدستوري، قامت السلطات الفرنسية بتعطيلها بصفة نهائية في يوم 25 جويلية 1939. للمزيد ينظر خير الدين شترة، المرجع السابق، ص332.

كانت تسير على نفس النهج الذي اتبعته جريدة صبرة، فتضمنت الانتقادات الساخرة الموجهة إلى الاستعمار وأذنايه من خلال المقالات والصور الكاريكاتورية، من ذلك أنها نشرت صورة تمثال "جول فيري" المنتصب في شارع مدينة تونس الرئيسي تحت عنوان "لو تتحرك التماثيل"¹، وبعد ذلك أصدر الشاعر قصيدة "عيناك" نشرتها جريدة الزمان في 6 جوان 1939م².

وعلى نفس المنوال سار الشاعر محمد الأخضر السائحي، الذي نشر معظم إنتاجه في هذه المرحلة المبكرة في صحف معروفة بنضالها الوطني مثل (العمل)³، (الواجهة)⁴، (البوق)⁵، و(الزمان)⁶، كانت من بين أولى أعماله تنظيم قصيد بعنوان "وكل عظيم في الممات حياته"، شارك به الشاعر في إحياء ذكريات شاعر تونس والعروبة أبي القاسم الشابي، نشرته مجلة (الأفكار) التونسية في عددها الثالث الصادر في يوم الجمعة 1 جانفي 1937 من بين ما جاء فيه:

لقد كنت تدري أن في موتك البقا وكل عظيم في الممات حياته

وذو العقل من لم يرض بالعيش خاملا ومن يطلب العليا وفيها مماته.

ثم نشر قصيدة ساعة في الخيال بجريدة (الزمان) الصادرة في 30 مارس 1937م، في العدد 374، ثم نظم قصيدة على مضر شهداء بنزرت 1938م إلى أعداء العدالة، ألقاها في إحدى المناسبات الوطنية التونسية عند اصطدام السلطة الاستعمارية لعمال ميناء بنزرت، نشرتها جريدة العمل الصادرة في 17 فيفري 1938م.

¹ - محمد العربي، صبرة، ع 34، 25، فيفري 1938.

² - لم يقتصر إبداع محمد العربي فقط على الكتابة بالأساليب المتنوعة بين الشعر والرواية والقصص، وإنما تعدى ذلك ليدخل مجال الصحافة المسموعة، فكان له الحظ في تنشيط العديد من البرامج الإذاعية، مقدما للحصة، ومساهما بإبداعاته الفكرية والأدبية.

³ - صدرت جريدة العمل عن الحزب الدستوري الجديد سنة 1934، وعطلت في نفس السنة لتعود من جديد سنة 1937، وبعد سنة واحدة أعيد تعطيلها، ولم تعد للصدور بصفة منتظمة إلا في سنة 1955.

⁴ - صدرت سنة 1936 لصاحبها التجاني بن سالم، وتوقفت سنة 1937.

⁵ - صدرت سنة 1937 لصاحبها عز الدين بلحاج.

⁶ - صدرت سنة 1927 لصاحبها محمد بنيس.

وعلى غراره نجد الطالب الزيتوني الجزائري محمد العيد الجباري، الذي تميز نضاله الأدبي بالصمود والعناد فكان شعره وكتاباتة مدادا ثوريا، تتباهى بنشره جريدة (العمل) الدستورية، وتتبنى مضمونه للتعبير عن اتجاهها، فكان من أولى أعماله المنشورة على جرائدها قصيد بعنوان (تحية)¹، جاء في مقدمتها:

شدنم عراها - عرى الأقدام- وانطلقت سفينة الحق باسم الله مجراها
تجري بآمال شعب ماجد فطن لم يرضى من رتب الدنيا بأدناها

ثم في 12 جوان من سنة 1934م صدرت قصيدة "سياسة المشاركة" جاء فيها:

سياسة الغصب سموها مشاركة فعجب لمن قد غدا مئا يواليها
ألست تعجب دار قد عكفت لها حيننا من الدهر دون الناس من تبنيتها².

ثم بعد ثلاثة أيام من صدور سياسة المشاركة، نظم قصيدة يتحسر على بلده الجزائر الحزينة بعنوان (كيف لا أبكي) مما جاء فيها:

سوف تدري يا ظلوما عاث في الأرض وجارا
سوف تدري يا غشوما آخر الضغط انفجارا³.

ثم في سنة 1936 ألف قصيدة "الأرنب والسلوقي" مشبها هذا الأخير بالفرنسي الجائع، من بين ما ورد فيها الأبيات التالية:

فالمرء لا يرضى بغير اللحم ولست إلا ناهش العظم
وإن نبحت تطلب الطعاما فمنه تلقى الضرب والإيلاما⁴.

1 - محمد العيد الجباري، تحية، العمل 5 جوان 1934.

2 - محمد العيد الجباري، سياسة المشاركة، العمل، 12 جوان 1934.

3 - محمد العيد الجباري، كيف لا أبكي، العمل، 15 جوان 1934.

4 - محمد العيد الجباري، العالم الأدبي، 17 جويلية 1936.

ونجد أبي اليقظان الناشط الصحفي يبرز بشكل كبير من خلال جريدة الأمة الصادرة من سنة 1933م الذي اتبع فيها النهج الإصلاحية لمعالجة القضايا العربية بشكل عام، والقضية التونسية بشكل خاص، حيث نجد مقاله الصادر بجريدة الأمة من تاريخ 16 نوفمبر 1934م وفي عددها الثامن، يصف فيه الشيخ أبي اليقظان الحوادث الدامية التي أسفرت عن تعطيل الصحف الوطنية، وإغلاق نوادي الحزب الدستوري إلى جانب مجموعة كبيرة من المقالات التي صدرت في الأعداد الموالية من بنيتها "تونس تعانق شقيقتها الجزائر" الصادرة في شهر ديسمبر من سنة 1934م، وفي العدد 14 من نفس الجريدة، ومقال "فضلاء الزيتونيين يخطون خطوة موفقة بتأسيس جمعية الرابطة الزيتونية" الصادر في شهر أفريل 1937م في العدد 111، ومقال "زعيم شمال إفريقيا الثعالبي يصل إلى تونس" و"تونس في أسبوع الأستاذ الثعالبي" الصادر في شهر أوت 1937 في العدد 134.

كل هذه الإسهامات النشيطة المتزاوجة بين الصحفيين والمحرفين والزعماء الإصلاحيين التونسيين والجزائريين، واهتماماتهم بالقضية العربية لدليل على الترابط الوثيق بين شعبي البلدين، وكان إقبال القراء التونسيين والجزائريين عليها إقبالا مشجعا فقد رأوا أن الواجب يملي عليهم بأن يتخلوا عن قراءة الصحف القديمة التي هدفها توجيه الأنظار إلى الآفاق الخارجية، ومعالجة المشاكل العامة التي لا تمس حياة المواطن في شيء، وكل هذا بحسن نية، وليس لتقصير منها¹.

¹ - خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون...، المرجع السابق، ص 348.

ثالثاً: كتابات الطلبة مطلع الأربعينات:

لقد شهدت إسهامات الطلبة الجزائريين الأدبية والصحفية والسياسية بتونس بداية الأربعينات ركوداً كبيراً مقارنة بسنوات الثلاثينات والعشرينات من نفس القرن، ولم نعرف السبب في ذلك، فرحنا نعلل هذا إلى أن السنوات الأولى من العقد الرابع لم تسجل توافد كبير للطلبة الجزائريين بتونس إلا بعد الحرب العالمية الثانية، أي بعد تضاعف حجم البعثة العلمية بعد هذه الحرب، ونمو الوعي السياسي ودخول الكفاح الجزائري ضد المستعمر الفرنسي طورا جديدا من المجابهة المباشرة، وكان في مقدمة أولئك القلة من الطلبة الجزائريين الزيتونيين محمد العريبي الذي قام بمجهود عظيم ساهم في إثراء الصحافة التونسية، وتعدت كتاباته ومساهماته الأدبية إلى المحاولة في التفرد بإصدار وكتابة جريدة (الزمان)¹ بمفرده سنة 1940-1941، إثباتا لكفاءته وتعبيرا عن مقدرته، وبعدها تعامل مع المجلات والصحف اليومية والأسبوعية التي كان بها رواج في زمانه، ومن الصدف الغريبة أن ينهي العريبي رحلته الصحفية سنة 1944 من حيث بدأ بجريدة الزهرة بتونس.

وكتب الطالب عبد الله شريط الذي كان يمضي قصائده باسم (ابن الفكون) بعنوان "دعاء الروح"² ضمت ثلاثة وثلاثين بيتا شعريا، هذه بعض الأبيات التي وردت فيها:

كان الصباح الوليد العزيز كعرس الملائك في الجوّ حيا

وها هو الوجود يغني له ويصح بالصلوات شديا

كما كتب الطالب الزيتوني أبو بكر مصطفى رحمون قصيده بعنوان "على هامش المولد"³ نشرته جريدة الصريح جاء في مقدمته:

أيها المسلمون إن رسول الله منا يشكو الونى والخمولا

وعلى منبر الخلود ينادي أمّتي حطمي عليك الغلولا.

¹ - كتب محمد العريبي قصيدا بعنوان "كوني النعيم" صدر في الزمان، 20 جانفي 1940.

² - عبد الله شريط (ابن الفكون)، دعاء الروح، المباحث، 6 سبتمبر 1944.

³ - أبو بكر مصطفى رحمون، على هامش المولد، الصريح، 31 ديسمبر 1940.

وكان الطالب الجزائري مولود قاسم نايت بلقاسم يشارك بالكتابة في جريدة (المغرب العرب)، التي اهتمت كثيرا بأخبار حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، التي كان يرأس تحريرها محمد السعيد الزاهري، كما كان يساهم أحيانا بكتابات في مجلة (المنار) التي كان يرأسها بوزوزو محمود، وجريدة (لسان العرب) التونسية بين سنتي 1947-1949 وهو لا يزال طالبا بالجامع¹.

من أهم المواضيع التي كتب عنها الطلبة الجزائريون بصفة عامة والطلبة الزيتونيون في أواخر الأربعينات هو دستور 1947، الذي أحدثه البرلمان الفرنسي² يوم 20 سبتمبر 1947، وصادق عليه في اليوم ذاته، الذي لم يلق تجاوبا لا من طرف الكولون ذاتهم، ولا من الجانب الجزائري³.

فقد عبرت حركة انتصار الحريات الديمقراطية بالرفض القاطع بدليل أنّ البرلمان الفرنسي ليس من حقه وضع دستور للجزائر⁴، معتبرين ذلك من حق مجلس وطني تأسيسي، وخرج ممثلو الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري من قاعة التصويت احتجاجا على استبعاد مناقشة البرلمان لمشروع الحزب، والمتمثل في جمهورية جزائرية ذات حكم ذاتي، مشاركة في الاتحاد الفرنسي، ومرتكزة على ثنائية الجنسية للجالية الفرنسية وللجزائريين⁵.

أما جمعية العلماء المسلمين فقد رأوا فيه "أنه مولود جديد غير مستعد للخير"⁶، هذا الاستقبال السيئ لما سمي بدستور الجزائر له ما يبرره في نظر أحمد توفيق المدني، ففي

¹ - محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، ج3، ط2، مطبعة الرغاية، الجزائر، 2008، ص 135.

² - André Naushi، La naissance du nationalisme algérien : 1914- 1954، éd. Minuit، paris، 1962، p 149.

³ - Charles-Robert Ageron، Histoire de l'Algérie contemporaine de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954، T2، ed. PUF، paris، 1979، p. 611.

⁴ - حديث صحفي مع الأستاذ أحمد مزغنة، الزهرة، 28 مارس 1948، ص 1.

⁵ - Charles-Robert Ageron، op.cit.، p 605.

⁶ - ندوة صحفية مع الشيخ العربي التبسي بتونس، الأسبوع، 5 ديسمبر 1948، ص 06.

نظره أن معظم نقاطه كانت عبارة عن تجاوز لمصلحة الجزائريين بإيجاد كل ما يخدم الأوروبيين وبنسبة كبيرة وتمثلت نقاط القوة مما يلي:

- الاعتراف المبدئي بأن القطر الجزائري ليس هو فرنسا، ولا يمكن أن يكون قطعة من فرنسا، وذلك هو مدلول تأسيس مجلس جزائري مطلق النظر في المسائل المالية والإصلاحات الداخلية، والنظر في إمكان أو عدم إمكان تنفيذ القوانين الفرنسية بالبلاد الجزائرية.
- إعلان التساوي التام في الحقوق والواجبات بين الجزائريين والأوروبيين وفتح المناصب العامة أمام الجميع عند تساوي الكفاءة وإلغاء كل القوانين الاستثنائية والجزرية التي كان مفعولها خاصا بالمسلمين.
- الاعتراف بمبدأ التساوي التام في المجالس المنتخبة وبين الجزائريين والأوروبيين.
- الاعتراف بحرية الدين الإسلامي واستقلاله عن الحكومية وترك سائر أموره لجماعة المسلمين يتصرفون فيه حسب مصلحة الدين لا حسب أهواء الإدارة.

أما نقاط الضعف فتمثلت فيما يلي:

- 1- إنّ المجلس الجزائري¹ ليس له حق التشريع ولا يسن للجزائر ما يراه صالحا لها من قوانين عامة إلا فيما يتعلق بالمسائل المالية الداخلية، فغاية المجلس الجزائري أنه يدرس القوانين الفرنسية التي يصدرها مجلس الأمة الفرنسي، فإن رآها مناسبة أصدر أمرا بتنفيذها، وإذا رآها غير ملائمة للقطر الجزائري حوّرّها أو عدّلّها، أما إذا أراد سن قوانين جديدة فعليه أن يطلب من المجلس الوطني الفرنسي أن يسن ذلك القانون ثم يأمر بتنفيذه.
- 2- إنّ هذا القانون مع اعترافه بأن سائر الجزائريين على الإطلاق مهما كان دينهم وأصلهم ولغتهم، يُعتبرون مواطنين فرنسيين متساوين في الحقوق، وقد قسم الناخبين

¹ - برلمان استحدثه دستور 1947 يتكون من 120 عضوا وبالتساوي بين الجالية الأوروبية والجزائريين.

إلى قسمين اثنين، وأحدثت الديمقراطية الحرة التي سنها نظام الجزائر الجديدة أن الفرنسي المسيحي واليهودي يعادل تسعة من الجزائريين المسلمين.

3- تدخل الإدارة في الانتخابات مما يعني أن النواب سيكونون على مقاسها وهم من جماعة بني وي وي، وهذه نقطة ضعف قاتلة للتجربة برمتها¹.

ومن الناحية القانونية لا يمكن نقد هذا الدستور عن عدم تطبيق بعض الأحكام التي استحدثها كإلغاء الحكم العسكري في الجنوب، وإحداث البلديات المختلطة، وحق تعليم اللغة العربية²، من خلال ترك كل هذا إلى القوانين التي أتى بها المجلس الجزائري.

في مقابل هذا كان الدستور قد أقر مجموعة عراقيل هدفت إلى شل عمل المجلس، وكان هذا الهدف المطلوب من قبل الإدارة الفرنسية والجالية الأوروبية، ولم يتوقف الأمر إلى هذا الحد فقط بل عمدت السلطات الفرنسية إلى تزوير الانتخابات من أجل سحق الوطنيين وإبعادهم حتى لا يكون لهم تأثير على مستقبل البلاد.

ونجد أن ما ميز السنوات التي تلت سنة 1947، هو كثرة الانتخابات، مما أدى إلى اهتماما أكثر من الجانبين الفرنسي والجزائري، ورغم أن النظام الانتخابي في الجزائر أوجد صورة بارزة للوجود الاستعماري بالجزائر، فبخلاف طابعه العنصري المرتكز على قاعدة الكتلتين الانتخابيتين المنفصلتين، الأولى تضم الهيئة الأولى الممثلة لمليون ناخب أوروبي وبعض المتجنسين من الأهالي، والهيئة الثانية والممثلة لما يزيد عن 9 ملايين من الأهالي، ورغم أن التمثيل النيابي للجزائريين في أغلب الأحوال هو التساوي مع الفئة الأوروبية في المجلس الجزائري، فإن الإدارة الفرنسية عملت إلى إضافة ضمان آخر وهو صناعة الانتخابات³.

¹ - بلوزاع براهيمة، كتابات الجزائريين في الصحافة...، المرجع السابق، ص13.

² - Colette et François Janson، L'Algérie hors la loi، éd. Seuil، paris، 2^{ème} édition، 1955، p 79.

³ - بلوزاع براهيمة، كتابات الجزائريين، المرجع السابق، ص 14.

وبذلك أصبح العرف الانتخابي يتلخص فيما يلي: للشعب حق الاقتراع على من يشاء والسلطات الاستعمارية حق إعطاء النتيجة كما تريد¹، وبذلك انتزع حق الشعب بعدما كان أقدس حق، وانتزعت المسؤولية من يده في اختيار حكومته، وحل الحكم الاستبدادي محل الحرية السياسية، وأصبحت الإدارة في هذه الحالة هي الناخبة والمنتخبة معا².

وميز التحضير للانتخاب إيداع جو من الذعر والإرهاب في مختلف الأحياء والجهات، بشن حملة من الاعتقالات، والإعلان عن تطبيق مختلف الأحكام الجزرية التي لا تستثنى حتى النواب الجزائريين³.

وتفنتت الإدارة الاستعمارية في حيلها وحكرها، فتعددت التجاوزات يوم الانتخاب، فبعد تكوين مكاتب مراكز الاقتراع، نجد أولا عدم احترام أوقات فتح وغلق هذه المراكز، إلى جعل بعضها سرية، وغياب أوراق الانتخاب الخاصة بالمرشحين الوطنيين من هذه المراكز، إلى منع تمثيلهم من مراقبة تسيير العملية الانتخابية، أو إيقافهم أو طردهم تحت ضربات أعقاب البنادق من مراكز الاقتراع إلى الملء المسبق للصناديق بأوراق مرشحي الإدارة، أو سرقتها من قبل العسكريين أو تعويضها بأخرى مملوءة وقت إمضاء محاضر الفرز، إلى تصويت الموتى أو الغائبين إلى تصويب رجال الإدارة بالوكالة عن عشرات الناخبين⁴.

ومن المواضيع التي سخر الطلبة أقلامهم للكتابة عنها هي:

1. الوحدة الوطنية:

كان الاتحاد أهم مطلب للحركة الوطنية، وكان لكل حزب نظرتة الخاصة به للوحدة وكيفية تحقيقها، وكانت تجربة أحباب البيان والحرية فريدة لكنها وبعد حوادث الثامن ماي

¹ - عبد الله شريط، ثقافة الشعب، الصباح، ع 182، أوت 1951، ص 3.

² - فتى الجزائر، الانتخابات الجزائرية، الزهرة، 1951، ص 04.

³ - André Nouchi, op.cit., p 154.

⁴ - Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme algérien: question nationale et politique algérienne 1919- 1951, éd. S.N.E.D., Alger, 1980, pp 796- 797.

1945م كانت السبب في تأخر إعادة الوحدة للساحة السياسية الجزائرية، وما قنتت الجزائر منذ 1946م تبحث عن ميدان للكفاح يمكن به توحيد جميع القوى الجزائرية الصالحة¹.

وانطلقت أصوات تطالب بالوحدة من جديد لأن اتحاد القوى الوطنية إزاء هذا الاعتداء الاستعماري أمر ضروري محتم لنجاح القضية الوطنية، وبلوغ الشعب الجزائري ما يصبو إليه من حرية واستقلال².

كان الجزائريون واعين بأهمية الاتحاد في زمن لا يفلح فيه إلا الشعب الذي توحدت صفوفه وتآخى أبنائه أخوة أشد من الرحم، وأقوى من أواصر القرابة ووشائج الأرومه الواحدة، وبأنّ الطريق إليه ليس مفروشا بالورد لأنه عزيز عزة القنبلة الذرية، ومن يطلبه عليه أن يدفع ثمنه بنكران الذات واصطناع الحكمة دائما في معالجة الصلات بين العاملين لصالح البلاد، ولو كان في شيء من الذل وقبول لصالح الاتحاد الجليل والواجب المقدس لأن فيه تضحية وصبرا³.

إن أسس الاتحاد موجودة سواءً مادية أو روحية ما يندرج تحت ذلك من اقتصاد وعقيدة ولغة... الخ، وما يجمع الجزائريين أكثر مما يفرقهم وما يبعدهم عن فرنسا أكثر مما يقربهم وبالتالي فرض التساؤل عن مبررات الشقاق نفسه على الجزائريين⁴.

دائما وفي مثل هذه الحالات يكون الاستعمار هو المتهم الأول، فإن لم يظهر لهم سافرا أشاروا له من خلال أذنايه، فمثلا سعي الولاية العامة إسقاط الحصانة البرلمانية عن نائب حركة (إ.ح.د.) في البرلمان الفرنسي السيد خيضر محمد بخلاف اتهامه بضلوعه في السطو على البريد المركزي بوهران عام 1949م، بل مؤامرة لمنع اتحاد الأحزاب السياسية والفعاليات الجزائرية مع حركة (إ.ح.د.)، فتتفر بذلك من الاتحاد مع هذه الحركة

1 - أحمد مزغنة الجزائري، إن الوحدة الوطنية قد تحققت، الصباح، 1951، ع 156، ص 4.

2 - لائحة من السكان الجزائريين بتونس إلى الأحزاب الجزائرية، الزهرة، 12 ماي 1951، ص 02.

3 - تصريح الفضيل الورتلاني، الأسبوع، 29 أكتوبر 1951، ص 01.

4 - فتى الجزائر، "وأطل الصباح من وراء القرون"، الصباح، 22 فيفري 1951، ص 04.

التي هي من الشعب وإلى الشعب أو تخاف من المستعمرين أن يفعلوا بها فعلهم بأعضاء هذه الحركة¹.

إلا أن الدعوة إلى الاتحاد تواصلت رغم هذه المناورات الاستعمارية، بل ربما كانت حافزا إلى الوعي بأهمية الاتحاد، وبالتالي العمل على تحقيقه، وكل حزب من الأحزاب الوطنية يدعي شرف ذلك سواء كانت (ح.إ.ح.د.)² أو جمعية العلماء، وليست لنا فكرة عن رأي الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري أو الحزب الشيوعي لأننا لم نجد كتابات توضح رأيهما بخصوص الموضوع في الجرائد التونسية.

هو إذن صفاء الضمائر وإخلاص المبدأ وتضافر في المجهودات، وتفاني في العمل مع إعراض عن النقائص وتناسي للضغائن، وقد عرف الشعب الجزائري الذي تقلب بين الآمال والخيبات، وبين الانتصارات والاضطهادات كيف يفرض أخيرا بروحه الكفاحية ومقاومته للضغط وتضحياته اليومية هذه الوحدة التي دفع ثمنها باهظا.

وقد تحدث أحمد مزغنة مطولا عن هذا الموضوع فأكد عن نوايا حزبه الحسنة قائلاً: إن تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية يظهر بجلاء صدق السياسة التي سلكتها حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي ما فتئت منذ تأسيسها تدعو إلى الوحدة لعلمها بأن الاستعمار يستفيد عاجلا أم آجلا من تشتت القوى وأن الأمثلة على ذلك - مع الأسف - كثيرة خصوصا منذ سنة 1948، وقد لعبت (الجزائر الحرة) أيضا دورها في هذه الحملة الوطنية وهي تعرف جيدا ما يصيب الداعين إلى الوحدة من الحجز والتعسفات والتتبعات، وقد استأنفت كفاحها منذ صدورها من جديد بالتراب الوطني من أجل الوحدة فعبرت بالوثائق المختلفة عن إرادة الشعب الجزائري في الوحدة ودعت إليها وقد شاء الله أن تسمع نداءاتها.

لقد أدينا واجباتنا وسنستمر على السير في نفس الطريق³.

1 - محمد الساسي، حول قضية محمد خيضر، أهي محاولة لعرقلة الاتحاد بالجزائر، الأسبوع، 15 جانفي 1951، ص 11.

2 - فتى الجزائر، المصدر السابق، ص 04.

3 - أحمد مزغنة الجزائري، المصدر السابق، ص 4.

إنّ ميدان العمل بالنسبة إلى هذه الجبهة محدود وأغراضها تنحصر مبدئياً في الدفاع عن الحريات الأساسية وحرية التصويت، والكفاح ضد الاضطهاد، وفي سبيل تحرير المساجين السياسيين، وقد يتراءى أنّ ميدان عملها ضيق جداً وهذا صحيح، إلا أنه يجب على الجبهة أن توسع آفاقها وتضم إلى أغراضها الهدف الذي يكافح الشعب الجزائري من أجله ألا وهو استرجاع السيادة الوطنية. ومهما يكن من أمر فإنه يجب اعتبار تأسيس هذه الجبهة نتيجة ملموسة ذات أهمية وخطوة كبيرة نحو تجمع الشعب الجزائري في كتلة للدفاع ضد الاستعمار وأنّ هذه الخطوة ستتبعها خطوات حتى التحرير لأن التجربة علمتنا أن الذي يهم من تحقيق الوحدة هو الأعمال التي ستتبعها ولهذا فنحن نحیی هذه الجبهة كحدث في كفاحنا لأن تأسيسها يعتبر غرة بيضاء في تاريخنا وينفخ في شعبنا روحاً جديدة من الاندفاع، ويفتح ثغرة واسعة في الهيكل الاستعماري. إنّ أمام الجبهة مهمات عظيمة، أما عمل يومي شاق، ولكنه غني بالأمانی إنّ الاضطهاد يسود فيجب أن تحكمه، والمساجين يتألمون في السجون¹، فيجب تحريرهم، وإرادة الشعب الجزائري معرض عنها، فيجب فرض احترامها، والإسلام مداس فيجب إرجاع تسيير شؤونه بيد الشعب، ومصالي الحاج هدف للقيود الاستثنائية فيجب أن يتمكن من التجول في الجزائر، وفي الخارج.

وستعقد ندوة عما قريب بالجزائر يدعى إليها كثير من الهيئات والشخصيات المعروفة بتعلقها بالديمقراطية والحرية بقطع النظر عن مصادرها وميولها، وسيجتمع نواب الحركات الوطنية، وشخصيات جزائرية وديمقراطيون، وجمهوريون للبحث في مستقبل هذا الوطن، وسنشاهد لأول مرة في الجزائر مثل هذا الاجتماع الذي لا يمكن أن يكون إلا بشارة بمستقبل جديد مثمر النتائج.

إنّ تأسيس اللجان المحلية لهذه الجبهة في جميع أنحاء الوطن سيعطي للشعب الجزائري فرصة المشاركة بصفة عملية مباشرة في الكفاح التحريري، فعلى الجزائريين أن يكونوا يقظين، وأن يعتنوا بهذه اللجان التي يجب أن تكون هي القاعدة التي تتعمد عليها الجبهة في كفاحها.

¹ - أحمد مزغنة الجزائري، المصدر السابق، ص 4.

وعلى الجزائريين أن يجندوا كل قواهم للاحتفاظ بهذه الوحدة الثمينة وتنميتها، وجعلها سلاحاً فعالاً قادراً على زعزعة الاستعمار من أركانه فنكون بهذا قد اختصرنا الطريق لتحريرنا، وحافظنا على النهج الذي ضحينا بكل شيء لكي يحيا الوطن حراً¹.

وإنه نظراً للأوضاع السيئة التي كانت تعيشها الجزائر أضحى موقف الحياض في الاتحاد جريمة وذلك بالنظر إلى أنّ قوى العالم تكتلت فيه ولم يعد للضعفاء من مكان، كما أن التاريخ علمهم أن الضعفاء والمشتتين كانوا دائماً وقود حروب الأقوياء ولا سبيل إلى محو هذه الوضعية المزرية إلا بالاتحاد².

إنّ الرؤية الاستشرافية وبعد نظر الجزائريين ترى أن الاتحاد المنشود بالنسبة لهم لا يقتصر على الجزائريين فقط، فالجزائر وحدها لا يمكن لها أن تحيا وتزهر بعد تحقيق وحدتها وهي المرحلة الأولى، إلا ضمن المغرب العربي الموحد فكرياً وعملياً فتلك هي المرحلة الثانية، ثم إن المغرب العربي لا يمكن له أن يعيش وحده لما يحتاج إليه في بنائه بعد التخريب الاستعماري من المواد المادية والفكرية، فحوله العالم الإسلامي المنتشر في أصقاع الأرض فتلك هي المرحلة الثالثة³.

1 - أحمد مزغنة، إن الوحدة...، المصدر السابق، ص 4.

2 - فتى الجزائر، المصدر السابق، ص 04.

3 - نفسه، ص 04.

الفصل الثالث: كتابات الطلبة في جريدة الصباح

أولاً: كتابات الطلبة سنوات الخمسينات:

لقد تصدرت الجرائد التونسية مطلع الخمسينات أسماء العديد من الطلبة الجزائريين الزيتونيين الذين حاولوا بمختلف الطرق خدمة القضية الجزائرية، ورغم بعد المسافات ورغم الظروف الصعبة التي كانوا يعيشونها، فذلك لم يحد من عزمهم بل زادهم إيماناً بأن سيأتي يوماً يرضخ فيه المستعمر ويعود من حيث أتى، فسخروا أقلامهم التي كانت السلاح الوحيد لديهم، بعدما لقوا الدعم من الإعلام التونسي الذي فتح لهم أبوابه لنشر كتاباتهم وإسهاماتهم الفكرية والأدبية بهدف تشجيعهم، ومساندتهم لإسماع صوتهم لإخوانهم التونسي بوجه خاص، وللعالم العربي بوجه عام، فكانت أولى الكتابات التي نشرت سنة 1950 أولى الكتابات للطالب أحمد الغوالي الميلي، الذي كتب قصيداً بعنوان "فلا تحفل بغير العلم زاداً"، جاء في تقديمها: " إلى جمعية البعثة العلمية الزيتونية الجزائرية وطالبها الحي المجتهد النشط":

وهذه بعض الأبيات التي وردت في القصيدة:

أنت الزهرة توجّه النهار أم الورد المطيب والبهار

أم الغصن النضير من الأمانى ونبت صالح فيه ثمار¹.

ثم تلتها كتابة قصيدة "ذكرى 8 ماي" لصاحبها الطالب الذي كان يمضي كتاباته باسم أفق الجزائر السهى، حيث جاء في مقدمة القصيدة الأبيات التالية:

هل تشعرون بما أحسّ وأشعر أو تذكرون اليوم ما أنا ذاكرُ

هل تذكرون مصاب (ماي) إته لا خطب قط أجل منه وأخطر².

¹ - أحمد الغوالي الميلي، فلا تحفل بغير العلم زاداً، الصريح، ع 157، 14 أبريل 1950.

² - أفق الجزائر (السهى)، الصريح، 12 ماي 1950، ضمت القصيدة 27 بيتاً شعرياً.

وفي سنة 1951م، برز على الساحة الإعلامية التونسية طالبان، شاركا بالعديد من المقالات المتنوعة الأسلوب، وهما عبد الله شريط والطالب أنور الجنيدي، حيث كتب الأول مجموعة مقالات تحدث فيها مطولا على قضية الوحدة العربية جسدها في عشر مقالات صدرت في أعداد متفرقة كان أول مقال حول هذا الموضوع بعنوان "منشأ الفكرة القومية العربية"¹، ثم نشره عبر جريدة (الصباح) في عددها الصادر في 18 ماي سنة 1951 في الصفحة الرابعة، استهلها بالعبارات التالية: "... يكاد يجمع الباحثون فيما يدعى بالقضية العربية إن ميلاد هذه القضية يشكل أهم حدث في تاريخ العرب الحديث وهو ما أصبح يدعى أيضا بقضية الوحدة العربية أو القومية العربية على اختلاف ما يستعمل لها من التعابير...)"، ثم يطرح مجموعة تساؤلات² يجيب عنها في المقالات المتتالية حول الموضوع ذاته، والتي عنونها بـ: "القومية العربية بين الفكر والواقع"، تضمنت تسع مقالات.

ومن بين التساؤلات التي طرحها شريط والتي يدور فحواها حول القومية العربية دائما ما يلي: "... لكن هل قومية هذا الشعب أو الشعوب العربية قومية بالمعنى الصحيح، أي لها من المقومات الحق ما يجعلها أمة قائمة بذاتها ومميزاتها الخاصة؟ وهل توفر لغيرها من الأمم الموحدة المتناسقة الخطوط المنسجمة العناصر؟ ماذا يقول علم الاجتماع الحديث في مفهوم الأمة؟ وكيف يحدده وهل ينطبق هذا التحديد كله أو بعضه على ما يسمى بالأمة العربية؟".

يوصل شريط حديثه قائلاً: "... أعتقد أنه ليس من الضروري أن نستعرض كل ما يحوم حول الأمة في علم الاجتماع من تبيان تكوين الأمة من عناصرها الأولى وتدرجها في التاريخ من العشيرة ثم القبيلة ثم الشعب ثم الإمبراطورية... بل يكفي أن نستعرض بإيجاز بعض نظريات علماء الاجتماع في المقومات التي تتألف منها الأمة بصورة عامة والتي أجمالها في نظرية الوطنية- ونظرية الحدود الجغرافية ونظرية العرقية- ونظرية الدينية

¹ - للمزيد عن "منشأ فكرة القومية العربية"، ينظر: في الفصل الثاني من الأطروحة الخاص بالطلبة الجزائريين ووحدة المغرب العربي.

² - عبد الله شريط، القومية العربية بين الفكر والواقع (6)، ع 130، الصباح، 1951، ص 3.

ونظرية المصالح السياسية والاقتصادية ويقوم بشرحها شرحا دقيقا بإعطاء أمثلة عن الأمم السابقة، ثم يرجع فيجزم على أن القومية كما يدل عليها لفظها قائمة على وحدة القوم أو الأمة وعلى تناسق عناصرها وانسجام مكوناتها، ويستخلص من ذلك أن ما يسمى بالأمة العربية لا يفقد شيئا من عناصر هذا التكوين العلمية، وأن كل ما يفقده من ذلك إنما هو العنصر السياسي الذي يجمع الأمة العربية في دولة واحدة تعيش تحت علم واحد وتتكلم مع الأمم الأخرى بلسان وزير خارجية واحد¹. ثم يجعل من الشعب العنصر المهم والركيزة الأساسية لإيجاد القومية العربية، حيث يقول عنه: ... ونحن إذا نلح في حديثنا عن القومية العربية على نقطة الشعبوية، فلأننا نعتقد أن كل طريق آخر لتحقيق القومية العربية في وطنها العربي، غير طريق الشعب بأوسع معانيه إنما هو طريق ضال لا يخلو من غش أو بلاهة، فقد رأينا أن تحقيق هذه القومية عن طريق السياسيين وحدهم قد باء بالفشل، ورأينا أن الوضعية السياسية المكبلة بها الأمة العربية في أوطانها الشاسعة من استعمار بعضها واستقلال البعض الآخر كانت من العوامل الرئيسية التي حالت دون تحقيق هذه القومية حتى اليوم، ورأينا أيضا كيف أن تحقق هذه القومية في محيطها الخارجي العام بين الأوطان العربية جميعها وهي على حالها اليوم من الاختلاف في أنظمة حكوماتها وتعددتها بدون مبرر صحيح، إنما هو تحقق مذهري فقط لا يستطيع الوصول إلى حل شيء من المشاكل القاتلة التي تثقل أعباء العرب بالتأخر والضلال، وأن هذه الظاهرة المتناقضة في حالة العرب اليوم من كونهم يشكلون أمة واحدة تاريخا وجغرافية ولغة وعقيدة وتفكيراً وعادات ورغبة مشتركة في العيش أسرة واحدة من جهة، ومن جهة ثانية حرمان هذه الأمة من ثمار وحدتها سواء كانت ثمارا سياسية أم اجتماعية أم فكرية هي التي جعلت من قوميتهم قضية معلقة بين الفكر والواقع... فالشعب هو الأساس الأمين الذي نستطيع أن نثق بصلابته وقوته في تحمل أي صرح نريد أن نقيمه عليه، وهو العنصر الوحيد من أبناء هذه الأمة الذي بقي سليما من أمراض الانحلال معافى من أرجاس الماضي المتفسخ العفن.

¹ - عبد الله شريط، القومية العربية بين الفكر والواقع (10)، ع 130، الصباح، 1951، ص 3.

ويختم مقاله بقوله بما يجب على الشعب القيام به... وعليه أن يدرك قبل كل شيء أن العمل لتحقيق قومية ليس الدافع إليه اعتبارات شعرية أو نخوة تاريخية أو فخر لفظي يتباهى به بل الدافع هو قبل كل شيء، بعد كل اعتبار دافع حيوي مادي بقدر ما هو معنوي، يتطلب ما هو في حاجة إليه من ضمان حياة حرة سعيدة قوية وتسطير مصير مليء بالرخاء والخصب، والتفاؤل، ولأن قوميته هي سبيله الوحيد الذي يجعل منه أمة لا تعيش على الهامش منهارة متقاعسة بل أمة تكافح في صميم الحياة إلى جانب غيرها من الأمم العاملة لسعادة العائلة الإنسانية الكريمة¹.

ثم كتب سلسلة من المقالات التي عنونها (ثقافة الشعب) قام فيها بعرض كتاب (مواطنون لا رعايا) لصاحبه خالد محمد خالد، فعلق عليه من خلال خمس مقالات صدرت تباعا في الأعداد 180-181-182-183-184.

جاء في مقاله الأول الصادر بجريدة الصباح في عددها المائة والثمانون وفي عرضه للكتاب: "هذا كتاب لا يبعد أن يكون البعض من طبقتنا المثقفة قد اقتناه واطلع عليه واعتقدنا أن صاحبه لم يزفه إلى هذه الطبقة أو على الأقل لم يكتبه إليها هي وحدها بل كان وهو يكتبه يتمثل أمامه شيئا آخر أوسع من طبقة بعينها، وأهم من أفراد معدودين، كان يكتب وهو يتمثل الشعب، ودليلنا على ذلك أن طبعته الأولى وهي خمسة آلاف نسخة نفذت في ثلاثة أيام... ونحن إذن عندما نعرضه في الصباح الأدبي، ونعلق عليه بما يتسنى لنا من آراء حوله فإننا نفعل ذلك لنفس الهدف والغاية، وهي تثقيف الشعب، ذلك أن هذا الكتاب يعالج قسما من حياتنا الماضية المشتركة بين الشعوب العربية شرقها وغربها، كالاستعمار التركي وما تركه فينا عهده من آثار ورواسب ما نزال نعاني ويلاتها المنهكة حتى اليوم في الشرق وفي الغرب.

ونحن أخير نعلق على عرض هذا الكتاب أهمية خاصة لشعوبنا هنا لأنها مقبلة على عهد من الاستقلال، ستجد نفسها فيه حتما أمام مصاعب وحالات قد يكون لها بعض الشبه

¹ - عبد الله شريط، القومية العربية ... (6)، ع 130، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

بما واجهته شعوب الشرق العربي المستقلة، خاصة من حيث المعركة الاجتماعية بفرعيها الرئيسيين وهما الناحية الاقتصادية والناحية الدينية¹.

فلتأخذ هذه الشعوب هنا كل ما يقدم إليها من فرص للاستفادة من دروس الغير وأخطائه وآثار ارتجالاته، ولنعلم أن ما تكافح من أجله اليوم من حرية واستقلال، فإنما هو مجرد وسيلة ولكنها لغاية أسمى منه وأجل وهي النهضة الشعبية بأوسع معانيها لا نهضة طبقة بعينها.

يوصل قوله:.... لنعد إلى خالج يسرد علينا قصة شعب في السلاسل، وهي القصة عاشها شعبنا مع شعبه في عهد الاستعمار التركي، وما يزال كلاهما حتى اليوم يعاني قيودها الهدامة وآثار انحلالها الوسخة وطابع الغموض والتردد والجبن والفساد الذي طبع به ذلك العهد الطويل حياتنا الفكرية والنفسية والاجتماعية على السواء.

... نحن نحس أننا في بلادنا مستوطنون لا مواطنون

ورعايا كل حاكم مستبد، وكل إقطاعي كبير

رعايا طائفة من التقاليد العفنة إلى السياسة والاقتصاد والاجتماع

رعايا استعمار مضى ولا يزال ينالنا بأذاه، واستعمار قائم يلفنا في الضباب والظلمات.

وإذا نحن علمنا أن روح الأمة يسيطر على مصيرها ومستقبلها، وأن هذا الروح فينا مشحون بالرواسب الضارة، فقد استبان طريق التحرر والخلص...، وهو تطهير الروح من رواسب الماضي، والضمير من مخاوفه والعقل من أوهامه.

¹ - عبد الله شريط، ثقافة الشعب (01)، من كتاب مواطنون لا رعايا للكاتب خالد محمد خالد، الصباح، ع 180، 1951، ص 3.

... لقد كان الولاة يتأمر بعضهم على بعض... وتفننوا في الاغتيال وحبك المؤامرات ضد الشعب... ولو أنك معي الآن بقلب الصفحات التي أقلبها من تاريخ استعمارهم الأسود لتولاك الروح الذي يتولاني...

... ثم هم لم يتركوا وسيلة يشغلون بها الرعايا إلا انتفوها،... فقد تسربت إليهم باسم الدين فالسلطان سليمان الذي جرد الأمة من كل أراضيها وأملاكها، جاء عليها بكثير من المساجد والكنائس التي بناها.

ثم يواصل الحديث فيصل إلى الحرية السياسية فيضرب لنا مثلا بالمغرب العربي المكافح من أجل حريته السياسية الداخلية أو ما يسميه بالحرية الانتخابية فيقول: ففي البلاد التونسية تنهياً للمنظمات الشعبية وتعمل وتشكل اللجان وتقوم بالمحاضرات لتعليم الشعب حقوقه الانتخابية التي سيدعى لممارستها في يوم ما، وفي الجزائر شرع هذا الشعب فعلا في ممارسة حقوقه الانتخابية منذ عهد ليس بالقصير وإن كانت القاعدة التي منحت له ليعمل بمقتضاها على ممارسة هذا الحق تتلخص فيما يلي: للشعب حق الاقتراع على من يشاء وللسلطات حق إعطاء النتيجة كما تريد، وهو ضرب من الانتخابات لا يخلو من طرفة رقعة، وفي مراكش تحدث معركة صاخبة بين الإقامة العامة والقصر السلطاني منذ عهد أيضا ومن أوجهها الانتخابات البلدية التي يحاول الفرنسيون إعطاء حق للجالية الأوروبية أن تشارك فيها وتمانع القوة الشعبية في هذا الحق¹.

يواصل عبد الله شريط في عرضه للكتاب وفي جزءه الثاني:

لعل أهم نتيجة تمخض عنها الاستعمار التركي لبلادنا... وهي الاستبداد فشبه المستبد بالوحوش الحقيرة السفاكة التي تسير في طريق الانقراض كلما تقدمت البشرية الواعية وانتصرت مبادئها الرفيعة الكريمة على عناصر الظلم والاعتداء والتوحش².

¹ - عبد الله شريط، ثقافة الشعب (1)، المصدر السابق، ص 3.

² - عبد الله شريط، ثقافة الشعب (02)، من كتاب مواطنون لا رعايا، الصباح، ع 181، 1951، ص 3.

ثم ينتقل للحديث عن الحرية التي ربطها بالمشاكل السياسية القائمة بين الشعوب والحكومات، وطنية كانت أم أجنبية، التي يفتقدها كثير من الشعوب ... الحرية... الحرية هذا ما ينادى به اليوم في العالم العربي، العامل في مصنعه والخماس في أرض مستأجره، والمرأة في بيتها وفي مجتمعها، والشعب في مجموعته في أرجاء الأوطان العربية، واليوم الذي أراد فيه الشعب العربي الحياة، وهو يعتقد أن القدر لا بد أن يستجيب لإرادته¹.

وبعد الحديث مطولا من قبل المعلق على الكتاب الطالب عبد الله شريط، وبعد أن تحدث كثيرا عن الحرية السياسية في كل من مصر وسوريا واما يعانيه الشعب المستعمر المستضعف من العرب، يؤكد بأنها مجرد فقرات من كتاب عريض حتى وإن جاءت المقالات في صفحات عديدة إلا أنه يراها أقل من تلخيص فيؤكد ذلك بقوله: "... وهذا لا يظن القارئ أن هذه الفقرات تغنيه عن قراءة الكتاب الذي أحصى فيه المؤلف كثيرا من التفاصيل والاستشهاد بالحوادث المحلية في مصر مما ينير بكل وضوح الطريق أمام الطبقات الشعبية لتسير وهي يقظة مفتحة الأبصار والبصائر إلى هدف عظمتها وكرامتها، الذي هو غاية وجودها ومآل كفاحها النير الرشيد وهو أخيرا ضمانها الوحيد في أن تكون وتبقى.

ويختم بقوله: هذا هو التحليل الذي ينتهي إليه خالد وأمثاله من حالة شعبهم بآثار استعمار قرون ما نزال نحن نعيش في أوج نضجها، وما الاهتزازات الطاغية التي تعصف كل يوم في قطر من أقطار العرب إلا نتائج ضئيلة فردية حائرة من نتائج الفوضى الاستعمارية المقصودة المسطرة من قبل والتي كان لا بد لها أن تنتهي ولو بعد حين إلى ما نشاهده عليها اليوم... فهل يدرك من يهمهم المستقبل قبل الحاضر مثل هذه الحتمية الجبرية التي لا مناص منها، عندما يريدون إبقاء شعب في السلاسل إلى الأبد².

ثم ينتقل عبد الله شريط وفي عرضه للكتاب دائما إلى الحديث عن شخصية الشعب كما أورده الأستاذ خالد فيستهله بما يلي:

¹ - عبد الله شريط، ثقافة الشعب (03)، نفسه، الصباح، ع 182، 1951، ص 3.

² - نفسه، ص 3.

يقول لك العلماء أن الغرض من التربية ليس هو طبع الطفل أو خلقه كما نحب، أو كما يهوى علم التربية ويحلم، فذلك أمر من العسر يتناهى به عن متنازل اليد، الإرث طبعه بها جنسه البعيد الواسع وبيئته الصغيرة المحدودة ثم هو إلى ذلك مسرح لشبكة أخرى من العوامل الثانوية التي تتضافر مع عواملها الرئيسية ليأتي بها الطفل أخيراً ذا شخصية خاصة أو طابع معين لا تستطيع معها التربية أن تفعل شيئاً جوهرياً أو تزيل في سنوات ما خدمته فيه الأجيال والقرون من الطباع والعادات وسائر المقدمات التي تتألف منها شخصيته المعنوية المعقدة لتضع مكانها ما قررته من قواعد ومثل وأهداف¹.

وتساءل ما هذا الصباح القائم في العالم إذن حول التربية وتأثيرها في الفرد وفي الشعب الذي ينتمي إليه وبالتالي في العائلة الإنسانية العامة؟

... والحق أن علماء التربية عندما يصارحونك بإمكانياتهم المحدودة في تكوين الفرد إنما يتبعون مثلهم العلمي الأعلى في التواضع والإخلاص للمهنة، والاحترار في تقرير ما يقررونه إلا في حدود ما يستطيعونه، حتى يتركوا المجال واسعاً لكل ذي همة أن يسير بالعلم خطوة أخرى إلى الأمام وتلك هي مزية العلم الحديث... انظر إلى ميدان التربية ما هو محاولة مستمرة منظمة متبعة لأبرز المحامد الإنسانية الفاضلة التي توجد بدورها مزروعة في أنحاء شخصية الطفل المتباعدة السحيقة وتعهدتها الدائب اليقظ بالعبادة والسعي وتوفير الجو الصالح لنموها وازدهارها باطراد، ومن ناحية أخرى محاولة دائبة ساهرة على التخفيف من عوامل الشر والفساد...، ونحن من وراء كل هذا نريد أن نكون من كل فرد شخصية لا شخصية بالمعنى الاجتماعي للقيم بل فرداً هل مقوماته الخاصة التي يختلف بها عن غيره من الأفراد اختلافاً عما يستوعبه ويتحلى به فرد آخر من هذه المزاي. ويخلص الأستاذ خالد في حديثه عن الشخصية بقوله: "إن بداية البدايات في نهضة الأمة أن تعرف نفسها وتبين في دقة وضعها ومكانها، ولن تستطيع ذلك حتى تتخلى عن أوامها وتواجه حقيقتها في مرآة ملوثة لا تخفي من ملامحها شيئاً²، ثم نبدأ من جديد في تكوين

¹ - عبد الله شريط، ثقافة العشب (04)، الصباح، ع 181، المصدر السابق، ص 3.

² - نفسه، ص 3.

شخصية لها عاقلة عامة نامية، وتبعية ذلك كله علينا وحدنا،... لن ينصحنا أحد سوانا فلنصح أنفسنا نحن الشعب، شخصية قوامها القوة الاجتماعية بعد تصحيحها وتنقيتها وأهم هذه القوات هي:

القانون: فأول القوى الاجتماعية التي تتكون منها شخصية الشعب قانونه، وأن القانون في بلاد الأحرار خادم عاقل، وفي بلاد العبيد سد مستبد، وليس يكفي أن نزع أننا الأحرار فللحرية سماتها وعلاماتها...

الصحافة: ومن بين القوى الاجتماعية التي يوردها الأستاذ خالد هي قوة الصحافة وأهم ما قاله عنها: إن لها في توجيه الرأي العام أثرها البليغ فهي قادرة على هدايته وعلى إضلاله، وبقدر ما تقدم به من عون تقدم لنفسها أيضا، فكلاهما للآخر قوة ومساك...¹

الأحزاب: الأحزاب في الأمم الراقية تربي الشباب وتعدده لأدوار البطولة وقيادة السفينة، وأما في بلادنا فإنه من المخجل والمحزن أن يكون النفاق جواز المرور والوصول في أحزابنا، فأنت كلما كنت بعيدا عن الفطنة تكون قريبا من الزعيم وسبب ذلك هو ضعف الزعماء وهزالهم، فرئيس الحزب إذا كان قزما أبعد عن نفسه العمالقة حتى لا تنكشف عورته، وهؤلاء الصغار الذين يشبعون غرور رئيسهم بالتزلق والتملق هم الذين تسند إليهم فيما بعد مناصبنا الكبرى والوسطى...

ويختتم عبد الله شريط في مقاله هذا بالكلمات التالية:.... هذا أهم ما رأينا نقله عن الأستاذ خالد في هذه المقومات لشخصية الشعب، وقد أبقينا على العنصر الرئيسي منها وهو المواطنة في مقال قادم، لأنه في نظرنا يشكل الحجر الأساس في بناء شخصية الشعب، وخدمة الحزب لا توافق كل ما تراه فلسفات الأحزاب ونظرياتها وتطبيقاتها حتى في الشعوب الراقية.... يواصل عبد الله شريط: ... ولكن عذر الأستاذ خالد – وكثيرا ما نجد له المعاذير- أنه ينظر إلى الأحزاب في بلادنا العربية عامة حيث ينذر هذا المفهوم للمصلحة الشعبية والحزبية وحيث تتعاكس المصلحتان في أغلب الظروف فتكون النتيجة أن ينسى

¹ - عبد الله شريط، ثقافة الشعب (4)، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

الشعب قصته أولاً ثم لا يلبث الحزب نفسه أن يطويه الخسران بدوره وهذا ما جعل الأحزاب في الوطن العربي قصيرة العمر، والقضايا العربية بطيئة الحل ملتوية المسير¹.

حيث يجعل الأستاذ خالد المواطنة المبرر الأساسي لوجود الأحزاب الوطنية والحركات الشعبية في البلدان المناضلة من أجل أوطانها...

إلا أن الواقع المؤسف في الأوطان العربية هو أن كل شيء وطني فيها يعمل أو على الأصح ما يزال مهما قدم عهده يعمل من أجل الإحساس إلى درجة التكوين يثب ويتعثر ويقفز يوماً إلى أمام وآخر إلى وراء، دون أن يستطيع هذا الجهد الوطني أن يرقى عن الإحساس إلى درجة التكوين الفكري، والتركيز العقائدي الذي يستغني به الشعب عن الأشخاص - إلى حد ما- ويسير بوحى مبدئه وإيمانه في طريق سيره نحو أهدافه الوطنية الواضحة...

المواطنة يا مواطني العزيز هي من الآن مثلنا الأعلى، والمواطنة هي من الآن هدفنا المجيد المفدى.

المواطنة أن تكون في وطنك مواطناً لا مستوطناً وأن تكون في المجتمع كفواً ونداً لا تابعا ولا عبداً...

والمواطنة تقتضي أن تكون فاضلاً لا لمجرد الرغبة في الخير بل لتكون يا صاحبي جديراً بوطنك، ونستطيع الآن أن ننصت لأحد المستشرقين بقوله عن المواطنة حديثاً بليغاً جاء فيه ما يلي:

إذا نظرنا إلى المواطنة نظرة صحيحة، وجب أن تشمل جميع الأعمال الإنسان التي تمس بني جلدته وتؤثر في سلامة الدولة ورخائها، ... وتتضمن هذه المواطنة كل شيء تقتضيه شرائع الدولة، ويتطلبه الضمير الإنساني².

¹ - عبد الله شريط، ثقافة الشعب (4)، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

² - عبد الله شريط، ثقافة الشعب (5)، الصباح، ع 187، 1951، ص 3.

ينهي الطالب الزيتوني عبد الله شريط مجموعة مقالاته التي خصها بعرض وتحليل مضمون كتاب "مواطنون لا رعايا" بالجمل الختامية التالية:

"إن من الخطأ والعجز أن نكتفي في هذه المواطن التربوية الشعبية بما يكتفي به خطباء الجمعة في المساجد من الوعظ والإرشاد، فما جعلت الكتب إلا لتختلف عن الخطب والمقالات بشيء وهو التتبع والاستقراء عن العلل والأسباب والنتائج والمسببات ولأمر ما دون العلم في الكتب، ولم ينشر في مقالا وبعد. هذا هو كتاب "مواطنون لا رعايا" وهو كما رأي متبعوه - رغم كل ما يمكن أن يتعرض له من مأخذ ومغامز - فتح جديد حقا في تاريخ النثر العربي الحديث: فتح في صراحته وقوة تعبيره، وفتح في اقتحامه للمشاكل الشعبية المهملة التي ما فتئت مواطن تجاهل المثقفين البليد، وعجزهم الصارخ عن المغامرات الفكرية الصحيحة وهي التي تقود صاحبها إلى أعماق الواقع المتحجر الغني بمآسي الإنسان عندما تتسلط عليه وحوش أخيه الإنسان، ونحن نود من أعماقنا أن يكون هذا الفتح بادرة الموجة الجديدة التي ستطغى على عالم النثر العربي في الدنيا العربية، وأن يكون المحاولة البكر التي ستعمد الآن إلى الدخول في الطور الثاني من أطوار حركة التبشير الشبابي وهو طور التصفية الفكرية والتركيز العقلي لكل ما عملنا طيلة عشرات السنين على معالجته معالجة عاطفية سهلة مائعة وللاستاذ خالد كاتب الشعب أحر تمنياتنا في أن يوفق إلى قيادة الحملة الجديدة حملة تجديد الفكر في جماهير الشعب¹.

ثم يرجع عبد الله شريط إلى الحديث مجددا عن القومية العربية و عما يجب القيام به لتحقيقها، وها هو اليوم في المقال الذي عنونه بالرسالة الخالدة التي استهلها بالفقرات التالية:

تساءلنا عما إذا كان العرب في واقعهم الحاضر أهلا لأن يضطلعوا بأعباء رسالة خالدة أو حتى بمهمة أقل تواضعا من ذلك وأوفر حياء من أن تسمى نفسها خالدة، وقبل أن نجيب على هذا التساؤل يحسن أن نشير إلى ما يقصد بهذه الرسالة الخالدة التي يدعو إليها حزب البعث العربي في سوريا، والتي لا يمكن للعرب في حالة هزالهم الحاضر وضعفهم

¹ - عبد الله شريط، ثقافة الشعب (5)، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

وتوقفهم عن كل حركة أن يفكروا فيها تفكيراً جدياً إذا كان لهم شيء من الواقعية والتبصر، وذلك لنرى فيما بعد الشروط التي تتطلبها رسالة كهذه من أمة تحاول النهوض بها والإمكانيات التي يجب أن تتوفر فيها حتى تسير بها سيرة موفقة ناجحة¹.

يوصل عبد الله شريط حديثه عن الرسالة الخالدة ويقوم بتقديم بعض المزايا التي يجب على العرب أن يتحلوا بها، فيقول:

"... إن ربط الصلة بالحضارة العربية الأولى في عهدها ونشاطها وحركتها هو إذن الوسيلة الأولى التي يجب أن يتوسل بها العرب لأن يكونوا أهلاً لأداء رسالتهم، ونحن لا نعني بهذا الربط استعادة ما كان لأجدادنا من مفاهيم للحياة ووسائل مادية وأدبية للنهضة وإنما نعني شيئاً واحداً هو الشعور بالمسؤولية إزاء أنفسنا وإزاء العالم الذي نعيش فيه والذي نعتقد أن سعادته لا تتم إلا بسعادتنا نحن وكذلك العكس.

ثم القيام بما يفرضه علينا هذا الشعور النبيل بالمسؤولية المزدوجة التي هي الرسالة الخالدة ذاتها.

(ولو سألتني أحد عن الأمد الذي انقطعت فيه هذه النهضة العربية الأولى عن الاستمرار في الوجود لأجبت من غير تردد أنه العصر الذي توقفنا فيه عن الشعور بالمسؤولية: المسؤولية الفردية والجماعية الإنسانية التي كانت هي الدعامة الحقيقية التي بني عليها الإسلام ولأضفت من غير تردد أيضاً أن إحياء هذا الشعور من جديد هو الرابط العفوي المتين الذي يجعلنا بصورة آلية امتداداً مشرفاً لعصر نهضتنا الأولى وأن العصور التي نام فيها هذا الشعور منا، هي عصور كافرة أجنبية عنا أو بالأصح عن نهضتنا القومية العتيدة.

وبقدر شعورنا اليوم بكفرها وأجنبيتها عنا بقدر ما يتضرم فينا شوق التخلص منها والانطلاق من ربقتها الوسخة المتعفنة.

¹ - عبد الله شريط، ثقافة الشعب (5)، الصباح، المصدر السابق، ص 3..

سئل يوما أحد المشتغلين بالقومية العربية عما يجب أن نتحلى به من الصفات لكي نكون عربا قوميين، فأجاب: هو أن تطرحوا - لا أن تتخلوا- عن أنفسكم أعباء ما يتقلها اليوم من الصفات فتجدون أنفسكم بعد ذلك عربا قوميين وأحسب أن الواقع كذلك، أي أننا أصبحنا وعاء اجتماعيا كبيرا ترقد فيه رواسب القرون الميتة التي كان أهلها فيها لا يشعرون بمسؤولية "الرسالة الخالدة"، وإذا كان هناك دليل على أننا في طريق نهضة جديدة تحاول أن تكون امتدادا للأولى وأن نفكر بالبتر الذي أصيبت به في عصور الرقاد وبكل ما أنتجته هذه العصور من البدع والطمع وخراب الذمم، فذلك الدليل هو أن كل جيل جديد منا لا يأتي إلا وفي كلتا يديه معول للهدم أي "ليطرح عن نفسه وعن مجتمعه ما يتقلها من الصفات ليكون عربيا قوميا" يستطيع تحمل الرسالة الخالدة التي تنتظره والتي بدأها فعلا بالهدم المقدس في الداخل والخارج)¹.

وكتب الجزائري الزيتوني أحمد مزغنة عن موضوع الوحدة الوطنية في نفس السنة (1951م)، تحت عنوان "إن الوحدة الوطنية قد تحققت"، ولقد حاولنا تلخيص ما ورد في المقال فيما يلي:

إن أعمالا عظيمة تنتظر الشعب:

... إن الجزائر المناضلة لم تفتأ منذ سنة 1946م تبحث عن ميدان الكفاح يمكن به توحيد جميع القوى الجزائرية الصالحة، وقد عرف الشعب الجزائري الذي تقلب بين الآمال والخيبات، وبين الانتصارات والاضطهادات كيف يفرض أخيرا بروحه الكفاحية ومقاومته للضغط وتضحياته اليومية، هذه الوحدة التي دفع ثمنها باهظا.

إن تأسيس هذه الجبهة يظهر بجلاء صدق السياسة التي سلكتها "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" التي ما فتئت منذ تأسيسها تدعو إلى الوحدة لعلمها بأن الاستعمار يستفيد إن عاجلا أو آجلا من تشتت القوى وأن الأمثلة على ذلك - مع الأسف- كثيرة خصوصا منذ سنة 1948م، وقد لعبت "الجزائر الحرة" أيضا دورها في هذه الحملة

¹ - عبد الله شريط، الرسالة الخالدة، الصباح، المصدر السابق، ص 4.

الوطنية وهي تعرف جيدا ما يصيب الداعين إلى الوحدة من الحجز والتعسفات والتتبعات، وقد استأنفت كفاحها منذ صدورها من جديد بالتراب الوطني من أجل الوحدة فعبرت بالوثائق المختلفة عن إرادة الشعب الجزائري في الوحدة ودعت إليها وقد شاء الله أن تسمع نداءاتها¹.

لقد أدينا واجباتنا وسنستمر على السير في نفس الطريق.

إنّ ميدان العمل بالنسبة إلى هذه الجبهة محدود وأغراضها تنحصر مبدئيا في الدفاع عن الحريات الأساسية وحرية التصويت، والكفاح ضد الاضطهاد، وفي سبيل تحرير المساجين السياسيين، وقد يتراءى أنّ ميدان عملها ضيق جدا وهذا صحيح، إلا أنه يجب على الجبهة أن توسع آفاقها وتضم إلى أغراضها الهدف الذي يكافح الشعب الجزائري من أجله ألا وهو استرجاع السيادة الوطنية. ومهما يكن من أمر فإنه يجب اعتبار تأسيس هذه الجبهة نتيجة ملموسة ذات أهمية وخطوة كبيرة نحو تجمع الشعب الجزائري في كتلة للدفاع ضد الاستعمار وأنّ هذه الخطوة ستتبعها خطوات حتى التحرير لأن التجربة علمتنا أن الذي يهم من تحقيق الوحدة هو الأعمال التي ستتبعها ولهذا فنحن نحيا هذه الجبهة كحدث في كفاحنا لأن تأسيسها يعتبر غرة بيضاء في تاريخنا وينفخ في شعبنا روحا جديدة من الاندفاع، ويفتح ثغرة واسعة في الهيكل الاستعماري².

وهذا الطالب أنور الجنيدي أهمه الجانب الأدبي فتفرغ إلى كتابة مقالات عديدة حول أبرز كتاب وشعراء هذه الفترة، فكتب مقالا بعنوان الوقف الأدبي في مصر في أسبوع (العقاد وزكي مبارك) هذا بعض ما جاء فيه: لم يعد احد من كتابنا الكبار يواصل الكتابة الأسبوعية سوى العقاد وزكي مبارك، يكتب العقاد فصلا أدبيا في الأساس كل يوم جمعة، ويكتب زكي مبارك فصلا في البلاغ كل يوم خميس، وبين كتابتهما فرق كبير، فالعقاد لا يزال يحتفظ بقوته كمفكر، وإن كانت أسبوعياته هذه تحمل صورة البحث الصحفي أكثر مما تحمل معنى البحث الأدبي الصرف.

¹ - عبد الله شريط، الرسالة الخالدة، الصباح، المصدر السابق، ص 4.

² - أحمد مزغنة الجزائري، إن الوحدة الوطنية قد تحققت، الصباح، 1951، ع 156، ص 4.

أما زكي مبارك فقد تهالك، وانطوى، ولم تعد كتاباته في البلاغ إلا فكاهات، وسخافات فقد مات مبارك من الناحية الأدبية، وضاعت معالمه القوية بعد أن تهالك على الخمر وأسرف فيها.

كان زكي مبارك منذ سنين المصارع الأدبي الأول، وكان قوي العارضة إلى الحد الذي كان لا يجرأ على مهاجمته.

أما العقاد فقد تهاوت مكانته الأدبية نتيجة لمواقفه السياسية وخصوصياته التي يغلب عليها لون من التحدي البعيد عن الإنصاف¹.

وعلى صفحات نفس الجريدة يخط أنور الجنيدي مقالا خاصا تحت العنوان العريض "وجوه مشرقة في الأدب العربي، الدكتور زكي مبارك"، هذا بعض ما جاء فيه: "... لا شك أن زكي مبارك من الرعيل الأول لكتاب هذا الجيل، ظهر في نفس الوقت الذي ظهرت فيه طائفة كبرى من كتابنا، وبدأ تعليمه في الأزهر كما بدعوا، واتجه إلى الجامعة المصرية الجديدة إذ ذاك، واتصل بالدكتور طه حسين².

ويصور الأستاذ الزيات زكي مبارك بصورة لا شك في صدقها، إذ يقول زكي مبارك من المجاهدين القلائل الذين شقوا طريقهم في الحياة بالقوة، وأخذوا نصيبهم من المعرفة بالجد وأحلوا أنفسهم محلهم اللائق بالصراع.

وهو أحد الأدباء الذين لم يقيم مجدهم الأدبي على الظروف والحظ وإن كان الحظ قد وقب في حياته فهو الحظ المنكود لأنه تعلم بكدح حكمه وتقدم بفضل جهاده ثم كانت الظروف التي تساعد غيره تلح عليه بالنكران والحرمان في غير هوادة.

¹ - أنور الجنيدي، الموقف الأدبي في مصر في أسبوع، الصباح، ع128، 15 جوان 1951، ص 4.

² - أنور الجنيدي، وجوه مشرقة في الأدب العربي، الصباح، ع 144، 1951، ص 4.

وينهي الجندي مقاله: " فالدكتور زكي مبارك كاتب بعيد الأثر في الأدب العربي المعاصر لا ينسى ولا ينكر، وقد عرفت هذا الكاتب في فجر حياتي الأدبية وكتب إلي وأخذت كثيرا من تجاربه¹.

يوصل الجندي كتاباته المتعلقة بأعمدة الأدب العربي، دائما على نفس الصفحة الخاصة بـ"وجوه مشرقة في الأدب العربي"، ويقع اختياره اليوم على عبد القادر المازني فيقول عنه: "قضى المازني بعد أن ظل علما من أعلام الأدب والصحافة منذ تاريخ 1913 إلى 1949، اشتغل بالتدريس، ثم آثر الصحافة، وعمل بها منذ ذلك التاريخ المبكر، وشارك في تحرير عديد من الصحف اليومية الأسبوعية، وهي صحف متنوعة من الناحية السياسية حتى يمكن القول أن المازني قد اتصل بكل الأحزاب والهيئات، وتستطيع أن تقطع بأن الروح المازني الحزبي لم يكن في يوم من الأيام بالصورة التي تشعرك بأنه كان ذا لون سياسي معين، فقد اشترك في تحرير الأخبار، والاتحاد والبلاغ والسياسة، وأخبار اليوم والرسالة. تميز أدبه بدقة التعبير والقوة والإجادة في الوصول إلى سرائر النفس الإنسانية...

... لقد ظل العقاد والمازني على صداقة الشباب إلى أن توفي المازني، وكانت تقوم بينهما بعض المناوشات والمساجلات، ولكنها كانت رقيقة هينة، ويرجع ذلك إلى أنهما التقيا في فترة باكورة من العمر، واتجها اتجاهها فكريا واحدا، وإن اختلفت مظاهره، فالمازني يخالف العقاد في كثير من آرائه السياسية والأدبية كما أنهما يختلفان في الطريقة والعرض².

عمل المازني في ميدان السياسة وكان لهذا الاتجاه السياسي والكتابة الصحفية السريعة أثرها في إنتاج المازني الأدبي... ولكن الكتابة السياسية والاتصال بالأحزاب أعطى المازني الشهرة، فلم يكن المازني الكاتب العنيف الثائر ولا المعارض، الجريء... وإنما كان هادئا من ذلك الفريق الذي يكتب السياسة بروح الرياضي، ويعمل في ميدانها على أسلوب من السخرية والتهكم.

¹ - أنور الجندي، وجوه مشرقة في الأدب العربي، الصباح، المصدر السابق، ص 4.

² - أنور الجندي، وجوه مشرقة في الأدب العربي، عبد القادر المازني، الصباح ع 150، 1951، ص 3.

ينتقل الجنيدي إلى مقال آخر وهو "زوجات في الأدب المعاصر"، يتحدث في مقال غلب عليه الوصف عن طريق الأبيات الشعرية، هذا بعض ما جاء فيها:

أيدي المنون:

كان البارودي قد نفي إلى جزيرة سرنديب مع العرابين، وهناك في منفاه، وبعد أكثر من عشرة أعوام بلغه نبأ وفاة زوجته في مصر، فتلقاه الرجل الأسير في جزع وحزن بالغين، إذ كانت سنة قد علت، وكان النفي قد هد قواه.

وهذه أبيات من قصيدته الحزينة:

يد المنون قدحت أي زناد وأطرت أية شعلة بفؤادي

أوهنت عزمي وهو حمله فيلق وحطمت عودي وهو رمح طراد¹.

أنات حائرة:

فجع الشاعر عزيز أباطة في زوجته، فأخرج ديوانا كاملا من قصائد الرثاء لها فكان بذلك أول عمل أدبي كاملا عن رثاء الزوجة في الأدب العربي المعاصر... ولما أن ضاق صدره ذهب إلى أرض النبوة، وطاف بالكعبة عله يجد لأزمته الروحية فرجا، ولكن دون جدوى.

وهذا نموذج من شعره عنها في الحرم:

وقفت أناجي الله عند المشاعر وقد خشعت نفسي وجاشت خواطري

وقلت له يا رب أقسم صادقا وأنت عليم ربنا بالسرائر

لم يكن عبد الرحمن صدقي بالشاعر المنتج، وإن كانت له بعض مقطوعات وقصائد كان يقولها بين آن وأن، ولكنك تعجب حين تراه يسرف في إبداع الشعر إسرافا عجيبا بعد

¹ - أنور الجنيدي، زوجات في الأدب المعاصر، الصباح، ع 191، 1951، ص 3.

² - نفسه، ص 3.

هذه الفاجعة، ويكتب بضع وسبعين قصيدة في فترة لا تتجاوز العام... وهي دقيقة الداء، واضحة الملامح تصدر عن نفس صادقة في ألمها وحرزها.

فيقول في إحداها:

...وعفى على هذي الكمالات كلها وهيل عليها التراب واستوت الأرض

توليت كالمجنون أعول منكرا إلى أي حد راح بالقدر البعض¹

يعود أنور الجنيدي بكتاباتة التي تصب دائما في المجال الأدبي، وكعادته يوجه أنظاره إلى الشعراء، فيكتب مقالا عن إقبال وطاغور، جاء في مقدمته ما يلي: شاعران من آسيا، ومن قارة الهند بالذات، طبقت شهرتهما الآفاق، ووصل اسمهما إلى أعلى ذروة يمكن أن يصل إليها اسم شاعر، كتب إقبال شعره بالفارسية وكتبه طاغور بالانجليزية، واستهدف كل منهما الوجهة التي تتصل بحياته ونفسيته ومحيطه.

وقد درس كلاهما في أوروبا وفي إنجلترا بالذات، وقاما بسياحات في العالم الغربي، وعاد كل منهما إلى وطنه الأول وهو يحس بالدافع الذي يحذوه إلى أن يؤدي له بعض حقه. أحب طاغور البرهمية² وعاش يجدد أساطيرها ويصوغها على وجه يتناسب مع العصر، أما إقبال فقد أحب الإنسانية كلها ممثلة في الدعوة إلى الإسلام، وعاش في محيط الحياة القائمة ورسم صورها³.

قام الطالب عبد الحميد بن هدوثة بكتابة مجموعة مقالات عنونها برسالة الجمعيات، استهلها بالمقال الأول الذي عنونه برسالة الجمعيات تم إصدارها في أعداد متفرقة حيث كانت تنشر على صفحات جريدة الصباح كل أسبوع جاء في المقال الأول منها ما يلي:

¹ - أنور الجنيدي، زوجات في الأدب المعاصر، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

² - البرهمية: في القرن الثامن ق.م، أطلق على الديانة الهندوسية اسم البرهمية نسبة إلى برهما وهو في اللغة السنسكريتية معناه (الله)، وقيل معناه (رب الصلاة)، ويعتقد رجال الدين الهندوس أن كهنتهم يتصلون في طبائعهم بعنصر البرهما، ولذلك أطلق اسم البراهمة، وإقبال كان برهيميا ثم دخل الإسلام.

³ - أنور الجنيدي، إقبال وطاقور، الصباح، ع 376، 1952، ص 3.

"هذه سلسلة مقالات توجيهية ودراسية رأس جمعية الطلبة الجزائريين ضرورة القيام بها حتى تنير للشباب والطلبة الجزائريين أنفسهم بعض النواحي من مشاكلهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وهي تريد من وراء هذه المقالات أيضا أن توجه الطالب في سلوكه الأخلاقي والعلمي حتى يكون على بصيرة من مسؤوليته إزاء المشاكل التي تنتظره.

ثم يتحدث عن البرنامج الذي سطرته الجمعية للسير عليه وبعد الحديث مطولا عنه يطرح تساؤلا عما إذا كانت البرامج مدية أم لا فيقول في هذا الصدد: ... ولكن هل استطعنا أن نحصل على نتائج إيجابية وراء هذه البرامج التي أعدناها، ونفذنا شطرا كبيرا منها؟ كلا إن المنبه كان عديم الفعالية، أي إننا قررنا المقررات وكونا اللجان وعينا الدروس، ودعونا التلامذة بواسطة الإعلانات على الصحف، بل وحتى مباشرة، ولم يستجب إلا القليل منهم، وهنا اضطررنا إلى إعادة النظر في برامجنا من جديد، فوجدناها وإن كانت في نفسها مفيدة ولكنها مع هؤلاء التلامذة غير ذلك... فقررنا القيام بدراسات تحت العناوين التالية: " 1- رسالة الجمعيات، 2- حالات التلميذ الجزائري، 3- التوجيه"¹.

ثم نجد عبد الحميد في مقاله التالي من نفس السلسلة يستهله بإجابة موجهة إلى الطلبة الذين اتهموا الجمعية بالتقصير في القيام بنشاطها الواجب على أكمل وجه، قائلا: "إن كثيرا من الإخوان يرمون الجمعية بالتقصير في أداء رسالتها على الوجه اللائق ويلقون بتبعات نتائج سلوكهم عليها في غير تأن ولا تفاهم للواقع، ويحسبون إذا صرحوا بذلك أنهم تخلصوا من كل المسؤوليات وأراحوا ضمائرهم من همسات الواجب... ولو راجعوا أنفسهم والتفتوا إلى ما قامت به الجمعية نحوهم وما تحملته في سبيلهم من أتعاب لأمسكوا عن هذا الجراف من القول. وكثيرا من هذا الصنف أيضا يبدون الآراء ويقترحون المقترحات... فإذا ما طالبتهم أن يعملوا معك، ويشرفوا بأنفسهم على تنفيذ ما اقترحوا، تراجعوا والتمسوا المعاذير الواهية"².

¹ - عبد الحميد بن هدوقة، رسالة الجمعيات I، الصباح، ع 679، 19 مارس 1954، ص 2.

² - عبد الحميد بن هدوقة، رسالة الجمعيات II، الصباح، ع 688، 28 مارس 1954، ص 3.

... فالى هؤلاء وإلى غيرهم من الذين يخامر أفكارهم حب العمل، ولكن ما يزالون يتتابون سوق هذه الأحاديث... وكل ما نرجوه أن نزيل الغشاوة عن بعض الأبصار ونكشف للشباب عن مغالط، نود مخلصين أن يتقوها في أحكامهم التي يرسلونها إرسالا، ونود فوق كل ذلك أن نجعلها تستعد وهي على مقاعد المدارس لتعمل تلك المسؤوليات عن جدارة واستحقاق، إذ من ذا يروقه أن يرى هؤلاء الشباب حائرين في أمورهم ضالين عن الطريق دون أن يمدهم بالعون ويرشدهم إلى حيث النجاة والخلص... ونحن مع علمنا بالعقبات الكثيرة التي تعترض سبلنا... لا بد وأن نلتزم دائما بالمبدأ الأساسي وهو أن أعمل الواجب القريب مني ولنتيقن سلفا أننا واصلون إلى أهدافنا لا محالة، ولكن بشرط أن نريد وأن نفهم ما نريد، وبشرط أن ننظر إلى الواقع كما هو... ولا نلبسه أثواب الرهبان ونقول فقد شرب الدهر صفو الأنام¹.

فلم يبق في الأرض إلا العكر ولندع وراءنا أولئك الذين ينظرون إلى الحياة نظرة الحالمين، تفتنهم الزهرة التي تثمر ويخلبهم لمعان السراب، أولئك يملكون الأرض والسموات في لحظات، ويخسرونها في لحظات، لا يهتمهم من الماء إلا الخريز ومن الأشجار غير تعانق الأغصان، وتهامس الوراق، فحياتهم أطياف وأحلام، ودنياهم أنغام وأوهام، ولندع أيضا أولئك الذين يعيشون في الضباب بلا زمن وفي حالة ديمومة مستمرة وينظرون إلى الحياة من وراء السديم، فلنذرهم في (اللاوعي) ينتظرون².

إن الاتحاد الذي ندعو إليه ليس في مصلحتنا نحن و فقط، بل وفي مصلحة حتى من أسميناه بالعامل الخارجي³.

وإذن فما هي الوسائل الكفيلة بتحقيقه؟

في نظري أنّ الوسائل تتمثل في ناحيتين:

1 - عبد الحميد بن هدوقة، رسالة الجمعيات II، الصباح، ع 688، 28 مارس 1954، ص 3.

2 - نفسه.

3 - عبد الحميد بن هدوقة، رسالة الجمعيات 4، الصباح، ع 706، 18 أبريل 1954، ص 3.

الأولى إبداء الآراء واقتراح المقترحات ومناقشة الموضوع بكل صراحة، بحيث يتحتم على الشباب المثقف الشاعر بالمسؤولية أن يعبر كلُّ عن رأيه فيما يخص الموضوع، موضحا ما يرتئيه صالحا دون ما خوف أو غموض.

أي لا يقلد أيا كان ولا يحابي، بل ينتقد الآراء أو الجمعيات التي بها مكان للنقد مخلصا مريدا بذلك المصلحة العامة، كما يتقبل انتقاد غيره لآرائه أوج معيته إن كان متكلما باسم جمعية بدون أن يحفظه النقد أو يوجد.

أما الناحية الثانية فتلقى مسؤولية القيام بها على عاتق الجمعيات، فهي وحدها القادرة عمليا على توجيه نداء لعقد مؤتمر ضيق يحضره ممثلون عن مختلف الجمعيات الشبابية لدرس وتحضير برنامج يتضمن الدعوة إلى عقد مؤتمر عام تقرر فيه نهائيا الكيفية التي يكون بها الاتحاد. ومن هنا انتقل إلى الإجابة عن المسألة الثانية في الحديث الماضي وهي على أية قاعدة نقيمه؟

فهل الأصلح أن يكون (اتحاد جمعيات...) أم (...شباب...) أم (...طلبة...) فاقترح أن يشكل اتحاد من الجمعيات الموجودة بالفعل العاملة ولو في مجال ضيق كمعظم جمعيات تلاميذ الجامع الأعظم مهمته تسيير تلك الجمعيات ووضع البرامج لها والسهر على مصالحها في كل الميادين بحيث يشرف عليها إشرافا حازما حسا ومعنى.

ثم يسعى لربط الصلات بغيره من الجمعيات الممثلة لأقطار أخرى موالية.

ولكي يكون كفؤا لكل ذلك ينبغي أن تراعى في أعضائه الشروط التالية:

على كل مترشح أن يكون¹:

أ. عمل بإحدى الجمعيات أو الهيئات مدة لا تقل عن ثلاث سنوات،

ب. قد حصل بالأقل على التحصيل أو البكالوريا أو الدبلوم.

¹ - عبد الحميد بن هدوقة، رسالة الجمعيات 4، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

ويجب أن ينتخب جميع الأعضاء لمدة ثلاث سنوات، ويقع تجديدهم بعد انتهاء المدة المذكورة بانتخابهم هم أو أفراد آخرين توفرت فيهم الشروط السابقة.

وجمعية الطلبة الجزائريين إذ تقترح هذا ستنزل – إن اقتضى الحال- عن بعض ما اقترحه باعتبارها جمعية مستقرة بتونس.

أما باعتبارها جمعية جزائرية فتلاحظ مبدئياً بالنسبة إلى اتحاد الشباب في الجزائر السنوي تشكيله من طرف بعض الهيئات.

أن كل اتحاد يكتسي ويصطبغ بصبغة الوطنية بمعنى – التساكن- لا تعتبره يخدم المصلحة المرجوة منه.

ذلك أن الشباب غير العرب من سكان الجزائر ليسوا في حاجة لمثل هذا الاتحاد إذ مصالحهم مضمونة ودخولهم في مثل هذا الاتحاد يعرقل سيره لا محالة.

هذا وأرجئ الحديث عن النقطة الثانية من رسالة الجمعيات إلى فرصة أخرى إن شاء الله¹.

من بين المقالات التي كتبها الطالب يحي بوعزيز ونشرت على صفائح جريدة الصباح في أوائل شهر أوت هاته التي بين أيدينا والتي كانت تحت عنوان: "إن الثورة الجزائرية قد وضعت النقط على الحروف" من بين ما جاء فيها الفقرات التالية يتحدث فيها عن احد عباقرة الفنون الاستعمارية كما يسميهم هو، ويقصد بقوله م. لاکوست فيصفه بالعالم الإجرامي والتجريبي والسفاح المهدم لمعالم الإنسانية، فيواصل قوله عنه: ... يتحدث اليوم م. لاکوست بما يندى له جبين الإنسانية ويخجل منه رسل الحرية، يتحدث اليوم عن تقييم الجزائر إلى إمارات ودويلات صغيرة لا تمت إحداها بصلة إلى الأخرى، فمن منطقة أوروبية إلى أخرى بربرية إلى تالثة عربية، إلى رابعة إسلامية، وخامسة لا يعلم كنهها إلا لاکوست، يتحدث اليوم عن التقسيم... لأنه يعلم حق العلم أن شعب الجزائر متحدًا موحدًا لا يمكن لأي كان أن يقهره أو يسلب منه حقوقه.

¹ - عبد الحميد بن هدوقة، رسالة الجمعيات 4، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

لكن هل تعلم يا لاكوست، إنه فاتك وأنت تتقدم بمراسمك هذه إلى برلمانك بأن تعلم أن هذا آخر ما استطعت أن تخترعه محاولاً إخفاء ضعفك وستر عجزك الفاضح أمام فرنسا حكومة وشعباً.

إن الجزائر يا لاكوست أمة واحدة وشعب واحد لا تنقسم عراه كما لا يتجزأ هيكله مما كانت مغريات الاستعمار وأيا كانت وسائله الخبيثة¹.

إن الجزائر يا لاكوست ومن ورائك غي موللي، وغيره من الاستعماريين في طريقها إلى أن تكون، وقد كانت قلب المغرب العربي الكبير في ظل إمبراطورية واحدة.

وأن تنسى الجزائر يا لاكوست فلا تنسى، ولن تنسى أبداً، مجزرة 8 ماي 1945، تلك المجزرة الأليمة التي لم تسمح فرنسا من أن تحمل بدباباتها وطائراتها على شعب كامل أعزل من السلاح فتبيد منه ما تبيد، وتخرب ما تخرب، تلك الحادثة المفجعة التي لم تكف فرنسا فيها بالقتل والتعذيب والشنق، والتشريد، بل عمدت إلى الكذب والزور عندما ذكرت أن ضحايا هذا اليوم بلغ 45 ألفاً من الأرواح، بين رجال ونساء وشيوخ وأطفال، كيف ينسى يا فرنسا الشعب لن ينسى ضحايا ذلك اليوم الذي بلغ عددها حسب التقارير الرسمية الوطنية تسعين ألفاً من الأرواح كيف ينسى يا فرنسا الشعب الجزائري 90 ألفاً من الضحايا الأبرياء؟ كيف يمكن له أن يتوانى عن الكفاح أو يتأخر؟

إن شعب الجزائر يا فرنسا لا ينسى ما سلطته عليه من الظلم والعدوان من حرب الإبادة مع التعذيب المتواصل... وثورتنا المباركة تقف اليوم، وقد وضعت النقط على الحروف على أبواب النصر وأمامها ذلك السجل الأسود الذي يحتفظ في طياته بالمغازي التي ارتكبت - وترتكبها اليوم- من المجازر البشرية في مدغشقر وتونس ومراكش والجزائر... تستعد لكي تحققه قصد الاقتصاص منها أصلاً في إنصاف الشعوب ما تزل تنن تحت كلل الاستعمار...²

¹ - يحي بوعزيز، إن الثورة الجزائرية قد وضعت النقط على الحروف، الصباح، ع 1418، 9 أوت 1956، ص 3.

² - نفسه، ص 3.

إن كنت نسيت يا لاكوست فإن يقظة الشعوب، وقفزة الشعب الجزائري بالخصوص لتكفي وحدها لأن تذكرك، وإلا فنصيحتنا إليك وإلى أمثالك من حفدة الاستعمار أن تجمعوا أوراقكم في محافظكم، وتفصوا تذاكركم في قطار الرحيل... من الجزائر إلى الأبد.

أما شعب الجزائر يا لاكوست، أما ثورة الجزائر، أما جيش التحرير الجزائري فهو منتصر لا محالة ولا بد من أن يحطم تلك القيود والأغلال الاستعمارية وهو عازم على مواصلة الكفاح، أما أنت يا لاكوست فإن شعب الجزائر حريص على أن تحضر في المأدبة التي سوف يقيمها على شرفك - طبعاً- جيش التحرير الجزائري في إحدى سراديقه الحربية كي يتيح له أن يودعك¹.

يأتي مقاله الموالي والذي صدر في نفس الجريدة بعد مضي سبعة أيام على المقال السابق بعنوان "من انتصارات جيش التحرير"، ينصب فيها حديثه دائماً حول الاستعمار الغاشم وطغيانه، وعدوانيته وفضائعه ووحشيته، لكن في هذا المقال يمزج الحديث بين الاستعمار وبين قسائم جيش التحرير الوطني فيسرد الوقائع التالية: ... إن الاستعمار الفرنسي يعلم بحق أن ثمانين جندياً على الأقل وطائرة حربية قد أنت عليها نيران رشاشات الأحرار الجزائريين في يوم 6 جويلية 1956 ومكان الواقعة الذي رجت فيه الأرض بجنود الاستعمار يعلمها القادة الخرافيون الذين يتزعمون إرجاع المن إلى نصابه في البلاد، أتعلم عن هذا شيئاً يا أخي؟ كلا، وإنّ رجالات الإقطاع النفعيين والمعمرين إلى جانب صباغية فرنسا يذكرون المعركة التي ذهب فيها أربعون سيارة حربية بما فيها من الجنود والعتاد الحربي طعمة للنيران في ساحة من ساحات الوغى المشهورة في إحدى المدن القبائلية الكبرى... إن الاستعماريين على علم من خراب ثلاثة عشر سيارة حربية مشحونة بالزاد والعتاد والعدة والعدد في سويغات معدودة طاف عليها طائف من رسل جيش التحرير الجزائري فكانت حطاما تذروه الرياح، وتتقاذفه أمواج الهواء، هل أنت على علم من هذا؟² أبداً أما مجرمو البشرية فيعلمون هذا جيداً، وإلى هذا الحد، ... هل أنتم على علم مما يتكبده

¹ - يحي بوعزيز، إن الثورة الجزائرية قد وضعت النقط على الحروف، المصدر السابق، ص 3.

² - يحي بوعزيز، من انتصارات جيش التحرير، ساعات الوغى تحدثني، الصباح، ع 1424، 11 أوت 1956، ص 3.

الجيش الفرنسي الخائن لأمتة ووطنه من الخسائر وما يلحقه من الإفلاس يوميا في النفس والنفيس؟ نعم، إنه يصلكم - يا أسفاه- عن طريق وكالات الأنباء الاستعمارية قتل 40 أو 50 أو حتى 200 مقاوما في بعض الأحيان، وقبض على مثل هذا العدد وأكثر منهم ومن المشبوه فيهم وغنم عتاد حربي مع القضاء على بعض الفرق الثورية، والاستيلاء على أماكنها، نعم إنه يصلكم هذا ولكن... لم يصلكم عن واقعة الموحد شيئا، تلك الواقعة التي مات فيها سبعون جنديا فرنسيا وحطمت أربع دبابات ودورية عسكرية مراقبة لم يبلغكم عن هذه الحادثة شيء يذكر، كما لم يبلغكم عن معركة (بوقلم) في جنوبي شرقي الجزائر أدنى خبر، اللهم إلا استشهاد ثمانية مقاومين، في حين تذكر الأخبار الصحيحة الموثوقة أن خمسا وسبعين وأربعمائة جنديا فرنسيا ماتوا عن آخرهم في الجولة الأولى للمعركة، وأن أربعا من الطائرات الحربية، وسبع سيارات على الأقل قد تحطمت وصارت هشيما تذروه الرياح.

... إن الجيش الفرنسي المهزوم عندما ينقلب على أعقابه خاسرا ومن ورائه جلادو جيش التحرير يطبعون ظهره بالهراوي، يسلط نكاله عليهم فيقتل كل من يجد أمامه من رجال نساء وشيوخ وأطفال وشبان وشابات، ويهدم القرى ويخرب المساجد ويحطم المدارس وهو لا يني يرتكب الفواحش مع العائلات منتهكا حرمتها مما أدى بها إلى هجر القرى والمداشر، وسكن الكهوف، والمغاور تحت الكروم والزياتين... وإلى جانب هذا ومن العوامل الداعية لهجران القرى كثرة القذف بالقنابل بواسطة الطائرات، وحسبك أن تعلم أن من القنابل التي ترمي بها الطائرات على المداشر كوابل من المطر ما يزن قنطارين ونصفا، نعم قنطارين، ونصف قنطار حتى أن بعض القرى قد أبيدت وبعضها كادت، كما حدث لقرية الماي بشمال برج بوعريريج، حيث تهدم من جراء القنابل ما يزيد عن عشرين دارا وإلى الآن ما زال بعض الجثث تحت الردم ولا يستطيع أحد الكشف عنها¹.

... إن مهمة جيش التحرير الجزائري هو تطهير البلاد من المستعمر... هي تخليص الأمة من براثن هذا المعتدي الغادر... هي تمكين الشعب الجزائري من تقرير مصيره بيده... هي الوصول إلى غايته المثلى، ومراميه النبيلة ومقاصده الشريفة، هي جعل الأمة

¹ - يحي بوعزيز، من انتصارات جيش التحرير، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

الجزائرية امة ذات كيان مستقل له مهمته في الحياة، هي أن يصبح الشعب الجزائري ماسكا بتقاليد الأمور بيده لا يشاركه فيه أحد، هي بسط المساواة بين الأفراد والجماعات ونشر لواء الحرية مرفوقا بين عموم الطبقات وهي استرداد الشعب لكرامته المهضومة المداسة، واستقلاله المغصوب، وحقوقه المسلوقة، هي أن يشعر الشعب بأنه قادر على أن يقوم بتسيير دولته من غير افتقار إلى أحد مهما قيل عنه هي المساهمة في إسعاد الإنسانية، هي الالتحاق بموكب الحضارة وموكب الرقي، وكل هذا لا يتحقق إلا بطرد المستعمرين نهائيا وبشدة وبصفة مستعجلة في شمال إفريقيا.

وكل هذا لا يتحقق إلا بقبر الاستعمار حيثما كان وهي رسالة جيش التحرير التي حملها اليوم وسوف لا يني بحملها على عاتقه مريدا تبليغها إلى سائر الأمم... وقريب ذلك اليوم الذي يقضي فيه جيش التحرير على الإقطاع والاستعمار وما يوم النصر ببعيد... وينهي مقاله الطالب الزيتوني يحي بوعزيز وهو في بلد غير بلده بعيدا عما يحدث في بلده وما يؤلم صدره من كيد المستعمر فيقول:

تلك هي الحقيقة يا أخي يحدثك بها من عاش، ويعيش في ساحات الوغى وميادين القتال، واستودعك الله على أمل اللقاء في الجزائر تحت راية النصر¹.

في نفس السنة (1956م) وفي شهر نوفمبر يستأنف الطالب يحي بوعزيز كتاباته بمناسبة الذكرى الثانية لاندلاع الثورة التحريرية الكبرى فيضع عنوانا لمقاله في شكل تساؤل، غرة أول نوفمبر أو مولد الشعب الجزائري؟، ويجب عنه في نفس الوقت: غرة نوفمبر 1954م هو بداية انتصار الشعوب على الظلم والطغيان... وتقدمها خطوات إلى الأمام نحو الأهداف الحقيقية الشريفة التي كافحت وتكافح من أجل تركيزها... غرة نوفمبر هو الطور الأول من الجولة التطهيرية التي قام بها الشعب الجزائري المكافح إلى جانب جيشه التحرير من أجل الدفاع عن الأمة، وحماية كرامتها وافتكاك استقلالها، غرة نوفمبر هو مطلع الكفاح الشريف والنضال النبيل والجهاد المقدس الذي أعلنه الشعب الجزائري ضد

¹ - يحي بوعزيز، من انتصارات جيش التحرير، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

الخونة الاستعماريين والطغاة الفرنسيين الذين تبنوا استعباد الشعوب واستثمار خيراتها، واستغلال شبابها وفرض إرادتهم الاستعمارية على مشاريعهم، ومحو معنوياتهم، وطمس معالمهم القومية... غرة نوفمبر هو تاريخ مولدك أيها الشعب الجزائري المجاهد الذي أعلنت فيه عزمك¹ على التحرر الكامل والعمل على التعبئة الكبرى استعدادا للضربة الكبرى التي تمكنك بحول الله على تخلص أمتك من هذا المعتدي الغاشم... إن كفاحكم من أجل التحرير، وأعظم مواسم الانتصار قلت فيه كلمتك، ورسمت طريقك للاستقلال التام... وقد مضى على جهادك الشريف، وثورتك المباركة عامان كاملان، وأنت الآن على أبواب العام الثالث وفي طالع أول يوم منه، فماذا جنيت من الثمار طوال هذه المدة يا ترى؟ وبماذا حدث عنك العالم وكيف وصلت إلى هذه الدرجة من العظمة في رحلتك الثورية هذه، وعلى أي وجهة تريد مواصلة الكفاح؟ وما عساك تحققه وراء هذه الثورة العرمرمية المباركة؟

هذه أسئلة عديدة قد أجابت عنها وحدثن عنها وكالات الأنباء والصحف والإذاعات العالمية إلى جانب التصريحات الرسمية لمختلف الدول العظمى في العالم أجمع...

ثم ينتقل يحي بوعزيز إلى الحديث عن فرنسا وساستها وقادتها وعن محاولاتهم الرامية إلى إجهاض الثورة الجزائرية وهي في مهدها بمعاونة أمريكا وبريطانيا، فيقول في هذا الشأن: إن النذالة الفرنسية ووقاحة مسؤوليها وسفاهة ساستها ومديرها... أرادوا تجاهل مطالبك الشرعية وعملوا كثيرا بمعاونه الصهيونيتين أمريكا وبريطانيا، على إحباط ثورتك وتوهين قوتك وتشثيت وحدتك، وتفكيك عرى مجتمعك وقادتك بليلة الضمير الحر والرأي العام العالمي بواسطة مشاكل يخلقونها خنقا، ويصنعونها صنعا مثل مشكلة قنال السويس، واختطاف قادتك الأحرار، وزعمائك الأبرار وهم في طريقهم من الرباط إلى تونس، ولكن كل هذه المؤامرات الماركة وتلك الدسائس الدنيئة قد باءت بالفشل الذريع والخراب الكلي بفضل يقظتك العظيمة وحزمك الكبير، ونشاطك الواسع في ميادين الحرب والسياسة أيها الشعب، على أن تفوقك الدائم وانتصاراتك المستمرة المتوالية على الجيش الاستعماري الفرنسي كان هو الآخر أهم العوامل التي جعلت الرأي العام العالمي يقرأ لثورتك المباركة

¹ - يحي بوعزيز، غرة نوفمبر مولد الشعب الجزائري، الصباح، ع 1495، 2 نوفمبر 1956، ص 3.

كل الحسابات، ويعير لها الاهتمام الكامل، باعتبارها المخرج الوحيد... لقد كان وقوفك من القوانين الدولية للحرب موقفا مشرفا راعيت فيه طبائع الحروب وواقع البشر، مما جعل الدول الكبرى تضعك في مصاف الأمم الراقية...¹

أجل، أيها الشعب الجزائري إن العالم اليوم بما فيه عدوك وصدقك، ينظر إليك نظرة إعجاب وإكبار مقدار كفاحك، ومكبرا ثورتك التي يتولى قيادتها رجال أكفاء، وساسة عظماء من المهارة بمكان في الميادين الحربية والسياسية.²

يواصل يحي بوعزيز مدحه وإعجابه الكبير بأبناء وطنه وثورتهم الجبارة إلى أن يصل إلى تقديم وصايا وتحذيرات لشعبه فيقول: ... كل هذا وإن كان فيه اعتزاز لك وفخر، ولكن اليقظة والتحذر وملازمة جانب الاحتراز من المكائد الاستعمارية والمغالطات المحلية والتبصر الكامل في المؤامرات التي يحيكها لك الاستعماريون ويدبرها رواد الهزيمة، وأنصار الظلم وهو كل نجاحك فلتكن على حذر أيها الشعب وفي شيء من التيقظ التام حتى يتاح لك إحباط - وقد أحبطت- جميع المؤامرات... فكان أولها اختطاف قادتك وزعمائك المجاهدين، وهو الآن بصدد إعداد المؤامرة الثانية يوم أن وجه لك بواسطة لاقوست السفاح وإلى جانبه غي موللي الاشتراكي نداء يدعوك فيه إلى الاستسلام للذالة والرجوع إلى ما كنت عليه في سابق عهدك من الاحتقار والمهانة والعري... حذار ثم حذار أيها الشعب ما دام النصر حليفك، وبين يديك فالكفاح ثم الكفاح مع الصبر الجميل فإنك على أبواب النصر.

وكل ما في الأمر أن جيشك التحريرى وجبهتك الوطنية ومنظمتك القومية الجميع كلهم قد اتفقوا على أن لا تضع السلاح إلا بعد الإفراج عن الزعماء المعتقلين، وبعد الإعلان على الاستقلال التام للشعب الجزائري والشروع فورا في تطبيقه بواسطة أولئك القادة الذين زج بهم في الباستيل، ولن يفاوضك يا فرنسا إلا بن بلة وصحبه شئت أم كرهت ورغم أنف لاقوست وموللي.

¹ - يحي بوعزيز، غرة نوفمبر مولد الشعب الجزائري، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

² - نفسه، ص 3.

أجل أيها الشعب إن شقيقتك تونس والمغرب إلى جانبك في الكفاح وأن العالم العربي كله والإسلامي لهو الآن يخدم في ركابك إلى جانب الدول الحرة الصديقة ما دامت تكافح من أجل تخليص الحرية من صلب الاستعمار، وتوثيق عرى الصداقة بين الشعوب واستقلال الأمم طبقا لبراءة الأمم المتحدة، فسر إلى الأمام مؤدا لكلمتك، مكتلا في جهادك وثورتك وانتصارك، واستقلالك، وما بعد العسر إلا اليسر، وما بعد الثورة إلا الحرية والاستقلال...¹.

لم يكن يشغل بال الطالب الزيتوني فقط شأن بلده وحسب بل كان في تتبع مستمر لأمر الدول العربية الشقيقة التي كانت تعاني ظلم المستعمر، وها هو اليوم يخصص مقالا يتحدث فيه عن العدوان المزدوج الذي شنته كل من فرنسا وبريطانيا وإلى جانبها إسرائيل تحت عنوان معركة القتال وثورة الشعب الجزائري²، يستهله بالتقديم التالي:

في كل يوم يفاجئنا الاستعمار من الأدب الاستعماري في أثواب قشية سداها العدوان السافر، ولظلم الجائر... ومن وقت لآخر تطلع علينا الدول الاستعمارية ببرامج تهديمية ظاهرها حفظ السلام العالمي، وتقريب الشقة بين دول المعمورة، وباطنها تخريب الكيان البشري وتدمير الوحدة الإنسانية كي تحافظ هي - أي الدول الاستعمارية- على السطوة المباشرة على الشعوب الضعيفة من أجل استثمار خيراتها، واستغلال شبابها واستعباد أجيالها، والوقوف حائلا دون نهضتها، وتقديمها في ميدان الرقي الحضاري والازدهار الصناعي.

وهذه فرنسا (الحرة) وبريطانيا (العظمية) تسطوان اليوم على الشعب المصري الشقيق إلى جانب اللقيطة إسرائيل، فشنتها حربا شعواء على مصر الشقيقة لا لشيء إلا

¹ - يحي بوعزيز، غرة نوفمبر مولد الشعب الجزائري، الصباح، المصدر السابق، ص 3.
² - يحي بوعزيز، على هامش الحرب في مصر معركة القتال وثورة الشعب الجزائري، الصباح، ع 1509، 17 نوفمبر 1956، ص 3.

لإقرار دولة إسرائيل وفرضها على العرب جبرا، وإن كان منطق الدولتين فرنسا وبريطانيا هو الحيلولة دون وقوع حرب عالمية...¹

فقد شنت العجوزتان الحرب على شقيقتنا مصر... وأصبحتا تنظمان الغارات الجوية والبحرية والبرية على كامل التراب المصري، وفي ظنهما ومعهما إسرائيل أنهم سوف يخضعان الشعب المصري إلى الاستعمار مرة أخرى، وفاتهما أن العالم كله مع مصر... التي أرغمتها على قبول وقف إطلاق النار... ويتضح لنا هنا بوضوح أن الحكومتين قد أقدمتا على هذه الحرب نتيجة للقومية العربية التي أذكأها الرئيس جمال عبد الناصر في كل الشعوب العربية والمتجلية في وحدة العرب وتضامنهم اتجاه الاستعمار الغاشم والصهيونية العالمية...

إن فرنسا الماركة حكومة وشعبا، قد أقدمت على هذه الحرب، وهي تعلم سلفا خسرانها وانهارها كحليفتها بريطانيا، ومقصودها من وراء هذه الحرب إلفات نظر العرب إلى وجهة أخرى بعد أن رأت من تراميهم الكلي في قضية المغرب العربي عامة ومشكلة الجزائر خاصة.

تلك الوجهة الموحدة الموقفة المتمثلة في يوم 28 أكتوبر ذلك اليوم الذي أثار حمية العرب وغضبهم إلى حد كانت المظاهرات الشعبية تنقلب إلى ثورة متأججة وبركان متقد.

وإزاء هذا الموقف الموحد فكرت فرنسا في شيء يمدد لها المكوث طويلا في المغرب العربي وفي الجزائر بالخصوص، ولكنها قد رأت أنها بمفردها لا تعمل شيئا أبدا، ورأت من بريطانيا عدوة العرب منذ القديم خير نصير لها، وأعز حليف، فهرول رئيسها الاشتراكي غي موللي وصحبه وزيره للشؤون الخارجية إلى لندن وعاد وفي جيوبهما شبح الحرب وعلى ملامحهما عوامل الانهزام، ومظاهر الخزي... وكان خسرانها وانتصار مصر الشقيقة، وكان انتصار العرب، وفوزهم في معركة التحرير.

¹ - يحي بوعزيز، غرة نوفمبر مولد الشعب الجزائري، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

وينتهي يحي بوعزيز مقاله ببعض الكلمات التي وردت في شكل تهديد ووعيد لفرنسا وحكومتها فيقول: أجل يا فرنسا لقد حكم التاريخ وفي حكمه الصواب وفصل الخطاب أنّ الشعب الجزائري المكافح هو الذي يصمم لك - وليس غيره- القبر ويهيئ جهاز اللحد الأبدي في انتظار ساعة النزاع القريبة جدا موكب الجنازة إلى مقرك الأخير.¹

وأثبتت الأحداث والوقائع أنك شعب معوج السلوك فتقد لساسة أكفاء يقودونك نحو السلام، وحب الحرية لك وللمجموعة الإنسانية مما حدا بالشعوب المكافحة أن تسند إلى الشعب الجزائري القيادة ليعيدك إلى الرشد.

أيها الشعب الجزائري المكافح، سر في كفاحكم موقفا، وخض المعركة منتصرا، وقد الكتاب مشرفا، فإنك الشعب الذي حياه التاريخ وأوجدته الأحداث الجسام لتزيل عن البشرية وصمة الاستعمار الفرنسي... فإنك الشعب الذي خلفته الظروف القاسية لتلعب دورك الأمم في تركيز السلام ودعم الحرية والاستقلال... وكيف تؤدب فرنسا...

ثم يعود ويقدم كلمة شد وتعاضد للمصريين فيقول: " أما أنت أيها الشعب المصري، فثق بالنصر وأنت تخوض المعركة... والشعب الجزائري معك في محنتك في النصر وما النصر إلا بالقضاء على إسرائيل وبريطانيا وفرنسا².

بعد شهر تقريبا يكتب يحي بوعزيز على صفحات الجريدة ذاتها (الصباح) مقال يقدم فيه ملخص مختصر عما جاء في كتاب البعث فيما يلي:

فكتاب البعث أول مشروع من نوعه صدر وانتشر في مغربنا العربي برهن فيه صاحبه الأستاذ أبو القاسم محمد كرو على مقدرة عجيبة في توجيه جماهير الشباب التي تتبنى الأفكار الحرة والارتواء من بحار الإنتاج الصحيح، وكتاب البعث أعظم مشروع أدبي عام عرفه مغربنا العربي في عهده الجديد، تعرض لمختلف ألوان الأدب وأنواع المشاكل الاجتماعية وعديد من المسائل السياسية وتناولها درسا وتعليقا، وبحثا وتنقيا، وهو

¹ - يحي بوعزيز، غرة نوفمبر مولد الشعب الجزائري، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

² - يحي بوعزيز، على هامش الحرب في مصر معركة القتال وثورة الشعب الجزائري، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

المشروع الوحيد الذي عمل منذ نشأته على مواكبة العصر ومسايرة الفكر الحديث مما أتاح لأجله من الكتاب¹ الأفارقة أن يبرزوا أفكارهم النبيرة المختلفة في مختلف حلقاته في شيء من التحرر الفكري، وبذلك أصبح كتاب البعث يسمو إلى الذروة.

وهناك شيء آخر أعز وأثمن جعل مشروع كتاب البعث يسمو إلى الذروة رافعا على كل جناحيه مقومات الأدب ومعالم الفكر، هذا الشيء هو التحامه بالثورات التحريرية واهتمامه بالكفاح الشعبي للأمم المغربية، وتبنيه لمبادئ الحياة في ظل راية الحرية وتحت لكمة الاستقلال، والتوجيه الكامل نحو ميدان الرشاش والبنديقية وساحة الشرف يساهم في إنكاء الروح التحريرية، وإشعال نار الوطنية، وإيقاد شعلة الحرية في نفوس المواطنين الشمال إفريقيين... ويواصل يحي بوعزيز في عرضه للكتاب ليصل إلى جزئه الأخير فيقول عنها: وفي حلقاته الأخيرة صوت الجزائر تجد أيها القارئ العزيز ما يشفي الغليل ويبرئه، حيث جمعت إلى جانب جغرافية القطر الجزائري جملة مبادئ الثورة الجزائرية وأقوال الصحف العالمية الكبرى ووحشية الفرنسيين في الجزائر وثائق وبلغات حربية صادرة عن جيش وجبهة التحرير بعضها لم ينشر في غيرها. كما حلت شارحة بعض حالات الجزائر السياسية والإدارية والاقتصادية والثقافية والغنية وغيرها مما يرفع قيم المعمرين الأندال، في حين حرم منها الوطنيون الجزائريون.

وتمتاز هذه الحلقة (صوت الجزائر) بأنها أول كتاب يعبر عن بلادنا الجزائر الثائرة في مغربنا العربي، نال به مشروع كتاب البعث وصاحبه الأستاذ أبو القاسم كرو وشرف السابقة وحسن الاختيار وإصابة الهدف الشريف، وحاز على شهادة العز والشرف لدى كل مواطن من سبيل عزة وطنه.

يواصل يحي بوعزيز قائلا: وإليك أيها القارئ العزيز فقرة صغيرة من بعض ما ورد فيها من البلاغات الحربية والوثائق السياسية لتتأكد من قيمتها:²

¹ - يحي بوعزيز، حول صوت الجزائر في مشروع كتاب البعث، الصباح، ع 1531، 13 ديسمبر 1956، ص 3.
² - نفسه، ص 3.

"في يوم 20 جويلية 1956م من أيام عيد الأضحى هاجموا الجنود الفرنسيون قرية عباد الشريف بدائرة "القرقور" شمالي سطيف من عمالة قسنطينة فالتجأ من أفلت من رجالها وشيوخها ونسائها وأطفالها إلى قرية "قمون بن عيسى" وبعد أحكام الحصار وعزلها الكامل أحرقوها على من بقي بها من الأحياء، وبقيت النار مشتعلة مدة أربعة أيام، والطائرات تروح وتغدو مقنبلة، ثم يقر لهم قرار حتى اتبعوا اللاجئين إلى قرية "قمون بن عيسى" وفعلوا بها وبسكانها الأصليين واللاحقين ما فعلوا بسابقتها، ولم يبق بها من ديار إلا رماد ونار، وبهذه الطريقة نكلوا بالقرى الآتية¹: سيدي ايدير، الماين، أولاد جعفر (بما فيها آلاف السكان)، واسقاء، بني شبانة، عزيب، آيت سيدي الصديق، تالازار (وقد سبق لهذه القرية أن قنبلت مرات عديدة)، ومزين، ونازقت، بني عبولة، كريمة، بني خلف، حنية، بني إبراهيم، الموتن، واقمون، الثعالبة، فريحة، مزراف، الخميس، تاموثة، كل هذه القرى وهي في دائرة القرقور أو قريب منها حوصرت يوم الجمعة 20 جويلية الموافق لثاني أيام عيد الأضحى وأحرقت وقنبلت وما بقي من أطلالها سُف بالديناميت.

يواصل يحي بوعزيز قائلاً: فأنت ترى أن كتاب البعث هو الوحيد (في هذه البلاد طبعا) الذي استطاع أن ينقل إليك مثل هذه الحقائق المرة من الجزائر الثائرة... فعلى الدوائر المسئولة وبالخصوص وزارة المعارف أن تعتني به وتقدم لصاحبه الأستاذ كرو يد المساعدة ماديا وأديبا ما دام سيساهم في نهوض هذه البلاد، حتى يستطيع الاضطلاع في المستقبل بما يلزم ويشرف هذه البلاد في حقول المعرفة ومواطن الفكر ونواحي الأدب.

ويختم بوعزيز مقاله برجاء يقدمه إلى القارئ يوجزه فيما يلي:

وأخيرا أرجو من القارئ أن يعذرني، لأنني لم أتناول المشروع من الناحية الأدبية الصرفة، ذلك لأنني ثائر أعشق الثورة وأطمح لتغيير الأوضاع السائدة وإلى جانب هذا فأنا

¹ - يحي بوعزيز، حول صوت الجزائر في مشروع كتاب البعث، المصدر السابق، ص 3.

أحب أن يحيا كل مواطن ثائر يتغذى بالمبادئ الثورية بمعنى يقرأ ثائرا ويحلل ثائرا،
ويناقش ثائرا، عسانا نتخلص من رواسب الاستعمار¹.

وكتب الطالب صالح بن صالح الخرفي عن النكبة التي حلت بمدينة "تبسة" قائلاً:
في يوم 4 مارس 1956، والأيام التالية له كانت مدينة (تبسة) مسرحاً للحرائق التي أتت
على قسم كبير مما يمتلكه المسلمون من المقاهي والمحال التجارية فباتت هذه الجهة أكواما
من الرماد وكدي من الحجارة، وقد فارقها أصحابها هائمين على وجوههم في الفيافي أو
ملتجئين إلى بعض المدن، هذا عدا الذين استعملت فيهم الأسلحة فتركهم في الشوارع
صرعى ما بين قتيل وجريح. كما قام صالح خرفي بتنظيم قصيد يرثي فيه حال "تبسة" ضم
30 بيتا هذا بعض ما جاء فيه:

رفعوك في ليل الكفاح منارا إذ غادروك أيا (تبسة) نارا

في كل قلب مسلم قد أضرمو فتقوا بأنا اليوم نطلب ثارا²

كما كتب صالح الخرفي عن البنت العربية التي أخذ عنها المستعمر الجاهل نظرة
خاطئة فنظم قصيد بعنوان فتاة العروبة ضم 49 بيتا، هذه بعض الأبيات التي وردت فيه:

زعموك جهلا يا فتاة العرب في سبيل الكفاح قصيرة الخطوات

كلا فليس المجد مقصورا على جنس، فذا من أخطو العقبات³.

ليس صالح الخرفي الطالب الوحيد الذي تألم من مأساة تبسة بل هناك أيضا الطالب
الزيتوني صالح عبد الله الذي همه أمر تبسة فكتب هو الآخر قصيد ضم ثلاثين بيتا بعنوان
"تبسة المدينة المنكوبة":

يا رفيقي في فرحتي واستيائي مالك اليوم هازنا بندائي

1 - يحي بوعزيز، حول صوت الجزائر في مشروع كتاب البعث، الصباح، المصدر السابق، ص 3، ص 3.

2 - صالح بن صالح الخرفي، مأساة تبسة، مجلة الندوة، ماي 1956.

3 - صالح بن صالح الخرفي، بنت العروبة، مجلة الندوة، جانفي- فيفري 1957.

أُتغني وحوالك الموت يسري فوق أرض قد خضب بالدماء¹.

وفي الشهر الموالي كتب عبد الله قصيدا آخر بعنوان "الواقع الرهيب" ضمت اثنتان وعشرين بيتا، جاء فيها ما يلي:

إلى أين يدفع بي منهجي؟ سألت كثيرا فلم أهد

تراني أمشي، وفكري خليط شتيت، كثير الزوايا، صدي

ورأسي - ترى ما برأسي- طنين دوي، أزيز كعصف الرياح².

وكتب الطالب عيسى الجزائري مقالا عنونه بـ"هذا يومك يا جزائر فأبشري" عبر فيه بكل صدق وإخلاص على مشاعره الحقيقية إزاء ما يحدث في بلده، ما يحس به وفي غربته: استهله بما يلي: ... إننا اليوم نتألم، ولكن من آلامنا ينبثق عزم جديد أقوى من الآلام ومن النكبة تنبثق إرادة أقوى من النكبة... ما يلفت النظر أولائي الأشبال وأولائي الشبان الجزائريين... إنهم صورة عن الكفاح والعذاب الذين يقاسيهم الشعب الجزائري في استماتة عجيبة رائعة، إنهم ضحايا القمع والظلم الفرنسيين، ضحايا التعذيب والتنكيل الذي يلاقيه صباح مساء كل جزائري أيا كان، ومهما بلغ عمره لا لشيء إلا لأنه جزائري، وقد أصبح اليوم في عرف فرنسا - حتى الرضع منهم- وهو يصرخ بها ويطالبها في عناد بحقوقه المغصوبة وهي ترى على سمائه، وفي تحرك أغصانه ورجفة جفنيه ونظرة عينيه، ليست ترى، وليست تفهم من جميع هذا إلا أنه يريد بها شرا وأن غايته الوحيدة معها هي تحطيمها ونقتيلها ومحوها من خريطة الوجود، لما أذاقته من ويلات وأرته من تنكيلات وأسمعته من وقاحات كان صابرا ولكنه من صبره أخرج وكون هذا العناد وهذه القوة التي أثارها وعجب لها العالم بأسره الذي كان يظن بل يعتقد أن لا قيام لجزائري ولا حياة للجزائر التي انقضت عليها وقرن وربع وهي ترسف تحت أغلال الاستعمار الفرنسي الذي سقاها السام³.

¹ - صالح عبد الله، تبسة المدينة المنكوبة، الصباح، 10 ماي 1956، ص 3.

² - صالح عبد الله، الواقع الرهيب، الصباح، 29 جوان 1956، ص 3.

³ - عيسى الجزائري، الصباح، ع 1407، 22 جويلية 1956، ص 2.

... ولقد أدركت فرنسا اليوم في الميدان أن الذين يقاتلوننا، ويبتزون منها أولادها، يسقطونهم صرعى عند أرجلهم، أدركت أن الذين يقفون أمامهم في اعتزاز وجبروت وقوة أدركت أن الذين يقتلون أولادها تقتيلا ذريعا ويلزموننا بجلب العناد كل يوم والبعثات العسكرية كل أسبوع لم يكونوا، ولن يكونوا إلا هؤلاء الصفر الوجوه الذين كانت تجاعيد جباههم تقول أشياء وأشياء ولكن أقل من وعائها، ولم يعها إلا بعد فوات الأوان¹.

أجل اليوم يوم الجزائر، يوم هؤلاء المهانين الأذلاء، يوم الحفاة العراة، كي يصبحوا مبدلين معززين كرماء، يومهم اليوم كي تشرق وجوههم بحمرة العزة والنصرة، أجل اليوم يوم الجزائر لتصبح دولة عربية مسلمة مستقلة، وشعبا كريما حرا، يومها اليوم حتى يشهد العالم بأن لها أبطالاً ورجالا، وبأن لها عزة كرامة وحقوقا عُصبت منها، وأن الشعب الجزائري قد صرخ اليوم في البوق العالمي والدنيا الحياتية الحرة وأن اضطلاعهم بدور البطولة على هذا المسرح العجيب، مسرح الكون والحياة الحرة الكريمة قد حان وعليه أن يصعد المسرح فإن متفرجي التاريخ يرقبون صعوده حتى يصفقوا له إعجابا وفخرا وتمجيذا لذكراه وبطولته واستشهاده، لعزته وكرامته واسترجاع حريته، أجل اليوم يوم الجزائر².

يومها كي تري فرنسا نتاج ثورتها المباركة التي كانت تمهد لها سنوات طوال تحت الذل والخسف والتدمير، التي كان يذوقها الشعب الجزائري بصبر وجلد وحتى يريها أن قوته الجبارة هاته، وقوة جيش تحريره الباسل، لم تكن ولم يكن مدعاها وسرها إلا هذا الذل،... هذا السر الذي قلب الوضعية فأصبح سلاحا للجزائر التائقة للحرية والإخاء والمساواة والسلام، سلاحا تقاوم به فرنسا الطاغية المتكبرة، التي لم تكن غايتها يوما إلا إذلال الجزائريين، وسحقهم بهذه الإبادات الجماعية البشعة، والإصرار العنيد، على اعتبار الجزائر جزءا منها، ومشكلتها خاصة بها وحدها، وهذه طبيعة كل من أريد بها شرا أو أريد حرمانه من أعز شيء يملكه في الوجود، تراه يختلق جميع الوسائل وينتهج كل السبل حتى يصل إلى إبقاء هذا الذخر ملك يديه، يريد أن ينسيه نفسه وعوائده وطباعه ويبعده عن

¹ - عيسى الجزائري، الصباح، ع 1407، المصدر السابق، ص 2.

² - عيسى الجزائري، هذا يومك يا جزائر، الصباح، المصدر السابق، ص 2.

ماضيه حتى لا تساوره قط مثل هذه الأفكار التي تحذو به نحو العزة والكرامة وطلب الحرية والاستقلال... وهو ما فعله المستعمر بالجزائر، لكن الجزائر لم تنس نفسها وعوائدها وطباعها، ولم يفلح الاستعمار الفرنسي قط في إقصائها عن ماضيها،... كان لها دائما معيننا وأحسن سلاح وأوقفه وأعزه، قاومت به، وكتب لفرنسا، بل كتب الشعب الجزائري لفرنسا أن تقتل بنفس السلاح الذي ألزمت به قتل الجزائريين ومحوهم من التاريخ وإعدامهم من الوجود¹.

لقد كان الطالب عيسى الجزائري مولعا بأخبار بلده وشعبه وثورته ولم يكتب قط عن الرجل الذي حمل السلاح ودخل ميدان الكفاح بل خصص للمرأة حيزا من كتاباته للمرأة الجزائرية التي شاركت جنبا إلى جنب مع الرجل فكتب مقالا عنونه بـ"المرأة الجزائرية والثورة" جاء في مقدمته ما يلي:

ليتهم كانوا هناك ليروا كتائب الفتيات المؤمنات بعروبتهن إلى جانب كتائب الفتيان وكلهم يجاهد في ميدان واحد، وكلهم يتجه إلى غاية واحدة، وهي بذل دمه رخيصة في سبيل عقيدته التي لا تززع ألا وهي الوحدة، وحدة العرب في سائر أقطارهم...

يتوسط المقال تساؤل صاحبه عيسى فيقول: " هل في الثورة الجزائرية وجود لبطولة المرأة، هل شاركت هي كذلك وقدمت مثل ما قدم شريكها الرجل، وزهدت في الدنيا وهي المحبة لها، كما زهد، واسترخصت روحها وحقرت نفسها وهي المعجبة بها، كما ازدهاها الرجل وأذلها، هل شربت التربة الجزائرية اليوم، وفي عمر ثورتها دماء المرأة الثائرة، ودموع المرأة الثائرة؟، أي ورب الثورة الجزائرية اليوم، وفي عمر ثورتها دماء المرأة الثائرة، أي ورب الثورة الجزائرية المنتصرة قد فعلت المرأة الثائرة أكثر من هذا وأثبتت بشتى الوسائل، وباهظ الأثمان وعظيم الأخطار، ومشاق التضحيات، أنها بحق بطلة ثائرة، سلوا الأوراس العادل الحر عن كفاح المرأة الجزائرية وتضحياتها الكبيرة سلوا عنها

¹ - عيسى الجزائري، هذا يومك يا جزائر، الصباح، المصدر السابق، ص 2.

الجزائر بشوارعها وأنهجها وأزقتها وسهولها وصحاريها، تجيبكم بأن جميعها للمرأة الجزائرية الثائرة تصيب ويد كبرى ومفعول جبار ضد الأشرار أعداء الأحرار.

سلوا عنها العذاب الاستعماري الشنيع، والتمثيل الفرنسي الخليع، واستهتارهم الوضيع تروا ما تعانيه المرأة الجزائرية المكافحة وما تلاقيه من هؤلاء المناكيد ضعاف النفوس، دنيء الهمم، وحشي التصرفات، تعانيه المسكينة في صبر وثبات طلبا للحياة، حياة الجزائر حرة طاهرة من رجس أبالسة الاستعمار، ودرن أقزام العبودية.

سلوا عنها المستشفيات والكهوف والمغاور، سلوا عنها المحتشدات والسجون تجبكم جميعها بأنها شهدت في عجب وفخر وبطولة وشجاعة المرأة الجزائرية الثائرة المكافحة، سلوا عنها مجازر قالمة وسطيف، وهجمات 20 أوت تشهدوا نضالها وبسالتها، سلوا عنها جند الفرنسيين تعلموا أنها هزمتهم شر هزيمة، فكم من حادثة روت عن هولها الصحف وكتبت عن خسائرها الفادحة وطول زمنها... وبعد النجذات تلو النجذات بالدبابات والطائرات¹، وعندما يسكن الرصاص... يذهل جند الفرنجة عندما يعثرون في المدينة الساكنة إلا على قطيع من النساء بأيديهن سلاحهن المتواضع.

اصعدوا الجبال تروها تضمد الجراح، وتخفف من آلام الأبرار... وتعطي الدروس للجنود الثائرين في التمريض والجراحة، وصاحبة الحلي تطوعت بها للجيش، للثورة... لأنها لن تتزين قط، وبلادها في كفاح... إن هناك في الثورة الجزائرية مئات المتطوعات المسلحات (الجنديات) وهناك الجنديات المدنيات، يجمعن التبرعات والاشتراكات، بل ويشترين الأسلحة للثورة... وأهول من هذا وأعجب هناك قائدات... حربيات، يجندن الرجال، ويدربن الكتائب. هذا من أعظم الأسرار وأخطرها لنجاح هذه الثورة المباركة التي يريد أهلها فقط العزة، الحرية، الإخاء والمساواة والسلام.

يواصل عيسى قائلاً: واستمعوا معي الآن إلى فقرات من هام لزعيمة جزائرية مسلمة، مناضلة تعتر بعروبيتها وإسلامها وتؤمن بالنصر المبين وجزائر الغد، جزائر العهد

¹ - عيسى الجزائري، المرأة الجزائرية والثورة، الصباح، ع 1410، الصباح 26 جويلية 1956، ص 3.

الجديد، تلك هي السيدة شنتوف رئيسة جمعية النساء المسلمات الجزائريات والمسئولة القديمة، هذه المكافحة التي نُفيت من وطنها مرتين أولاًهما في ديسمبر 1955 من طرف سوستيل وثانيهما في ماي 1956، وقد مكنت الآن من العودة إلى وطنها المكافح في عهد لاكوست لا لتسكن وتهدأ كما طلب منها ولكن لتستمر في الكفاح والنضال¹.

تراوحت كتابات عيسى الجزائري في المقال والشعر وكانت غالبية المضامين تصب فحواها حول القضية التي كانت تشغل باله وفكره وهو لا يزال طالبا بعيدا على وطنه هذا ما جعله يسخر قلمه للتعبير عما يخالج نفسه من شعور بالحرقة والألم على ما يعانیه شعبه فهذه قصيدة تحية الجزائر الخالدة التي تكونت من 55 بيتا يقدم فيه تحية إعجاب وتقدير لبلده وللشهداء الأبرار وللقائد المحنك "ابن بلا" هذه مقتطفات من الأبيات التي وردت فيها:

ألا حيو الجزائر وابن بلا ومن بذل الدماء لتستقلا

دماءً للقداء جُزت غزارا وقالت للردى أهلا وسهلا².

كما كتب عيسى عن حادثة اختطاف القادة الجزائريين وتحويل الطائرة المقلّة لهم، وعن رأي دول المغرب العربي المساند والمتضامن مع الجزائر شعبا وحكومة، وفيما يلي فقرات مما ورد في المقال الذي عنوانه صاحبه بـ"على هامش يوم الأحد 28 أكتوبر- غضبة الأحرار على الاستعمار أو يوم الوحدة العربية": اللعنة في كل قلب عربي،... اللعنة والغضب والحقارة، ولا شيء غير اللعنة والغضب والحقارة، لقد وحدت هذه الأوصاف جميع الأحاسيس العربية والخواطر العربية والفكر العربي، وآمال العروبة فليس من تعريف صادق للعربي اليوم إلا أنه غاضب لاعتن، محتقر، هذا تعريف كل عربي في كل مكان، شيخا كان أم شابا، امرأة عجوزا أم فتاة، بل حتى الصبية والرضع العرب هم اليوم، وفي هذا اليوم المبارك الجبار بالذات، لاعتنون غاضبون... إنه يوم خالد في تاريخ العروبة الموحدة، لأنه إن كان يكتسي بمظهر الحداد... في هذا اليوم فقط سيولد بل ولده ذلك المولود السعيد الذي كافح من أجله الكثير ومات واستشهد وتعذب الكثير، إنه الوحدة القومية العربية

¹ - عيسى الجزائري، المرأة الجزائرية والثورة، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

² - عيسى الجزائري، تحية الجزائر الخالدة، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

الموحدة، التي حاولنا مديدا، كما جاهدا من قبلنا أبطال أمجاد لتكوينها وإبرازها إلى الوجود... فيا ويل فرنسا من العرب إذا توحدوا¹.

تذكرني التاريخ يا فرنسا تري عجا عجا... بل سلي معتقلك "ابن بلة وصحبه" يقصون عليك شيئا من فتوحاتهم... الويل لك يا فرنسا من حاكميك المجنونين الأنانيين فقد قضوا عليك، وعلى سيادتك القضاء المبرم، لطحوا بأيديهم الملوثة بدماء الأبرياء، لطحوا تلك الصفحات الذهبية من تاريخك المجيد... ولقد وقع اليوم بطيشهم المنكر، ما كنت تخشينه مديدا وبرزت اليوم القومية العربية الموحدة، وهذا الإضراب اليوم هو أسطع دليل وأصدق برهان على أن القومية العربية أصبحت فعلا جسما واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وهذه المظاهرات الصاخبة، والاحتجاجات الغاضبة، والتبرعات، ووفرة المتطوعين، كل هذا يزيدك دليلا على ولادة هذه القومية العربية الموحدة الخالدة، وإنها لقفزة كبرى خلقها طيش حكامك يا فرنسا فخسرت بذلك صداقة العرب، وضيعوا عليك تلك (الفيتامينات) التي كنت تعيشين بها وكان مصدرها الشمال الإفريقي خاصة والدول العربية عامة².

واليوم ستعرف حكومتك ومسيروها الخواص، مدى فداحة ما خسروا، ومدى بشاعة ما اقترفوا، واليوم يدركون أنهم قد أزاحوا الستار عن كثير من الأشياء كانوا يكتُمونها، لقد كانوا يظنون... أن اختطافهم للزعماء الجزائريين سيضعف الثورة الجزائرية فإننا نجيبهم بأن الخير اليقين سيأخذونه، ويلمسونه من اليوم في كامل القطر الجزائري بالخصوص، وأقطار العروبة عموما، ونعيد عليهم إن نسوه أن قادة الثورة أقسموا أن ينتقموا شر الانتقام، وفرنسا ومسيرو دواليبها يدركون انتقام الجزائري، وإن كانوا يحسبون أن يضعفوا روابط المغرب العربي فقد أخطئوا...

وزيادة على هذا فقد تولد عن طيش حكامك، هذه الوحدة الجبارة، الوحدة العربية، وأنت التي كثيرا ما اعترف أبناؤك وزعماءك ورؤساؤك بأنهم لا يستطيعون أن يعيشوا

¹ - عيسى الجزائري، على هامش يوم الأحد 28 أكتوبر، الصباح، 3 نوفمبر 1956، ص 3.

² - نفسه، ص 3.

بدون العرب وأزيد من هذا أصابتك نقمة الأحرار في كل مكان، وغضبة الضمير الحر العالمي نجم عن ذلك اضطراب وقلق وتذمر في صفوف أحزابك الذي لا ريب سيضعف من شأنك ويجبر حتما لأكوست، وغي موللي، وماكس لوجن، على السجود عند قدمي بن بلة وصحبه. لأنك اعترفت بأنهم الممثلون الحقيقيون للشعب الجزائري، وأنت منذ أمد ليس بالقصير كانت حكومتك تبحث عن مفاوضين أكفاء، هذا ما أصبح يعتقد كل واحد في العالم يا فرنسا، أجل سيسجد لأكوست عند قدمي بن بلة وصحبه تحت ضغط الثورة الجزائرية، ونقمة المغرب العربي الموحد، وغضب العربي ولعنة الأحرار في كل مكان¹.

وهذا الطالب الزيتوني الطاهر وطار يتقدم بطلبه إلى أخيه التونسي، في مقاله المعنون بـ "هات يدك يا أخي التونسي"، فيما يلي بعض الفقرات التي وردت فيه: ... إني طال علم هجرت الأهل والديار لو وضع تيرموتر لسجل لنا... فقير هديم انقطعت عني المواصلات، ليس لي سوى وجه الرحمن الرحيم، ما بالك يا أبي؟ ما بالك يا أخي؟... أنسيتماني؟ كلا إن نار الحرب متأججة... نصركم الله وإني في حالة رثة، فهات يدك يا أخي التونسي وأعني...

... إني جريح أصابتني رصاصة الأعداء... ومنذ أمس ظمآن عليل، يا أخي ما دخلت هاهنا إلى الحدود، إلا بعد عذاب أليم... تدرجت على الأشواك، وانقلبت فوق الصخور الحادة... آه، إن جسدي كله ينزف بالدماء... التصقت ثيابي بلحمي، لا تحسبني عدوك، إني أخاك في الدين والوطن والكفاح، فهات يدك يا أخي التونسي، وساعدني أيها التونسي الأبوي، إن هذه الأصوات المتجاوبة من كل فج عميق، تستغيث وتستنجد... إنما هي صوت الجزائر العزيزة الجزائر المكافحة ترتجي منك أن تكافح معها، لأجل القضاء على شوكة الاستعمار هناك... فهلا ارتفعت صدى أصواتك في الأجواء، أن لبيك... لبيك يا أرض الجزائر، بل لبيك يا وطني المغرب العربي... يا شمال إفريقيا².

¹ - عيسى الجزائري، على هامش يوم الأحد 28 أكتوبر، الصباح المصدر السابق، ص 3.

² - الطاهر وطار، هات يدك يا أخي التونسي، الصباح، 12 أوت 1956، ع 1425، ص 3.

... أيها التونسي الأبى، إنا لا نرميك بالصمت ولا بالتقصير، وإنما نريد منك أن تبرهن باتحادك والتحامك على أن المغرب العربي جدير بالحرية والاستقلال جدير بالعزة والكرامة... لأن يا بني تونس والجزائر والمغرب هدفنا من هذا الكفاح المستميت هناك هو الاتحاد الذي لا نحافظ على حريتنا إلا به، والعبرة يا بني الشمال في الاحتفاظ بالحرية، لا باسترجاعها فقد كنا أحرارا مستقلين نسود أنفسنا بأنفسنا ونتصرف في أرضنا كما نشاء لا سلطان لأجنبي علينا مهما كان نوعه، ولكن ويا للأسف كنا متفرقين، كنا أحزابا وشيعا كل بما لديهم فرحون.

فما الفرق بين الأمس واليوم، وبين حرية أمس وحرية اليوم؟ وما الفرق يا بني الشمال إذا لم نتحد؟ وإنا لن نتحد ولن يكون استقلالنا حقيقيا لا تشوبه شائبة، ولن نأمن الاستعمار الفرنسي أو غيره من أصدقائه، ما لم نغتزم هذه الفرصة المواتية السانحة.

أيها التونسي الأبى، إن ثورة الجزائر المباركة نعمة من نعم الله على هذا الشمال، وإنها لمعجزة حقا في تكوينها وفي ظروف اشتعالها، وفي مقاومتها، وإنا لا نفهم منها تحرير الجزائر فقط... بل عزة المغرب العربي وتوحيد صفوف أبنائه¹.

معظم المقالات التي نشرت على صفحات جريدة الصباح التي كانت بمثابة الفضاء الواسع المفتوح للطلبة الجزائريين بصفة خاصة الذين كانوا يزاولون تعليمهم بالمدارس التونسية وفي مقدمتهم جامع الزيتونة وفروعه، وكان الطالب إسماعيل عبد الله من بين الطلبة الجزائريين الذين سخروا أقلامهم لأخبار وطنهم فكتب مقالا بعنوان أخبار الاستعمار وثورة الأحرار، تحدث فيه عن واقع الاستعمار في الجزائر وفيما يلي تقديم لبعض ما ورد فيه:

... قد يدفعنا حب الاطلاع أن نرى صورة ولو مصغرة من سياسة الاستعمار في البلاد الجزائرية وأن نعرف شيئا عن يومه فيها ذلك اليوم القاتم الموغل في السواد الذي لا يكاد يطالعنا بغير المآسي، والولايات، ذلك أن الاستعمار ما فتئ منذ وطئت قدماه أرض

¹ - الطاهر وطار، هات يدك يا أخي التونسي، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

الجزائر يتوسع في سياسة التفتير والتجهيل، ويسعى جادا للقضاء على النزاعات السياسية والمعنويات الروحية ويقاوم بخطرسة وعنجهية كل حركة تمت بصلة إلى الإصلاح ضرورة أن غلاة الاستعمار لم يريدوا من المسلمين في الجزائر إلا شغالين منهمكين في خدمة السادة البورجوازيين، وعمالا ساهرين على راحة الساسة الرجعيين بمقابل بخس، لا يسد الرمق ولا يكفي للضرورة من العيش، بل لم يزد من الأغلبية الساحقة من السكان إلا نماذج بشرية معذبة تعاونت عليها عوادي الحياة مع عوامل القوانين الجائرة، فتركها فريسة للجهل والجرائم الفتاكة... لا لذنب ارتكبه سوى أن الأجنبي المحتل الذي جاء لتعمير البلاد أراد ذلك...¹

... والخزينة العامة في الجزائر تتسع لنفقات الأعياد الباهظة إن كانت هذه الأعياد غربية، كما تتسع لمصالح الأوروبيين وتعبيد الطرقات الخاصة للبورجوازيين ثم هي تطبق ذرعا بالمشاريع الشعبية ومصالح المسلمين، حتى إن المدارس والمستشفيات لا تفتح أبوابها لأبناء الشعب إلا بمقدار فإن قال قائل إننا في حاجة إلى المواساة ولنا الحق في العيش معكم على أديم أرض وطننا قالوا هذه لهجة سياسية ومخالفة توجب الانتقام والعقاب.

وطبيعي أن تتمخض هذه المعاملة عن انفجار مهول بعد أن بذل المسلمون في الجزائر كل ما لديهم من الوسائل ليتمكنوا من شيء واحد هو سيادة بلادهم، واجمعوا أمرهم على إعلان الحرب... فلا فرق بين الفقير والغني، ولا بين العالم والأجير فكل يود الاستشهاد في سبيل الله والوطن ومؤمن بأن بلاده أخذت بالحرب يجب أن تفتك بالحرب وأن ثروة بلاده غنيمة بيد الأجنبي²، يجب أن تفتك منه... عندئذ نظر الاستعمار إلى أماله وهي تحطم... وأصابته صدمة على ما فرط في أمر الجزائر التي جاءها يستعمرها، وينقذ أهلها من هواة الفقر والجهل، واجتمع ساسته ففكروا، وقدروا وبدا لهم أن البلاد تعفنت ينبغي أن تُطهر، وأن المسلمين تكاثروا يجب إبادتهم... فدمروا المساكن وتفننوا في تعذيب الأبرياء والتمثيل بالجتة، واستعانوا في عدوانهم الإجرامي بالدبابات والطائرات والغارات.

¹ - إسماعيل عبد الله، أخبار الاستعمار وثورة الأحرار، الصباح، ع 1466، 29 سبتمبر 1956، ص 3.

² - نفسه.

... ولقد وصلت المعركة الجزائرية إلى حد النضج، وبات الناس يرقبون صحوها، وصمم الجزائريون على أن يموتوا شهداء أو يعيشوا بالاستقلال، وقتلوا عدة مئات من الجنود الفرنسيين ذهبوا ضحية جور حكومتهم، وكادت أن تذهب مع أرواحهم هيبتها وعظمتها.

فهل ارتدع ساسة الاستعمار واعترف أن الجزائر قطعة من إفريقيا، وأنّ الشعب الجزائري شعب متحد يقظ جدير بالحرية وخليق بالاستقلال ذلك ما ستجيب عنه الأيام، إن لم يبادر بالإجابة عنه هؤلاء الساسة¹.

وهذا الطالب الطيب عبلاوي الذي يتحدث عن بداية السنة الدراسية التي تكاد تختفي صورها في الجزائر، يتحدث بشيء من الألم والحسرة على أطفال الجزائر الذين فرض عليهم التعليم الفرنسي فيقول عنهم:

في بلاد غير بلادي يحل أكتوبر وتفتح في وجهه المدارس والمعاهد، ويدب النشاط في أنفسهم، وتتسم الوجوه والعزم لاستئناف العمل ويمضي التلاميذ والتلميذات في الطريق إلى المدارس وعلى وجوههم البشر والسرور، أما في بلادي الجزائر لا يبتسم الناس لأكتوبر وعلى الخصوص منهم الصغار، ولا يستقبلونه لا في شيء من التحفز والاشتياق، لأن صغارنا في الجزائر لا ينتظرون المدارس أن تفتح في وجوههم كما ينتظر الصغار في بلاد الدنيا يأملون أن يتأبطوا كتبهم ولا تأمل كتبهم أن يحتضنوها بأذرعتهم الفتية الحانية.

لأن آباءهم قد حملوا نفس هذه الكتب زمن أن كانوا صغار مثلهم، ومضوا إلى نفس هذه المدارس التي يمضي إليها هؤلاء الصغار لعهد قريب.

فلم يستفد منها شيئاً، اللهم إلا البعد عن دينهم والتتكّر للغتهم والتتصل من قوميتهم ومسخ أخلاقهم وعروبتهم، فصغارنا إذن لا يذهبون إليها ولن يذهبوا بعد اليوم².

¹ - إسماعيل عبد الله، أخبار الاستعمار وثورة الأحرار، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

² - الطيب عبلاوي، أكتوبر في الجزائر، الصباح، 20 أكتوبر 1956، ع 1481، ص 3.

... صغارنا صدوا عن المدارس وقعدوا عن التعلم، وجثموا في ديارهم ينتظرون بقلوب واجفة وعيون قلقة، والأحداث ترعب عقولهم الفنية، والرصاص يصم آذانهم المرهفة البريئة، أجل ينظرون إلى هذه الأحداث ويعتقدون لها زوالا لأنهم لا يستطيعون أن يتصوروا أنهم يحرمون من التعلم إلى الأبد، ويدعون كتبهم أكداسا تعلوها طبقات الغبار بجانب محافظهم الجاثمة في زوايا البيت تنتظر كما ينتظرون.

... نعم يا صغارنا، ستزول هذه الأحداث، ويسكت هذا الرصاص، وتنتهي هذه الصحبة ولكن يوم تنجلي هذه السيول البشرية المرعبة عن بلادكم، يوم تخلو بلادنا من وجوههم المحملقة في فتك وغدر، يوم تستقل البلاد، وإلى آنذاك ستعودون إلى المدارس في نموذج جديد ونظام جديد¹.

كل طالب ساهم بقلمه وعبر بطريقته عن صدق مشاعره تجاه بلده الذي يتجرع المر، فهذا أحمد مجودة الجزائري في مقاله: الجزائر تتكلم، يجسدها فيما يلي:

أنا الشعب... أنا الجزائر، أنا العملاق الجبار في قوتي، المارد الكبير في دمائي المؤمن الصابر في كفاحي، في عيني الشرر يتطاير من لهيب الثورة الحمراء في أعماقي، في عروقي صرخة الدم... تنادي الحرية... تنادي الكرامة. في وجهي تقاطيب العبوس، لكن على جبينني صبوح الأمل، وتباشير المستقبل السعيد من ماضي البعيد استحث شجاعتي... في كياني قوافل الثورة الجبارة في زحفها المقدس تدفعها عزيمة الصادقة، بقبضتي العتيدة أخذت السلاح... هناك في قمة الجبل رفعت علمي... أعلنت ثورتي... أعلنت بها أن في كل بادرة من الحياة جسدي، نار ثورة لهيبها لا يخمد،... أنا الجزائر أحب الحياة كريمة، ومن أجلها أحب ثورتي، أموت وأعيش وتعيش كرامتي، أنا الجزائر... دخلت معمعة الكفاح، فإما الحياة وإما الممات... أنا الشعب أنا الجزائر².

¹ - محمد الطيب عبلاوي، أكتوبر في الجزائر، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

² - أحمد مجودة الجزائري، الجزائر تتكلم، الصباح، ع 1488، 27 أكتوبر 1956، ص 3.

وها هو الطالب بن بابا صالح ينظم قصيدا بمناسبة الذكرى الثانية لاندلاع الثورة التحريرية الكبرى تحت عنوان (ذكرى الثورة الماحقة) ضمت 55 بيتا، هذه بعض الأبيات التي ورد فيها:

بدأ تشرين يبسم للوجود فدممت الجزائر بالعود
وقد أمن الفرنسيون فيها ولكن فاجأتهم في الصمود

وهذا الطالب الزيتوني صالح أبو عمر يقدم قصيدا هو الآخر بمناسبة نفس الذكرى تألفت من 46 بيتا، من بين ما جاء فيها هاته الأبيات:

هذا نوفمبر بالتحريير وافنا يختال بين شهور العام جذلانا
عيد الفداء كسا الأوراس بردته الحمراء وطرزها درّا ومرجانا.¹

وعلى نفس النهج سار أيضا صديقه صالح النفوسي فكتب قصيدا ضم 18 بيتا، ينتقد فيه مكر فرنسا، هذا بعض ما جاء فيه:

يا فرنسا كفى خداعا فإننا يا فرنسا لقد مللنا الوعودا
صرخ الشعب منذرا فتصاممت وأبديت جفوة وصدودا.²

وهذا الطالب الحبيب بن يونس يكتب قصيدا يرثي فيه الشهيد البطل أحمد زبانة، ضمت ستة عشر بيتا جاء فيها ما يلي:

قام يختال كالمرسيح وئيدا يتهادى نشوان يتلو النشيد
باسم الثغر كالملاك أو كالطفل يستقبل الصباح الجديد
شامخا انفه جلال وتيها رافعا رأسه يناجي الخلودا

¹ - صالح أبو عمر، في ذكرى الثورة، مجلة الندوة، نوفمبر 1956.

² - صالح النفوسي، الصباح، ع 1533، 15 ديسمبر 1956، ص 3.

رافلا في خلاخل زغردت تمدد
من لحنها الفضاء السعيدا
واقضي يا موت فيما أنت قاض
أنا راض إن عاش شعبي سعيدا
أنا إن مت فالجزائر تحيا
حرة مستقلة لن تبيدا...¹

هذه بعض الكتابات التي وردت في الجرائد والمجلات التونسية خلال سنة 1956 تراوحت بين القصائد والمقالات التي عالج خلالها الطلبة الجزائريون مواضيع هامة كانت تدور أغلبها حول قضية وطنهم التي كانت تستغل فركهم خاصة وهم في غربة وتلهف عن أخبار بلادهم.

أما سنة 1957، فقد تصدرت كتابات الطالب يحي بوعزيز التي كتبها في شكل سلسلة مقالات عنونها برسالة الجمعيات ضمت ستة مقالات وردت في أعداد متتالية جاء في المقال الثاني ذكر لفائدة قيما الجمعيات حيث يقول في هذا الشأن صاحب المقال ما يلي:.... مهما يكن من أمر فإنّ الذي يستفيدة الشباب من الجمعيات الثقافية هذه من جهة أخرى رهن لشيء آخر له أهميته البالغة في رفع مستواه، ونجاح رسالتها نجاحا عظيما، هذا الشيء هو أن يكون هيكل الجمعية متكونا من أعضاء ذوي قيم عالية، ومعارف سامية وإدراك واسع يستطيعون به التفهم الكامل للمشاكل العامة، والوصول إلى حلها حلا يرضي المبادئ العليا ويوفق بين المصالح الشخصية والاجتماعية معا في آن واحد، ثم يتطرق إلى ذكر الشروط التي يجب أن تتوفر في الهيئة الإدارية فيقول: ... ومن شرط الأعضاء – والحالة هذه- أن يتجردوا من العواطف والأهواء والتحيزات المريعة.

2- أن لا يتشبثوا بحب الظهور والتكبر والاستعلاء.

3- أن يزوبوا في المصلحة العامة، ويعملوا لخدمة المبدأ الصحيح بعد أن يعدموا شخصياتهم ويقفوا على كل أنانية فردية تتسرب إلى النفس كي يستطيعوا أداء رسالتهم على أكمل وجه، ومعنى هذا أن يتمذهبوا إن لزم الأمر بدستور الجمعية الصحيح، في سبيل أن

¹ - الحبيب بن يونس، الصباح، ع 1527، 9 ديسمبر 1956، ص 3.

يسيروا سيرا منهجيا يسمح لهم أن ينفذوا كل مشاريعهم الحيوية الثقافية التي توتي فيما بعد للشباب والمجتمع بصفة عامة.¹

4- أن يعتمدوا في تنفيذ مشاريعهم وبرامجهم على التضحية الفردية والجماعية في الوقت وغيره مع عدم التواكل فيها.

5- أن يكون بين أعضاء الهيئة الإدارية الوئام التام والإخلاص الصادق، والأخوة الكاملة والتسامح والوداد المثاليين مع الرصانة والتعقل الكاملين.

وبهذا وبغيره من الأخلاق الحميدة يستطيعون أن ينتجوا عملا مثمرا ويؤدوا خدمات جليلة للشعب في حقل الثقافة، ومواطن العرفان.

ذلك أن تنفيذ مثل هذه المشاريع، وغيرها يعتمد أول ما يعتمد على التعاون، ... وصفاء وإخلاص، وصدق، ومثابرة على العمل...²

أما أن يتنافر الأعضاء ويتشاجروا، إما أن لا يتعاونوا على العمل ولا يثقوا ببعضهم بعضا، إما أن يعتقد كل برأيه ولا يلتفت لأقوال غيره، أما أن يرتجل الأعضاء أعمالهم من غير أن تقع المفاهمة فيها بحيث يصبح الأعضاء مشرقين مغربين... أما أن لا يوضح العضو لرأي المجموع فهذا معناه القضاء على كيان الجمعية ومسوخ دستورها، ودوس كرامتها، والاعتداء على شرف المؤسسين لها اعتداء سافرا لا تسمح به الحقيقة، ولا يعترفه الواقع كما هو ليس من الكرامة والإنسانية في شيء، وهذا أيضا تلاشي المبادئ والمثل العليا وفنائها ضحية الأهواء والمطامع الشخصية الخسيسة التي تؤدي إلى اختلال التوازن في سير الحركات الفكرية والعملية، وأخرى بهؤلاء الأعضاء - والحالة هذه- أن يخلو الطريق لغيرهم، ويتركوا المقام لأناس آخرين توفرت فيهم الشروط المتقدمة، ليقوموا بأعباء الرسالة، وتنفيذها على وجه يتماشى مع الظروف، ويلتئم في الوقت نفسه مع الوضع المباشر للنشء والمجتمع.

¹ - يحي بو عزيز، رسالة الجمعيات، الصباح، ع 1536، ص 3.

² - نفسه.

... ورغم ما يقف حائلا دون وجود هذا المجتمع المثالي، بما في الكلمة من معنى، فإن شيئا من العمل القليل يبذل من طرف الشباب والمسؤولين الرسميين وغيرهم إلى جانب مجهودات بعض الاجتماعيين من رعييل الشعب، يستطيع أن يكون شبه مجتمع على الأقل يتسلم منه النشء القادم رسالة الحياة ليجعل منها أساسا للبناء والتشييد وتلك هي فلسفة الحياة¹.

تضمنت جل مقالات الطالب يحي بوعزيز التي عنونها برسالة الجمعيات الحديث عن الجمعية وعن أعمالها ومهامها وواجباتها وعن القائمين على إدارتها وما يجب فيهم من شروط، وعن أوضاع الطالب الزيتوني، وعن التزاماته واهتماماته وأهدافه، أنه عمد البلاد الذي تتطلع كل الأنظار له وتأمل في أن يكون منه المحامي والمهندس والطبيب والقائد... ثم في آخر مقال من هذه السلسلة يتحدث عما إذا كان العرب قد نجحوا في حركة التصنيع والاختراع التي تخمت منها الأمم الغربية في حين ليس للعرب والمسلمين منها أدنى شيء حيث يقول في هذا المجال: "... فأنا هنا ناقل لك أيها القارئ العزيز فقرات عديدة من مقال طويل للكاتب السويسري تيبور ميد نشرته جريدتنا الغراء (الصبا): كي تعلم كيف ينظر إلينا الغرب وما هو معتقده فينا في الماضي والحاضر، يقول تيبور ميد: " إن العلاقات الاجتماعية في الشعوب الإسلامية، تقوم على أساس وجود الإقطاعية، ولا تبذل إلا جهودا قليلة لمداواتها من هذا المرض، بل إننا نستطيع أن نقول أن العالم الإسلامي الذي يمتد من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلنطي لم يبين حتى الآن مصنعا واحدا حتى أن المرء يتساءل: هل هي مجرد الصدفة وحدها التي جعلت من هذا الحزام الذي يمتد فيه العالم الإسلامي في ثلاث قارات يتكون كله من الصحراء)².

يعلل يحي بوعزيز على هذه العبارات قائلاً: وبالوقوف قليل عند هذا الحد من النص يتبين لنا بالكاشف أننا معشر العرب والمسلمين محاكون بجحافل من الوحوش الضارية التي تبغي تهميش ما تبقى من عظامنا بعد أن سلخت منا اللحم، وشربت الدماء... وبينما تتدفق في

¹ - يحي بوعزيز، رسالة الجمعيات، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

² - يحي بوعزيز، رسالة الجمعيات 6، الصباح 6 فيفري 1957، ص 3.

بلاد الغرب الابتكارات المنتجة عن عمل جماعي، نجد مفكري العرب والمسلمين في العصر الحاضر يشحنون قرائحهم في التفرقة بين مرده الجن وأبالسة الشياطين... أليس هذا من المهازل التي يتندر بها الأجيال مدى التاريخ؟ ألا يكون هذا عار علينا معشر العرب ونحن مقبلون على عهد من التطور الجديد؟ وأعجب العجب في كل هذا أننا اليوم نحارب الاستعمار في كل رقعة من بلادنا بوسائل هي من إنتاجه وثمار مفكره من غير أن نسأل أنفسنا هل يمكن أن تسمر هذه الحال؟... وخبرني بربك أيها القارئ: بعد أي دولة من دول العرب والإسلام فكرت أو تفكر في تصنيع البلاد واختراع الأشياء؟ وأي مسئول من مسئولي هذه الأمم فكر هذا التفكير وقرأ الحساب لما عليه الغرب وما آلت إليه حالة بلاده هو؟¹.

إنّ الرصاص والرشاش والمدفع والطائرة والقاطرة والغواصة والنافورة والباخرة كلها من أملاك الاستعمار، وليس هم العرب والمسلمين فيها سوى التسابق إلى شرائها بالصفقات من طرف (أسيادهم) الغربيين مفتخرين بتمكنهم من الحصول على هذه العطايا بعنوان: الدفاع عن البلاد والوطن، والمخجل في الأمر أن هذه الأسلحة التي يتحصلون عليها أنها من فضلات الحرب التي لا تصلح إلا بعد إدخال الإصلاحات الجوهرية عليها.

ولكن العرب لا بأس أن يتسلحوا بمثل هذه المخلفات، ما داموا في نظر الغرب والواقع أذئابا لهم، وعبيدا يسخرونهم لمصالحهم.

يواصل الطالب بوعزيز حديثه ويوجه تساؤلات إلى فئة الشباب كونهم، بناء المستقبل، هذه كل مجهوداتنا يا شبان القرن ولا أقول يا ساسة لأنهم أغوتهم المادة والكراسي؟ أهذا كل تقدمنا الذي ينبغي به أن نفوق أمم الغرب، أهذه هي حضارتنا التي انبثق معينها من بيت الحكمة ببغداد والقيروان ومن... إشبيلية... وغرناطة الموقف مخجل، ووضعية العرب اليوم تبعث بالألم والحسرة... نتقنا اليوم الحركة الآلية الميكانيكية، وإنما لكوننا رغم ما يحوط بنا من الغرب ما زلنا نعيش في طور من الخلافات من أجل توافه لا

¹ - يحي بوعزيز، رسالة الجمعيات 6، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

قيمة لها غرسها الاستعمار فينا وأنفق وينفق الأموال الطائلة كي تبقى مستمرة على أشدها...، ولو كان العالم العربي اليوم دولة واحدة ترى هل أن الغرب يستطيع أن يشتم ولو إلا رياح تهب من شوامخ الجبال؟¹

... على الأمم العربية الإسلامية أن تتعظ بالوضع الراهن بحيث توجه الشباب إلى العمل في أشياء تجدي نفعاً للوطن وتدر أرباحاً للمجتمعات... فعلى الحكومات أن تشجع الجمعيات المحلية كما تمدّها بإعانات مادية ومعنوية... فنرجو من الجمعيات أن تغيّر سلوكها وتكيف اتجاهاتها بحيث تكون اللجان للبحث، نرضى أن تكون بسيطة في أول الأمر على أن تترقى شيئاً فشيئاً، ويا حبذا لو تكون أول لجنة عملها هو ربط الاتصال بين مختلف الجمعيات الصناعية في العالم الذي يسمح لنا باستجلاب خبراء وفنيين يتلقى شبابنا من لدنهم المعلومات مع شيء من التطبيق... أما أن تستمر في إقامة الحفلات منتهزة، أما أن تبقى فقيرة من التفكير الجدي الذي يرفع الأمة درجات، أما أن تختار المناسبات لاقتناص الأموال... فهذا ما لا نحتاجه².

يمضي الطالب يحي بوعزيز بقلمه ليخط مقالا تحت العنوان العريض التي وضعته جريدة الصباح فضاء للطلبة الجزائريين الذين يهتمهم تسخير أقلامهم للحديث عن قضية وطنهم وبإمضاء صاحبه يعنونه بـ"جيش التحرير في الميدان" يتحدث فيها عما رواه له صديقه الجزائري الذي كان قد زار البلاد في مدة وجيزة وكان بوعزيز غائبا عن وطنه لمدة تفوق العشرة أشهر، فيروي لنا ما سمعه من صديقه: "دخلت أرض الوطن عبر الحدود الشرقية، وجلت مختلف المناطق الشرقية في الولاية الأولى من تبسة إلى الأوراس إلى الصحراء جنوبا وقضيت في كل جهة مدة من الزمن تقلبت في عدة مسؤوليات وقمت بما يوجبه الدفاع وكان جيش التحرير البطل يجول في الميدان، يحصد جيش الاحتلال، ويفتك بالخونة الأندال حتى داخل معسكرات العدو، وساعد جيش التحرير في مهمته التحريرية انصياح الشعب للثورة، وانقياده لأوامر جيش وجبهة التحرير عن رضى وطواعية مما

¹ - يحي بوعزيز، رسالة الجمعيات 6، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

² - نفسه، ص 3.

جعله ينتصر في كل الوقائع، ومن حنكة الجيش أن كل عملياته الحربية لا يقوم بها إلا بعد إحكام وتنظيم العدة، والاطلاع على أسرار العدو بواسطة الشعب وخلايا الجبهة، فعشت شهورا في ميدان المغامرات التحريرية حينها أيقنت جازما أن الشعب الجزائري سينتصر، وسيحقق للأمة الجزائرية حريتها... واقتضت الظروف، وفرضت الأحوال أن انتقل إلى بلاد القبائل بقسميها الكبرى والصغرى، وأخذت الطريق مع ثلة من الإخوان المجاهدين عبر الجبال والهضاب، من مركز إلى آخر متنقلين بين معسكرات جيش التحرير ومعاقله المنيعه وفي كل معقل نجد أسود المعركة، وقادة الميدان بكل استعداد للقضاء على أعدائهم... وهكذا حتى وصلنا إلى جرجرة موطن الأحرار حيث ساعدنا الحظ على مقابلة الكولونيل او عمران، والقائد كريم بلقاسم، والصاغ عميروش... وغيرهم من أبطال الثورة...¹ وبعد أداء المهمة في جرجرة (القبائل الكبرى) قفلت وأصحابي راجعين إلى الولاية رقم واحد، وقضت الظروف بأن أمر على مسقط رأسي (الماين) بالقبائل الصغرى وقبل وصولي علمت أن العائلة كلها فُنيت فناءً ولم يبق منها إلا الأم وحدها... وفي أول وقوفي عند الباب رأيت الأم قاعدة في زاوية الخيمة المهدمه، فتبسمت وكشفت عن الرشاش، وعندما أردت أن أتقدم إليها وقفت وقال: قف، فوقفت، فقالت: قسما بالله وإيماننا بالثورة لو أنك جئت غير مسلح ما استقبلتك ولا نظرت في وجهك... إن كل واحد لم يحمل السلاح ولم يثر على الطغيان هو خائن... وعلى ذكر القبائل الصغرى وقع فيها ما وقع... إذ أن معظم القرى تهدمت ولم يبق فيها إلا القليل، بحيث أصبحت المنطقة خرابا... أما نشاط الأمة والشعب وعمل المجاهدين، والفدائيين، وأما تماسك الشعب حول بعضه البعض، أما التحامه في الثورة فالحديث عنه يطول ولا تقي به الصفحات².

وحسبك أن تعلم من نظام الجبهة أن الشعب كله مجند، ولم يبق هناك من أحد يفكر في غير الثورة، أو يعمل بغير الثورة، وحسناً فعل جيش التحرير هناك عندما تولى هو بنفسه تموين الشعب على أن يقوم بتسيير أوامر الجيش، ويقوم بدور الكفاح إلى جانب المجاهدين... وإذ نعود إلى أعمال جيش التحرير البطولية فاذا ذكر أنه وقعت هناك معارك في

¹ - يحي بو عزيز، جيش التحرير في الميدان، الصباح، 1957/3/28، ص 3.

² - نفسه.

أغلب المضائق كبني حالة، ومزراقف، وقرفور، وتاموقرة، والمالين والجعافرة، وبني حمزة، وبني ورتلان، وقنزات، وقرفور، وزمورة، وبني حافظ، وبني معوش، وصدوق، وسيدي عيش، وأقبوا، وبرج بوعريريج ومجانة والبيبان، وقلعة بني عباس...، وكان جيش التحرير المظفر المنتصر قتل من جنود الاحتلال وضباطه وقواده، الشيء الكثير، لم يطلع عليها العالم في الخارج... إن الشعب الجزائري في الداخل متماسك يشد بعضه بعضا من مراكش إلى تونس وأنه مستعد لخوض المعركة عشر سنوات أخرى إن لزم الأمر ولديه كل المعدات وعنده كل ما يكفيه ليواصل المعركة بكل قوة تعجز فرنسا¹.

يختم صديق يحي بقوله: هذه هي قصة جيش التحرير والشعب في الميدان روين لك منها طرفا صغيرة، وها أنا بعد عشرة أشهر اجتمع بك،... ولا أدري بعد هل إنني سأبأ هنا أم يقصر بي المقام.

وكل ما أؤكدك لك هو أن الشعب الجزائري مصمم على مواصلة الكفاح حتى الاستقلال وليس غير الاستقلال وتؤكد بأن الأمة الجزائرية كلها يتسابق أفرادها إلى ميدان الاستشهاد، وطب نفسا يا أخي، فإن هذه الشردمة الباغية من الشعب الفرنسي لا تخيفنا، وأن هي إلا كما قيل:

لا يضيف الشعوب فرْدُ ظلوم ويخيف الأفراد شعب جسور

إنما الشعب في الملمات أعمى هل رأيت البركان كيف يثور.

وبعد تأليف أبي القاسم الشابي كتابه الذي عنوانه بكفاح الشعب، فكتب الطالب يحي بوعزيز عرضا مقتضبا يعلق فيه عن الكتاب عنوانه بـ (حول كتاب البعث: ماذا في كفاح الشابي؟)، وهذا بعض ما جاء في المقال:

¹ - يحي بوعزيز، جيش التحرير في الميدان، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

الثورة، الثورة، وليس غير الثورة دائماً، وفي كل مراحل الحياة وآفاقها المديدة البعيدة، وما أحوجنا لكل من يذكرنا بالثورة، ويلقنا مبادئها السامية، ويعلمنا كيف نتقمصها بينما نحن نسير إلى الأمام قدماً، وخطوات نبغي العلا، وننشد الكمال والعظمة.

وتسألني بعد، قارئ العزيز: ما شأن الثورة وهذا العنوان؟ وأي علاقة تربطهما؟ وأجيبك على لسان الشابي مردداً:

ألا انهض وسر في سبيل الحياة فمن نام لم تنظره الحياة

نعم انهض وسر في سبيل الحياة، وإلا فإن القافلة، قافلة الثورة ستفوتك وتتجاوزك إلى غيرك، بعد أن تتركك يتيماً، طريحا بين أيدي المستعمرين الماهرين.¹

... إن كتاب كفاح الشابي، ليس من الإنتاج الجديد إذا نظرنا إلى تاريخ طبعته الأولى فإن عام 1954م، كما أنه لا يحتوي على أشياء غريبة عنا إذ نجدها في كتاب آخر تداوله الجميع هو (الشابي حياته وشعره) للمؤلف نفسه، ولكن الجديد في كتابه (الكفاح) هو أنه عندما تعود إلى قراءته في عام 1957م، وفي شهر فيفري يذكرنا بالثورة ويشعل فينا نار الكفاح التحريري، ويوقد براكين الجهاد المقدس، ويدفعنا إلى نبذ الخرافات الكلامية لكي نتشبث بالعمل، ونمسك بزمام البناء والتشييد.

... يذكرنا بأن طرد الغاصب من بلادنا وتطهيرها من أولئك الذين افتكوا منا حرياتنا وسلبوا منا استقلالنا وكرامتنا، كل ذلك في إمكاننا.

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر².

ولئن قال الشابي:

أبارك في الناس أهل الطموح ومن يستلذ ركوب الخطر

¹ - يحي بوعزيز، جيش التحرير في الميدان، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

² - يحي بوعزيز، حول كتاب البعث، ماذا في كفاح الشابي؟، الصباح، فيفري 1957، ص 3.

فقد قال من قبل:

ومن لا يحب صعود الجبال
ويعيش أبد الدهر بين الحفر¹.

وهكذا أيها القارئ العزيز يناديك الشابي منذ عشرين سنة ونيف كي تصعد إلى الجبال لتطلق من على قممها شهب الرصاص والقنابل على الاستعمار الغادر الذي كثيرا ما اعتدى على كرامة حريمك، وداس شرف أهلك، وسلب حقوق وطنك وكل هذا من أجل أن لا تبقى بين حفره العميقة تتخبط وسط مؤامراته الدنيئة... إنَّ الشابي كان مؤمنا بالثورة، موقنا بوقوعها، ولذلك تراه ينذر الاستعمار بقرب انقراضه فخاطبه هكذا:

سيجرفك السيل سيل الدما
ويأكلك العاصف المشتعل

ويختم بوعزيز مقاله بالكلمات التالية: ... ولذلك فإني إذا أحثك على قراءة كتاب كفاح الشابي، إنما لأجل أنه يذكر بالثورة، ويدعوك إلى الثورة، ويعلمك كيف يمكن أن تحيا عزيزا، وتعيش كريما أما غير هذا فلا أرشدك إليه.

لقد كان الطالب يحي بوعزيز من الأوائل الذين ملئوا صفحة الجزائر في معكرة التحرير، وكل يوم كان يكتب مقالا يعالج فيه موضوعا تدور فحواه حول ما كان يشغل بال كل جزائري، وها هو اليوم يسخر قلمه لمقال عنوانه "من اعترافات لاکوست: تحيا الجزائر حرة مستقلة جاء فيه ما يلي:

حمل إلينا العدد السابع من جريدة المقاومة الجزائرية الصادرة بتونس، منشورا يحمل اسم جيش وجبهة التحرير الوطني، زوره علينا الوزير العابر لاکوست، يدعو فيه الشعب الجزائري إلى عدم الامتثال للإضراب العام الموقف الذي دعت إليه الجبهة والجيش.

¹ - يحي بوعزيز، حول كتاب البعث، ماذا في كفاح الشابي؟، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

والمنشور طريف للغاية في بعض مساراته التي إن دلت على شيء فإنما تدل عن قرب ساعة الخلاصة للشعب الجزائري، ودنو أجل المستعمر لحظة ف لحظة، وسرعته إلى النهاية المحتومة، نهاية الفناء والاضمحلال بكيفية عجيبة.¹

والمنشور من جهة أخرى اعتراف صريح من طرف لاكوست بكيان الشعب الجزائري، وشرعية مطالبه العادلة المتمثلة في استرجاعه لحريته واستقلاله، كما هو اعتراف منه لا تنقصه الصراحة بنذالة المعمرين وخطرهم على المستقبل الجزائري. يقول في طالع المنشور مخاطبا المسلمين: "ردوا بالكم وحاذروا أنفسكم، المستعمرون يحبوا أن يغلطوكم" هكذا يحذر لاكوست إخوانه بصريح العبارة، أما ما ختم به المنشور فهو قلوه: تحيا الجزائر حرة مستقلة وهي جملة مر طعمها على لاكوست ولكنه رام من ورائها إغراء الشعب الجزائري على التهاون بأوامر قادته الأحرار والإعراض عنها، كي يتسنى له بعد تسليط نيرانه الجهنمية عليه آخر الأمر كعادته في الاضطهاد. ونحن عندما نقف عند هذا نجد أن لاكوست قد أفلس إفلاسا تاما في سياسته الاستعمارية، وأعوزته الوسائل العسكرية الغاشمة أن يقضي على المقاومة الجزائرية، فعمد إلى وسائل التزوير والكذب، من غير طائل عساه أن يطرب نفسه على الأقل، وبعثه بلهه وهوسه إلى انتهاج طريقة التدليس والمخادعة في سبيل إغراء الشعب وتضليله وتعمية السبل أمامه.

ولكن الشعب الجزائري الأبى على علم بكل المكائد والدسائس، خبير بأباطيل لاكوست ومغالطته أشد الخبرة، ولذلك لم تنطل عليه تلك الأقاويص المزورة على جيشه الفتى وجبهته، بل تأكد لديه بواسطتها أن لاكوست ومعه جلاده أصبح معزولا عن بقية القطر الجزائري لا يأتى بأوامره إلا حاشيته المعمرين والدليل على ذلك تقمصه لوسائل الجيش والجهة التحريريين، واستعماله كرها لتلك العبارات التي يحارب من أجلها الشعب الجزائري المكافح داخلا بكل صفوفه غمار الثورة في انتظار المعركة الأخيرة الفاصلة.²

¹ - يحي بوعزيز، جيش التحرير في الميدان، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

² - يحي بوعزيز، الجزائر في معركة التحرير: تحيا الجزائر حرة مستقلة، الصباح، 2 فيفري 1957، ص 3.

ومن هنا فقط، وهو من بين عشرات الأمثلة والأدلة، ندرك أن الشعب الجزائري انصهر بكليته في كيان جيشه التحريري دستوره... وارتدى في أحضان الجبهة العتيدة التي تمثله حقيقة في الميدان الداخلي والخارجي.

والجديد في الأمر هنا هو انصهار لاكوست نفسه في الجيش والجبهة وانضمامه (بدون شعور منه) إلى صفوف الشعب عندما أصبح ينادي في مناشيره المزورة: " تحيا الجزائر حرة مستقلة" محذرا "إخوانه" لمسلمين من خطر المعمرين، ومصائبهم الجهنمية الغاشمة ونحن لا يسعنا إلا أن نضيف صوتنا إليه مؤكداً فداحة عقوق أولئك الرجعيين من غلاة المعمرين، وسدنة الاحتلال وفقهاء الاحتكار والاستثمار، وما نفك نعلن مرديين " تحيا الجزائر حرة مستقلة" في أحضان الإخاء والمساواة والعدل والإنصاف، والراحة والاطمئنان، وليس غير الحياة في ظل الحرية والاستقلال، ولن يكون إلا الحياة في ظل الحرية والاستقلال للشعب الجزائري، إذ فلتطلب نفس لاكوست لحرية الجزائر، ولتعلم بأن شعب الجزائر مصمم على نيل حقوقه بالسيف والرشاش، بعد أن لم يفد القول اللين والملاطفة الحسنة وليتأكد لاكوست ومعه ماسو وموللي ولوجون بأن الثورة الجزائرية لم تقم على أساس التضليل والخداع وإنما ارتكزت على برامج منظمة، ودساتير مسطرة بدماء الشهداء: شهداء قادمة وسيطف وعنابة، وعموشة وخراطة ووهران وبجاية وتبسة وبالبيسترو والأصنام ومعسكر وتيموشنت وتلمسان وليبيان ومجانة وبسكرة والأغواط والقزارم وغيرها، ولينعم لاكوست في قصره الصيفي ما أمكن وليعط أوامر التقتيل والتشريد، والتهديم والتخريب كيف شاء، فإن الشعب الجزائري مصمم على التضحية الكبيرة في سبيل استقلاله وحرية، ولن يقف دونه والوصول إلى أهدافه أي شيء من عوامل التزوير والمغالطة، والفتك والمماطلة¹.

فتزوير لاكوست (العابر) المناشير باسم الجيش والجبهة التحريريين كان هو الآخر من جنس ما قام به بينو موللي الاشتراكي، وماسو صاحب الفرق الموسيقية، وهدايا الحلويات، والشيء من ما تاه لا يستغرب.

¹ - يحي بوعزيز، تحيا الجزائر حرة مستقلة، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

إن جهاز المخابرات السرية لجيش وجبهة التحرير، فوق ما نتصور يا لاکوست وهو من الإحكام والتنظيم بمكان بحيث تتيقن سلفاً بأنك لا تنال منه شيئاً، وبفضله سيواصل الشعب الجزائري كفاحه، ولو عشر سنوات إن لزم الأمر، وأبيت أن تنصاع إلى الحقيقة، وتنقاد إلى الواقع.

ويختم مقاله بالعبارات التالية:

وعلى كل حال فإن الذي ننتظره يا لاکوست قد ضرب عليه جيش التحرير وجبهة التحرير خطأ بالأحمر، وقد وقف الشعب الجزائري كله من ورائهما صفا واحداً مكتلاً ينتظر الإشارة منهما ليقوم - كما قام- بالجملة الأخيرة، وعند ذلك لا يسعك إلا أن تصيح معه مردداً تحيا الجزائر حرة مستقلة.

وكما ختم لاکوست منشوره القولي بهذه العبارة، فإن الشعب الجزائري سيختم كفاحه عملياً بنتيجة هذه المقولة (تحيا الجزائر حرة مستقلة).

وفي العدد الموالي يكتب الطالب بوعزيز مقالاً تشكورياً يتقدم فيه بتحيةة إكرام وإخاء وحب وتقدير لمراسل جريدة الصباح بالقاهرة تحت عنوان (تحية القاهرة)، جاء في مقدمته ما يلي: ... وأخونا محمد العيساوي الجمني من الذين تربطه بأخيه الطالب الجزائري وشيجة الروح الأدبية وصلة الإنسانية الخالدة، عرفت الجُمَني أثناء دراسته في التعليم الابتدائي، وبعض من الثانوي، فوجدت فيه أخواً يتقيد بالحماس الوطني ويتحدث بلغة المغرب العربي الكبير، ينتقد من يستحق النقد، ولو كان أباه، وينصف من الإخوان كثيرهم الذين عرفوه أيضاً، فوجدته يشتغل بالوطنية والوطن ما زال بعد لم يحرك ساكناً، صاحب آراء ومبادئ يموت دونها ما دامت صالحة¹...

أخي الجمني إنَّ أخاك - عفواً - شقيقك الطالب الجزائري يحييك من تونس وكله أمل في أن يتحقق للعروبة ما تسمو إليه، وكله أمل في أن يعجل الله النصر للشعب الجزائري المجاهد من أجل الحرية في سبيل الاستقلال، وطب نفساً يا أخي الجمني بأن شقيقك الطالب

¹ - يحي بوعزيز، تحية القاهرة، الصباح، ع 1668، 1957، ص 3.

الجزائري الذي يتجشم مثلك آلام الحرمان والتشرد، والفاقة وكل ما يخطر بالبال من ألوان الحرمان لهو في الطبيعة يكافح بكل ما أوتي من قوة حتى يحقق للأمة العربية ما تصوب إليه وللجزائر استقلالها وحريتها في ظل الوحدة العربية ووفق دستور القومية العربية.

أجل إن الطالب الجزائري ليود اليوم لو كان باستطاعته أن يحمل التحية بنفسه إلى هناك، ولكن بحمد الله وللصباح التي كفته هذه المشقة، مشقة السفر والتي كلفت نفسها إبلاغ تحيات الطالب إليك وإلى كل الإخوان هناك.

ويختتم بوعزيز مقاله ببعض الوصايا التي تخدم الأمة العربية قاطبة فيقول... وكل ما نتوأسى عليه هو العمل أخي كل في ميدانه: العسكري في الجبل والفدائي في الأرياف والمسبل في السهول والسياسي في العواصم والطالب في المعاهد والكاتب في دور النشر، وحتى نصل بهذا المغرب العربي الكبير إلى قمة المجد والعلا، وعوامل النصر لنا وعطف الشعوب الحرة يساندنا والأمم العربية إلى جانبنا، والدول الصديقة تناصرنا وتعمل في عجلتنا، وليس الموقف موقف تفاؤل، وإنما هو حضيرة عمل جدي في جو الإخلاص والمثابرة، أما الاستعمار فنهايته السيئة بأيدينا، وزر انهزامه وخذلانه وتقهره، تمسكه بدعم القومية العربية من الخليج الفارسي إلى شواطئ الأطلس، وعمما قريب سيتحقق للجزائر استقلالها وللعروبة آمالها¹.

وكتب الطالب مجموعة قصائد تنوعت مضامينها بين السياسة والاجتماعيات استهلها بقصيد لخص فيه الجزائر وقضية إدراجها في جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة بعنوان: "الجزائر والأمم المتحدة" جاء فيها ما يلي:

النار هي الحكم...

للغز تناهت جون فحواه الهمم فرمته في أرجاء جمعية الأمم
واللغز ليس يحله إلا رصا ص الثائرين إذا تهاطل، الديم

¹ - يحي بوعزيز، تحية القاهرة، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

المجمع الدولي في أوراس لا
حرية الأوطان يا عاشقها
لا تطلبوا حكما لها في مجلس
المجمع الدولي في تلك المغا
صفحاته جثت العدا، ويراعه
في عالم يرعى عواطف من ظلم
في النار، في الرشاش، في تلك القمم
النار في قمم الجبال هي الحكم
ور، حيث تنطلق الرصاصة كالنغم
رشاشنا، والحبر من دمع وشم

بينو يخطب...

بينو خطيب، فكنت خطبا لبيت شعري
قالوا سردت مجلدا من ألف ليلة
كيف أنت؟ ألم يخامرك السام
وليلة ما أسخاك في دنيا القلم¹.

الإخاء والمساواة

شعب الجزائر، ثرت لا متسولا
ترجو فرنسا، أن تمدك باللغم².

غمرة وستجلي

لا تباأس يا شعب من بلواك إن طالت،
المجد في الدنيا بلا عين مؤرق—
ولا تباأس إن الليلى ادلهم
ة، ولا كف مضرجة بدم³.
كما كتب عن مناسبة العيد وأجوائها في الجزائر البلد الواقع تحت وطأة ونير
المستعمر الظالم بعنوان "يا عيد لذ بالشاهقات"، هذه بعض الأبيات التي وردت فيه:
يا عيد ما أغنى الجزائر عن مجيئك، وهي في حسك المظالم ترتع
تمسي، وتصبح صوب فوهة مدفع ويقضي مضجعا بليل مدقع

1 - أبو عبد الله صالح الجزائري، الجزائر والأمم المتحدة، الصباح، 17/02/1957، ص 3.

2 - نفسه، ص 3.

3 - نفسه، ص ص 3، 6.

يا عيد لذ بالشاهقات، ففي رؤا
ها عن وجودك في العواصم مقنع
نحن على الطغيان، وهو أعز عي
د، دونه الأعناق كم تتقطع
فإذا تحقق يوم تحرير البلا د،
وبندنا في الأفق حرا يرفع
فهي السعادة والمسرة كلها
وهو الكفاح ونصره المتوقع¹.

كما كتب قصيدة عن نفس المناسبة ضمت 50 بيتا، هذه بعض الأبيات منها:

عيد ولا عيد

ألقاك يا عيد يبسم
والقلب ينزف من سو يدها الدم²
يا عيد أمهلنا شهورا نحتفل
بك يوم في حق المصير نحكم
لا يقلقناك الانتظار فجيئنا
الغازي على نيل الحقوق مصمم
يا شعب أنت الحر فاستعجل
خطاك ولا تقف فالحر لا يستسلم
لرواية التحرير أنت ممثل
وفصولها بالنصر منك ستختم
ما ضاع يا شعب الجزائر
فأعتقدها- حق مظلوم عليها جرى الدم.³

وكتب صالح أبو عمر قصيدة "بطل الثورة الجزائرية" تألفت من 40 بيتا، هذه بعض الأبيات التي وردت فيها⁴:

قف على منبر الخلود وحي
منه روح الأمير عبد القادر
حي رمز الكفاح، من بذل النفس
بسلاح الفدا لتحيا الجزائر

1 - أبو عبد الله صالح الجزائري، يا عيد لذ بالشاهقات، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

2 - أبو عبد الله صالح، عيد ولا عيد، الصباح، 1957، ع 1657، ص 3.

3 - نفسه، ص 3.

4 - صالح أبو عمر، بطل الثورة الجزائرية، الصباح، 23 مارس 1957، ص 3.

طـفـح الكـيل يا فرنـسا اسـتغـيـثـي بحـلـيف، واسـتـنـجـدي بالعـساكـر¹

وكتب أيضا صالح أبو عمر عن مناسبة العيد قصيدا بعنوان "العيد والجزائر" ضم
33 بيتا، هذه بعض الأبيات منه²:

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| أيها العيد إذا ما احتفلات | بك أقطار وحيثك أمم |
| فلقد حيّاك أبطال الجزائر | نر بالمدفع من أعلى القمم |
| حيث يحدو بهم نحو العلا | وامتطاء العز والمجد شمم |
| ركبوا الأرواح للمجد برا | قا، وخاضوا للردى كل خضم |
| سيؤوبون بنصر الله يد | دو بهم من فوقهم ذاك العلم |
| أيها الأحرار لا عيد لنا | أو نرى رايتنا فوق العلم |

وكتب الأستاذ احمد توفيق المدني مقالا بعنوان "شاعر من الجزائر" يتحدث فيه عن
الشاعر الشاب أبو القاسم سعد الله جاء فيه ما يلي³:

(أصدرت "دار الفكر" في القاهرة ديوان "النصر للجزائر" للشاعر الجزائري أبو
القاسم سعد الله، وشعب الجزائري العربي الذي أنجب "جيش التحرير" وحقق ثورة الجزائر
التي هي معجزة العرب في هذا العصر فشاد البطولة نضالا قبل أن يصوغها شعرا، ينشد
اليوم هذه البطولة ويتغنى بها على لسان شاعر هو أبو القاسم سعد الله، وإنها لظاهرة فذة
حقا أن يقدم لهذه المجموعة مناضل هو الأستاذ أحمد توفيق المدني رئيس مكتب القاهرة
لوفد جبهة التحرير فجعل الشعر سلاحا بتارا من أسلحة المعركة، وضع الشاعر فيها فؤاده
ولسانه ويده في خدمة القضية القومية، قضية تحرر الجزائر، ووحدة المغرب العربي بل
وحدة الأمة العربية بجناحيها في لمشرق والمغرب).

¹ - صالح أبو عمر، بطل الثورة الجزائرية، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

² - صالح أبو عمر، العيد والجزائر، الصباح، 11 ماي 1957، ص 3.

³ - أحمد توفيق المدني، شاعر من الجزائر، الصباح، 1957، ص 4.

فشاعرنا المبكر أبو القاسم سعد الله قد صور لنا ولمن يأتي بعدنا صوراً حية عن الثورة الجزائرية التي يحيها الشعب الجزائري، حياة صعبة، مرة، والتي لا تنتهي إلا بفوزه وتحقق أمانيه.

هي ثورة في السياسة ثورة في الدين وثورة في الاقتصاد وثورة في الثقافة وثورة في ميادين الاجتماع، فمن تأمل قصائد ومقطوعات شاعرنا الناشئ، الثائر رآها تعبر عن جميع تلك الأحاسيس، وتختلج بكل تلك المشاعر، وتتناول بيد الفنان الملهم مختلف عواطف الشعب وزفراته وآلامه وعذابه وآماله، فتصوغها دون تكلف شعراً سامياً، إن لم يرض كل جزائري عن ألفاظه وموازينه، وقوافيه، فأنا أؤكد أنه يعبر أصدق تعبير عما تجيش به نفس كل جزائرية وجزائري، وكلهم جنود هذه الثورة الجامحة وأعوانها، فهو يمثل لنا الشعب الجزائري الذي تحمل إرهاب الاستعمار طيلة مائة وثلاثين سنة وكبله بأغلال العبودية، وضرب على نفسه العزيمة الأبية ذلاً ومسكنة، فما رضح يوماً لضيم، وما استكان يوماً لاستعباد، وما وهنت له قوة، فكان حاله كما صورته لنا ريشة سعد الله الماهرة.

أترانا لو رضينا بحياة الذل، والعيش المهير

فتضرعنا وقبلنا النعال، وكان مدمعنا هتون

نعصر الرحمة من قلب الجلاميد ونستجدي المنون

أترانا نمنح الحق، ونعطي عيشنا الحر السجين؟

كلا، لم يحاول الشعب الجزائري ذلك، ورأى رأي العين، خلال التجارب التي عاشها والكارثات الاستعمارية التي أصابته، إن هذا الاستعمار الفرنسي القاسي الغاشم، لا يلين ولا يرحم.

إنه استأثر بالأرض الجزائرية كلها، دون شعبها، واغتصب ما فوق الأرض من خيرات وما تحتها من معادن ومناجم واستعمل أبناء الأحرار عبيدا يسومهم سوء العذاب، وينكل بهم فيمعن في التنكيل، ويهينهم إلى أن يمزق قلوبهم ويحرق أكبادهم إنهم أصبحوا مع

الاستعمار، كالسائمة بل هم، دون غلو وإغراق، قد أصبحوا شرا من السائمة، فيقولون على لسان سعد الله:¹

حتى متى افترش الحصير

وساكن الكوخ الحقير

وتلوك جنبى الخشونة

ويحيطني قبو العفونة

كالآلة الخرساء أعمال مطلقا

بدراهم وشتائم

لا غاية تدنو ولا أملا طليقا

دنيا من الحرمان والدم الشهيق

فإلى أي أفق نتجه أنظار هذا الشعب الذي حطم الاستعمار فيه كل شيء، إلا الأمل، وابتز منه كل شيء إلا الشرف، وحال بينه وبين كل شيء إلا إيماننا طوعا عليه كشحه وأمجادا نقشت على صفحات قلبه؟

إنه لا ينظر إلا في اتجاه واحد: هو الاتجاه الانتقامي، إنه لا يفكر إلا في شيء واحد هو ثورة عارمة جديدة من ورائها حياة الكرامة والشرف.²

إنه يزمجر ويدمدم، كأسد جريح سالت دماؤه، ولم يصب في مقاتله فيستعد للوثبة الرهيبة ويقول:

¹ - أحمد توفيق المدني، شاعر من الجزائر، الصباح، المصدر السابق، ص 4.

² - نفسه، ص 4.

ولكننا سائرون

فمعدنا الفجر عند النهاية

سنطردهم كالكلاب

ونفنيهم واحدا واحدا

لتبقى الجزائر ملكا لنا

إنني لأشهد شهادة مؤرخ وشهادة سياسي، إنني لم أر خلال ثلاثين عاما قضيتها فوق الأرض الجزائرية الحبيبة، من لم يقل هذا القول ومن لم يترنم بهذا النشيد ولم يهتف بهذا الأمل الثائر فالشاعر يقدم لنا في هذه الأبيات البسيطة في ألفاظها، إكسير العاطفة الحية الجزائرية، التي ظلت تخامر أرواح الملايين من الناس ما يزيد عن المائة من السنين¹.

ثم إن الجزائر عريقة في ثوراتها عريقة في انتفاضاتها الشعبية الكبرى ما كانت هذه أول ثورة لها على الظلم والظالمين، وإن كنا نود أن تكون آخر ثورة في سبيل التحرير، فالشعب الجزائري قد ألقى الثورة ودرج في أحضانها منذ عهد يوغرطة وماسينسا ضد الطغيان الروماني، وما زال يثور ويثور ويثور، كلما مسه ظلم أو داس شرفه معتد، دنست أرضه أقدام محتل دخيل، فهو ينشد، منذ ما يزيد عن الألفي سنة، نشيده الخالد الذي ربما تغيرت كلماته، وتباينت تراكيبه إلا أن معناه قد بقي هو هو لم يتغير إلى أن يتغير المنكر الاستعماري العظيم.

لتمضي السنون، وتسحب خطاها إلى منتهاها

فإننا نسير

على متنها، أو نظير

نصارع أيامها العاصفة

¹ - أحمد توفيق المدني، شاعر من الجزائر، الصباح، المصدر السابق، ص 4.

وخلال هذه الأيام التسعة، وهذه الليالي السوداء، وفي خضم هذا الطوفان الاستعماري الفظيع، أشهد أن الجزائر لم تنس عروبته ولم تتنكر يوماً لأجدادها ولا لأجدادها، فكان شعبها الأبى المجاهد يعاني مع العروبة آلامها ويئن لجراحها، ويستعد للمشاركة في ثوراتها ورفع الدية مجدها.

فما كان الجزائري العربي يوماً أنانياً، ولا أنسته مصائبه يوماً مصائب إخوانه أبناء يعرب الأباة، فشعب الجزائر من بناه وحدة العرب، ومن أول المناادين بالقومية العربية التي تجمع أوصال هذه الأمة الخالدة الممتدة من الخليج العربي إلى سواحل الأطلسي، فمحن الجزائر وآلامها وسكرات الموت الاستعماري التي كانت تعانيها، لم تحل بينها وبين نجدة إخوانها في دم العروبة عندما حلت بساحتها نكبة الصهيونية ودارت عليهم دائرة المتصهينين، فالشعب الجزائري كله كان يومئذ يصرخ مع سعد الله ولا يزال، وهو يعاني أفزع حرب استعمارية قذرة، يصرخ¹:

من فم الأطلس نشدو: وحدة لا تنفصم

من فم الأطلس نشدو: ثأرنا المنتقم

من فم الأطلس نشدو: يا فلسطين الدم.

من هنا من فمه مشحونة بالثائرين سوف يمتد النداء لفلسطين التي تتلو الولاء والتي لما تزال حمراء جرحاً وسلاح للجروح الراحفة.

في بلادي حيث كانت

سوف يمتد الفداء

وأخيراً، كان ما لم يكن من وقوعه بد

وأخيراً نهض الشعب نهضة الجابرة

وأخيراً، انتفض العملاق الجزائري، الشعب الجبار

¹ - أحمد توفيق المدني، شاعر من الجزائر، المصدر السابق، ص 4.

فكانت الثورة الكبرى، وكانت معركة التحرير الكامنة
وكانت الفظائع والجرائم الاستعمارية التي لم يرو لها التاريخ مثيلاً¹.

ثانياً: الكتابات القصصية سنوات الأربعينات ومنتصف الخمسينات

كتب الطالب محمد العربي الذي كان يمضي كتاباته بابلن تومرت، قصة من قصص الحياة تحت عنوان "المهاجر" يروي فيها قصة أحمد الرايس عيشوش البحار المجازف، ولذي لم يكن له مركب قوي مناسب لعزيمته القوية، التي دفعت به للمجازفة ودخول بحر الظلمات، وقد رأى من الريح الغربي أهوالاً لا عهد له بها في البحر المتوسط، والذي جرفت به تيارات العاصفة والرياح القوية، فرمت به للارتطام بمركب آخر فجأة، وكان الظلام حالكا، فيواصل ابن تومرت حديثه قائلاً:

لم يجد البحار وقتاً للتفكير فأخذ يعمل جهده ليرجع إلى سطح الماء ثم يسير بأقصى جهده مع التيار نحو الشرق، ولم يعرف أنه كان بردانا حتى شعر بالدفء، ولم يعرف أن قد عيي إلا بعد أن لمست رجلاه الأرض، ولما وقف أحس بهول العاصفة وبرد الليل وأعياء الجهد، ورأى نفسه مضطراً إلى الانكماش حول مركز رجليه... خذر في مكانه مستسلماً للذة الدفء، وكانت العاصفة هنا لا تكاد تحرك أمواجاً تثير اهتمامه، ولعلها آخذة في السكون، ومع ذلك فقد خسر مركبه، فهل هي الآن في قعر البحر أم قد سلمت؟ إن هذا الآن لا يهم واستلذ بالدفء... وراح يتذكر أيام صباه...²

كتب العربي في سنة 1945م قصة سماها "الرماد" يروي فيها بعض مقتطفات من حياته اليومية وهو صبي، ثم شاب، هذا مقتطف مما جاء فيها:

... أذكر أنني مرة تخلفت في البيت وأنا طفل، لأحمل بعض المتاع، وألتحق بأبي وأبي وإخوتي في المحطة لنركب القطار إلى سان جرمان*، حيث كنا نريد أن نقضي ثلاثة

1 - أحمد توفيق المدني، شاعر من الجزائر، المصدر السابق، ص 4.

2 - محمد العربي، المهاجر، جريدة (تونس)، 15 سبتمبر 1963.

* - سان جرمان: إحدى ضواحي تونس العاصمة تسمى الآن الزهراء.

أيام على شاطئ البحر، وتلكأت في السير، ولما وصلت إلى المحطة وجدت القطار قد تحرك، حاملا أمي وأبي إخواني، فشعرت بوحشة وانقباض وملأت المحطة بكاء ووعولا¹.

كما كتب الطالب محمد بن ددش التلمساني قصة عنونها بالابن الشهيد جاء في مقدمتها: في دار حقيرة في الشبه بالأطلال منها إلى الديار يعيش مراد مع أفراد عائلته عيشة لا يدري أكانت هنيئة أم مكدره، كان طفلا... ولم تكن في وجهه إلا الابتسامة العذبة، ولم يكن يحفل بما يخبئه له القدر من المحن والشدائد، كان متيقنا بأن تلك الابتسامات لا تفارق محياه الصافي أبدا... ثم يواصل بن ددش روايته التي يروي فيها بأنه كان لمراد أبوين محبين لأبنائهما وكان أخوه الأكبر منه جاهلا لا يقرأ ولا يكتب بسبب أبيه الذي أهمله حينما كان طفلا... وهذا ما جعله يعمل في إحدى المصانع ليؤمن لأخيه مصاريف الدراسة وأن يجعل منه شابا مثقفا ومفكرا عاملا لمجتمعه، فكان مراد تلميذا نجيبا تحصل على الشهادة الابتدائية حيث قال له في ذلك اليوم:.... إنني فقير يا بني، والفقير هو الذي أبكاني كنت أتمنى أن أحمل إليك في هذا اليوم هدية ثمينة جزاء فوزك واجتهادك، وكنت أتمنى أن أتفأك... كما يتلقى الآباء الأغنياء أولادهم الناجحين.

يتوسط بن ددش قصته، وها هو يخبرنا بأن مراد صديقه في الجامعة والذي لم ير منه إلا الصدق والنزاهة، والإخلاص لبلاده والاجتهاد في دراسته... لكن جاء اليوم الذي عرض فيه والده الشيخ أن يتخلى عن دراسته ويعين أخاه بالعمل لتحمل مصاريف الحياة. وطلب منه التفكير في الأمر، لكن مراد كان مصمما على عدم ترك جامعته... ولما علم أبوه بعد بأنه لا يزال مصمما على البقاء في الجامعة صمم على أن يعرقل سيره وأن يضطهده بجميع الوسائل... مرت أشهر عديدة قاسى فيها مراد ويلات أبيه، فقرر ترك المنزل، ومر شهر كامل عن غيابه والأم تبكي صباحا ومساء والأخ يبحث عنه في كل مكان، وفي يوم من الأيام بينما كان الأب جالسا وكأنه أحس بخزي الضمير يفكر في ابنه أين هو... وإذا بساعي البريد يسلمه رسالة عليها طابع فلسطين، فتحها الشيخ بسرعة وبلهفة وإذا بالرسالة

¹ - محمد العربي، الرماد، المباحث، 9 جانفي 1945.

مصحوبة بصورة جندي عربي هو ابنه مراد، فاغرورقت عيناه بالدموع ولما فتحها بدأ يقرأ:¹

والدي العزيز: تحية وسلام:

وبعد، لقد غادرت وطني العزيز منذ شهر كامل من جراء اضطهاداتك المنصبة علي... والدي الحنون لقد اغتتمت هذه الفرصة لأكاتبك، ولم يبق لدي وقت متسع، فمكاني ينتظرني بجانب إخواني المكافحين من رجال جيش الإنقاذ وأودعك راجيا منك الصبح والغفران، وطالبا منك تبليغ سلامي لأمي وأخي ولكافة أهلي وأصدقائي، وتقبل اخلاص التحيات من ابنك مراد. - جيش الإنقاذ بيت لحم فلسطين.

مضت ساعتان حتى دق شخص الباب وإذا به موزع البريد يمد الشيخ ببرقية جعلته جاملا لا يتحرك: استشهد ابنك مراد في معركة بيت لحم، عزاؤنا لكم ولكافة الأهل. الإمضاء: القيادة العليا لجيش الإنقاذ.²

وكتب الحبيب بنّاسي قصة تحدث فيها عن "مأساة أسرة": بطلها السيد الطاهر الإنسان الثري صاحب ضيعة جميلة، ومال وسيارات، أما أخلاقه فكانت أجمل من ثرائه بكثير فكانت ضيعته هاته مأوى الضيوف وملجأ المعوزين، ... وأما عائلته فكانت تتركب من والديه وزوجه وولده، وعمّ خيره على جميع جيرانه وعائلات عماله، وإلى جانب هذا فقد طال إحسانه إلى الفدائيين والمجاهدين فكان يعينهم بكل ما يملك من قواه... لكن سرعان ما تفتن له الاستعمار... فألقوا القبض عليهم وعلى الفدائيين، وقام الجنود بإخلاء الضيعة من أهلها فقتلوا بمدافعهم وخربوها عن آخرها، وسبق بالطاهر إلى السجن تاركا وراءه والديه وزوجته الحامل، فأضحوا يسكنون في كوخ مهور، بعدما كان أسياد قصرهم، وبعد مضي شهور عن عيشتهم الضنك حل بزوجته المخاض ولم يكن هناك من معين إلا الشيخ الذي يحوم بالكوخ ويتنصت لعويلها وصراخها... فأنجبت المرأة طفلا ميتا قم لحقت به هي الأخرى، وعندما حل الصمت، اقترب الشيخ منهما فوجدهما جثة هامدة فذرف دمعا بليغا.

¹ - محمد بن ددش التلمساني، الابن الشهيد، الصريح، 21 أبريل 1950.

² - نفسه.

... تغيرت محنة الطاهر بالسجن ولم يكن يعبأ بما يقاسيه لأنه مؤمن بأن راية الحق ستصعد خفاقة وتتكسر راية الباطل، وكان يؤلمه التفكير في شأن عائلته وزوجته... دخل عليه السجن وكان طيب القلب فأراد أن يخبره لما وقع لزواجه لكنه لما وجده على تلك الحالة أشفق وخرج من حيث أتى¹.

مضى الحبيب بناسي في كتابة قصصه التي كانت في معظمها مستوحاة من الواقع المرير الذي يعانیه الشعب الجزائري، وها هو اليوم يكتب عن "شهيد بلا قبر" يتحدث فيها بعجالة عن الطالب الزيتوني الذي عرف بشهامته وصدقه وإخلاصه لوطنه إنه "أبو القاسم زيدون" الذي كتب عنه بناسي هذه الفقرات:

أبو القاسم زيدون ينحدر من أصل عريق في المجد والعلم وأسرته من تلك الأسر القليلة المثال في دماثة الأخلاق والاستقامة والاستمساك بأهداف الدين والغيرة الوطنية.

وأبوه الشيخ الطيّب - وهو من عملاء الجزائر الأجلاء- لم تكن له إلا أمنية واحدة في الوجود، وهي أن يربي ابنه تربية دينية وأن يسهر على تعليمه حتى يكون أميناً بأن يخلفه في تزعم الأسرة.

وبعد أن أدخله المكتب القرآني وحفظ القرآن بعثه إلى الجامعة الزيتونية، وهناك أخذ الشاب يجيل نظره فيما حوله يتأمل الأحداث التي كانت تمر على شقيقتنا تونس، وكان لتلك الأحداث والمخالطة مع شباب تونس أثر في تكوينه، وزادت الغربة فصقلت ذلك الأثر وأتمته، فكان وطنياً من أبرز الوطنيين وداعية من دعاة الوطنية المخلصة.

ورجع ذات صيف إلى وهران مسقط رأسه، وعرف عند الجميع بالوطنية ونظر إليه البوليس نظرة الحقد والكراهية ولكن لم يكن هذا ليقف حائلاً بينه وبين العمل لعقيدته التي رسخت في نفسه، واستمر هو في نشاطه الوطني لا يعبأ بأحد ولا تقف أمامه العراقيل².

¹ - الحبيب بنّاسي، مأساة أسرة، جريدة الزيتونة، 23 مارس 1956.

² - الحبيب بنّاسي، شهيد بلا قبر، جريدة الزيتونة، 2 أبريل 1956.

ونصحه أبوه بالرحيل رغبة منه في تحقيق أمنيته في ظاهر الأمر وهي إتمام دراسته ولكنه في الباطن كان يريد أن يبعد ابنه من تلك المخالب الوحشية الظالمة، لأن أباه من أولئك الذين خبروا الأمور من سبعين سنة خلت، وهو يعرف أن تلك المخالب لا تدع فريستها تفر قبل أن تمتص دماءها، وصادف هوى في نفس الشاب أن يرحل إلى مصر مضيئة الرسل والعظماء لينهل من منابع جامعاتها زلال العلم والمعرفة. كان هذا قصده في الظاهر ولكنه في الباطن كان يستجيب لذلك الصوت النفسي الملح الذي يدعوه إلى استنشاق نسيم الحرية والمشاركة مع الرفاق المهاجرين هناك في السير بالسفينة إلى شاطئ الحرية التي يحبها ويكف بها.

لقد أحب الحرية وهاجر إليها وسيموت في سبيلها لأنه كان حر الضمير نقي الوجدان صافي السريرة.

والحرية لا يعرفها إلا الأحرار ولا يهاجر إليها ولا يموت في سبيلها إلا الأحرار. ورحل إلى مصر ودخل أكبر جامعاتها، وشاء الله - وهو بالقاهرة- أن تثور مصر ثورتها الكبرى وتلهب الثورة عواطفه ليزداد اشتعالا وتجعله شعلة مقدسة من الوطنية الملتهبة الحارة الأنفاس.

كان إذ ذاك يرسل الصحف الوطنية في بلاده وينشر على صفحاتها ارتساماته ومشاهداته في مصر مسطرا فيها خلجات نفسه، معبرا عما يكنه من إخلاص ومحبة نحو الوطن المقدس.¹

بقي هناك ثلاث سنوات، ثم تحصل على "اليسانس" في الآداب وقفل راجعا لبلاده حاملا بين جوانبه علوما ومعارف تنير أمامه الطريق وحاملا في يده مشاعل الوطنية الصادقة.

¹ - الحبيب بنّاسي، شهيد بلا قبر، جريدة الزيتونة، المصدر السابق.

واستمر به المقام في مسقط رأسه بعد غياب طويل إلى أن ألقى عليه القبض بعد اندلاع الثورة الجزائرية بثمانية أيام، بتهمة أنه همزة الوصل بين القاهرة وبين رجال الثورة الجزائرية.

واستمر تعذيبه خمسة أيام عرف أثناءها وحشية الغاصبين، وذاق مرارة التعذيب من كي بالكهرباء وشرب الماء المالح والجلوس على القارورة وتقليم الأظافر إلى غير ذلك من الأساليب التي يضر القلب ذكرها وسماعها.

وإذا كان القلب يضره أن يذكر هذا ويسمعه فكيف يكون حال القلب الذي يطاوع صاحبه على ارتكاب هذه الجرائم البشعة؟

والذي زاد لهذه الجرائم شناعة أنها تقترف باسم الإنسانية والمدنية.

ويا ما أنكد الإنسانية وأقسى المدنية إذا كانت هذه الأفعال مدنية وإنسانية حقاً.

لقد كان غرض البوليس من تعذيبه أن ينتزع منه الأسرار وحاول أبو القاسم أن يقنعهم بأن لا أسرار ولا سلاح وأن كل ما لديه هو أنه وطني وهذا مسلم به منذ زمن. فإذا كان هذا جريمة فهو أكبر المجرمين. ولم يكن البوليس ليقنع بهذا بل استمر في التعذيب واستمر أبو القاسم يشجع نفسه ويقاوم الضرب والتتكيل بقلب صبور ولسان يذكر الله ويستحضر الشهادة وذاكرة تذكره بما لاقاه الأبطال في سبيل عقيدتهم.¹

لقد استعذب العذاب وهان عليه الاستشهاد في سبيل الحق والحرية.

وما كانت الحرية غالية الثمن إلا لأن ضحاياها من الأحرار والذي يزيد الناس حبا في الحرية أنها لا تقبل أن يموت في سبيلها طغاة القوم وصعاليك المجتمع. لقد طلعت روحه تحلق في أجواء قدسية خالدة وتركت لهم الجسم يفعلون به ما شاءت لهم قلوبهم القاسية الظالمة.

¹ - الحبيب بنّاسي، شهيد بلا قبر، جريدة الزيتونة، المصدر السابق.

واستسلم للجلادين إلى أن نفذت منه كل قوة، وفقد كل حركة وشعور وإحساس بالحياة وأخيرا خرس لسانه وأضحى الأموات أقرب منه إلى الأحياء.

في تلك الأثناء تدخل مفتش كبير وخشي أن يموت الشاب بين أيديهم، فأمر بنقله إلى الجزائر وأوصى بأن لا يمسه أحد، ولكن وصيته ذهبت أدراج الرياح إذ تصدى له أحد القساة بالتعذيب فمات بين يديه.

وهكذا التحق بموكب الشهداء الأحرار وسجل اسمه في تاريخ الوطن بخط أبيض وآخر أحمر قان.

أين يدفونه الآن؟ لقد ضاقت عنه الأرض ودفنوه هناك في البحر ليلقمه الحوت وتبتلعه الأمواج وتواري شبحة المخيف الذي سيظل يطارد ويوخز ضمائرهم النائمة.

لقد ألقوه مع قنطار من الرصاص وأركبوه زورقا بخاريا وأغرقوه في البحر. وشاءت العدالة الإلهية أن تفضح الظالمين إذ انفصل الرصاص عن الجثة. ومرّ بعد ثلاث أسابيع صياد حوت فرأى جسما يطفح فوق الماء، فأخذه وذهب به إلى الطبيب فقرر هذا أنه مات ضربا وتعذيبا قبل أن يغرق في البحر.

أما أهله فقد أخبروا بأنه فر من السجن، والتحق بالجبال.

ومرت سنة على هذه الحادثة وأهله ينتظرون رجوعه وإطلاق سراحه ولكن مراسل إحدى الصحف الباريسية رفع الغطاء عن هذه الحادثة التي سردت تفاصيلها.

وبلغني النبأ كما بلغ غيري ودفعتني دافع خفي إلى زيارة قبره ولكن تذكرت أن أبا القاسم زيدون شهيد بلا قبر، وكم من شهداء ليس لهم قبور. وتدفقت دموعي تنهمر وتتساقط وأنا أردد قول الشاعر المصري¹:

ذهب الحبيب فيا حُشاشتي ذوبي أسفا عليه ويا دموعي أجيبني

¹ - الحبيب بناسي، شهيد بلا قبر، جريدة الزيتونة، المصدر السابق.

ويواصل الحبيب بناسي كتاباته عن الشهداء، واليوم يحدثنا عن "الدكتور الشهيد":

كنت جالسا مع رفاقي ونحن نتجاذب أطراف الحديث وكان الكلام يدور على محور واحد فقط وهو الكلام عن الجزائر وثورتها، وقضيتها لأن السياسة غمرت جميع المنتديات بحيث لو أنك استجبت لداعي حب الاطلاع الكامن في نفس كل إنسان ومررت تجوب الشوارع وتنتقل بين المقاهي لما رأيت إلا شفاها تنبس والناس تتهامس، ولكنك لو أرهفت السمع لأمكنك أن تفهم بسهولة ماذا يدور بين الناس من كلام حول الجزائر وثورتها التي تتسابق أمواج الأثير على نقل أخبارها.

وما هو مصير الجزائر في المستقبل الذي يبدو بساما عندما تلوح تباشير النصر في الأفق ويبدو عبوسا عندما تعم الأنباء المحزنة: لقد خلع الناس ثوب التحفظ والخوف من الرقابة والجاسوسية التي جندت لها السلطة كل عاطل وفاقد أخلاق.

ومن حسن الحظ أنني كنت في مجلس من ذلك الذي يتحتم على المتكلم أن يستعمل عواطفه وعقله وما أوتي من سحر بيان ودقة تعبير جميعا شأن الذي يخاطب جمعا من الفلاسفة الذين لا يتفقون بمجرد الإدلاء بالرأي.¹

والصحف هذه الأيام هي البضاعة الوحيدة التي لم يتناولها الكساد لأن الأحداث والحوادث الجارية أكثرت مستهلكيها ورغبت الناس في شرائها والإدمان في قراءتها.

بل أصبح كل فرد لا يكتفي بالجريدة الواحدة وإنما يشتري عدة جرائد تختلف في مشاربها ونزعاتها السياسية.

والناس في هذه الأيام التي بلغت فيها حمى العقول درجة خطيرة كلهم يقرأون الصحف، والذي ليس له الوقت الكافي فيتحتم عليه أن يزيد لنهاره بعضا من ليله لكي لا تفوته الأخبار أو يسير في الشارع وهو يقرأ.

¹ - الحبيب بناسي، الدكتور الشهيد، جريدة الزيتونة، 6 ماي 1956.

وأما الذي لا يعرف القراءة يتحتم عليه أن ينقب عن يقرأ له، وسعيد الطالع هو الذي يطلع على النبأ السار قبل غيره فحينئذ تراه ينتقل بنبئه مبشرا هذا وذاك.

تناولت الجريدة واكتفيت في هذا الجمع الحاشد من الناس بأن أقرأ لهم كعادتي وكفاني ذلك مؤونة الشرح والتعليق.

وهكذا حتى انتهيت من قراءة الجريدة وانتهى الشرح والتعليق، واستلقت نظري – وأنا أجول ببصري بين أعمدة الجريدة- هذا العنوان المكتوب¹.

كان العنوان هكذا "مقتل دكتور بتلمسان" وقلت لرفاقي مهلا لقد عثرت على شيء جديد فأرهبوا أسماعهم جميعا ثم ألقيت العنوان في أسماعهم بسرعة خاطفة².

ولما قرأته عليهم امتنع لونها وعلت وجوههم كآبة صامته وارتسمت في عيونهم نقطة استفهام تحمل كثيرا من التعجب والحيرة البليغة.

وشرعت في القراءة وجلسائي يسمعون: قتل رجل الجندرمة الدكتور بن عودة بن ازريجب وهو من الرؤساء البارزين في جبهة التحرير التي تقود الثورة بالقطر الجزائري ألقى عليه القبض منذ ثلاثة أيام لأنه اشترى مطبعة يدوية ومكنها للثوار ولما نقلته الجندرمة إلى "سبدو" لإتمام البحث تهجم على الحراس وحاول الفرار ولكنهم أطلقوا عليه النار فمات حينه.

ولما انتهيت من القراءة ورفعت بصري رأيت وجوه رفاقي يعلوها الغضب والكدر والغیظ، وحاولت أن أتكلم فماتت الحروف بين شفتي وجف حلقي لهول الموقف.

وسكت الناس كلهم سكوتا تاما وتخشعوا كأن شبح الموت ينتقل بين صفوفهم بجلال ورهبة³.

¹ - محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري في تونس، ج2، بيت الحكمة، قرطاج، 1991م، ص 498.

² - الحبيب بناسي، الدكتور الشهيد، جريدة الزيتونة، المصدر السابق.

³ - نفسه.

كان لهذا النبأ تأثير قوي سرعان ما استشرى في جميع الأوساط ففغرت الأفواه وجحظت الأعين وبيست الشفاه. ثم هب البعض في إبداء آرائهم حول مقتله.
فنطق أحدهم: إني أرى لأن المتعسفين أوصدوا أبواب المفاهمة بيننا بعد مقتل الدكتور ولا شك أن الأمة ستهب عن بكرة أبيها لرد الفعل وحينئذ فلا مجال للكلام غير العنف ولعلعة الرصاص.

ثم سكت وقال آخر: إن مقتل الدكتور المرحوم بن عودة سيقرب الموقف رأساً على عقب لأن رجال السلطة لم يتوقعوا وجود أمثاله في صفوف الثورة وإنما يعتقدون تكرير هذه النقمة لأن المرحوم من عائلة أرستقراطية وهو من المثقفين البارزين ووجوده بين رجال الثورة يفتح الناس بان كثيراً من أمثاله يعملون بين صفوف الثورة.

وقال آخر: إني أشك في ما جاء في البلاغ الرسمي ولكنه ربما كان يذهب للجبال ليعالج الجرحى من المقاومين فتصدى له رجال الجندرية وقتلوه ظلماً وعدواناً، واختلقوا قصة المطبوعة ومحاولة الفرار لتبرير جريمتهم كما هي عادتهم، ويؤيد هذا أن المرحوم كان ضعيف البصر إلى حد بعيد، ونحيل الجسم ومصاباً بعطب في إحدى رجليه وكان مع ثلاثة من الحراس فكيف يصور له عقله محاولة الفرار؟

وانتهت التعاليق وانطويت على نفسي مذهولاً كأنني أصبت بنوبة عصبية وأنا أقول في نفسي:

" مهما اختلفتم أيها الناس في تأويل مقتل المرحوم فإن الذي لا نختلف فيه مطلقاً هو أن الدكتور مات رحمه الله ومات في سبيل الحرية وهو شهيد من شهداء هذه الأمة الأبرار الذين جادوا بدمائهم في سبيل الحرية والتحت أرواحهم بموكب الشهداء الأحرار الكثيرين الذين ستكتبهم الأمة في جبين تاريخها ذلك التاريخ الذي سيقف أمامه أبناء الجيل القادم بكل إجلال وتعظيم وسيقولون في نفوسهم: هذه الحرية اشتراها أبائنا بدمائهم فلنحافظ عليها نحن أبنائهم حتى لا تفلت من أيدينا".¹

¹ - الحبيب بناسي، الدكتور الشهيد، جريدة الزيتونة، المصدر السابق.

وهذا الطالب مصطفى الزغل يكتب قصة بعنوان "سنبداً حياة جديدة" يتحدث فيها عن عائلة سليمان الشاب الحديث الزواج وأب لطفلة رضية وبعدها كان يعمل في ضيعة لجائر مستبد فرنسي، تركها ليقوم بشيء آخر ذو أهمية بالغة وفائدة خير من المال فيقول لزوجته التي تتساءل عن تأخره ليلاً بعدما ترك عمله... إني سأبني نداء الوطن، ونداء هؤلاء الأحرار الذين صعدوا الجبل، إني سأكون ثائراً مثلهم وسأحمل السلاح مثلهم، لاسترجاع حقوق هذا الوطن المظلوم إلى آخر قطرة من دمي، لأنني لا أستطيع أن أتصور نفسي إذا لم ألب ذلك النداء الذي يدعوني ملحاً بالليل والنهار، ولهذا فإني كنت الساعة أبحث لي عن سلاح... لقد تمكنت الآن من اقتناص بندقية، وما بقي لي إلا الانضمام إلى صف إخواني الثوار أين سأبني نداء الواجب. أما أنتما فأرجوكم أن تسمحوا لي، فإني سأفارقكما، وأودعكما ولست أدري هل لي من لقاء بكما بعد ذلك... بعد حديث طويل ردت الزوجة قائلة أما وقد تمسكت برأيك وعزمت على محاربة العدو فإني سأتابع خطاك، وسأحمل السلاح مثلك لأدافع دفاعاً مستميتاً عن وطني الغالي كمواطنة جزائرية... إني أريد أن حمل ابنتنا إلى أحد إخواننا التونسيين وأوصيه بها خيراً... ثم أرجع لألتقي بك على الأوراس، وأدعوك أن تبحث لي عن مسدس فإني أحسن استعماله... غادر وكرهما الذي جمعهما بفقرهما، وكانت الساعة قد أشارت إلى الثانية بعد منتصف الليل وافترقا في منعرج الطريق، والزوج يقول لزوجته الآن نفترق واذهبي أنت لقصدك ولا تنسي ملتقانا الأوراس حيث سنبداً حياة جديدة¹.

وكتب الطالب بوصبع عبد الله في ركن عنونته جريدة الصباح بـ"من صميم واقع الثورة الجزائرية" قصة الفدائي الصغير جاء في مقدمتها ما يلي: كان أبو أحمد من الأبطال القلائل الذين تكونت منهم نواة الثورة الأولى ومن الذين شاركوا في إشعال بركانها في الساعة الواحدة من ليلة غرة نوفمبر 1954م، ولم يترك أبو أحمد من الأهل في القرية بعد التحاقه بالثورة سوى زوجته وابنه الوحيد أحمد، ورغم بعده عنهما، وتنقلاته الكثيرة في

¹ - مصطفى الزغل، سنبداً حياة جديدة، الصباح، ع 1436، 24 أوت 1956، ص 3.

الجبال، ومع فرق جيش التحرير، كان على اتصال دائم بهما، فكانت تأتيهما عنه كل أسبوع رسالة، من ما يحدثهما عنه فيها انتصاراته مع إخوانه في جيش التحرير¹.

وكان أحمد بالطبع شديد الاهتمام بأخبار أبيه ورسائله ويود في كل ساعة الالتحاق به لولا أنه يمنعه من ذلك صغر سنه،... وذات يوم جاءت الرسالة الأخيرة إلى أحمد وكان يظنها من أبيه... لكنها هذه المرة من قائد الفرقة ينبئه فيها باستشهاد والده برصاصة غادرة... كتم الخبر عن والدته،... وقرر أن يسد مكان أبيه ويلتحق بالإخوان.

وبعد تخطيط وفي ليلة حالكة الظلام انقض على (جنرمي) بطعنة خنجر أردته قتيلا وسلبه رشاشته، ليسير بها في نفس الليلة إلى معسكر الإخوان، بعدما كان قد ترك للوالدة رسالة ليخبرها فيها بوفاة والده وما قرره ابنه في سبيل الانتقام له ولتأدية واجبه أمام وطنه قائلا لها: ... إن الراية الخضراء تتاجيني، وصوت الوطن يناديني فكيف لا ألبى النداء وأتقدم بالفداء... وحل أحمد إلى المعسكر وروى للإخوان ما وقع معه فأعجبوا لجرأته، ورحبوا بانخراطه في صفوفهم².

كتب عبد الحميد أبو طالب قصة الجندي الجديد، يروي فيها حكاية عن جندي فرنسي كان شابا حديث الزواج يعيش في أسرته سعيدا يعمل في مزرعته بنشاط وكد إلى أن جاء يوم وصلت فيه رسالة استدعائه للجندي... في اليوم التالي جاء اليوم الموعود للذهاب إلى الجزائر، فذهبت معه زوجته إلى المحطة لتودعه داعية الله أن يسقط حكومة غي موللي وزميله لأكوست، ومن كان على شاكلتهما. وبعد مضي أيام وهو في ثكنته بغرفته حتى سمع صوت الضابط يناديه أن يستعد للمعركة المنتظرة في بعض الغابات القريبة منه،... أخذ يسير بخطى متناقلة منضما إلى الصف وهم يقتربون من الجبل، وما هي إلا لحظة وجيزة حتى انهالت عليهم نيران المجاهدين... وأسفرت المعركة على 150 قتيلا و60 جريحا، وكان من بين الموتى الجندي الجديد³.

¹ - بوصبع عبد الله، الفدائي الصغير، الصباح، ع 1440، 30 أوت 1956، ص 3.

² - نفسه، ص 3.

³ - عبد الحميد أبو طالب، الجندي الجديد، الصباح، ع 1481، 20 أكتوبر 1956، ص 3.

وهذا أحمد مجودة الجزائري، يروي لنا قصة الثائر المجهول، استهلها بالإهداء التالي: مهداة إلى الذين يتحرقون شوقا ولهفة لمعرفة أبنائهم الثائرين هل هم في عداد الأموات أم الأحياء، ويحكى لنا عن صديقه الثائر الذي أثر فيه موقف رآه وهو بصحبته في محطة السيارات، حيث رأى أطفالا من القرية يهرعون وراء فرنسيين يوزعون عليهم فئات الخبز أو بقايا علب السردين، يواصل أحمد حديثه¹ عنه فيقول: ... وهنا رمقتي بعينه الدامعة وهو يقول:

فسأختار أقرب طريق لمقاومة هؤلاء المعتدين، سترى وتسمع، لقد رأيت، وسمعت أيها الأخ، لقد كانت المقاومة هي العنصر الأول في وجودك، وكانت روح الكفاح متجسمة في عروقتك، وغريزة النضال منزوية في قلبك الصغير منذ الطفولة... إرادتك القوية التي لا تلبى، وعزيمتك الجبارة التي لا تخور، وإخلاصك، ونيتك الحسنة نحو تحقيق أهداف الوطن وتدفق المشاعر الثائرة من إحساسك، كل ذلك مما خلق ثورة صغرى تحملها كيات جسمك الصغير، ومما جعلك ترتمي بلهفة أن تصل إلى الهدف، لقد كتب لك أن تعيش وتشارك بنفسك في حرب الجزائر بأبطالها وبطلاتها، إن ضراغم الجزائر الذين كان يحلو لك أن تسرح معهم في الخيال هم الآن حقيقة واقعة... إن أزيز الرصاص وعصف القنابل الذي تهواه أصبح مطلقا لنشيدك... فلا نعرف هل أنك في عداد الأموات أم في عداد الأحياء، لقد دخلت معمعة الكفاح تحمل البندقية والمسدس تنهش بهما الفرنسيين الذين رأيتهم يوزعون فئات الخبز... ترى هل أنك الآن في ظلمات القبر تسمع إلى همسة الأبد، أم أن البندقية لم تفارق يمينك... أيها البطل إن كنت حيا فإنك تدافع عن أشرف مبادئ الإنسانية، وإن أدركك الجل واستشهدت فستتبوأ مقامك في جنة الرضوان، وفي الدنيا سجل من صفحات التاريخ².

وهذا الطاهر وطار الزيتوني الروائي الذي يحدثنا في قصة "الروح القدسية" عن الجندي الفرنسي "جاك" الذي أتت به الأقدار إلى أرض الجزائر، وكان اليأس قد نال منه بعدما فارق أهله وبلاده وجُدد كرها في الجيش الفرنسي، وكان جاك مرهف الحس فكان

¹ - أحمد مجودة الجزائري، الثائر المجهول، الصباح، ع 1509، 17 نوفمبر 1956، ص 3.

² - نفسه، ص 3.

كلما اضطجع على كومة التبن ليأخذ قسطا من الراحة راجع ما قام به من أعمال في اليوم المنقضي، ... وها هو اليوم شارد الذهن يفكر في تلك الليلة التي كانت فيها مناوبته للحراسة فيقول عنها: " كنت ليلتها في الحراسة، وكان البرد قارسا والرياح تعصف، والبرق يشق حجب الظلام تارة ويختفي أخرى فالتقطت أذناي همسة قريبة... وإذا بصوت يقترب جاك يا جاك... الحق أنني خفت فاقشعر جسدي واستولى علي الرعب... زاد الصوت اقترابا... تميز لي صاحبه إنه حمدان... صديقي الذي التحق بالخارجين عن القانون منذ أيام، لم أحاول قتله أو تهديده... بل سلمت عليه وأنا أهتف باسمه حمدان... ماذا يا أخي؟ أين كنت؟¹

وبدون كلام طويل تركت حمدان في مكاني... ودخلت... نعم تركته ودخلت... أتسلل بين الممرات... حتى وصلت موضع السلاح، أنا أعرف الصناديق التي وصلتنا اليوم أين؟ وأعرف كذلك أنه لو يضيع منها شيء لا يفتقدونه... لأنه لم يعد هناك أي نظام هذه الأيام، فالمعارك المستمرة، والهجومات المتكررة علينا... لا تجعلنا ننتبه، إن همنا الوحيد هو أن لا نموت... أيمن أن يكون هذا هو السبب الذي دفعني؟؟ كلا كلا... إن ما أشاهده هنا في الجزائر من أفعال الباريبيين المنكرة... يجعلني أكفر بباريس... وأجزم بأن الفرنسيين أوحش عباد الله... وأكثرهم تأخرا.

لم يكف السلاح الذي أعطيته لحمدان... بل حملت الصندوق الثقيل على كتفي... وسرت معه أتسلق الصخور الحادة... والمطر يهطل بغزارة... حتى ابتعدت عن المركز بكثير... هل هذه شجاعة أم بكولة أم ماذا؟ لم أرهب ولم يخامرني أي شيء من تلك الجماعة التي كانت في انتظار حمدان... أه ما أطيبهم لقد سلموا علي كالطفل يسلم على إخوانه... شعر جاك بقلق واضطراب وارتجفت ركبته وتقلب عدة مرات في مضجعه وهو يكاد يخنق حيرة والأسئلة تترادف على ذهنه: لماذا أعطيتهم السلاح؟ لماذا حملت أنا الصندوق وتركت حراستي؟ ولماذا هم طيبون كذلك؟ لماذا لم أندم أنا بعد ذلك وعاودت فعلتي تلك العجيبة عدة مرات؟ وقامت معركة عنيفة... بين روح الاستعمار الخبيثة... وبين روح الوطنية القدسية... ويخلص في الأخير إلى إيجاد حل لأسئلته، حتى ابتسم جاك ابتسامة

¹ - الطاهر وطار، الروح القدسية، الصباح، 11 أوت 1956، ص 3.

عريضة ملؤها الطهارة لقد انتصرت روح الحق والوطنية، وبسطت أجنحتها على حيرته وتفكيره، فقال بصوت كله إيمان وثقة: سأعطيهم... غدا أيضا سيارة من السلاح... ولا عجب فأنا ابن الجزائر المكافحة¹.

ثم كتب قصة "الدموع الخالدة" التي يحكي فيها قصة من صميم واقع سكان "مداوروش" القرية الواقعة جنوب سوق أهراس، فسكانها بينهم جميعا قرابة، متأخين متحابين ربط بينهم الكفاح بأواصر متينة... وكانوا تحت أمر إمام مسجدهم يتعظون بعظاته ويسلكون حسبما يشير عليهم في اجتماعاتهم السرية التي تعقد بين أونة وأخرى... في ذات مساء وبينما سكان القرية جالسين مثنى وثلاث ورباعى أمام دكاكينهم ومساكنهم وإذا بنسيم عليل مقلق جدا، يحمل معه رائحة كريهة، يا الله من هذا النذير، إنها رائحة الأموات، تهب منة قريب، فاختلطوا في بعضهم مشدوهين حائرين، وسرى بينهم هذا الخبر... وبينما هم يتساءلون... وإذا بخبر اجتماع سيعقده الشيخ عقب صلاة المغرب في أمر مهم... وما أن حلوا حتى وقف الإمام يخطب بصوت بدا منخفضا ثم أخذ يرتفع... "يا إخواني إن كلبا أسود أخذ اليوم يحفر الأرض وينبش في "الخنقة" حتى اخرج جثة عبد²... فارتفعت أصوات المصلين "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" ومضى الإمام يقول: يبدو أنها قريبة جدا، وقد أكل الكلب الأسود جل وجهه... لباسه عربي، وإننا نشك في وجود العديد من الجثث، فتعالت الأصوات يا رب، اللهم انصرنا يا رب، فصاح رجل: من الذي قتلهم ودفنهم... فأجاب الإمام بلهجة بليغة مؤثرة، ليس لنا من يقتلنا سوى الاستعمار... فصاح الحاضرون الله أكبر اللهم انصرنا، ثم هدأ الشيخ وقال تفرقوا يا إخواني واللقاء بعد قليل في "الخنقة"، احضروا فؤوسكم لنحفر عن موتانا على ضوء القمر وإياكم أن يراكم العساكر، وكان أهل مداوروش عند الموعد في "الخنقة" التي تبعد بحوالي كيلومتر، حيث اخرجوا اثني عشر جثة كانت قد اختفت منذ ما يزيد عن شهر ينحدرون من الدواوير المجاورة، وبعد أن خطب

¹ - الطاهر وطار، المصدر السابق، ص 3.

² - الطاهر وطار، الدموع الخالدة، الصباح، ع 1509، 17 نوفمبر 1956، ص 3.

الشيخ فيهم وبكى وبكت الجماعة كلها ثم أوصاها بأن يحيوا كل عام ذكرى الدموع الخالدة، ثم تسللوا راجعين... والدمع الخالد ينهمر¹.

ثم كتب الطاهر وطار قصة "اغتيال" روى فيها حكاية شاب جزائري غيور على وطنه تجند في صفوف المجاهدين الثوار وكان أهم عمل قام به هم قضاءه على أحد أعوان رجال الشرطة الفرنسيين الذي فشل في القضاء عليه من قبله أحد المتطوعين، وكانت النهاية على يد هذا الثائر الذي أقسم برب الثورة على أن يريح الأمة منه ومن مكره، فلقد كان من أكبر الناقمين على العرب والمساعدين للسلطة العسكرية على تعذيب الأهالي وتقتيلهم بعدما تجنس بالجنسية الفرنسية، أيام كان في الجندية وأتاح له ذلك المنصب في القرية التي كان يعرفها أدق معرفة، فكانت فرنسا تعتبره قوتها هناك، وكان موته خسارة كبيرة لها².

كما كتب قصة أخرى بعنوان "وحي الأطلال" كتبها وهو لا يزال طالبا بالزيتونة بعيدا عن وطنه جاء في مقدمتها: "... وإلى المكان الذي أستوحي منه كل ما اكتب... إلى مقهى عمر الحاج، وإلى كل جزائري هناك... اقرأ في جبينه قصة... أهدي (وحي الأطلال) راجيا تقبلها³، يستعرض فيها قصة عاش أحداثها أحد الثوار خلال غفوة من نومه، وبينما هو ينتظر أصحابه الثوار المتواعد معهم، فحتى أحلامه لم تسلم من همجية المستعمر وعدائيته التي يعيشها نهارا وتطارده ليلا.

وكتب محي الدين بن واضح قصة بعنوان "هو ذا محمد قد حضر" يروي فيها قصة تعلق أحداثها بأرض القبائل الكبرى التي شيدت الإدارة الفرنسية فيها مدارس كرس فيها معلموها خدمة المسيحية واللغة الفرنسية بأرض الجزائر العربية، وأطلقوا على أنفسهم لقب الأباء البيض...

¹ - الطاهر وطار، الدموع الخالدة، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

² - الطاهر وطار، اغتيال، الصباح، 2 مارس 1957، ص 3.

³ - الطاهر وطار، من وحي الأطلال، الصباح، 27 أبريل 1957، ص 3.

وكان محمد بن الحاج علي (الرجل الثري التقوي) طفلا مرحا محبوبا من قبل أساتذته.... ومرت الأيام مسرعة واستفاق محمد ذات يوم فوجد الثقافة قد حفرت بنيه وبين قومه هوة سحيقة، دون أن يفقد مركزه الاجتماعي المرموق... واختار اسما عصريا "جليبر"... أتى اليوم الذي جرت فيه معركة بين الثوار والجنود، أسفرت عن انسحاب الثوار بعدما تركوا في الميدان أشلاء الجنود مبعثرة¹.

وكانتقام لما حدث، قام البوليس بشن حملة تقتيل للرجال والنساء والأطفال بالقرية الآمنة وكان جليبر مع أصحابه المتحضرين منزويا في واد عميق، ولم يلبث حتى وجد الجندرمي واقفا على رأسه "ما اسمك يا كلب؟... أنت الآن بين يدي أيها المجرم لم يبق بينك وبين الموت إلا بضع ثوان، فادع إن استطعت محمدكم ينجيكم من الموت؟".

أحس جليبر بأن الفضاء يدور به دورانا، وقوة خفية تقعه وتقيمه... وسدد محمد أكلي ضربته إلى الجندرمي قائلا: هو ذا محمد قد حضر، فخذها يا عدو الله².

كما كتب محي الدين قصة أخرى بعنوان "فتش عن بيتك" يروي فيها قصة زوجة غير الضرب المبرح ملامح وزه زوجها والذي سيق به إلى بيته ووجهه ملطخا بالدماء، ولما سأله عن بيته وكانت هي واقفة بالباب، رد بصوت خافت: إنه هذا البيت، فصاحت المرأة قائلة: عيب عليك يا رجل! فتش عن بيتك، هذا بيتي ولا أبيع لأحد أن يدخله حتى يرجع زوجي من السوق، واقتربت من الباب لتغلقه لكن أحد رجال البوليس سبقها إلى الباب ومنعها من غلقه، وقاموا بتفتيش البيت وبعثروا كل ما وجدوه به، وجرّوا الرجل من يديه، ومروا به أمام المرأة الجامدة كالتمثال، وقالوا لها: "هذا زوجك فودعيه، إنك لا تبصريه بعد اليوم"، وحملت المرأة في وجه الرجل لحظة، أدركت بعدها أنه زوجها، وأنه أبو بنتها التي ستبقى يتيمة، مرت الأيام وبلغها نبأ سجنه والحكم عليه بالإعدام، ولم يكن بيدها فعل شيء سوى الصبر، إلى أن دوى الحي الذي تسكن به صوت شاب يصيح بأن الثوار قد

¹ - الطاهر وطار، من وحي الأطلال، الصباح، المصدر السابق، ص 3.

² - محي الدين بن واضح، هو ذا محمد قد حضر، الصباح، 8 جوان 1956، ص 3.

شنوا هجوما على اكبر سجن بالجزائر العاصمة، وأطلقوا سراح جميع المعتقلين، ومن بينهم (أبو حورية) زوج هذه المرأة ففرحت فرحا كاد يخرجها من عقلها¹.

وكتب قصة أخرى بعنوان "أم الوحوش" وهو نعت (تسمية) أطلقها أحد الجنود الفرنسيين الناجين من إحدى المعارك التي قامت بينهم وبين الثوار، والتي كانت الخسارة فيها قد لحقت بالجيش الفرنسي، فبعدها كان الجنديان يتساءلان حول ما إذا كانت فرنسا قد حققت الانتصار كان رد أحدهما كالتالي:... كيف تسميه سمّه كيف شئت... جنون... إجرام... وحشية! إلا انتصار فلا! تعرف ماذا فعلنا حتى اليوم؟ قتلنا الأهالي الأبرياء العزل، الذين لم يثوروا علينا، ولم يحملوا في وجوهنا سلاحا، فهل تعد هذا انتصارا؟ وقتلنا شيوفا عاجزين ضعفاء لا يستطيعون المشي في الطريق إلا متكئين على عصيهم، فهل تعد هذا انتصارا؟

أنا يا صديقي إذ أحدثك هذا الحديث، لست مشفقا على الشعب الجزائري من الفناء، ولست عاطفا على هذه الأرواح البريئة... إنما في كل ذلك أشفق على فرنسا أم الحريات، وأعطف على سمعة فرنسا من أن تصيبها لعنة الآلهة ولعنة الأجيال المقبلة... وأخشى على أم الحريات أن تصير في يوم من الأيام "أم الوحوش"... لأنه لم ير فرنسا المتحضرة المتمدنة، بل أرى وحوضا مفترسة تفتك بالناس فتكا ذريعا... كما نفع اليوم بالجزائر².

وكتب محمد مخلوفي الجزائري قصة "الأسرة الشهيدة" جاء في مقدمتها (قصة من واقع الشعب الجزائري في الظروف الراهنة): يروي فيها قصة سعاد التي مات زوجها وترك وراءه ثلاثة أبناء، والتي لم تجد لهم طعاما يغنيهم جوعهم وبدنوا يتضورون جوعا ويتساقطون الواحد تلو الآخر، ولم تجد الأم طعاما تقدمه لهم فجلست تبكي بعلمها الذي تركها ثقيلة الجناحين، وذات ليلة وإذا بطارق على بابها،... لم تنشأ سعاد فتح الباب، وإذا به يفتح إثر تحطيم عنيف وإذا بوجوه غريبة وأشباح مكشرة الأنياب تزمجر وتقبل بسهامها صوب سعاد الأرملة ويتاماها من حولها... لم تستسلم سعاد لشر هؤلاء القتل... انسلت من بين

¹ - محي الدين بن واضح، فتش عن بيتك، الصباح، 18 أوت 1956، ص 3.

² - محي الدين بن واضح، أم الوحوش، الصباح، 30 أوت 1956، ص 3.

الوحوش واندفعت كالسهم تريد النجاة بنفسها... وأيقنت أن الموت مصيرها لا محالة، وانكبت على الأرض رافعة بيديها حديدة ثقيلة، وهوت بها عليهم فكانت ضربتها لأحدهم قاتلة ثم استسلمت للقدر يفعل بها ذلك ما يريد ويشاء... تقدم أحدهم بغيظه الشديد وانهاled عليها بالضرب حتى أسقطها جثة هامدة وراح يفعل بأبنائها الشيء نفسه لتلحق العائلة بالأب الشهيد الذي كان قد سبقهم في وقت ليس ببعيد إلى الفردوس الأعلى¹.

وكتب سليمان مزيان قصة "ليلة رهيبة" هي أيضا مستوحاة من الحياة اليومية، ليروي فيها المأساة التي وقعت بقرية قريبة من مدينة قسنطينة مقابل مقتل شرطي فرنسي، إنها روح الانتقام تتطاير وتعلو... جاءت الدبابات... وعلى إثرها وحدات الجند وصوبت الرشاشات في وجوه كل من كان بالشاعر ومن بينهم شيخ لا يستطيع الوقوف، ويده مرفوعتان، فارتجفت ركبته حتى كاد يسقط... لكن ليس من الرجفة وإنما الرشاشات أردته قتيلا، ... ووقع الاختيار على عبد الرحمن الشاب الذي كان مستندا على شجرة وكان مصيره نفس الذي تلقاه الشيخ من هؤلاء الوحوش...²

وكتب خليفي الطاهر قصة بعنوان "وا جبلاه" ضمت جزأين، جاء في مقدمتهما: "إلى الذين طمسوا تحت الأحجار... ودمتهم الرمال... إلى الآباء الذين جهلوا مواقع أبنائهم وفلذات أكبادهم... إلى إخواني الطلبة الذين ركبوا متن الأخطار، وجازفوا بحياتهم في سبيل غاية سامية شريفة... إلى الضحايا الخالدة التي شيدت لأسمائها قصورا من الشرف والمجد، وسوف تنتفش الجزائر أسماءهم على صفحات تاريخها الخالد... إلى هاته وهؤلاء جميعا أهدي قصتي هاته عربون حب وإخلاص ووفاء... يروي فيها عما ورد في رسالة بعث بها والد إلى ولده طالب العلم بتونس، يحكي له فيها عما أصاب قريتهم، التي هدمت وأحرقت عن آخرها، وكان الوالد يومئذ بعيدا عن القرية يرعى في أغنامه، وإذا بفلاحين مارين عليه فاخبروه بما وقع بالقرية، ويختم بقوله "والدك البائس الحزين إلى اليوم يأخذ ثأره من الاستعمار"، في يوم الشقاء والبؤس، من عام الصرخة التي دوى بها الشعب الجزائري

¹ - محمد مخلوفي الجزائري، الأسرة الشهيدة، الصباح، 10 أوت 1956، ص 3.

² - سليمان مزيان، ليلة رهيبة، الصباح، 31 أوت 1956، ص 3.

الباسل، وما إن أتى ذلك الطالب المنكوب على آخر رسالته تلك، حتى شخصت عيناه إلى السماء وسقط في مكانه مغشيا عليه... لا يقوى على شيء... فهرع إخوانه الطلبة الجزائريون إليه، لأنهم كانوا قرب بيته وسمعوا صوته مدويا وا جبلاه... وا شقاه¹. قرر الولد أن يلحق بوالده إلى الجبل ويترك دراسته ليأخذ بثأر عائلته وكان اللقاء في معركة كانت بين الجنود الفرنسيين والمجاهدين ولعب فيها الابن دور البطل والتقى بوالده في المعركة ولم يكن الوالد على علم... وبعد انتهاء المعركة قُدم البطل كمجاهد جديد لينضم إلى جانب إخوانه وكانت الدهشة كبيرة على الأب (عامر) الذي شبه البطل به ولما تعرف عليه وجده ابنه الذي هو من صلبه².

وكتب ينون محمد قصة بعنوان "نهاية مخلص" يروي فيها حكاية العم رشيد الذي كان مجندا في الجيش الفرنسي برتبة ملازم لمدة أربعة عشر عاما، واليوم تعيش عائلته حياة مزرية فلا طعام يشبع بطونهم... وابنه الذي بلغ ربيعته الأول يتضور جوعا لأن أمه ليس بها حليب ترضعه إياه، وذات يوم... التقى بأحد الرجال الذين يعرفونه، ولما عرف تفاصيل حياته عرض عليه أن ينضم إلى الإخوان المجاهدين ويطلب العفو منهم ويعاهدهم على السمع والطاعة... لكن مرت الأيام والعم رشيد لم يظهر له أثر³.

كما كتب أحمد مجحودة الجزائري قصة "فديتك يا شعبي" يحكي فيها وقائع حياة شاب توفى والده الشيخ بعدما عذب من قبل السلطة الاستعمارية، وترك وراءه زوجته وجابر ذلك الشاب الناشط، وأخوين آخرين، وكان جابر حين وفاة والده مجندا بالجيش الفرنسي وبعد قضاء مدة من الزمن صال وجال بها لم يجد عملا، فشعر بالضجر والملل بعد كل محاولاته لطرق أبواب العمل، وكان كل يوم حين يأوي إلى الكوخ الواقع بضواحي العاصمة والذي جعله مكانا للنوم، يسرح في استعادة الكلمات التي كان يرددتها والده عن المعركة والثورة والثوار والمجاهدين، فأثر ذلك في نفسه، وذات يوم وإذا هو خارج لأداء صلاة الصبح، إذا بجندي فرنسي يشهر بوجهه رشاشا يسوقه إلى المحتشد الذي كانوا قد

¹ - الطاهر خليفي، وا جبلاه، الصباح، 19 جانفي 1957، ص 3.

² - الطاهر خليفي، وا جبلاه، الصباح، 2 فيفري 1957، ص 3.

³ - ينون محمد، نهاية مخلص، الصباح، 6 فيفري 1957، ص 3.

جمعوا به كل المصلين، فإذا بعيارات نارية تنطلق من مكان غير بعيد تفرق على إثرها الجنود الفرنسيون وهرب المحتشدون، وهرب جابر،... وكانت الثورة شغله الشاغل يحلم بها ويستيقظ عليها، ويتحين الفرص للحاق بالثوار، وذات يوم كان يحمل برميلا فارغا من حديد، ويعبر به الطريق... وليس في الشارع أمامه إلا جندي فرنسي يتأبط رشاشة ويمشي ويبدأ على السلم الموصل بين الشارعين العلوي والسفلي... نفس السلم الذي كان على جابر أن يجتازه... ولكنه لم يكد ينزل درجتين حتى زلت قدمه وسقط البرميل فأحدث صوتا مرعبا اهتز له الجندي الفرنسي، وألقى بسلاحه¹ على الأرض ووقف مضطربا رافعا يديه، وكانت فرصة... لم يكن من جابر إلا أن انقض على الرشاشة، واختفى بها في منحرج، وصوب إلى الجندي نارها وتوقفت حركة المرور، وكان الرصاص يتهاطل في كل صوب يقف فيه الجنود الذين جاؤوا للنجدة، وفي الوقت الذي ازدحمت فيه الشوارع المجاورة بالدبابات... وكانت فوهة الرشاشة التي بيد جابر تزفر بآخر ما فيها من رصاص وكان جابر يرسل صوته الأخير: فديتك يا شعبي².

ثم كتب أحمد مجحودة قصة "أنا الجزائر" يروي فيها قصة المدينة التي كانت هادئة في ظلام الليل الرهيب عربة تجر أحد الوطنيين الذي قبض عليهم الجيش، وضربات السياط تنهال عليه الواحدة تلو الأخرى وصراخه وأنيبه يتعالى معها، ودعاء السكان داخل منزله إلى الله ليخفف عذابه إلى أن لفظ نفسه الأخير، وزاد ابتهاج وسرور الجنود الأربع بعدما أردوه جثة هامدة، وصاروا إلى أبواب المنازل يختارون أيها ينكلون بأهله، ووقع اختيارهم على منزل إحدى الشيوخ... الذي هلع للطرق المتواصل وأصابه الذعر والرعب، وضم إلى صدره حفيدته وجلس إلى جانب زوجته العجوز وابنه الأكبر وقامت الحفيدة الكبرى بنقل الصغار إلى الفناء، وبعد أخذ ورد قام الشيخ ليفتح الباب... وغاصت أصبعان حادثان قاسيتان في عينيه، فأبرزتهما، وأحس بشيء أصاب يهوي على بطنه ولم يعرف بعد ذلك شيئا، وارتفع عويلا من فناء الدار وقهقهة الجنود الأربعة... ثم حطموا الأثاث وكسروا الأواني، وقتلوا طفلين ونكلوا بكل من في الدار تنكيلا فظيعا... وفجأة انطفأ النور، ودوت

¹ - أحمد مجحودة الجزائري، فديتك يا شعبي، الصباح، 4 ماي 1997، ص 3.

² - أحمد مجحودة الجزائري، فديتك يا شعبي، الصباح، 5 أبريل 1957، ص 3.

ثلاث طلقات نارية... صرعت الجنود الثلاثة، ورفع المستهتر يديه إلى الأعلى بعد أن استولى عليه الرعب... وصاح في اضطراب من ... من أنت؟

وردد الحي بأجمعه صدى طلقة نارية أخرى، وصوت قوي بالإيمان يردد: أنا الجزائر يا سافل¹.

وكتب محمد الحكيم الجزائري قصة "وا مجاهداه" يروي فيها قصة عائشة الفدائية التي تزوجت عميلا من عملاء فرنسا حتى تبلي طلب المجاهدين الذين أمرها بالتجسس والإتيان لهم بالأخبار².

¹ - أحمد مججودة الجزائري، أنا الجزائر، الصباح، 5 أبريل 1957، ص 3.

² - محمد الحكيم الجزائري، وا مجاهداه، الصباح، 2 ماي 1958، ص 3.

الفصل الرابع: الإسهامات الثقافية للطلبة الجزائريين في الصحف التونسية

أولا: كتابات الطلبة سنة 1958 م:

تنوعت الكتابات في سنة 1958م فتراوحت بين فني الشعر والقصة اللتان غلبتا على فن المقال، فكتب الطالب الزيتوني باوية محمد الصالح مجموعة أشعار نشرت في أعداد متتالية وكانت كالتالي قصيدة بعنوان (ساعة الصفر) نشرتها مجلة الفكر بشهر فيفري 1958م ثم قصيدة بعنوان (الثائر) نشرتها جريدة الصباح بتاريخ 29 مارس 1958م، وقصيدة (الصدى) نشرتها مجلة الفكر شهر مارس 1958م، ثم قصيدة (الثائر) نشرتها مجلة الفكر شهر أبريل 1958م، وقصيدة أخرى بعنوان الإنسان الكبير شهر ماي 1958م.

وكتب الطالب البرشاتي محمد، قصة ضحية القدر بجريدة الصباح يوم 4 جانفي 1958م، وكتبت الطالب بوروب أحمد خمس مقالات نشرت تباعا كان الأول بعنوان (خاطر حول الثورة) نشر في جزأين متتاليتين، الجزء الأول نشر بجريدة الصباح بتاريخ 29 مارس 1958م، ونشر الجزء الثاني بنفس العنوان أيضا بجريدة الصباح بتاريخ 5 أبريل من نفس السنة، ثم كتب مقالا آخر بعنوان (أسبوع الجزائر بليبيا) نشرته نفس الجريدة بتاريخ 12 أبريل 1958م، ومقال بعنوان (حول صور من البطولة) نشر أيضا بجريدة الصباح 31 أوت 1958، ومقال الذكرى الرابعة للثورة الجزائرية بتاريخ 2 نوفمبر 1958م أيضا نشر على صفحات جريدة الصباح¹.

وكتب خباشة صالح ابن بابا قصيدة بعنوان (المؤتمر الخطير في الصومام) نشرته أيضا جريدة الصباح بتاريخ 12 نوفمبر 1958م.

وكتب خرفي صالح أبو عبد الله قصيدة بعنوان (واصل الحرب) بتاريخ 2 مارس 1958م نشرته جريدة الصباح، كما كتب الطالب الجنيدي خليفة مجموعة مقالات بلغ عدد جرائدها تسعة تحت عنوان واحد وهو "رد بالجملة" الجزء الأول نشرته جريدة الصباح بتاريخ 10 أبريل 1958م، الثاني في 4 ماي 1958م، والثالث في 6 ماي 1958م،

¹ - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق، ص 365 وما يليها.

والرابع نشر في 7 ماي 1958م، والخامس بتاريخ 9 ماي 1958م، والسادس بتاريخ 10 ماي 1958م، والسابع بتاريخ 11 ماي 1958، ثم كتب مقالا بعنوان (الوجد الأخصب) نشرته مجلة الفكر بتاريخ نوفمبر 1958م، ومقال (حنين) نشرته أيضا مجلة الفكر في شهر ديسمبر 1958م.

وكتب ابن دادا عبد العزيز مقالا بعنوان (من المجرم) نشر على صفحات جريدة الصباح بتاريخ 14 ماي 1958م¹.

وكتب دودو أبو العيد قصة (العودة) التي نشرت على مجلة الفكر بتاريخ فيفري 1958م، وقصة (جاك دورك) نشرت على نفس المجلة بتاريخ أبريل 1958م، وقصة بعنوان (انتظار) نشرتها مجلة الفكر 12 أبريل 1958م، وقصة أخرى بعنوان (العلم) عبارة عن قصة بلغة أجنبية قام بترجمتها إلى اللغة العربية ونشرتها مجلة الفكر بتاريخ جوان 1958، وقصة (الفجر الجديد) نشرتها مجلة الفكر شهر نوفمبر 1958م.

وكتب الطالب ديب محمد قصة (السرداب) نشرتها مجلة الفكر في نوفمبر 1958م، وكتب الطالب رابح محمد مقال (الذكرى 18 لابن باديس) نشرته جريدة الصباح بتاريخ 12 أبريل 1958م.

وكتب الطالب ركيبي عبد الله مقالا ضم أربعة أجزاء حول (تأخر الفكر في مغربنا العربي) نشرته جريدة الصباح في أعداد متتالية كان الجزء الأول قد نشر بتاريخ 12 فيفري 1958م، والثاني بتاريخ 19 مارس 1958م، والثالث بتاريخ 26 مارس 1958م، والرابع بتاريخ 2 أبريل من نفس السنة، ثم كتب مقالا آخر بعنوان (مركب السمو والاستعمار في الجزائر) نشر بتاريخ 12 أبريل 1958م، ومقال (هل هذا رأي في المتنبّي) نشرته نفس الجريدة بتاريخ 26 أبريل 1958م.

¹ - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق، ص 366.

وكتب الطالب زعبوب إبراهيم مقال (يوم ابن باديس) نشرته جريدة الصباح 17
أفريل 1958م¹.

وكتب الطالب مفدي زكريا قصيدة بعنوان (ليلة القدر الكبرى) نشرته جريدة
الصباح، وكتب الطالب أبو القاسم سعد الله قصة بعنوان برقية من الجبل نشرته مجلة الفكر
في شهر أفريل 1958م، كما كتب ابن سليمان عيد قصيدة (الذكرى الرابعة للثورة) نشرتها
جريدة الصباح بتاريخ 8 نوفمبر 1958م، كما كتب الطالب الطالب عمار مقال بعنوان (ما
هكذا تورّد الإبل) نشرته نفس الجريدة بتاريخ 20 أفريل من نفس السنة.

وكتب الطالب عبيشو قحة قصة (الانتفاضة الأخيرة) نشرتها جريدة الصباح بتاريخ
21 ماي 1958م، كما كتب الطالي ع. محمد الجزائري مقال (إليك في جبالك الثائرة)
نشرته جريدة الصباح 5 جوان 1958م وكتب مجحودة أحمد قصة (فديتك يا شعبي أنا
الجزائر) نشرته نفس الجريدة بتاريخ 5 أفريل 1958م وكتب نابل عبد القادر مقال (ابن
باديس الخالد) نشرته جريدة الصباح بتاريخ 26 أفريل 1958م، وكتب النعيمي الشيخ مقال
(حول الثورة الجزائرية) نشرته جريدة الصباح بتاريخ 22 ديسمبر 1958م.

وكتب الطاهر وطار قصة (فدائية) نشرت على صفحات جريدة الصباح بتاريخ 22
مارس 1958م، وقصة (العمر موهوب) نشرت أيضا على نفس الجريدة بتاريخ 19 أفريل
1958م، كما كتب مقال بعنوان "حول الأدب التونسي" نشرت على نفس الجريدة 29 ماي
1958م².

وكتب عيسى بن سليمان الجزائري في أواخر السنة المذكورة بمناسبة ذكرى نوفمبر
المجيدة تحت عنوان "الذكرى الرابعة للثورة"، ضمنها 41 بيتا شعريا تغني فيه بأبطال
الثورة الجزائرية هذا بعض ما داء فيه:

¹ - محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 367 ومايلها.

² - نفسه.

شهاب للردى يتلو شهابا
وسهم للمنية قد أصابا
فلا تخشي فرنسا من عذاب
فإن الميت لا يخشى العذاب
وذوقي ما جنيت يا ملال
فإن المرء يجني ما استطابا
ومالك تعشقين الحرب دأبا
ومالك تمحقين بها الشبابا
فإن الحرب لا تجديك نفعا
فكم قد جرعتك الحرب صابا ...
بعثناها شهابات توالت
على رأس الغبي ومن تغابى...
فجاءت تخرق التاريخ خرقا
كما قد تخرق الشمس السحابا
وعول بالحديد ففيه بأس
يسمع من أصم ومن تغابى
فيعلم أننا أقوى جنودا
وأن النصر نبغيه اكتسابا
ولكن قد نفاوض يا فرنسا
ولسنا إن جنحنا يا فرنسا
وإننا في الحروب أسود غاب
إلى السلم سعيا واكتسابا...
سلي عنا الرواسي شامخات
يهاب لقاءنا من قد أهابا
حذار من التلاعب والتغابي
سلي الأوراس هل كانوا غضابا
وإننا قد أفسمنا يا فرنسا
فإن الحرب تسمعك الخطابا
على استقلالنا نروي الترابا¹.

¹ - ابن سليمان عيسى الجزائري، الذكرى الرابعة للثورة، الصباح، 8 نوفمبر 1958، ص 3.

ثانياً: كتابات الطلبة سنة 1959م:

تواصلت إسهامات الطلبة الجزائريين الفكرية وتنوعت أساليبها الأدبية والفكرية فكان أهم الإصدارات لهذه السنة كما يلي¹:

قام مصطفى الأشرف بكتابة مقال بعنوان (البطولة في الثورة الجزائرية) نشرته مجلة الفكر بتاريخ نوفمبر 1959م، كما كتب عبد الحميد بن هدوثة قصة بعنوان (هبهاب الكذاب) تألفت من أربعة أجزاء قامت بنشرها مجلة الإذاعة بتاريخ متابعة، فكان إصدار الجزء الأول بتاريخ 15 ماي 1959م والثاني بتاريخ 30 ماي 1959م والثالث بـ 14 جوان 1959م، والرابع بتاريخ 12 جويلية 1959م، كما كتب قصة أخرى بعنوان (بائع التذاكر) تم نشرها بنفس المجلة بتاريخ 30 ماي أيضا من نفس السنة وقصة "زيتونة الحب" تم نشرها أيضا على نفس المجلة بتاريخ 5 سبتمبر 1959م إضافة إلى قصة (الضفدعة والثعبان) التي نشر الجزء الأول منها بتاريخ 13 أكتوبر 1959م والثاني بتاريخ 17 أكتوبر على نفس المجلة.

كما كتب الطالب الزيتوني خرفي صالح أبو عبد الله ثلاثة قصائد نشرتها مجلة الفكر كان الأول بعنوان "تحية الجزائر" نُشر بشهر فيفري 1959م، وكان الثاني بعنوان "جميلة بوحيرد" تم نشره بشهر مارس 1959م، والثالث بعنوان "يوم الجزائر" نُشر بشهر جوان 1959م.

وكتب الطالب الجنيدي خليفة مقال بعنوان "قوارير عامر" نشرته مجلة الفكر بشهر 1959م.

وكتب مصطفى كاتب مقال بعنوان "حول الفن المسرحي" نشرته أيضا مجلة الفكر شهر مارس 1959م².

¹ - محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق.

² - نفسه.

وكتب الطاهر وطار قصة (صحراء أبدا) نشرتها مجلة الفكر بشهر أبريل 1959م، كما كتب قصة أخرى بعنوان (ممر الأيام) نشرت أيضا على مجلة الفكر بشهر ماي 1959م، وقصة (القبة الجليدية) نشر بشهر جوان 1959م، وقصة "زنوبة" نشرت بشهر جويلية على نفس المجلة¹.

ثالثا: كتابات الطلبة بداية الستينات:

كتب الطالب الزيتوني بوصبيح عبد الملك قصة "الشيخ المجاهد" تم نشرها بتاريخ 4 نوفمبر 1960م.

كما كتب ديب محمد قصة (غرور الشباب) ضمت أربعة أجزاء تم نشر الجزء الأول والثاني سنة 1960م بمجلة الفكر الأول في شهر نوفمبر، والثاني في شهر ديسمبر، والجزءان الآخران تم نشرهما في السنة الموالية.

وقام مفدي زكريا قصيدا بعنوان "إفريقيا" نشرته مجلة الفكر شهر مارس 1960م، كما كتب مقال بعنوان "ذكرى بن باديس" نشر في ماي 1960م، وقصيدا آخر بعنوان (هلال نوفمبر) نشرته مجلة الإذاعة بتاريخ 25 جوان 1960م، وقصيد بعنوان (جلالك يا عيد) نشر أيضا على مجلة الإذاعة بتاريخ 23 جويلية 1960م، وقصيد بعنوان (أنا ثائر) نشر بتاريخ 17 سبتمبر 1960م وقصيد بعنوان (تحية العلم الجزائري) بتاريخ 12 نوفمبر 1960م أيضا على نفس المجلة الإذاعة، ثم قصيد بعنوان (فكرة المغرب العربي) نشرته مجلة الفكر شهر نوفمبر 1960م.

وكتب ابن عبد القادر الجزائري قصتين كانت الأولى بعنوان "سأنتقم لك يا جدار" نشرتها مجلة الفكر شهر نوفمبر 1960م، والثانية بعنوان "عندما تغلي الدماء" نشرتها جريدة (الصباح) بتاريخ 22 ديسمبر 1960م.

¹ - محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق.

وكتب الطاهر وطار قصة بعنوان "حبة اللوز" نشرتها مجلة (الفكر) بشهر مارس 1960م، كما كتب مسرحية تألفت من ثلاثة أجزاء بعنوان "على الضفة الأخرى" نشرت الأولى بشهر نوفمبر 1960م والثانية شهر ماي والثالثة بشهر جويلية من نفس السنة، وكتب قصة (ابتسمي) نشرتها نفس المجلة بشهر أكتوبر، كما كتب قصة (أينا المذنب) نشرتها جريدة الصباح بتاريخ 22 جوان 1961م، وقصة (محور العار) نشر الجزء الأول منه في شهر نوفمبر 1961م على مجلة الفكر، والجزء الثاني في السنة الموالية¹.

وكتب بن هودقة عبد الحميد قصة بعنوان "لن أبنى للخراب" نشرتها مجلة (الإذاعة) بتاريخ 2 أكتوبر 1961م.

كما كتب خباشة صالح (ابن بابا) قصيد بعنوان "النصر لا يعطى" نشرتها جريدة الصباح في 22 م نوفمبر 1961م.

وكتب ديب محمد قصة (غرور الشباب) بجزأيه الثالث والرابع نُشر الثالث منه في فيفري 1961 والرابع بشهر مارس 1961م، وكان الجزءان الأول والثاني قد نشر في سنة 1960م.

كما كتب شيبوب عثمان مقال بعنوان (مع فدوى طوقان) نشرته مجلة (الإذاعة) بتاريخ 7 جانفي 1961م.

وكتب الصديق محمد الصالح مقالا بعنوان (تحيا الجزائر) نشرته جريدة الصباح بتاريخ 5 نوفمبر 1961م.

كما كتب يحي بوعزيز مقال بعنوان (علاقة الجزائر الدولي) نشرته جريدة الصباح بتاريخ 5 جويلية 1962م².

¹ - محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق.

² - نفسه.

وكتب خرفي صالح أبو عبد الله مجموعة قصائد سنة 1962م، كان أولها قصيد بعنوان (نوفمبر) نشرته مجلة الفكر بشهر جانفي وقصيد "الجرح المتجاوب" نشرته مجلة اللغات نشر أيضا شهر جانفي، كما كتب قصيد (أطلس المعجزات) نشرته مجلة الفكر شهر فيفري وقصيد بعنوان (عيد بلا أم) نشرته مجلة اللغات، نشرته بشهر مارس 1962م، ومقال (الحرية في الشعر الجزائري) نُشر الجزء الأول منه في مجلة الفكر شهر مارس وجزءه الثاني بشهر أفريل على نفس المجلة، وقصيدا بعنوان (موجة الحرية) نشرته مجلة اللغات بشهر ماي 1962م.

وكتب دودو أبو العيد مقال بعنوان (محمد العيد رائد الشعر الجزائري) نشرته مجلة الفكر شهر جانفي 1962، وترجم لقصة (لحظة حاسمة) على نفس المجلة بشهر مارس 1962م، وأيضا لقصة (انهيار قلب) بشهر ماي، وكتب مقال بعنوان (تعصب أم جنون) نشر شهر نوفمبر 1962م، كما ترجم أيضا مقال "أصوات وأغان" بشهر ديسمبر، ترجم قصة (الأغنية النائمة) شهر جانفي 1963م¹.

كما كتب شيبوب عثمان مقال (المسرح الجزائري) نشرته مجلة اللغات بشهر جوان 1962م.

وكتب الطاهر وطار قصة (محور العار) الجزء الثاني تم نشره بمجلة (الفكر) جانفي 1962م، وكان الجزء الأول قد نشر في سنة 1961م، وقصة "السباق" نشرته مجلة اللغات بشهر فيفري 1962م، وكتب مسرحية (الأميرة) في جزأين نشر الجزء الأول في جريدة العمل بتاريخ 24 جوان 1962، والجزء الثاني في 8 جويلية من نفس السنة ومسرحية أخرى بعنوان (الهارب) نشر الجزء الأول منه في مجلة الفكر بشهر أكتوبر 1962 م والجزء الثاني في شهر نوفمبر أيضا من نفس السنة وعلى نفس المجلة².

¹ - محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق.

² - نفسه.

لقد لعب جامع الزيتونة الدور الكبير في الصراع العقدي والتحرري القائم في الهوية العربية الإسلامية لتونس وعمليات المسخ الحضاري الذي عوّل عليها منظرو الحملة الاستعمارية الفرنسية من مستشرقين، وأساقفة، ومبشرين، وكان من نتائج الاحتلال الفرنسي للبلاد التونسية بروز عوامل الوحدة القومية، وبذلك تضاءلت عوامل التفرقة والتمايز بين عناصر الأمة سواء ما يرجع منها إلى المكانة الاجتماعية أو ما يرجع إلى المكونات الثقافية، وشغلت الزيتونة مركز الضمير الجماعي ورمز الهوية الحضارية العربية الإسلامية للشعب التونسي ذلك أن أعظم معالم المجد القومي في البلاد التونسية وأجمعها للمعاني التي تمثل عظمة الماضي وضمأن الحاضر والمستقبل هو جامع الزيتونة لأنه يمثل قدسية الدين وعراقة المجد وعظمة الحضارة الإسلامية سلطان الثقافة العربية، وكان له الدور الهام في تأطير مختلف شرائح المجتمع ذلك أنّ النسبة الغالبة من المثقفين آنذاك إنما هي لخريجي جامع الزيتونة أصحاب الثقافة العربية الصرفة.

إن ما قدمته الجامعة الزيتونية وعلمائها من أفضال للجزائر لا يمكن حصرها أو تقديرها بثمن، والجزائر مدينة لها ولا تستطيع أن ترد لها هذا الجميل، لأن الزيتونة هي التي كوّنّت الأجيال المثقفة الجزائرية التي حافظت على عروبته وإسلامها.

فمن جامع الزيتونة تخرج عشرات العلماء الوافدين من الجزائر وظلت صلتهم بهذا المعهد العربي موصولة من جيل لآخر، ولم تفتقر إلا بدخول الاستعمار الفرنسي الذي قطع الأواصر، وهدم جسور العلم، وأحكم الرقابة على الحدود لمنع التبادل إلى أن جاء عبد الحميد بن باديس وأبي اليقظان مطلع العشرينات، ليكون بذلك الفضل لهما في تنمية الإقبال العلمي ونشر الوعي والحث على السفر للاستزادة من العلم، وعدم الاكتفاء بالمبادئ التعليمية الأولية التي يجري تلقينها بالكتاتيب والمدارس وتحميل أولياء الطلبة توجيه أبنائهم للدراسة بالزيتونة حرصا على إبقاء جذوة الطموح متوارثة موصولة بين الأجيال لتخريج علماء من هذا الجامع الأعظم وبثهم في كل الآفاق الجزائرية التي حرّمها الاستعمار من أبسط وسائل التعلم

والتثقيف، وكانت بذلك البعثات المنظمة بعثة تلو الأخرى، وبفضل الحماسة والتشجيع تنفق على الزيتونة وبقية المراكز العلمية الأخرى المتاخمة للحدود الجزائرية، فتعاضم عدد الطلبة ليشكل قوة حقيقة وحماية أكيدة للعروبة والإسلام، وهبوا لنهضة الجزائر الحديثة.

وإجمالاً فإنّ هذه السطور المختصرة على طور المرحلة العلمية في اتجاه تونس وجامع الزيتونة ترسم لنا الصورة الأولى من صور تطلع الجزائريين منذ بداية تأسيس أول المراكز العلمية بتونس إلى التفقه في الدين والاستزادة من علوم العربية لتعميق علاقتهم بالحضارة والدين، كما ترسم لنا كذلك مدى الصعوبات في ظروف كانت الرحلة العلمية فيها كثيرة المخاطر بدائية الوسائل، على أنّ هذه الظروف الصعبة والوسائل البسيطة قادت هؤلاء العلماء إلى تحقيق شتى رغباتهم وتطلعاتهم، ومكنتهم بنبوغهم وجدهم من تأسيس عدة مراكز كانت على مر الفترات التاريخية محطات لرجال العلم الأمر الذي مكن من ازدهار الحركة العلمية والإصلاحية في ربوع الجزائر وأبقى على الوشيجة الحضارية التي كانت تشد بين الجزائر وتونس أو بالأحرى بين الجزائر والمشرق، ولا شك أنّ طور الرحلة العلمية هو الذي ساهم في الحفاظ على ما للجزائر اليوم من تراث زاخر بأسماء الأعلام والمؤلفات، وهو الذي أبقى الجذوة موقدة في نفوس الأجيال الصاعدة الذين ترسموا خطى الآباء في اتجاه جامع الزيتونة.

إنّ هذه الرحلات العلمية كانت أيضاً طورا من البعث والإحياء وإعادة الجسور المقطوعة، وتمركزت الجهود خلاله على تنظيم هجرات جماعية ذات أهداف محدودة لا تتعدى الدراسة ثم العودة إلى الجزائر لمباشرة مهمة تعليمية وإصلاحية، فإلى هذه البعثات يعود الفضل في صهر جميع الخلافات التي أراد المستعمر بذرها بين المناطق إثارة للفتنة، فعلى مقاعد الدراسة أصبح الطلبة الجزائريون من كل حدب وصوب مثالا لوحدة الفكر والتمازج الوطني، كما أنّ من نتائج هذه البعثات المتتالية هو إفرازها المستمر لعدد من الكتاب والشعراء والمفكرين والصحفيين والأدباء والزعماء السياسيين الذين أثروا تاريخ الجزائر السياسي والأدبي، وأصبحوا من أعلامه البارزين ومثلوا في شعرهم ونثرهم روح الجزائر المناضلة وثورتها الفريدة.

يمكننا القول أنه كان لجامع الزيتونة دور في بروز البعدين الإسلامي والعربي في ترجمات الحركة الطلابية الجزائرية بالزيتونة، من حيث الموقع الذي احتله هؤلاء الطلبة الزيتونيون، فقد كان لازدواجية البعدين العربي والإسلامي في تلك الثقافة التي تبنتها تلك المؤسسة العلمية أثرا في بقاء ذلك التلازم بين النزعتين العربية والإسلامية.

ولعل الأعمال الجليلة التي قدمها هؤلاء الطلبة بشهادة تقارير المخابرات الفرنسية ومراسلات القناصل والعملاء تدل دلالة واضحة أن هؤلاء الطلاب وغيرهم، جيل تربي على الوطنية والعروبة والإسلام وسوف تبرز الدورة التاريخية أن هؤلاء هم الذين كانوا وقود الثورة ورائدهم في ذلك الطالب الزيتوني الشهيد قاسم زيدون (زدور) وأمثاله ممن قضاوا نحبهم شهداء، وهؤلاء هم الذين كان من الأجدر بنا أن نحتفل بهم ونتذكرهم.

لقد حارب الطلبة الزيتونيون الجزائريون ضد جبهات كثيرة كان أقواها الاستعمار الفرنسي وأعدائه، ولكن ذلك لم يمنع الطلبة من القيام بدور تاريخي مشرف، إذ شاركوا في صفوف الثورة مجاهدين مثلما كانوا أحسن صوت مثل الجزائر في المحافل الدولية بواسطة التنظيمات الطلابية التي أسسوها، ولم يمنع ذلك الطلبة من مواصلة التحصيل العلمي في ظروف قاسية وتمكنوا من إدارة شؤون البلاد بعد الاستقلال مثلما قاموا بدور متفرد في التاريخ بمساهماتهم في بناء وتشبيد الدول التي تدرسوا بها، ومن ذلك ما قاموا به في تونس حيث خاضوا حركة النضال السياسي والصحفي والفكري التونسي وسيروا كثيرا من دواليب إدارتها، حيث أشاد بهم عظماء الثورة لمكانتهم البارزة ودورهم الفعّال في ذلك ومن الذين نوّهوا وافتخروا بهم نجد الزعيم السياسي فرحات عباس في كتابه "ليل الاستعمار" قائلاً عنهم: "... وكان الجزائريون المتخرجون من جامعة الزيتونة في تونس والأزهر في القاهرة، يجعلون من نهضة الإسلام والقومية العربية الشروط الأولى للنهضة الجزائرية، وكان أنصارهم من جماهير الفلاحين يشكلون عددا ضخما فقد كان الشعب الجزائري الذي أرهقه حكم الاستعمار، ينطوي على نفسه ويتمسك بقوة عقيدته الدينية وانتماؤه القومي.

ولم يقتصر دور الطلبة على طلب العلم وحده، ولكنهم جمعوا إلى طلب العلم تكويننا وطنيا وإنسانيا، إذ وعوا طبيعة المعركة المقبلة مع المستعمر، وتجنّدوا لإفشال خطته في اجتثاث الجزائريين ومسخهم وفرنستهم فكانوا جنود ابن باديس في النواحي وأعضائه في الدعوة ومحرّري صحافته.

وقد مكنتهم الظروف الخاصة بتونس من حشد صفوفهم والتآلف، وتأسيس الجمعيات والمننديات حيث كانت جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين خير ممثل ومعين لهم، والمدافع عن حقوقهم ومن مآثرها إحياء الذكريات والاحتفاء بعظماء رجال العلم الجزائريين وتكثيف النشاطات الوطنية في إطار عمل اجتماعي طالبي يرتبط بفلسفة ابن باديس الهادفة إلى تكوين رجال قادرين على وعي الأوضاع الاجتماعية لوطنهم والتصدي للاستعمار بكل جرأة وشجاعة، ومتابعة العمل الإصلاحي التربوي الهادف إلى نشر التعليم وتربية النشء وتنوير العقول كي تتأهل لوعي وضعها واستنباط الحلول اللازمة للخروج من أزمتها.

إن جمعية الطلبة الجزائريين نشأت نشأة صرفة تساعد على تكوين خطباء يرفدون حركة جمعية العلماء، إلا أنها لم تلبث أن وسعت نشاطها لتمتد إلى مؤازرة الحركة الوطنية الجزائرية وأولت التعريف بالجزائر وقضية الوطن المحتل اهتماما خاصا، وعقدت لهذا الغرض المنابر والاجتماعات والمناسبات كمناسبة الهجرة النبوية التي كانت بمثابة الإعلان الرسمي عن خروج الجمعية من حيز التجمعات الطلابية إلى واقع العمل الوطني المباشر.

لقد كان لها الفضل في اجتذاب أعداد وافرة في الطلبة الذين بلغ عددهم في سنة 1952، نحو الألف وخمسمائة طالب، وتأمين السكن لهم وإعانتهم على توفير مستلزمات الحياة الضرورية.

تكوين الأندية والمكاتب والأنشطة الرياضية وتنظيم الدروس التداركية خصوصا في مادتي الحساب والرياضيات.

وكان لها الفضل في إصدار ثلاث نشرات احتفظت لنا بتاريخ الجمعية وبنشاطها ودلت على ضروب العرفان.

وقد توج هذا الكفاح الممتد طيلة نصف قرن تقريبا بظهور الاتحاد العام للطلبة الجزائريين، الذي جمع شمل كل الطلبة وجمع خلافاتهم المذهبية والفكرية وجعل منهم قوة تساند الثورة المسلحة.

وهكذا كان النضال الطلابي الجزائري بتونس مشرفا ولم يتوقف على المطالب النقابية بل كان له نضالات وطنية كان من بينها تكوين خطباء وموجهين سياسيين ورواد إصلاح.

هذه الظاهرة "الباديسية" هي التي عمقت التبادل العلمي والفكري وأرست اللبنة الأولى في صرح المغرب العربي، وجعلت الجزائريين يقبلون على المشاركة بحماس وإيجابية في الحياة السياسية والوطنية بتونس من ذلك انخراط أغلبهم في عضوية الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1920م، والمساهمة في بنائه ودعم اتجاهه السياسي الهادف إلى معارضة المستعمر والتصدي لقوانينه والتغلب على طغيانه وجبروته، واضعين ومسخرين كل إمكانياتهم المادية والمعنوية في خدمة الحزب وخدمة الحركة الوطنية.

إضافة إلى نشاطاتهم الفكرية عن طريق الكتابة في الصحافة التونسية، وشن الحملات القلمية الفاضحة لأساليب الاستعمار، وحتى يضطلع العالم العربي بأسره على مجريات الأحوال بما يعانیه الشعب الجزائري والتونسي، حيث تجنّد الطلاب الجزائريون للكتابة ولإعلاء صوت الثورة الجزائرية بنشرهم للمقالات الفكرية والسياسية وملئهم لصفحات الجرائد والمجلات الأدبية التونسية بثمرات إبداعهم الشعري والنثري بل أصبحوا موظفين وإطارات سامين في إذاعتها ومسؤولين في المؤسسات الهامة بتونس، وأعضاء في الجمعيات والأندية الثقافية. وبذلك فنجد العلاقة الفكرية التي نشأت بين البلدين بلغت مكانة عالية وبالأحرى بين التونسيين والجزائريين الذين تمازجوا منذ القرون السحيقة ليشكلوا ملامح ومظاهر فكرية وثقافية موحدة استطاعت رغم جحافل الغزاة والمستعمرين الذين وطأت أقدامهم هذه الربوع الحفاظ على عمق الجذور العربية الإسلامية.

وبذلك مثلت تونس في كل الظروف الخط الإستراتيجي الثاني بالنسبة للحركة الفكرية والوطنية الجزائرية وبذلك أنه كلما شددت السلطة الاستعمارية قبضتها على الصحافة وعلى

وسائل التعبير، لجأ الكتاب الجزائريون إلى الصحف التونسية متخذين منها منبرا لكتاباتهم ومسرحا لشن حملاتهم القلمية ضد السلطة بالتضامن مع الوطنيين التونسيين، ولعل صدور العديد من الصحف الجزائرية وطباعتها بتونس وإدخالها وتوزيعها بالجزائر لخير دليل وأحسن مثال على هذا التضامن الذي أثار خنق السلطات وأفقدتها صوابها.

وهكذا فقد كان إسهام الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس بنشاط زاهر مختلف الأغراض والوسائل غير مقتصر على طلب العلم فقط، وإنما يفضي إلى تحقيق الهدف الوطني المنشود وبلوغ النتيجة المرجاة وهي تحقيق حرية الجزائر وتأكيد هويتها العربية الإسلامية.

وإلى جانب النهضة العلمية الباديسية نجد إخوانه المصلحين من الجنوب قائلين وسائرين على نفس نهج عبد الحميد ماضين قدما في خطاه مثبتين لدعائمتها وفي مقدمتهم الشيخ أبو اليقظان والشيخ إبراهيم اطفيش والشيخ محمد التميني حيث كان لهم جدوى عظيمة لنهضة الجزائر الإسلامية العربية الحديثة. ومن ذلك نجد الطلاب من البعثات الأولى التي ابتدأت بالرجوع منتصف العشرينات، يشمرون للعمل الإصلاحي، ساعين لتثقيف عقول الأمة والزيادة في وعيها بالوعظ والإرشاد الحي في الجامعات بخطبهم في المحافل سيما التي تضم جمهوراً كبيراً مثل محافل الأعراس التي تقع في الكثير من مدن ميزاب، كما كانوا يقيمون الحفلات الأدبية في المناسبات التي كان يحضرها جم غفير من الشباب الذين تأثروا وأعجبوا بالإصلاح الذي أنجب لهم هذه الصفوة العاملة لخيرا للدين والوطن، فكانوا حافزا ومشجعا لهم لسلك دربهم والاهتداء إلى الرحلة من أجل تحصيل العلم.

تأييد الإصلاح في ميزاب والجزائر بأبناء البعثة بعدما تأكدت فيهم فكرته التي شرحت عقولهم وبدت في فصاحة ألسنتهم وحماسة أفكارهم، وهبت المدن الميزابية لإنشاء مدارسها القرآنية العصرية الابتدائية الحرة، للعلوم العربية والدينية، وجمعياتها الخيرية القائمة بهذه المدارس على الوعظ والإرشاد وإعانة للفقراء والمساكين، بعدما وجدت من أبناء البعثة معلمين ومربين ودعاة أكفاء، فصارت المساجد أكثر عمارة وازدهرت المساجد بوعظها

الجدد الذين هاجموا كل أنواع الفساد التي بثها الجهل والاستعمار بكل وسائله في المجتمع الميزابي والجزائري، وانقضوا على المفسدين وأذئاب الاستعمار الطغاة الذين يحاربون الإصلاح ويريدون إبقاء الجزائر في ظلام الجهل، فأزالوا بدروسهم الكثير من البدع وأحيوا كثيرا من السنن، حيث اتجهت النفوس متعطشة إلى المساجد التي تقع فيها هذه الدروس الحية.

وخاض بذلك خريجو البعثات التونسية ومعهم خريجو معهد الحياة والمدارس العربية الحرة والمصلحون في ميزاب المعارك الضارية ضد الاستعمار العسكري الصليبي في جنوب الجزائر، وضد بعض القياد الفاسدين الذين جعلهم الاستعمار أذئاب العقارب السامة ينهال بها على الإصلاح والنهضة للقضاء عليها، ومدارسها ونواديها وجمعياتها، حيث أجهدوا للقضاء عليها وعلى مصالحها، فكان كيدهم أشد الشرّ على النهضة خاصة وأنهم يدعون الدين ويتظاهرون بمظاهره ويحاربون الإصلاح باسمه، فدامت هذه المعارك ضد أعداء الإصلاح نحو أربعين عاما وكان جنود البعثة التونسية البواسل في مقدمة المعارك الضارية ضد الفساد والجهل وبفضل ثبات أئمتهم أمثال الشيخ بيوض وأبي اليقظان كان النصر للإصلاح.

وبذلك غذى خريجو البعثة التونسية ومعهد الحياة في القرارة ومعاهد عديدة بميزاب شباب النهضة العتيد، تطورت بفضلهم تطورا عظيما، وكانت أصل الثورة العربية الإسلامية على العدو الصليبي. ولما اندلعت ثورة الفاتح من نوفمبر المباركة في عام 1374هـ/ 1954م كانوا جندها وأنصارها، وقواعدها الدائمة الراسخة، حيث جاهد كل واحد منهم بشجاعة وحكمة وثبات في سبيل الله والوطن، فأجدوا على الثورة الجدوى العظيمة من الشمال إلى الجنوب.

وأصدر أفاض هذه البعثات العلمية الميزابية الأولى الصحف الوطنية العربية في الجزائر فرفعت راية الإصلاح ونشرت النهضة في أنحاء الجزائر، وهدت أركان المفسدين والمستعمرين ودافعت عن النهضة الإسلامية العربية الجزائرية وعززت جانبها، وأسمنت أنحاء العالم العربي والإسلامي صوت الجزائر المدوي، وعرفت بجهاد الجزائر وبطولات

شبابها وما يقاسيه فكانت مغنما عظيما للجزائر، وفتحا كبيرا للإصلاح الذي يخمد الاستعمار أصواته.

وهكذا انبعثت ثمار الجامع الأعظم الذي يعود الفضل إليه في تخريج علماء نبغاء أكفاء أسهموا بنشاطاتهم في مختلف الميادين فكرية واجتماعية وإصلاحية وأخرى سياسية فحاربوا الاستعمار بكل جهد نفيس، وأناروا دروب الجهل التي اختطتها بشعلة البعثات التي كان لها الأثر الحميد في رسم الخطوط العريضة للنهضة الحديثة بالجزائر وبث روح العلم والتعلم في أبنائها جيلا بعد آخر لمواصلة السير على نفس النهج الذي قام عليه أئمتهم وعلمائهم، فاستفادوا وأفادوا جزاهم الله خير الجزاء.

هكذا حمل الطلبة المهاجرون قبل الثورة وأثناءها هموم الوطن الجزائري وأفصحوا بحرية وانطلاق وشجاعة عن ارتباطات هذا الوطن القومية والإسلامية، سعيا منهم إلى إغاظة المستعمر الذي عمل كل ما في وسعه على قتل الشخصية الجزائرية، وطمس معالمها، ومحاولة فرنستها وتشويه لغتها، وتلويث عقيدتها بإفساح المجال للطريقين، كما سعوا إلى بث روح النخوة والهمة وتنوير الشعب الجزائري بإحياء تاريخه المجيد وتبصيره بمسيرة أسلافه الذين خاضوا المعارك الظافرة وسطوا نفوذهم شرقا وغربا.

وقد استمر هذا العمل الاستنهاضي متوصلا منذ مطلع القرن إلى غاية اندلاع ثورة نوفمبر المجيدة، والذي تمثلت رسالته في الدعوة إلى مواجهته بكل أشكال المواجهة السلمية منها والعسكرية.

فلقد أكد الشيخ الإبراهيمي مدى مساهمة الجالية المهاجرة بما فيها الطلبة ودورهم في إحياء وبعث حركة النهضة، وإرساء ثورة فكرية جديدة عمقت من الحس الوطني، وقد عبر عن ذلك بقوله: ورجع أفراد من الإخوان الذين كانوا بالمشرق مهاجرين أو طلابا للعلم، وجماعة من تلامذة الأستاذ عبد الحميد بن باديس الذين أكملوا معلوماتهم بجامع الزيتونة، تتطوي نفوسهم من أساتذتهم على فكره وروحه، ومن جامع الزيتونة على متونه وشروحه فاستقام الصدد، وانفتح السدد وتلاحق المدد وكانت أصواتنا مسموعة ما يكن من صيحة، ومن

.....
النهضة بجميع فروعها والثورة الفكرية بتمام معانيها.

| رقم الملحق | عنوانه |
|-------------------------|---|
| الملحق رقم 01 | الجامعة الزيتونية بتونس |
| الملحق رقم 02 و 03 و 05 | خاص بجمعية الصداقة للجزائريين بتونس |
| الملحق رقم 04 | إضراب الطلبة الزيتونيين |
| الملحق رقم 06 | رسالة خاصة بإضراب الطلبة الزيتونيين |
| الملحق رقم 07 | مقطع مترجم من جريدة الصباح لـ 28 ماي 1957 خاص بنداء للطلبة الجزائريين بتونس من قبل ج.ط.ج |
| الملحق رقم 08 | إخبارية بتاريخ 1956/12/5 حول طلبة ج.ز بتونس |
| الملحق رقم 09 | تعلية خاصة بالطالب قاسم بن سليمان شريف روزيق |
| الملحق رقم 10 | إرسالية خاصة بالطالب قاسم بن روزيق |
| الملحق رقم 11 | مقطع مترجم من جريدة البصائر ليوم 13 مارس 1953 |
| الملحق رقم 12 و 13 و 14 | إرسالية خاصة بتكوين المجلس الإداري لج.ط.ج.ز |
| الملحق رقم 15 | تقرير خاص بـ7 طلبة جزائريين مبعدين من تونس |
| الملحق رقم 16 | تابع للطلبة السبعة الجزائريين المبعدين تابع للطلبة السبعة الجزائريين المبعدين |
| الملحق رقم 17 | مقطع مترجم من جريدة الزهرة بـ27 /01/ 1956 |
| الملحق رقم 18 | نشاط الطلبة الجزائريين بالزيتونة |
| الملحق رقم 19 | جمعية الإعانة للطلبة بالأوراس |
| الملحق رقم 20 و 21 | خاص بترجمة لرسالة العقيد عميروش إلى الطلبة بتونس المبعوثة بتاريخ 1958/11/9 |
| الملحق رقم 22 و 23 | خاص بترجمة رسالة العقيد عميروش الصادرة بـ 1958/11/7 |
| الملحق رقم 24 | تعليق على ما ورد في رسالة العقيد عميروش |
| الملحق رقم 25 و 26 | استعلامات حول رسائل مبعوثة من قبل العقيد عميروش بتواريخ 1958/11/19 و 1958/11/20 |
| الملحق رقم 27 | مقطع مترجم من جريدة الزهرة بـ 30 /10/ 1953 بخصوص أزمة السكن |

| | |
|---|-------------------------|
| الثمررة الأولى لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين | الملحق رقم 28 |
| إرسالية خاصة بإعلان مبلغ الإعانة لبعض الطلبة الجزائريين | الملحق رقم 29 |
| طلب إعانة إلى الطلبة مخلوفي محمد، سلمان عمور وبخوش سماعيل ب 24 ماي 1956 | الملحق رقم 30 و 31 و 32 |
| رسالة خطية لطالب جزائري زيتوني (k.m) متعاون مع الإدارة الاستعمارية بتاريخ 1954/04/7 | الملحق رقم 33 و 34 و 35 |
| إرسالية خاصة بعبور طلبة جزائريين إلى القالة | الملحق رقم 36 و 37 |
| مقطع من مقال "إن الوحدة الوطنية قد تحققت" لأحمد مزغنة، الصباح 1951 | الملحق رقم 38 |
| مقطع من رسالة الجمعيات جريدة الصباح 19 مارس 1954 | الملحق رقم 39 |
| مقطع من مقال شاعر من الجزائر لأحمد توفيق المدني، الصباح 20 جويلية 1957 | الملحق رقم 40 |
| مقطع من مقال الطالب الجزائري والثورة لعيسى الجزائري، الصباح 22 أوت 1956 | الملحق رقم 41 |
| مقطع من مقال غرة نوفمبر أو مولد الشعب الجزائري ليحي بوعزيز، الصباح 2 نوفمبر 1956 | الملحق رقم 42 |

مقابلة مع الشيخ حامد بن كابو
أحد خريجي جامع الزيتونة
بمقر سكناه يوم 12 ديسمبر 2014 بسيدي بلعباس

هو السيد حامد بن عمر بن صالح بن كابو من العائلات المعروفة بمدينة سيدي بلعباس، حيث كان والده خالد رحمه الله أحد المشايخ الذين أفنوا حياتهم في سبيل العلم وتعليمه من ذلك أنه كان يأوي الطلبة الراغبين في تعلم العلم بمسجده فيتكلف بأكلهم ومشربهم ومبيتهم... وظل المسجد مفتوحا لتلقي العلم إلى يومنا هذا حيث يواصل الشيخ حامد بن كابو الدرب لإتمام مسيرة والده. تلقى الشيخ خالد مبادئ تعلمه على يد والده، التحق بجامع الزيتونة سنة 1946، وفي سنة 1950 أتم حفظ القرآن الكريم في سنة 1948 تحصل على شهادة الأهلية ثم تحصل على شهادة التحصيل في العلوم في ديسمبر سنة 1951، وقبل تحمله على شهادة العالمية التي تعد أعلى المراتب التي يتحصل عليها الطالب الزيتوني كان قد أتم حفظ القرآن الكريم.

كان للشيخ خالد نشاطات سرية ثورية من ذلك أنه كان أحد أعضاء حزب الشعب الجزائري، حيث ألقى عليه القبض سنة 1956 بـ"بطيوة" بعدما كان بحوزته إحدى المناشير الثورية.

قضى الشيخ حياته في سبيل العلم والتعلم وهو الآن متقاعد بعدما كان أستاذا بثانوية النجاح في مادة الأدب العربي ومتفرغ لإعطاء الدروس الدينية بالمسجد الذي كان والده قد سخره للصلاة والتعليم والكائن بحي "القرابة" فأطال الله بقاءه لنفع أبناء أمته بعلمه ودينه.

مقابلة مع الشيخ عبد الحفيظ عشي

أحد خريجي جامع الزيتونة

"يوم 28 أفريل بقسنطينة"

تاريخ ومكان الازدياد: ولد الشيخ الأستاذ عبد الحفيظ عشي بتاريخ 1 جويلية سنة 1927
بمرسط ولاية تبسة.

حفظ القرآن الكريم بإحدى مساجد تبسة كما تلقى تعلمه الأول ودراسته الابتدائية
والإكمالية بمسقط رأسه في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان ينشطها
هناك الشهيد العربي بن بلقاسم التبسي.

التحق بجامع الزيتونة سنة 1942، سجل بالجامع الأعظم حيث كان رقم دفتر تسجيله
في جامع الزيتونة 22418، حصل على شهادة الأهلية عام 1947م، ثم تابع الدراسة إلى أن
نال شهادة التحصيل سنة 1950.

كان عضوا في اللجنة الثقافية التابعة لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس.

بعد تخرجه من جامع الزيتونة عاد إلى وطنه الجزائر، حيث التحق بمدارس جمعية
العلماء المسلمين بالشرق الجزائري فدرّس في مدرسة "تهذيب البنين والبنات بالتلازمة"
ولاية "ميلة" حاليا من سنة 1950 إلى غاية 1953. ثم يلتحق بجمعية التربية والتعليم
الإسلامية بقسنطينة سنة 1953 إلى غاية 1957.

وبعدما أغلقت السلطات الفرنسية كل مدارس جمعية العلماء عام 1957 بعد انخراط
أعضائها في جبهة التحرير الوطني واعتقال الشيخ أحمد حماني وخير الدين واغتيال العربي
التبسي ورضا حوحو.

وبعد الاستقلال، عاد إلى التعليم فترقى إلى عدة مناصب آخرها مفتش للتعليم الابتدائي،
إلى أن أحيل إلى التقاعد عام 1987م.

مقابلة مع الشيخ مصطفى بوغابة

أحد خريجي جامع الزيتونة

"يوم 21 أفريل 2008 بمؤسسة عبد الحميد بن باديس"

ولد السيد مصطفى بوغابة يوم 23 ديسمبر 1926 بمدينة قسنطينة، في إحدى العائلات العريقة والمعروفة بالمدينة، أخذ السيد مصطفى تعليمه الابتدائي بقسنطينة وبعد إتمامه انتقل إلى التعليم الإكمالي الذي أنهاه بإجراء امتحانات سنوية، وبعد نجاحه تمكن من اجتياز المسابقة التي خصصها مشايخ معهد عبد الحميد لإرسال بعثة طلابية إلى تونس وإتمام التعليم العالي بجامع الزيتونة حيث يتضمن قانون المسابقة اختيار المعهد للطلبة الثلاثة الأوائل المتفوقين في دفعته لسنة 1941، لكن ظروف مصطفى الصحية وإصابته بمرض الباليديزم ومعارضة عائلته منعه من السفر معهم، وبعد معافاته التحق مصطفى بهم سنة 1944 وبذلك كان الطلبة قد سبقوه للتعليم بثلاث سنوات، وبعد قضائه أربع سنوات من الكد والجهد حاز السيد مصطفى على شهادة التحصيل وكان ذلك سنة 1947، حيث كان أحد أعضاء جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، وكانت له العديد من النشاطات الثقافية من بينها كتاباته لبعض المقالات المتعلقة بالطلبة الجزائريين الزيتونيين والتي كانت تصدر بنشرية الجمعية وهي "الثمرة الثانية". وفور رجوعه أرض الوطن انضم إلى المعهد لإفادة أبناء وطنه بالعلم الذي حازه، وبعد قضائه ما يفوق الأربعين سنة في سلك التعليم أحيل اليوم على التقاعد فجازاه الله وأطال بقاءه.

مقابلة مع السيد الطيب توفيق

بمقر سكناه بسيدي بلعباس في يوم 2015/04/27

ولد الشيخ الطيب توفيق بالثامن من شهر نوفمبر سنة 1938 بوهران تعلم مبادئ اللغة العربية وأتم حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، بعد ذلك انتقل إلى الدراسة في قسنطينة بشهر سبتمبر سنة 1954، ليلتحق بمعهد عبد الحميد بن باديس، حيث أقام بدار الطلبة التي كانت تضم حين ذاك 400 طالب تقريبا، وبعد اندلاع ثورة التحرير شهد المعهد العديد من المضايقات من قبل الإدارة الفرنسية انتهت بغلقه في نفس السنة، وفي شهر ماي كان الطالب الطيب توفيق قد أتم السنة الدراسية، فرجع إلى بيته وبعد فترة وجيزة قرر بتحفيظ من والده (رحمه الله) السفر إلى تونس لإتمام دراسته بجامع الزيتونة، كان ذلك في بداية السنة الدراسية 1955م- 1956م، التي واصل فيها السنة الثالثة ثانوي، وكان قد قام بكراء بيت ليسكن فيه يدفع مقابل كل شهر 8000 فرنك، وكان يتردد على منزله بعض الوطنيين الذين كانوا يعقدون حلقات يناقشون خلالها قضايا بسيطة متعلقة بالاشتراكات ومعلومات حول قدم بعض الجرحى للتداوي بمستشفى بتونس يسمى (L'hôpital Italien) في تواريخ معينة وكان الطالب التوفيق يحضر هذه الاجتماعات.

وبحلول شهر ماي وبعد صدور قرار الإضراب عن الدراسة، كانت ج.ط.ج بتونس قد أصدرت بلاغا ينص على ضرورة القيام بهذا الإضراب من قبل جميع الطلبة الجزائريين بتونس، وكان الطالب التوفيق آنذاك من المحبذين للفكرة خاصة وأن روحه كانت مفعمة بالوطنية وكل ما يستوجب إعانة الوطن، فكان من بين الطلبة الذين قاموا بإخراج الطالبة من القاعات والذين امتنعوا عن القيام بهذا الإضراب حيث يروي الحاج توفيق ذلك قائلا: "بأننا كنا نقوم بإخراجهم عنوة... فلما استعصى علينا الأمر قمنا بجرهم بالقوة،...و كان من بين هؤلاء الطلبة الطالب "قندور" من تيارت الذي قمنا بجره حتى جرحت ركبته".

وكانت الجمعة قد خصصت مكاتب تستقبل فيها الطلبة المضربين فرادى نسأله عما إذا كان ينوي مواصلة الدراسة بتونس أو بالجزائر أو ببلد عربي آخر (سوريا، العراق)، وكان الحاج التوفيق من الطلبة الذين حذبوا فكرة الرجوع إلى الوطن وخدمة القضية الجزائرية، فيروي لنا كيف كانت المقابلة في المكتب قائلاً: لقد دخلت المكتب وقام احد أعضاء الجمعية بتوجيه السؤال ماذا تنوي وما هو البلد الذي تختاره، فأجبت بأني أنوي الرجوع إلى الجزائر للانضمام إلى صفوف الثوار، فكانت الفرحة بادية على وجهه وقام بالإشارة برأسه إلى مساعده بالمكتب الذي قام بإحضار سلة مليئة بالأحذية، فقال لي بأننا سنهديك هدية وهي هذا الحذاء الذي أرفقوه بشهادة خطية ورد فيها بأن الطالب الزيتوني قام بالإضراب ويريد الانضمام إلى صفوف الثورة فتقبلوه... ووضعت الشهادة في الحذاء حتى لا يعثر عليها أثناء تفتيشه من قبل السلطات الاستعمارية"، وفي الرابع من جوان 1956 قام من قبل الحاج التوفيق بمغادرة تونس راجعا إلى الجزائر، وبالضبط إلى ولاية وهران إلى العائلة التي كانت تقيم بإحدى المزارع بمدينة وهران والتي وجدها قد رُحلت وهُجرت منها لتكثري مسكنا في مدينة وهران وبعد قضائه أربعة أيام أصبح يفتش عن خيط يوصله إلى الثوار، فكان قد اتصل بشخص يدعى "مصطفى لاسوري" الذي كان يعمل كمزارع وراع للغنم قام بإرساله عند شخص آخر، الذي أوصله إلى بعض قادة الثورة بمنطقة (الضاية) بالقرب من تلاغ إحدى دوائر مدينة سيدي بلعباس، من بينهم شخص يسمى "الأزهري" وآخر يسمى "خير الدين" الذي قام الحاج التوفيق بتقديم لهما الشهادة التي كان قد استقدمها ممن قبل أعضاء ج.ط.ج فرحبوا به وفرحوا بانضمامه، لأن الثوار كانوا بحاجة ماسة إلى كل مثقف فهم بحاجة إلى كتاب، وقاموا بتعيينه ككاتب للقسم، ثم تقلد مناصب عديدة كملازم ثم قائد الناحية، ولما حلت سنة 1959 ألقى القبض على الحاج التوفيق بعد إصابته في ذراعه ورجله ومكث بالسجن إلى غاية الاستقلال فأطال الله بقاءه وجزاه الله خير الجزاء على ما قدم لوطنه.

.....
أحمد بن الضياف: ولد بتونس عام 1804م، كان والده كاتب للوزير في عهد المشير أحمد باشا، أصبح مبعوثه الخاص إلى الدولة العلية، كما اصطحبه إلى فرنسا، وأصبح وزيرا للتعليم في عهد المشير محمد الصادق باي، ساهم في طبع وشرح القانون الأساسي المسمى بعهد الأمان، توفي في أكتوبر 1874م.

الطاهر بن عاشور: علم من أعلام الزيتونة ولد سنة 1879م، له مشاركة بناءة في تطوير وإصلاح مناهج التعليم الزيتوني، كان أول من تولى إدارة الجامع الأعظم وتولى مشيخته سنة 1945، وإليه يعود الفضل في ازدهار الجامع ورقيه.

عبد العزيز الثعالبي: ولد الزعيم والمفكر عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن الثعالبي بتونس سنة 1874 ونشأ في كنف جده عبد الرحمن القاضي والمجاهد الجزائري الذي سافر إلى تونس ترفعا واعتزازا عن العمل للفرنسيين، تخرج من جامع الزيتونة سنة 1896 وقبل هذا التاريخ بسنة كان قد التحق بحزب التحرير التونسي وبعدها انخرط كليا في الحركة السياسية فجاهد بحق من أجل القضية التونسية داخل وخارج تونس.

عبد الحميد بن باديس: ولد العلامة في 4 ديسمبر 1889م بقسنطينة، كان والده مصطفى مندوبا ماليا وعضوا بالمجلس الأعلى، تتلمذ على يد الشيخ الونيسي والشيخ المداس، التحق بجامع الزيتونة في 1908م، بعد مضي أربع سنوات كاملة في سنة 1913م توجه لأداء فريضة الحج وبعد عودته أصبح مدرسا بالجامع الكبير بقسنطينة. قام بتحرير العديد من المجلات والجرائد، وإليه يرجع الفضل في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وظل منبع للعطاء العلمي حتى وافته المنية سنة 1940م.

محمد الأمين العمودي: من مواليد 1890 م بمدينة وادي سوف، حصل على تكوين جيد باللغتين العربية والفرنسية حتى صار من أبرع المترجمين وفقهاء القانون المدني

والإسلامي، كان أول أمين عام لجمعية ع.م.ج. من سنة 1931 م إلى 1936م، تألق في جميع أنواع الكتابة من الشعر والنقد والتحليل، اغتالته عصابة اليد الحمراء الفرنسية الإرهابية في أكتوبر 1957م.

الطيب العقبي: أحد كبار أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ورئيس تحرير صحيفتها (البصائر)، وخطيب نادي الترقى بالعاصمة، درس في الحجاز ومنها تخرج، عرف بصلابته في محاربة التعاليم البدعية والخرافات الطرقية، توفي سنة 1960م.

مبارك الميلي: ولد بدوار أولاد مبارك بالميلية ولاية جيجل سنة 1898، درس بجامع الزيتونة وحاز على شهادة التطويح سنة 1924م، انتخب سنة 1931 م أمين عام جمعية العلماء، وترأس تحرير جريدة البصائر سنة 1936م، ألف العديد من الكتب الهامة ألمعها "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، توفي في 9 فيفري 1945.

محمد العيد آل خليفة: ولد يوم 28 أوت 1904م بمدينة عين البيضاء أم البواقي، وصفه محمد البشير الإبراهيمي بما يلي: " شاعر مستكمل الأدوات خصيب الذهن، ربح الخيال، مشع جوانب الفكر، طائر اللمحة، مشرق الدباجة، متن التركيب، فحل الأسلوب، فخم الألفاظ..."، توفي يوم 31 جويلية 1979م ببسكرة.

حمزة بوكوشة: لقبه شنوف من مواليد 1907م بوادي سوف، مارس أعمال تجارية ونبغ في الكتابة بأنواعها، تخرج سنة 1930م من جامع الزيتونة، تقلد منصب مراقب عام لج.ع.م.ج. سنة 1947م وعضو تحرير لجريدة البصائر، توفي يوم 18 نوفمبر 1994م.

محمد البشير الإبراهيمي (1889م- 1966م): ولد الشيخ محمد برأس الواد وبها تعلم القرآن ومبادئ لغته العربية، هاجر مع عائلته إلى الحجاز، وبعد عودته إلى الجزائر قام رفقة الإمام عبد الحميد بن باديس بتأسيس ج.ع.م.ج. ثم نفي من قبل الإدارة الفرنسية إلى أفلو، وبعد إطلاق سراحه سنة 1943م أصبح رئيسا لجمعية العلماء، فقام بتأسيس دار الحديث بتلمسان. يعد ثاني قائد للحركة الإصلاحية، كما كانت له إسهامات فكرية سياسية.

.....
أطفيش أبو إسحاق إبراهيم: ولد ببني يزقن سنة 1886م، حفظ القرآن وعمره إحدى عشر سنة، أشرف على البعثات الميزابية إلى تونس، ساند الثعالبي في قضيته السياسية، نفته السلطات الاستعمارية فاختار القاهرة مقرا له حيث قام بإصدار مجلة املنهاج (1925م- 1930م) وشغل مناصب هامة بمصر إلى ان توفي بها سنة 1965م.

صالح بن يحي: من بني يزقن بميزاب

آيت الصديق (محمد الصديق) (1927- 2003م): من مواليد قرية أبريز (تيزي)، درس في زاوية الشيخ عبد الرحمن اللولي، التحق بجامع الزيتونة من 1947م إلى 1952م، عاد إلى الجزائر واشتغل في التدريس... زاول دراسته بالزيتونة مع اخيه محمد الصالح الصديق، توفي بالعاصمة.

البجائي (المهدي): ولد بعد الحرب العالمية الأولى، تتلمذ على يد والده وفي الكتاتيب بمسقط رأسه، التحق بجامع الزيتونة أواخر سنة 1930م، كان أول رئيس تنفيذي لجمعية الطلبة الزيتونيين... وتخرج بشهادة التحصيل عام 1936م. بعد عودته إلى الجزائر انخرط في العمل الإصلاحي بمسقط رأسه.

براهمية (الطاهر): التحق بالجامع الأعظم بعد الحرب العالمية الثانية، وتخرج منه بشهادة التحصيل عام 1950م، وكان نائبا لرئيس جمعية الطلبة الزيتونيين خلال الفترة (1947- 1948م).

بشيشي (الأمين): (1927م-): من مواليد 1927/12/19م بسدراته، تتلمذ على يد والده بلقاسم اللجاني (أحد مؤسسي الجمعية)، التحق بمدرسة تهذيب البنين والبنات بتبسة في خريف 1940م، ثم نرح إلى تونس وواصل تعليمه بالزيتونة عام 1942م، بعد نيله لشهادة التحصيل عاد إلى سدراته وتولى فتح وتسيير مدرسة الحياة (1951م)، سنة 1956م التحق بتونس حيث أسس مع زملائه القدامى جريدة المقاومة الجزائرية.

.....
بوروح احمد بورزاق (1920- 1986م): ولد في تاكسنة (جيجل) يوم 1920/04/04م، حفظ القرين الكريم ولازم العالم النقاغ الشيخ بلقاسم منيع، انتقل إلى الزيتونة عام 1939م من حيث ترأس في سنته الأخيرة هناك جمعية الطلبة الجزائريين، تحصل على شهادة التحصيل عام 1946م. بعد عودته إلى الجزائر عينته جمعية العلماء على إدارة مدرسة الحياة بجيجل، ثم دعي إلى معهد ابن باديس عام 1949م، وبسبب مضايقات الاستعمار له سافر إلى تونس وهناك تابع دراسته عام 1956م في الزيتونة فحصل على شهادة العالمية في سنة 1958م.

بوعزيز يحيى (1929- 2007م): من مواليد 27 ماي 1929م في قرية الجعافرة ببرج بوعريريج، تلقى تعليمه الأول على يد والده، ثم زاول دراسته في مدرسة خاصة منذ 1947م، وفي أواخر عام 1949م التحق بمعهد الزيتونة في تونس وتحصل منه على شهادة التحصيل عام 1956م.

بونار رابح (1923- 1974م): ولد في قرية ألاجونة بتييزي وزو في 1923/04/25م، تتلمذ بزاوية عبد الرحمن اليلولي كما تعلم في كُتاب القرية بزاوية سيدي عمر الشريف وأخذ عن الشيخ العربي التبسي الذي رشحه معلما في مدرسة الكويف، فمكث فيها سنة ثم هاجر إلى تونس حوالي 1941م فتعلم في الزيتونة سنتين ثم عاد إلى الوطن سنة 1944م، وقد تحصل على شهادة الأهلية. اشتغل إماما ومعلما في القرية التي تربي فيها، ثم عاد إلى تونس في سنة 1948م حيث استأنف دراسته بالزيتونة، وحصل على شهادة التحصيل سنة 1951م.

حمرات محمد (1929م): من مواليد القليعة (تيزازة)، نشأ يتيما عند أخواله، تلقى المبادئ الأولية من النحو والفقہ وحفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه، التحق بجامعة الزيتونة عام 1946م، ونال منه شهادة التحصيل عام 1950م.

.....
حيرش عبد المجيد (1910- 1985م): من مواليد 1910/07/05م بفرجيوة (ميلة)،
انتقل عام 1928م إلى تونس والتحق بالزيتونة، عاد إلى الجزائر عام 1933م محصلاً،
وانضم إلى الحركة الباديسية بقسنطينة، كما ساس مدرسة عصرية بميلة.

خباشة صالح (بابا بكير)، (1933م-): من مواليد 1933/05/16م بالقرارة، بعد إنهاء
تعليمه الابتدائي والثانوي انتقل إلى تونس وتحصل على شهادة الأهلية.

الخرفي صالح (1932- 1998م): ولد بالقرارة، التحق بمدرسة التربية والتعليم التابعة
لجمعية العلماء بباتنة سنة 1938م ثم عاد إلى القرارة ليستكمل دراسته بمعهد الحياة، التحق
بجامع الزيتونة عام 1953م ثم الخلدونية، كان عضواً فاعلاً في الاتحاد العام للطلبة
الجزائريين منذ سنة 1956م.

خير الدين محمد (1902- 1994م): ولد ببلدية فرفار (الزيان) ودرس بها، وفي سنة
1916م انتقل إلى قسنطينة، وبعد سنتين انتقل إلى الزيتونة وحصل على شهادة التطوير
سنة 1925م. كان له دور بارز في الحركة الإصلاحية، التحق بجبهة التحرير عام
1956م.

الدراجي فرحات بن حامد (1906- 1951م): من مواليد ليشانة (بسكرة)، وبها حفظ
القرآن الكريم وتزود بالعلوم الفقهية، ثم واصل تعليمه بجامع الزيتونة ليتخرج منه بشهادة
التطوير عام 1931م.

سعد الله أبو القاسم (1930م-): ولد بقمار، درس بجامع الزيتونة (1947- 1955م)
وتحصل على شهادة التحصيل، وفي تونس ترأس جمعية البعثة الجزائرية لمدة سنتين بعد
محمد الميلي، ثم التحق عام 1955م بدار العلوم (قسم اللغة العربية)، وتحصل على
الليسانس عام 1959م.

شريط عبد الله (1921م): من مواليد مسكيانة (خنشلة)، نشأ وتعلم بمسقط رأسه، ثم واصل تعليمه الابتدائي والثانوي بقسنطينة، ليرحل منها إلى تونس حيث التحق بجامعة الزيتونة ونال شهادة التحصيل، نشط داخل جمعية الطلبة الجزائريين بتونس.

شيبان عبد الرحمن (1918): ولد في قرية الشرفة (البويرة) يوم 1918/02/23م، تلقى تعليمه الابتدائي في الزاوية السحنونية، كما يتردد على المدرسة الفرنسية حيث نال الشهادة الابتدائية، هاجر إلى تونس سنة 1938م، لكنه انقطع عن الدراسة بسبب الحرب ولم يستأنفها إلا في سنة 1943م، ترأس بتونس اللجنة الأدبية في جمعية الطلبة الجزائريين كما تولى رئاستها عام 1947م، وهو العام الذي نال فيه شهادة التحصيل.

بن عيسى الطيب (1885-1965م): من أصل جزائري، من نسل بن عيسى الدفين بجهة بسكرة بقرواوا، درس بالزيتونة وساهم منذ نشأته المبكرة في تحرير عدد من الصحف بتونس منها الرشيديّة والصواب، كما أنشأ سنة 1911م جريدة المشير، ثم الوزير 1920م، كان عضواً بارزاً في الحزب الحر الدستوري، سجن في حوادث أبريل 1938م إلى غاية 1943م.

: :

Archives National d'Outre Mer (Aix en Provence)

- A.N.O.M., boîte n°4507, doc n°2058/NA/03/09/1951, Etudiants algériens de la Zitouna- Aide éventuelle à leur donner.
- A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 21/01/1953, Renseignements divers (4 page).
- A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 07/02/1953, رسالة خطية لطالب زيتوني جزائري
A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 13/03/1953. Extrait traduit du "Bassair" du 13 mars 1953.
- A.N.O.M., boîte n°4507, doc N° 766 NA/4 du 30/03/1953, note de renseignement.
- A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°3590, du 17/01/1953, A/S du F.M.A. Kacem Ben Sliman Ben Chérif Bouziane.
- A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°8896/NA du 08/10/1953, A/S du Comité d'Aide aux Tolbas des Aurés.
- A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 30/10/1953, Physionomie de la presse Arabe Tunisienne.
- A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°03, du 07/01/1954, Activité des étudiants algériens de la Zitouna de Tunis.
- A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 29/01/1954 (K.M)

-
-
- A.N.O.M., boîte n°4507, doc N_548 du 29/01/1954m Instructions de M. Le préfet directeur de la sécurité générale, tran. A M. le commissaire principale.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°202 du 23/02/1954 (p : 1, 2, 3), activité des algériens à Tunis.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 23/03/1954, physionomie de la presse Arabe Tunisienne.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°66 du 31/03/1954, A/S Grèves des étudiants tunisiens.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°33 du 08/04/1954, A/S Etudiants F. N.A. de l'université "Ezitouna".
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 08/04/1954 (K.M) رسالة خطية للطالب الجزائري
A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 17/06/1955 d'un français musulman refoulé de Tunisie.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 12/07/1954, subsides à étudiants.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°731, du 21/09/1954, Passage d'étudiants se rendant à la Zitouna à Tunisie.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°2700, du 30/10/1955, passage à La Calle de F.M.A étudiants à la Zitouna.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°978, du 27/07/1955, passage à La Calle de F.M.A étudiants à la Zitouna.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 24/01/1956. Protestions de l'association des étudiants algériens.

-
-
- A.N.O.M., boîte n°4507, doc 27/01/1956, L'association des étudiants algériens.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 03/02/1956, A/S Benhadouga (région de Colbert).
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°851 NA/2, du 16/03/1956, monsieur Hadj Tabani, délégué à l'assemblée algérienne.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc (N.A), N°225 du 30/04/1956. Motion des Mouderrès de la Zitouna (As-Sabah du 29/03/1956).
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°685/N.A, du 18/05/1956, Retrait de presse tunisienne. (As-Sabah du 09/05/1956).
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°1200 NA/2, du 24/05/1956, subsides à Makhloufi Mohammed, Selmani Amor, et Bekhouche Amar, parents d'étudiants de la Zitouna.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 26/05/1956, souvenir d'Ibn Badis, L'allocution du secrétaire général de la A.E.A.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°2192, du 30/05/1956, Demande de subside- Etudiant Selmani Tayeb.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 02/06/1956, subside en faveur d'étudiants à la Zitouna de Tunis.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 10/06/1956, Presse Arabe Tunisienne.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°4788, du 31/06/1956, Demande de Subside- Etudiant Makhloufi Abdellah.

-
-
- A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 05/12/1956, Etudiants algériens de la Zitouna de Tunis.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°591/NA, du 18/05/1957, Appel de l'Union des étudiants algériens musulmans de Tunisie.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 08/1957. Divers.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 03/08/1958, section des affaires politiques :
 1. L'université Az-Zitouna de Tunis.
 2. La Zitouna et l'Algérie.
 3. L'enseignement supérieur.
 4. Comportement politique des étudiants.
 5. Situation des étudiants algériens à Tunis en 1954- 1955.
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc du 07/11/1958, Traduction de la lettre de "Si Amirouche".
 - A.N.O.M., boîte n°4507, doc N°1598, du 27/11/1958, Renseignement proprement.

Archive National Tunisien :

- A.N.T. série D.C 53, dossier 28 doc N° 25-26, وثيقة إحصائية لعدد الطلبة بين سنتي 1938-1939 المتواجدين بجامع الزيتو
- A.N.T. série D.C 53, dossier 28 doc N° 19, 1943. وثيقة رسمية لأسماء الطلبة الجزائريين الذين لم يحالفهم الحظ للرجوع إلى الجزائر بسبب ظروف الحرب العالمية.

-
-
- وثيقة رسمية تضمنت A.N.T. série D.C 53, dossier 28 doc N° 20, 1943. أسماء الطلبة الجزائريين العالقين بتونس بسبب ظروف الحرب والذين سيتم إحالتهم للإعانة الخيرية.
 - وثيقة خاصة بمراسلة الطلبة A.N.T. série D.C 53, dossier 28 doc N° 75, الجزائريين للوزير الأكبر لطلب العون بسبب انقطاع الإعانة المادية.

Archives de la Wilaya de Constantine :

- A.W.C., boîte 203, affaire musulmans, le 29 avril 1915.
- A.W.C., boîte 203, préf. De Constantine, notice de renseignement 28 juillet 1933.
- A.W.C., boîte 203, Préfecture de Constantine C.I.E. n°655, 1934.
- A.W.C., boîte 203, Rapport de police saisie 8 janvier 1936.
- A.W.C., boîte 205, préf. De Constantine, notice de renseignement C.I.E., N°441, 15/08/1936.
- A.W.C., boîte 203, Rapport de police, novembre 1937.
- A.W.C., boîte 206, Rapport de police 1942- 1943.

الكتب المصدرية:

- الإبراهيمي (محمد البشير)، عيون البصائر، ج1، الجزائر، ش.و.ن.ت.، 1971م.
- الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971م.
- بن عاشور (الطاهر)، أليس الصبح بقريب، تونس، الشركة القومية للنشر، 1967م.

– بن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ط2،
الدار التونسية للنشر، تونس، 1976م.

– خير الدين (محمد)، مذكرات، ج1، الجزائر، مؤسسة الضحى، 2000م.

– المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح، ج1، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،
الجزائر، 1976م.

ثانياً: المراجع: باللغة العربية.

– التيمومي (الهادي)، تاريخ تونس الاجتماعي 1881-1956م، دار محمد علي
الحامي للنشر، تونس، 2001م.

– الجابري (محمد صالح)، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس
(1900-1962)، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983م.

– الجابري (محمد صالح)، الأدب الجزائري في تونس، ج2، بيت الحكمة، تونس،
1991م.

– الجابري (محمد صالح)، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الغرب
الإسلامي، بيروت، 1970م.

– الخطيب (أحمد)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في
الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

– العياشي مختار، الزيتونة والزيتونيون في تاريخ تونس المعاصر، مركز النشر
الجامعي، تونس، 2003م.

– العياشي مختار، البيئة الزيتونية (1910-1945م)، ترجمة حمادي الساحلي، دار
التركي للنشر، تونس، 1990م.

-
-
- الزيدي علي، الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسية (1904-1945م)،
تق: التميمي عبد الجليل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، 2007م.
- الكاملي عبد الله محمد أبوراس، أبو إسحاق إبراهيم آففيش، مطبعة الشهاب،
قسنطينة، 1966م.
- الفرد بل، الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا، تر: عبد الرحمن بدوي، ط3، دار
الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.
- بن عاشور (محمد العزيز)، جامع الزيتونة، المعلم ورجاله، دار سراس للنشر،
تونس، 1991م.
- بوعزيز يحي، رحلة في فضاء العمر أو مذكرات القرن 1-3، ط.خ، دار البصائر،
الجزائر، 2009م.
- بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، الجزائر، د.م.ج،
1999م.
- بوعزيز يحي، ثورات الجزائريين في القرنين 19 و 20 الثورة في الولاية الثالثة،
ط.خ، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
- بوعزيز يحي، أعلام الفكر في الجزائر المحروسة، ج1، ط1، دار الغرب
الإسلامي، بيروت، 1995م.
- بنونة الطيب، نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج
عبد السلام بنونة، ط1، مطبعة الأمل، طنجة، 1980م.
- تركي رابح، عبد الحميد بن باديس وفلسفته التربوية، ط2، الشركة الوطنية للنشر
والتوزيع، الجزائر، 1974م.

-
-
- حماني أحمد، شهداء معهد عبد الحميد بن باديس، قصر الكتاب، الجزائر، 2004م.
- حمادي بن حماد، رحلات من زمن الكفاح، منشورات المتوسط، تونس، 2004م.
- خرفي صالح، عبد العزيز الثعالبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م.
- خليفي عبد القادر، أحمد توفيق المدني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية (1899م-1983م)، دار المخابر للنشر والتوزيع، الجزائر.
- دبوز محمد (علي)، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، المطبعة العربية، الجزائر، 1971م.
- دبوز محمد (علي)، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج3، ط1، مطبعة البعث، الجزائر، 1978م.
- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.
- سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، م.و.ك.، الجزائر، 1986م.
- سعد الله (أبو القاسم)، منطلقات فكرية، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007م.
- سعد الله (أبو القاسم)، هموم حضارية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م.
- شكيب أرسلان، الحلل السندسية والآثار الأندلسية، ج1، مصر، 1945م.
- طلاس مصطفى، الثورة الجزائرية، دار طلاس، دمشق، 1984م.

– طالبى عمار، ابن باديس حياتة وآثاره، ج1، ط1، دار ومكتبة الشركة الجزائرية،
الجزائر، 1968م.

– فضلاء محمد الحسن، المسيرة الرائدة للتعليم العربى الحر بالجزائر، ج1، دار
الأمة، الجزائر، 1999م.

– هنرى كلود وأزردى برينان، واين لاكوست، الاستعمار الفرنسى فى المغرب
العربى، ترجمة: محمد عيساتى، منشورات المعارف، بيروت، د.ت.

– لولب حبيب حسين، الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية، دار سيدي الخير، الجزائر،
2013.

باللغة الأجنبية:

Les ouvrages :

- Abdel Moula (Mohamed), L'université Zeytounien et les sociétés tunisiennes, Tunis, 1984.
- Ageron (Charles-Robert), Histoire de l'Algérie contemporaine de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954, T2, éd. PUF, paris, 1971.
- Ben Miled (A), la naissance du mouvement ouvrier tunisien, Tunis, 1984.
- Colette et François Janson, L'Algérie hors la loi, éd. Seuil, 2^{ème} édition, paris, 1954.
- André Nouschi, La naissance du nationalisme algérien : 1914- 1954, éd. Minuit, paris, 1962.
- Ayachi (T), mouvement réformiste et mouvement populaire à Tunis (1906- 1912), pub. De l'université de Tunis 1986.

-
-
- Guy (Perville), les étudiants algériens en guerre 1955- 1962, in Armée guerre et politique en Afrique du Nord XIXe- XXe siècles, éd. Presse de l'école normale supérieure, paris, 1977.
 - Henri Alleg (S.D), la guerre d'algérien, T1, éd. Temps, paris, 1981.
 - Julien (Ch. A), l'Afrique du nord en marche, nationalismes musulmans et souveraineté française, paris, Julliard, 1972.
 - Samya (al Machat), La Tunisie ; les chemins vers l'indépendance 1954- 1956, éd. L'Harmattan, col. Histoire et perspectives méditerranéennes, paris, 1992.
 - Perville (Guy), les étudiants algériens de l'université française 1880- 1962, CRESM-CBRS, 1984.
 - Telili Bachir, Les rapports actuels et idéologiques entre l'orient et l'Occident en Tunisie en XIX siècle (1830- 1880), pub. De l'université Tunis, 1974.

Revue

- Abdessamed (hichem), La résidence face à la question de la réforme de l'enseignement Zeytounien 1930- 1933, les actes du 3^{ème} séminaire sur l'H.M.N. (C.N.D.T), Tunis, 1985.
- Al Muchrif (alias- Léon Bercher), la réforme de l'enseignement à la grande mosquée Zitouna de Tunis, in R.E.I., 1930, cahier 7v.
- Ayachi (M), la politique coloniale et la question Zaitounienne au cours des années trente, in actes du 3^e séminaire d'histoire du mouvement national, CNUDST, Tunis, 1985.

-
- Callns (M), conditions de vie matérielle et sociale de la jeunesse étudiante, in IBLA, 17^{ème} année, 2^{ème} trim., n°74, 1956.
 - Chazi (M.F), Le milieu Zeitounien de 1920- 19363 et la formation d'Abdel-Qacim Achabbi, poète tunisien, in C.T., n°28, 4^{ème} trim., 1959.
 - Kraiem (Mustapha), L'université de la Zeytouna dans les années trente, R.T. n°88/91, pub. du C.F.R.E.S, Tunis, 1987.
 - Lebjaoui (M), Vérité sur la révolution algérienne, éd. Gallimard, paris, 1970.
 - Lahouel (Badra), politique coloniale, identité nationale et supra nationale en Algérie, in R.H.M., n°49-50, juin 1988.
 - Montety (H), Révolution moderniste à l'université Zeytouna, in L'Afrique et l'Asie, 1^{er} trim. 1951.

ثالثاً: المجالات.

- الشهاب، جمادى الثانية 1353 هـ/ أوت 1934، الجزائر.
- الثمرة الأولى، إصدار: ج.ط.ج.ز.، مطبعة الشباب، تونس، 1937.
- الثمرة الثانية، إصدار: ج.ط.ج.ز.، مطبعة التليبي، تونس، 1947- 1948.
- بوعزيز يحي، الكفاح المشترك بين الشعبين الجزائري والتونسي ودماء الساقية، الهداية، ع 158، تونس، 2003.
- بوعزيز يحي، أفضل الزيتون على المسيرة الثقافية والتعليمية بالجزائر، مجلة الهداية، ع 152، تونس، 2002.

-
-
- رابح جابة (جابر) ومحمد الصغير رزاق لبزة (العلمي)، الحركة الكشفية أثناء الثورة التحريرية، الكشافة الإسلامية الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 1999.
- عقيب محمد سعيد، الطلبة الجزائريون في الأقطار العربية، عصور النهضة الجديدة، عدد خاص بخمسينية الاستقلال 9 ربيع الثاني 1433هـ/2013.
- صحراوي عبد القادر، اجلزايريون والرحلة إلى الحجاز خلال فترة الاستعمار، الشهاب الجديد، العدد السابع، 22 ربيع الولى 1429هـ/ 30 مارس 2008، مطبعة بغيجة، قسنطينة، الجزائر.
- قريان عبد الجليل، الحركة الطلابية الجزائرية خلال الاحتلال الفرنسي، رصيد الوعى بالذات، عصور الجديدة، ع6، 2012.
- كواتي مسعود، الكشافة الإسلامية الجزائرية في الجبل الأحمر بتونس، الكشافة الإسلامية الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 1999.
- هلال عمار، فكرة الوحدة المغربية عند الطلاب، الثقافة، ع 92، السنة 16 مارس 1986.
- هلال علاء الدين، إشكالية التوحيد العربى، شؤون عربية، ع 43، تونس، سبتمبر 1985.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

- بلوزاع براهيمة، كتابات الجزائريين فى الصحافة التونسية (1947-1962)، رسالة التعمق والبحث فى التاريخ المعاصر، إشراف أ.د. عبد الجليل التميمى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1999.
- شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بتونس 1900-1956، أطروحة دكتوراه، إشراف، قسم التاريخ، الجامعة الإفريقية، أدرار، 3 أجزاء، 2007.

-
-
- ضيف الله محمد، لجنة صوت الطالب الزيتوني 1950-1956، شهادة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1988.
- ضيف الله محمد، الحركة الطلابية التونسية 1927-1939، شهادة التعمق والبحث، إشراف: توفيق العيادي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1993-1994.
- صالح عسول، اللاجئون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة، رسالة ماجستير، إشراف: د. يوسف مناصرية، جامعة باتنة، 2005.
- مريوش أحمد، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. ناصر الدين سعيدوني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2005-2006.

باللغة الأجنبية:

- Bensmain Khaled, Le mouvement étudiant algérien 1955- 1970 (essai sur l'intellectuel et le pouvoir en Algérie), thèse de doctorat, université de Nancy, 1991, 3 vol.

خامسا: الصحافة.

الجرائد:

- لسان الشعب، تونس، 9 أبريل 1924.
- لسان الشعب، تونس، 8 أكتوبر 1924.
- لسان الشعب، تونس، 12 ديسمبر 1924.
- الزهرة، تونس، 4 فيفري 1931.
- الزمان، تونس، 20 جانفي 1940.

- الصريح، تونس، 31 ديسمبر 1940.
- المباحث، تونس، 6 سبتمبر 1945.
- المباحث، تونس، 9 جانفي 1945.
- الأسبوع، تونس، 30 مارس 1947.
- الزهرة، تونس، 7 نوفمبر 1949.
- الصريح، تونس، 14 أبريل 1950.
- الصريح، تونس، 21 أبريل 1950.
- الصريح، تونس، 12 ماي 1950.

البصائر

- البصائر، ع 114، ربيع الأول 1357هـ/ 20 ماي 1938 م (الجزائر).
- البصائر، ع 137، 1938.
- البصائر، ع 149، 17 شوال 1357هـ/ 9 ديسمبر 1938 م (الجزائر).
- البصائر، ع 153، ذي الحجة 1357هـ/ فيفري 1938 م (الجزائر).
- البصائر، ع 160، 21 صفر 1358هـ/ أبريل 1939 م (الجزائر).
- البصائر، ع 172، 12 جمادى الثانية/ 30 جوان 1939 م (الجزائر).
- البصائر، ع 12، 12 ذي الحجة 1366هـ/ أكتوبر 1947 م (الجزائر).
- البصائر، ع 16، 7 صفر 1367هـ/ 22 ديسمبر 1947 م (الجزائر).
- البصائر، ع 18، 22 صفر 1367هـ/ 1948 م (الجزائر).
- البصائر، ع 24، 12 ربيع الثاني 1367هـ/ مارس 1948 م (الجزائر).

-
- البصائر، ع 25، 19 ربيع الثاني 1367هـ/ مارس 1948 م (الجزائر).
 - البصائر، ع 31، 1 جمادى الثانية 1367هـ/ أبريل 1948 م (الجزائر).
 - البصائر، ع 43، 2 رمضان 1367هـ/ جويلية 1948 م (الجزائر).
 - البصائر، ع 47، 7 شوال 1367هـ/ 30 أوت 1948 م (الجزائر).
 - البصائر، ع 49، 10 ذي القعدة 1367هـ/ 13 سبتمبر 1948 م (الجزائر).
 - البصائر، ع 46، 1368هـ/ 1949.
 - البصائر، ع 72، 20 جمادى الثانية 1368هـ/ 11 سبتمبر 1950 م (الجزائر).

الصباح التونسية

- الصباح، ع 128، 15 جوان 1951.
- الصباح، ع 130، 17 جوان 1951.
- الصباح، ع 144، 31 جوان 1951.
- الصباح، ع 150، 6 جويلية 1951.
- الصباح، ع 156، 12 جويلية 1951.
- الصباح، ع 157، 13 جويلية 1951.
- الصباح، ع 180، 05 أوت 1951.
- الصباح، ع 181، 05 أوت 1951.
- الصباح، ع 187، 12 أوت 1951.
- الصباح، ع 188، 13 أوت 1951.
- الصباح، ع 191، 16 أوت 1951.
- الصباح، ع 376، 1952.
- الصباح، ع 679، 19 مارس 1954.
- الصباح، ع 788، 28 مارس 1954.
- الصباح، ع 806، 18 أبريل 1954.

-
-
- الصباح، ع 1261، 6 فيفري 1956.
 - الصباح، ع 1312، 29 مارس 1956.
 - الصباح، ع 1341، 27 أبريل 1956.
 - الصباح، ع 1354، 10 ماي 1956.
 - الصباح، ع 1362، 18 ماي 1956.
 - الصباح، ع 1384، 29 جوان 1950.
 - الصباح، ع 1407، 28 جويلية 1950.
 - الصباح، ع 1410، 26 جويلية 1956.
 - الصباح، ع 1418، 4 أوت 1956.
 - الصباح، ع 1423، 10 أوت 1956.
 - الصباح، ع 1424، 11 أوت 1956.
 - الصباح، ع 1425، 12 أوت 1956.
 - الصباح، ع 1433، 21 أوت 1956.
 - الصباح، ع 1434، 22 أوت 1956.
 - الصباح، ع 1436، 24 أوت 1956.
 - الصباح، ع 1440، 30 أوت 1956.
 - الصباح، ع 1441، 31 أوت 1956.
 - الصباح، ع 1466، 29 سبتمبر 1956.
 - الصباح، ع 1477، 13 أكتوبر 1956.
 - الصباح، ع 1480، 19 أكتوبر 1956.
 - الصباح، ع 1481، 20 أكتوبر 1956.
 - الصباح، ع 1488، 27 أكتوبر 1956.
 - الصباح، ع 1495، 02 نوفمبر 1956.

-
-
- الصباح، ع 1496، 3 نوفمبر 1956.
 - الصباح، ع 1500، 7 نوفمبر 1956.
 - الصباح، ع 1503، 10 نوفمبر 1956.
 - الصباح، ع 1509، 17 نوفمبر 1956.
 - الصباح، ع 1527، 9 ديسمبر 1956.
 - الصباح، ع 1531، 13 ديسمبر 1956.
 - الصباح، ع 1533، 15 ديسمبر 1956.
 - الصباح، ع 1536، 18 ديسمبر 1956.
 - الصباح، ع 1549، 19 جانفي 1957.
 - الصباح، ع 1551، 02 فيفري 1957.
 - الصباح، ع 1657، 06 فيفري 1957.
 - الصباح، ع 1668، 17 فيفري 1957.
 - الصباح، ع 1681، 02 مارس 1957.
 - الصباح، ع 1702، 23 مارس 1957.
 - الصباح، ع 1707، 28 مارس 1957.
 - الصباح، ع 1725، 15 أفريل 1957.
 - الصباح، ع 1767، 27 أفريل 1957.
 - الصباح، ع 1772، 02 ماي 1957.
 - الصباح، ع 1774، 04 ماي 1957.
 - الصباح، ع 1841، 09 جويلية 1957.
 - الصباح، ع 1852، 20 جويلية 1957.
 - الصباح، ع 2 ماي 1958.
 - الصباح، ع 7 نوفمبر 1958.

-
-
- الصباح، 8 نوفمبر 1958.
 - الشروق، ع 2535، الجزائر 2009/02/17.
 - البصائر ع 700، الجزائر، جمادى الثانية 1435 هـ/ أبريل 2014.
 - البصائر ع 723، الجزائر، ذو الحجة 1435 هـ/ أكتوبر 2014 م.

شكر

إهداء

قائمة المختصرات

| | | |
|----|-------|---|
| أ | | مقدمة |
| 15 | | مدخل: جامع الزيتونة وأسباب الرحلة |
| 16 | | أولاً: جامع الزيتونة |
| 30 | | ثانياً: استبدال مصطلح الهجرة بالرحلة |
| 33 | | ثالثاً: أسباب رحلة الطلبة |
| 41 | | : |
| 44 | | الفصل الأول: التواجد الطلابي الجزائري |
| 44 | | أولاً: شروط الالتحاق بجامع الزيتونة |
| 46 | | ثانياً: تنظيم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للبعثات الطلابية |
| 49 | | ثالثاً: تواجد الطلاب الجزائريين بالجامع الأعظم سنوات الثلاثينات |
| 54 | | رابعاً: تواجد الطلاب الجزائريين بالجامع الأعظم أثناء الحرب العالمية الثانية |
| 55 | | خامساً: تواجد الطلاب الجزائريين بالجامع الأعظم بعد الحرب العالمية الثانية |
| 58 | | سادساً: تواجد الطلاب الجزائريين بالجامع الأعظم سنوات الخمسينات |
| 62 | | الفصل الثاني: النضالات السياسية للطلبة |
| 63 | | أولاً: الطلبة الجزائريون والحزب الدستوري التونسي |
| 80 | | ثانياً: منظمة الصداقة للجزائريين بتونس |
| 83 | | ثالثاً: الطلبة الجزائريون وعلاقتهم بالتنظيمات السياسية |

| | |
|-----|--|
| 98 | الفصل الثالث: النضال الطلابي |
| 98 | أولاً: إضراب الطلبة الجزائريين مساندة لإضراب صوت الطالب الزيتوني..... |
| 109 | ثانياً: الطلبة الجزائريون وعلاقتهم بالجمعيات الثقافية..... |
| 119 | ثالثاً: الطلبة الجزائريون ووحدة المغرب العربي..... |
| 143 | رابعاً: الطلبة الجزائريون وثورة التحرير المباركة..... |
| 163 | الفصل الرابع: أوضاع الطلبة المعيشية |
| 164 | أولاً: نداء جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين..... |
| 165 | ثانياً: الجالية الجزائرية بـ " ماطر " تونس في إعانة الطلبة الجزائريين الزيتونيين.... |
| 167 | ثالثاً: لجنة الإعانة لطلبة الأوراس..... |
| 168 | رابعاً: الإعانة المادية للطلبة الجزائريين من قبل الإدارة الاستعمارية..... |
| 174 | خامساً: الإمدادات المادية من قبل جبهة التحرير الوطني..... |
| 181 | سادساً: الإعانة المادية من طرف الحكومة التونسية..... |
| 183 | سابعاً: الحالة المعيشية للطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة..... |
| 195 | : |
| 196 | الفصل الأول: جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين |
| 196 | أولاً: أسباب ودوافع ظهور الجمعية..... |
| 224 | ثانياً: تذبذب أحوال جمعية الطلبة الجزائريين وظهور جمعية البعثة الزيتونية..... |
| 235 | ثالثاً: نشاط الجمعية سنوات الخمسينات..... |
| 245 | رابعاً: نشاط جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين على ضوء الوثائق الأرشيفية..... |
| 254 | خامساً: حفلة جمعية الطلبة الجزائريين بتونس..... |
| 261 | سادساً: حل الجمعية..... |
| 263 | سابعاً: الكتابات المشتركة بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والطلبة..... |

| | |
|-----|---|
| 279 | الفصل الثاني: كتابات الطلبة في الصحف التونسية |
| 281 | أولاً: كتابات الطلبة سنوات العشرينات. |
| 296 | ثانياً: كتابات الطلبة سنوات الثلاثينات. |
| 305 | ثالثاً: كتابات الطلبة مطلع الأربعينات. |
| 314 | الفصل الثالث: كتابات الطلبة في جريدة الصباح |
| 314 | أولاً: كتابات الطلبة سنوات الخمسينات. |
| 380 | ثانياً: الكتابات القصصية سنوات الأربعينات ومنتصف الخمسينات. |
| 402 | الفصل الرابع: الإسهامات الثقافية للطلبة الجزائريين في الصحف التونسية |
| 402 | أولاً: كتابات الطلبة سنة 1958 م. |
| 406 | ثانياً: كتابات الطلبة سنة 1959 م. |
| 407 | ثالثاً: كتابات الطلبة بداية الستينات. |
| 411 | خاتمة. |
| 421 | الملاحق. |
| 468 | المقابلات. |
| 473 | الأعلام. |
| 480 | بيبليوغرافيا. |
| 499 | الفهرس. |